

الأرواح

alruaa

مجلة

فصلية، فكرية

• خريف ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

• العدد الأول

• ٢٧٦ صفحة



من احتلال الأرض إلى استعمار السرد

- حرب السرديات:
- من يروي فلسطين؟
- المرأة والطفل
- في زمن المقاومة
- فلسطين
- في الأدب والفن
- المقاومة
- الإلكترونية الفلسطينية

حوارات مع

وضّاح خنفر، جون إسبوزيتو وألكسندر دوغين





وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

قرن القطيعة والخديعة الكبرى

٦٨

حوار مع
وضاح خنفر

الشرق

alruaamag@gmail.com



- المشرف العام:
د. السيد محمد الهاشمي
- رئيس التحرير:
د. حميد رضا تمدن
- مدير التحرير:
د. مرتضى عباس الروحاني
- سكرتير التحرير:
زهراء محمدي روزبهاني
- رسام العدد:
علي محمدي روزبهاني
- زهراء أكبري
- المدقق اللغوي:
زهراء محمدي روزبهاني

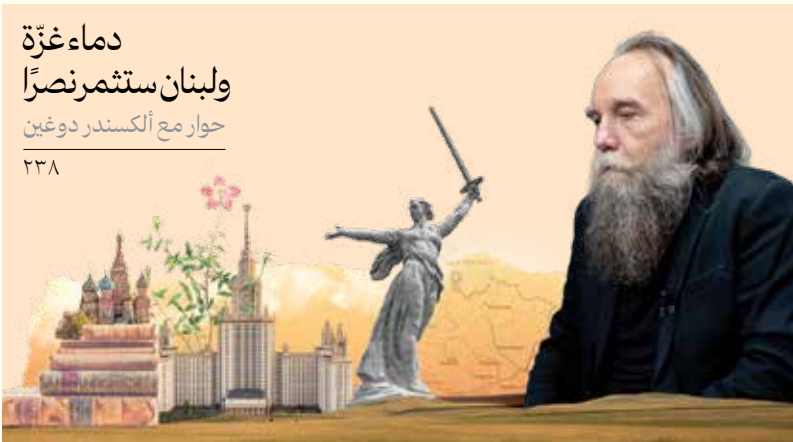
هيئة تحرير العدد:

- ليلى شمس الدين: لبنان
- عمرو علان: فلسطين
- معاذ بني عامر: الأردن
- المعتصم بالله عدنان
مطر: الأردن
- فوزي العلوي: تونس
- حمادي ذويب: تونس
- حسين إبراهيم شمس
الدين: لبنان
- نزار كريكش: ليبيا
- نسيب محمد حطيط
العالمي: لبنان
- هاني نسيرة: مصر
- بوحلوان عبد الغني: الجزائر
- عبد الرحمن حسام: تركيا
- أماني عبدالرازق الصيفي:
ألمانيا

دماء غزة ولبنان ستثمر نصرًا

حوار مع ألكسندر دوغين

٢٣٨



٨	• الكلمة الافتتاحية مرتضى عباس الروحاني
١٠	• آفاق بديلة للمعرفة والمشروع ليلي شمس الدين
٢٨	• من ٧ أكتوبر إلى اختبار الحداثة الأوروبية عمرو علان
٤٢	• ولادات محمود درويش: أو لماذا نخسر معركتنا الحضارية؟ معاذ بني عامر
٥٨	• المرأة الفلسطينية في مواجهة الإحتلال الصهيوني المعتصم بالله عدنان مطر
٦٨	• قرن القطيعة والخديعة الكبرى حوار مع وضاح خنفر
٨٢	• الإرث الحداثي الكولونيالي وبناء التصورات المعاصرة للهوية فوزي العلوي
١٠٦	• المقاومة الإلكترونية الفلسطينية منذ ٧ أكتوبر حمادي ذويب
١٢٨	• الكوفية في شوارع أوروبا وأميركا حسين إبراهيم شمس الدين
١٤٠	• نحو سرد مستدام نزار كريش
١٥٦	• غزة تكشف زيف الحضارة الغربية حوار مع جون إسبوزيتو
١٧٦	• قراءات في البنية المعرفية للإحتلال والمقاومة نسيب محمد حطيط العاملي
١٩٤	• استعمار الصورة هاني نسيرة
٢٠٨	• الكتابات الحائطية والقضية الفلسطينية بوحولان عبد الغني
٢٢٤	• ٧ أكتوبر وحدود الفعل عبد الرحمن حسام
٢٣٨	• دماء غزة ولبنان ستثمر نصراً حوار مع ألكسندر دوغين
٢٥٨	• أصوات المقاومة: الموسيقى الفلسطينية في المنفى أماني عبدالرازق الصيفي
٢٦٢	• تعريف كتب





على هذه الأرض ما يستحق الحياة: على هذه الأرض سيده
الأرض، أم البدايات أم النهايات.
كانت تسمى فلسطين. صارت تسمى فلسطين.
• محمود درويش





يسرقون رغيفك .. ثم يعطونك منه كسرة ..
ثم يأمرؤك أن تشكرهم على كرمهم ...
يا لوقاحتهم
• غسان كنفاني





الكلمة الافتتاحية

طوفان الكشف: فلسطين وحكّ الحداثة الكولونيالية

إذ يتزامن إطلاقه مع حدث تاريخي فارق، تمثل في عملية السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وما أعقبها من عدوان "إسرائيلي" على غزة، ولم يكن هذا التزامن وليد المصادفة، بل استجابة لضرورة معرفية فرضت نفسها على الوعي الإنساني الجمعي. لقد ظلت القضية الفلسطينية، قبل هذا الحدث، رهينة ما يمكن تسميته بـ "استعمار الصمت"، حيث أسهمت السردية المهيمنة في طمس حضورها ضمن الذاكرة العالمية، وفي إعادة

نطلّ عليكم بـ "عددا الأول" من مجلة رؤى، في لحظة تأسيسية طالما حلمنا بها؛ أن نؤسس منبراً فكرياً يعنى بالدراسات ما بعد الكولونيالية وينقد الاستعمارية المستمرة، ليكون هذا العدد شهادة على التزام منهجي وأخلاقي معاً. يأتي هذا العدد في سياق عالمي بالغ الحساسية،

بنيته العميقة، لا ينفصل عن باراداييم الحداثة الذي يُنزل الأمن منزلة الغاية الإجرائية، فيتحوّل إلى أداة تتيح "سياسات الموت" ضد الشعوب المستعمرة والمقهورة.

• **ثالثاً: معركة السرديات وإعادة تعريف الهوية**
ننظر إلى الصراع الدائر ليس باعتباره صراعاً عسكرياً فحسب، بل معركة سرديات بامتياز. ومن هنا تتحدد مهمة مجلة الرّؤى في الإسهام في بناء "سرد مستدام" للقضية الفلسطينية، في مواجهة آلة التعتيم الإعلامي التي تشكّل جزءاً من منظومة الهيمنة المعرفية العالمية. إن معرفتنا الحقيقية هي استعادة حقنا في تعريف ذاتنا بأنفسنا، بعيداً عن الهوية المشوهة التي صاغها "الآخر" الغربي عبر قرون من التنميط والاستلاب.

لقد ضمّ هذا العدد نخبة من الباحثين والكتاب من دول إسلامية متعددة، إلى جانب حوارات مع شخصيات أكاديمية من خلفيات فكرية وثقافية متنوعة. وهذا التنوّع لا يُعدّ ترفاً معرفياً، بل هو جوهر المشروع نفسه: أن تكون الرّؤى فضاءً للتدافع الفكري، تُكتب فيه المعرفة بوصفها شكلاً من أشكال المقاومة الثقافية وإعادة تعريف الذات.

إننا في مجلة الرّؤى نؤمن بأن تنوّع الآراء إثراء للحوار لا تناقض له، مصداقاً للمقولة المأثورة: "أَضْرِبُوا بَعْضُ الرّأْيِ يَنْقُضُ تَوَلُّدُ مِنْهُ الصَّوَابُ". فالتعدد في الفكر شرط للفهم الأعظم، وهو السبيل إلى التحرّر المعرفي الذي نطمح إليه.

ونودّ التأكيد على أن الآراء والمواقف الواردة في هذا العدد -لا سيما في الحوارات- لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة. وإنما تُقدّم في إطار الإفصاح للتعدد الفكري والنقاش البناء حول قضايا المقاومة والتحرّر. وسنبقى في الأعداد القادمة منفتحين على نشر الردود والمقاربات المختلفة التي تغني هذا الحوار التأسيسي.

نختم هذه الافتتاحية بدعوة إلى دعم هذا المشروع البحثي الوليد، مجلة الرّؤى. وقراءة هذا العدد بعين ناقدة ومتأمّلة. فكل صفحة فيه محاولة لتفكيك آليات الهيمنة الكولونيالية. وتحويل الأزمة إلى فرصة للفهم والتحرّر. نأمل أن يكون هذا العدد الأول فاتحة خير لمسيرة فكرية طويلة، ومساهمة جادة في استئناف حوار الثقافات، لا صراعها. ►

تشكيلها ضمن أطر تخدم خطاب القوة. وكما أوضح إدوارد سعيد في تحليله للاستشراق، فإن الفلسطيني أعيد تقديمه بوصفه تابعاً بلا صوت، وأفرغت قضيته من مضمونها الوجودي لتُختزل في نزاع قابل للإدارة.

غير أنّ عملية ٧ أكتوبر، على الرغم من كلفتها الإنسانية والدمار المروع الذي تبعها قد مثّلت لحظة انكسار في سرديّة الجمود، إذ أعادت التاريخ إلى مساره، ودفعّت بالقضية الفلسطينية إلى صدارة الوعي العالمي من جديد. إنها، في أحد أبعادها، لحظة "تحرّر معرفي" أعادت إلى "صوت التابع" حضوره، وأكدت أن إسكات الشعوب لا يمكن أن يكون دائماً، مهما كانت كلفة الخروج من الصمت باهظة.

تفكيك الحداثة الكولونيالية

ينطلق هذا العدد التأسيسي من رؤية نقدية تحاول تفكيك بنية الأزمة، لا مجرد توصيف الحدث. ومن هنا، يأتي تركيزنا على نقد الحداثة الكولونيالية بوصفها الإطار الذي يوجه فهمنا للعالم الحديث.

• أولاً: انكشاف المنطق الاستيطاني

لا يُنظر إلى العدوان على غزة بوصفه واقعةً طارئة، بل بوصفه انكشافاً بنيوياً لمنطق الاستعمار الاستيطاني القائم على مبدأ "الإزالة" وتخفيف مقوّمات الحياة. فالكولونيالية، في جوهرها، ليست ماضياً منقضيّاً، بل نظامٌ مستمرٌ يسكن هياكل الدولة الحديثة، وينظم خطابها وممارساتها السياسية.

• **ثانياً: حُكّ الإبادة وازدواجية المعيار الكولونيالية**
إن الإبادة الجماعية الجارية في غزة، وما يرافقها من حصار وتجويع ممنهج، تحت مظلة دعم سياسيٍّ غربيٍّ واسع، تمثل انكشافاً لمفهوم "السيادة المعرفية" للغرب. لقد أظهرت هذه المأساة كيف تحوّلت أدوات الحداثة الغربية ومؤسساتها التي يُفترض أن تصون الأمن والكرامة الإنسانية- إلى آليات صامتة لتبرير "العنف البنيوي" و"الإبادة البنيوية". وهذا ما يضع الحداثة الغربية أمام امتحانها الأخلاقي الأشدّ: إذ تتجلى ازدواجية معاييرها لا بوصفها خللاً عارضاً، بل كنتيجة متأصلة في بنية الفكر الحدائي ذاته، الذي فصل بين القانون والأخلاق، كما نثبّه إلى ذلك وائل حلاق في نقده لأنساق الدولة الحديثة. فالقانون الدولي، في



المقدمة

لم يكن الاستعمار مجرد مشروع عسكري واقتصادي، بل كان مشروعًا ثقافيًا ومعرفيًا بالأساس. استخدم أدوات الحداثة وخطابها لخلق "الشرق" و"الإفريقي" و"الهمجي" ككيان سلبي، معارضًا للغرب "المتحضر" و"العقلاني". وبهذا، تحولت لغة التحزّر إلى لغة هيمنة، وأصبحت الدعوة إلى الكونية غطاءً لفرض الخصوصية الأوروبية. وتمّ تغليف العنف الاستعماري بغلاف من "المهمّة الحضارية" و"الإرسال التمدّيني".

ليلي
شمس الدين

أستاذة في معهد العلوم الاجتماعية
الجامعة اللبنانية • لبنان



"إنّ المفاهيم" مثل التقدّم والحضارة ليست محايدة أو عالمية، بل هي أدوات تُستخدم لفرض أيديولوجيا تسويقية لهيمنة ثقافية وسياسية
Walter Mignolo'



خبر

آفاق بديلة للمعرفة والمشروعية

السرديات الحداثية في شرعنة العنف
البنوي وإقصاء المستعمر

ونقد ما بعد الحداثة، أمثال ميشيل فوكو (١٩٣٦-١٩٨٤)، لتكشف كيف كانت الحداثة، في جانب منها، "مشروعاً إمبريالياً" أنتج "الآخر" ليعرف ذاته. واستخدم عنفه البنيوي تحت راية تحريره. وبذلك، تتضح أهمية هذه المقاربة في ضوء استمرار آليات الهيمنة بعد الاستعمار الشكلي، حيث أعيد إنتاج الخطاب الحداثي في مشاريع التنمية، والإصلاح السياسي، بل وحتى في خطاب "العقلانية" التي قدّمت نفسها كبديل للتحيزات المحلية. لذلك حاولنا في هذه الورقة البحثية

تعمل هذه الورقة البحثية على استكشاف وتفكيك وتحليل الدور المركزي للغة والسرديات في كيفية استخدام للغة كأداة لإنتاج الحقائق وشرعة الهيمنة، وفي تشكيل وإدامة أشكال العنف البنيوي، والسعي إلى إسكات الأصوات المهمشة وتبرير العنف الرمزي والمادي، وذلك انطلاقاً من الإطار النظري لميشيل فوكو حول الخطاب والسلطة، واستناداً إلى إسهامات ما بعد الكولونيالية (Postcolonialism)، أمثال إدوارد سعيد (١٩٣٥-٢٠٠٣)، وطارق علي (١٩٤٣)، وسبيناك (١٩٤٢)،





ديبش تشاكرابارتي
• المصور: بيات شفايتسر

بتحرير الحقول البحثية من نزعات المركزية الغربية، وفتح المجال أمام أصوات بديلة من الجنوب العالمي والهامش الاجتماعي، إنه دعوة لإعادة النظر في المعرفة لا بوصفها انعكاسًا محايدًا للواقع، بل كحقل للصراع الرمزي تعاد فيه صياغة الهيمنة والتفاوض عليها.

إذن، يتقاطع النقد ما بعد الكولونيالي والفلسفة النقدية والأنثروبولوجيا ما بعد البنيوية حول فرضية أساسية تتمحور حول السرديات الحداثية بوصفها ليست محايدة أو كونية، بل مشبعة بالسلطة والمعايير الأوروبية التي تستبعد أشكالًا أخرى من التنظيم الاجتماعي والمعرفي. تكمن أهمية هذا الطرح في أنه لا ينظر إلى الحداثة كمنجز معرفي محايد، بل كمنظومة لغوية - رمزية ذات آثار سياسية ملموسة على المجتمعات المستعمرة والمهمشة. ومن هنا طرح سؤالًا محوريًا: كيف تعمل اللغة والمفاهيم الحداثية على إنتاج العنف البنيوي، وكيف يمكن إعادة التفكير في موقع "الأخر" المستعمر ضمن سرديات بديلة؟

١. الخطاب الكولونيالي: واقع وأبعاد

في سياق العلوم الاجتماعية، كانت الأنثروبولوجيا ذاتها جزءًا من المشروع الكولونيالي، حيث ارتبطت بداياتها بخدمة الإدارة الاستعمارية من خلال إنتاج معرفة عن "المجتمعات البدائية" (Asad, 1973, p. 16). وقد أظهر إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق كيف أن المعرفة الغربية عن الشرق لم تكن مجرد وصف أكاديمي، بل خطابًا سلطويًا يشرن السيطرة الاستعمارية عبر تصوير الشرق ككيان جامد، عاطفي، وغريب عن العقلانية (Said, 1978, p. 2).

في هذا الإطار، لعبت مختلف أنواع الكليشيهات والمفردات التي استخدمها المستشرقون دورًا هامًا في تصوير مجتمع وثقافة وتاريخ ودين الشرقيين وفقًا لقواعدهم ومبادئهم الخاصة. يعتبر تأليف ما يقارب ٦٠ ألف كتاب لمستشرقين أوروبيين عن الشرق الأدنى، دليل واضح على إرادتهم الراسخة وصمودهم الذي أظهره لإثبات أن الشرق "متباطئ، ودوني، وحقيير" (Said, 1978, pp. 4-5). وبذلك تنضح آليات "الهيمنة الرمزية" التي أشار إليها بورديو، حيث جرى تحويل صورة المستعمر إلى حقيقة "علمية" عبر أدوات البحث والكتابة، بما

تفكيك البُعد اللغوي والمعرفي للحداثة. بوصفها حاملًا لشرعية العنف، مع الاستناد إلى نظريات ما بعد الاستعمار.

تُعَدُّ الحداثة أحد أهم المشاريع الفكرية والسياسية التي شكلت العالم الحديث، ليس فقط بوصفها رؤية فلسفية عن الإنسان والعقل والعلم، بل أيضًا باعتبارها سرديّة كبرى شرعنت أنماطًا معيّنة من السلطة والمعرفة.

الجدير بالذكر، أن الحداثة قدّمت نفسها كخطاب كوني شمولي يُعَدُّ بالتقدم والحرية والعقلانية، لكنها في الوقت نفسه أسست، ضمن بنيتها الداخلية، آليات لإعادة إنتاج العنف البنيوي وتكريس علاقات الهيمنة. فاللغة التي تبنتها السرديات الحداثيّة لم تكن محايدة؛ بل كانت أداة فاعلة في صياغة تصنيفات "المتحضر" و"البدائي"، "المتقدم" و"المتخلف"، وبالتالي في إقصاء أصوات الشعوب المستعمرة وإخراجها من دوائر المشروع الفكرية والسياسية.

لذلك، يسعى هذا البحث إلى نقد السرديات الحداثيّة عبر تحليل الكيفية التي تعمل بها اللغة والمفاهيم الحداثيّة على شرعنة العنف البنيوي وإقصاء "الأخر" المستعمر من فضاءات الاعتراف. بالاعتماد على مقاربات أنثروبولوجية وسوسولوجية، تناقش كيف جرى بناء الخطاب الحداثي في علاقته بالسلطة (فوكو)، وكيف أسس الاستشراق لإقصاء ثقافي ومعرفي (سعيد)، وكيف ارتبط الاستعمار بالعنف المادي والرمزي (فانون وبورديو)، بالإضافة إلى مقاربات ما بعد كولونيالية تكشف آليات إسكات الأصوات (سبيفاك)، مع إضاءة على إمكانات المقاومة وإعادة كتابة السرديات (بابا).

في ضوء ذلك، يشكّل نقد السرديات الحداثيّة مدخلًا نظريًا أساسيًا في الأنثروبولوجيا المعاصرة، لأنه يتيح فهم كيف تُمارس السلطة عبر الرموز والمعاني وليس فقط عبر الأدوات المادية. كما يسمح هذا النقد



يخدم تثبيت تفوق الغرب وتهميش الآخر. من هذا المنطلق، يصبح نقد السرديات الحداثية متشابكاً مع نقد الخطاب الكولونيالي الذي استخدم هذه السرديات لتبرير الاستعمار وفرض تصور محدد عن الذات والآخر. (Dalleo, 2016, pp. 1-20).

لطالما قُدم الشرق وملحقته على أنه شيء ذو أصل حقير ومحتقر. من خلال تمثيله من خلال "نصوص المستشرقين"، وفي الواقع، لم يكن هذا الشرق "الصورة الطبيعية للشرق". شيئاً فشيئاً، اكتسب هذا "التمثيل النصي المهيمن عمداً للشرق" مكانة "الحقائق"، وعُرض الشرق، وخاصة الشرق الأدنى والإسلام، من خلال نصوص غريبة، مما أدى إلى ازدراء وعدم احترام نبي الإسلام وأتباعه. وبالتالي، يمكن القول إن الاستشراق ليس معرفة خالصة، بل معرفة سياسية قائمة على الأوهام والتخيلات. بعبارة أخرى، يدور الاستشراق حول سياسات المعرفة. لقد أفرزت العلاقة الوثيقة بين الإمبريالية والاستشراق طبقة من المستشرقين الذين مهدوا الطريق، بوعي أو بغير وعي، لاستعمار الشرق. (Ghulam Sarwar, Farzana Yameen, Qur-)

(ratul Ain, 2024, pp. 1304 - 1310).

الجدير بالذكر، أن هذه السرديات انعكست على المجتمعات العربية بطرق معقدة. فعدد من النقاد أمثال شاكراباتي (Chakrabarty, 2000)، والعروي (العروي، ١٩٨١) وغيرهم من النخب العربية منذ القرن التاسع عشر إلى تحليل خطاب التحديث كسبيل للحاق بركب "الحضارة". كما تبنت بعض النخب العربية مشروع الحداثة منذ القرن التاسع عشر، الذي كان مشروطاً بمعايير أوروبية جعلت من التجربة الأوروبية معياراً وحيداً للتقدم، ما أنتج أزمة هوية وإصلاح ظلت تدور في فلك التبعية الفكرية. وهو ما ظهر في مشاريع الإصلاح العثمانية ثم النهضة.

في هذا الإطار، تبيحت الأنثروبولوجيا العربية المعاصرة إلى هذه الإشكالية، حيث رأت أن مشاريع "التنمية" بعد الاستقلال في دول مثل مصر، لبنان، والجزائر لم تنفصل عن إرث الخطاب الكولونيالي. فقد أعادت هذه المشاريع إنتاج ثنائية "المتقدم - المتخلف"، وحولتها إلى معيار لتقييم الهوية الوطنية. فقد أظهرت ليلي أبو لغد أن مشاريع التنمية والتمكين في العالم العربي لم تخرج عن إطار الخطاب الكولونيالي الذي يعيد إنتاج هذه

الثنائية ويحولها إلى معيار لتقييم هذه المجتمعات (Abu-Lughod, 2013, p. 50). ما أسفر انقساماً في الوعي الجمعي الذي تراوح بين التمسك بالهوية الثقافية كأداة مقاومة، والانجذاب إلى خطاب حدائي يُعيد إنتاج التبعية الرمزية للغرب.

٢. العنف البنيوي: المفهوم والإطار النظري

يشكل العنف البنيوي (Structural Violence) مدخلاً أساسياً لفهم كيف تعمل السرديات الحداثية على إعادة إنتاج علاقات الهيمنة وعدم المساواة. في هذا الإطار، صاغ يوهان غالتونغ هذا المفهوم للإشارة إلى الأذى الذي يتعرض له الأفراد والجماعات نتيجة للبنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تحد من فرصهم في الحياة الكريمة. من دون أن يكون لهذا العنف دائماً فاعل مباشر. (Galtung, 1969, pp. 170 - 175)؛

يشكل العنف البنيوي (Structural Violence) مدخلاً أساسياً لفهم كيف تعمل السرديات الحداثية على إعادة إنتاج علاقات الهيمنة وعدم المساواة

في هذا السياق، يُصبح العنف البنيوي غير مرئي أحياناً، لأنه متجذر في اللغة والمؤسسات والمعايير الاجتماعية، حيث تقدّم القبول والتمييز على أنها جزء من النظام الطبيعي للأشياء.

يشير مفهوم العنف البنيوي، إذاً، إلى أشكال العنف التي لا تمارس مباشرة عبر القوة البدنية، بل تفرض من خلال الهياكل الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي تحد من قدرة الأفراد على تلبية احتياجاتهم الأساسية. ووفقاً لغالتونغ، "يُمارس العنف البنيوي عبر الفقر، والتفاوت الاجتماعي، والتمييز، ونقص الوصول إلى الموارد، بحيث يبدو غياب العدالة والتفاوتات الاقتصادية غير العنيفة من الناحية الشكلية، بينما تُسبب أضراراً هيكلية طويلة الأمد على حياة الأفراد والمجتمعات" (Galtung, 1969, pp. 291-292).

كما يمكن للعنف البنيوي أن يتجسد في سياسات تنموية تتبنى غطاءً من الحياد التقني، ولكنها في



الممارسة العملية تُهمّش المجتمعات المحلية، وتقيد خياراتها، وتعيد إنتاج علاقات التبعية على مستويات متعددة، ما يجعلها شكلاً حديثاً من أشكال العنف البنيوي غير المباشر. وبذلك يمكن للعنف البنيوي من منظور فيرغسون، أن يتخذ شكل سياسات تنموية رسمية تبدو محايدة، لكنها في الواقع تُهمّش المجتمعات المحلية وتغلق أمامها البدائل الممكنة، وتُعيد إنتاج التبعية على مستويات متعددة (Ferguson, 1990, pp. 249-251). وفي هذا السياق يشير إسكوبار إلى أن العنف البنيوي يُغلف غالباً بخطاب الحداثة والتنمية، الذي يعيد تشكيل المعرفة والمعايير الاجتماعية بحيث تبدو المشاريع التنموية فرضاً موضوعياً لا جدال فيه، بينما تُهمّل خصوصيات البنى الاجتماعية المحلية (Escobar, 1995, pp. 21-24).

إن الإطار النظري للعنف البنيوي يسمح بفهم كيف يمكن للسلطة أن تُمارس بطرق غير مباشرة، من خلال اللغة، والسياسات، والمؤسسات، ما يجعل الهيمنة الرمزية والعنف البنيوي متلازمين في إعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية عبر الزمن. ما يستدعي أهمية قراءة نقدية لتحليل الآليات الخفية للسيطرة داخل المجتمعات.

٣. السرديات الحداثية آلية لإعادة إنتاج الهيمنة أ. اللغة كأداة للهيمنة وإعادة إنتاج السلطة

بين بيير بورديو في نظريته عن الهيمنة الرمزية، أن اللغة ليست وسيلة تواصل محايدة، بل هي نظام رمزي يُحدد من خلاله ما يُعتبر "مقبولاً" و"مشروعاً"، ويستبعد في الوقت نفسه الأصوات غير المتوافقة مع خطاب السلطة. وبالتالي اللغة هي أداة فعالة لإعادة إنتاج علاقات السلطة والتمييز الاجتماعي. فتحويل لغة النخب إلى "لغة شرعية" يجعل التفاوتات الاجتماعية تبدو طبيعية ومقبولة، ما يخفي العنف البنيوي الذي يطال الفئات المهمشة ويشير عن هيمنة النخب. في هذا الإطار، تصبح اللغة آلية معرفية - سياسية تعمل على تنظيم الوعي الجماعي وترسيخ أنماط التفكير السائدة (Bourdieu P., 1991, pp. 55-60). في هذا الإطار، يُفسر بورديو (١٩٣٠-٢٠٢٠) كيفية عمل اللغة كأداة للهيمنة من خلال "العنف

الاستشراق

هو عنوان الترجمة العربية لكتاب البروفيسور إدوارد سعيد Orientalism الذي ألفه عام ١٩٧٨م، ويتناول جملة المؤلفات والدراسات والمفاهيم الفرنسية والإنجليزية، وفي فترة لاحقة الأمريكية عن الشرق الأوسط والتي يجزم البروفيسور سعيد أنها السبب الرئيسي في الشرخ الحاصل بين الحضارة الغربية والثقافة الشرقية عموماً والشرق أوسطية خاصة.



العبيد في فرجينيا

مجموعة من الرجال والنساء والأطفال الذين كانوا مستعبدين سابقاً يقفون لالتقاط صورة خارج مبنى في مزرعة فولر، كمبرلاند لاندينغ، فرجينيا، في ١٤ مايو ١٨٦٢.



مستعمراتها الأكبر والأغنى والأقدم، ومصدر حضاراتها ولغاتها، ومنافسها الثقافي، وأحد أعمق وأكثر صور الآخر تكراراً لديها. فاللغة الاستشراقية تعيد صياغة الشرق على أنه الآخر المختلف والمعارض للغرب، ما يعزز هوية الغرب ويبرر هيمنته" (Said, 1978, p. 21).

لذلك يُمكن النظر إلى الإعلام كحقل معاصر تتجلى فيه قوة اللغة. فاللغة الإعلامية لا تقدم الأحداث كما هي، بل تُعيد صياغتها ضمن سرديات تؤكد أيديولوجيات معينة وتستبعد أصواتاً أخرى^٢. ويؤكد سعيد على استمرارية هذا الخطاب، مشيراً إلى أن أنماط التفكير هذه لم تختفِ بل تجددت في العصر الحديث. معتبراً إن الاستشراق لا يزال حياً في السياسة الخارجية، والخطاب العام، وفي الخطاب الإعلامي المعاصر والسياسات الإعلامية للعالم الغربي (Said, 1978, p. 325).

إشكاليات عدة تُطرح إذاً، حول المصطلحات في اللغة، وبالتالي حول الاستشراق كنظام خطائي يخلق الحقيقة التي يتحدث عنها، ويعتمد على آلية أساسية في إعادة الصياغة، وتتمثل البدايات التاريخية للتمييز في إنشاء ثنائية "نحن" مقابل "هم". والسؤال الذي يُطرح في هذا الإطار، كيف

الرمزي"، إذ يرى أنه لا يمارس بالقوة المادية المباشرة، بل عبر فرض معايير لغوية وثقافية تجعل المهيمن يفرض سلطته دون مقاومة تذكر، لأن الأفراد أنفسهم يعترفون بشرعية هذه المعايير ويتصرفون وفقه (Bourdieu p. , 1982, pp. 103 - 112).

وبذلك أكمل فوكو هذا الطرح في كتابه "نظام الخطاب"، إذ اعتبر إن الخطاب لا يكتفي بنقل المعرفة، بل يحدد ما يمكن قوله وما يُقضى، ويحول المعرفة إلى "حقيقة" مقبولة في سياق تاريخي معين. هذه العملية تجعل من اللغة والخطاب أدوات فعالة لإضفاء الشرعية على السلطة وتطبيع الهياكل التي تعيد إنتاج العنف البنيوي. (Foucault, 1971, pp. 49-56). كما كشف كيف ترتبط اللغة بالخطاب بوصفه شبكة من القواعد والإجراءات التي تحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله، وما يُعتبر علماً وما يُعتبر خرافة. وفي هذا السياق، يطرح سعيد في مقدمة كتاب "الاستشراق" حجته الأساسية المتمحورة حول الاستشراق، معتبراً أنه ليس مجرد تحيز أو آراء خاطئة عن الشرق، بل هو نظام خطائي قوي ينتج المعرفة عن الشرق. وبالتالي ليست المعرفة محايدة أبداً، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصالح الإمبراطوريات والهيمنة. فالشرق الموجود في المخيلة الغربية هو بناء لغوي وثقافي، تُعاد صياغته، بعيداً عن الواقع الموضوعي، وهو مُنتج من خلال الكتب، والتقارير، والأدب، ولاحقاً الإعلام. هذه الأدوات المستخدمة لا تصف الشرق بل تخلقه أو تعمل على تنشئته في التصور الغربي (Said, 1978, p. 3). كما يشرح سعيد العلاقة بين المعرفة والسلطة، مبيّناً عبر الأمثلة التاريخية، أن الخطاب الاستشراقي لم يكن بريئاً، بل كان مرتبطاً بالمشروع الاستعماري، في سبيل تحقيق خدمة أيديولوجية معينة (Said, 1978, pp. 5 - 6). النقطة الأساسية والمحورية المستخلصة من هذه السياسات والبرامج، أن الأحداث لا تقدم كما هي، بل تُعاد صياغتها لترسيخ أبعاد المستعمر وأهدافه. فالإستشراق برأي سعيد هو أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة هيكليته وبسط السلطة عليه (Said, 1978, p. 3).

ومن وجهة نظره، اعتبر سعيد أن "الشرق ليس مجاوراً لأوروبا فحسب؛ بل هو أيضاً مكان



”يمثل “الغرب الشرق”؟ (Said, 1978, pp. 31 - 49)، وبالتالي كيف يعمل على بناء الصور النمطية والثنائيات.

لقد أوضح سعيد كيف أن الخطاب الاستشراقي يعمل على خلق ثنائيات متضادة، غربي مقابل شرقي، وعقلاني مقابل متخلف أو شهواني، ومدني مقابل بربري، وحديث مقابل تقليدي، وغيرها من الثنائيات التي تؤكد أيديولوجية التفوق الغربي، وتستخدم لتبرير الهيمنة والسيطرة (Said, 1978, p. 40).

نتحدث هنا عن الاستعمار الجديد الذي يعمل على التطابق مباشرة مع الأمثلة التي ترسخ في الأذهان، عبر وصم المقاومة بالإرهاب، والاحتلال بالدفاع عن النفس... وفي هذه الأمثلة يبرز استخدام اللغة لخلق ثنائيات لغوية تخدّم أيديولوجية قوية وتبرر السياسات المعتمدة.

نعلم أن اللغة لعبت دوراً محورياً في إعادة صياغة هوية المستعمرين، ففي السياق الاستعماري وصف فرانز فانون كيف أن تبني لغة المستعمر لم يكن مجرد أداة للتواصل، بل كان عملية اغتراب ثقافي ونفسي، حيث أصبح التحدث بلغة المستعمر رمزاً للرق، فيما ارتبطت اللغة الأصلية بالدونية والتخلف. بهذا المعنى، فإن السيطرة على اللغة ليست فقط سيطرة على التعبير، بل أيضاً سيطرة على الوجدان والخيال والقدرة على تصور الذات (Fanon, 1952, pp. 25-40).

يمكن القول إذاً، إن الخطابات الطبية، والقانونية، أو الاقتصادية في الحداثة ليست محايدة، بل أدوات لإنتاج “حقيقة” متوافقة مع مصالح السلطة الهيمنة، وهنا تتجلى خطورة اللغة: فهي لا تكتفي بوصف العالم، بل تعيد تشكيله ضمن شروط الهيمنة.

في هذا الإطار، ركّز سعيد على كيفية تبلور الاستشراق كمؤسسة أكاديمية وسياسية تنتج المعرفة، وبالتالي تحول الاستشراق برأيه من مجرد اهتمام إلى نظام مؤسسي، يُنتج معرفة عن الشرق مسلماً بها، وممتاحة لصناع القرار لتبرير سياساتهم الاستعمارية (Said, 1978, pp. 122 - 123)، وهكذا تتبلور آلية إعادة إنتاج علاقات القوة والهيمنة والسيطرة.

ومع ذلك، لا يجب أن يفهم من هذا الطرح أن اللغة أداة أحادية الاتجاه للهيمنة فقط. فاللغة أيضاً فضاء

للمقاومة وإعادة صياغة المعنى، إذ تعمل الحركات الاجتماعية والمستعمرون السابقون على تفكيك خطاب الحداثة عبر إعادة الاستحواذ والإستيلاء على الكلمات والمفاهيم، ومنحها دلالات جديدة تقاوم التراتبية المفروضة.

في المحصلة، يُمكن القول إن اللغة في إطار نقد السرديات الحداثيّة ليست مجرد قناة محايدة، بل هي فضاء للصراع الرمزي، حيث تمارس الهيمنة وتنتج السلطة، لكنها في الوقت ذاته تُتيح إمكان المقاومة والتحرر من التبعية.

ب. التنمية: خطاب الهيمنة المقنع

منذ منتصف القرن العشرين، اكتسب مفهوم التنمية حضوراً مركزياً في الخطاب الدولي. وُضع العالم في تقسيم ثلاثي: “المتقدم”، “النامي”، و”المتخلف”. وجرى التعامل مع التنمية كعملية تقنية - اقتصادية تستوجب صفات جاهزة، بدءاً من التصنيع، مروراً بالتحديث الزراعي، وليس انتهاءً بالتعليم وفق النمط الغربي.

غير أن العديد من الباحثين أظهروا أن خطاب التنمية أعاد إنتاج علاقات تبعية جديدة بين “المركز” و”الأطراف”، بحيث ظلت الدول “النامية” رهينة قروض البنك الدولي، وسياسات التكيف الهيكلي، و”الخبراء” القادمين من الشمال. لم تكن التنمية إذن مجرد مشروع إنقاذي، بل مشروعاً سلطوياً يعيد إنتاج صورة الشعوب غير الغربية كمستودع للتخلف بحاجة دائمة إلى عمليات إنقاذ. في المجتمعات العربية، يُترجم هذا التفاعل بين السرديات الحداثيّة واللغة والخطاب إلى سياسات تنموية وتعليمية واقتصادية تتبنى غطاءً من الموضوعية، تبدو موضوعية، بينما تعيد في الواقع إنتاج علاقات السلطة الهيكلية وتهتمش الخبرات والقدرة المحلية^٣.

لذلك تلعب السرديات الحداثيّة دوراً مركزياً في إنتاج وإدامة الهيمنة الرمزية والعنف البنيوي، خصوصاً عندما تُوظف اللغة والخطاب لإضفاء الشرعية على ممارسات السيطرة. لم تقتصر هذه السرديات على تقديم الحداثة والتنمية كأدوات للتقدم فحسب، بل تعمل على إعادة تشكيل المعرفة والمعايير الاجتماعية والثقافية بما يخدم مصالح النخب والفواعل العالمية المهيمنة.

تناول إسكوبار (1991) في الفصل الأول من كتابه

عبد الله العروي

هو مؤرخ وروائي ومفكر مغربي، يُعتبر من المفكرين الذين أخذوا التاريخانية الجديدة مذهباً وفلسفة ومنهجاً للتحليل. (مواليد ٧ نوفمبر ١٩٣٣)

<

النيو إمبريالية تشير إلى مرحلة التوسع الاستعماري الأوروبي والأمريكي والياباني في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. حيث سعى هؤلاء للاستغلال الموارد وبناء إمبراطوريات جديدة مع تبرير ذلك بمهمة "تحرير الشعوب الأخرى".

"مواجهة التنمية: نشأة وتفكك العالم الثالث"، كيفية اختراع خطاب التنمية "العالم الثالث" كمسألة تحتاج إلى حل من قبل الغرب (Escobar, 1995, pp. 3-10)، وتطرق في الفصل الثاني إشكالية الفقر من خلال حكاية العوالم الثلاثة والتنمية، حيث حلل كيف تم تصوير مجتمعات "العالم الثالث" على أنها "ناقصة" و"متخلفة" وهو "مشكلة" في حد ذاته تحتاج إلى تدخل خارجي (Escobar, 1995, pp. 21-54). كما ناقش إسكوبار كيف أعاد خطاب التنمية تشكيل المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية في الجنوب العالمي وفقاً للمعايير الغربية، ما أدى إلى التبعية الرمزية والمادية (Escobar, 1995, pp. 53-55). وفي ختام الكتاب تحلل إسكوبار عصر ما بعد التنمية، مبيّناً كيف أدى خطاب التنمية إلى إضفاء الشرعية على العنف البنيوي ودعا إلى بدائل خارج هذا الإطار (Escobar, 1995, pp. 213-216).

في هذا الإطار، ناقش إسكوبار خطاب التنمية الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، هذا الخطاب الذي اخترع "الأخر" الناقص، فعل على إنشاء صورة "العالم الثالث" ككيان متجانس، فقير، متخلف، وغير قادر على إدارة شؤونه دون توجيه خارجي. ففُرح أن هذا الأمر يستوجب ترسيخ التبعية من خلال جعل "التحديث" و"النمو" وفق النماذج الغربية هو الحل الوحيد، لذلك عمل على جعل هذه المجتمعات تابعة للمؤسسات المالية الدولية (مثل البنك الدولي) والخبراء الغربيين. وبذلك سعى هذا الخطاب إلى تهميش المعرفة المحلية، معتبراً المعارف والتقنيات والتجارب المحلية بدائية غير علمية، فعمل على استبدالها بـ "الحلول" الجاهزة والمعيارية. وبالتالي اعتبر إسكوبار أن المشاريع التنموية الكبرى (كالسدود والزراعة الأحادية...) هي مشاريع تعمل على طرد الناس من أراضيهم وتدمر بيئاتهم وسبل عيشهم، وفي الوقت ذاته تقدّم على أنها "تقدم" و"تنمية". من خلال هذا العمل قدّم إسكوبار نصّاً تأسيسياً لا يمكن إغفاله في مجالات دراسات التنمية، والأنثروبولوجيا النقدية، وما بعد الاستعمار، كونه يبيّن من خلال نقده الجذري لخطاب التنمية، إن خطاب التنمية يُعيد إنتاج "الأخر" في مجتمعات الجنوب العالمي بوصفها ناقصة تحتاج إلى الإصلاح والتحديث وفق نماذج خارجية، ما

يُعمّق التبعية الرمزية، ويهْمش المعرفة والخبرة المحلية، ويشرعن العنف البنيوي في المجتمعات المستهدفة (Escobar, 1995, pp. 36-39). وهو ما أكدته سيليا بنحبيب (Seyla Benhabib, 1990)، في إطار نقدها لـ "العقلانية الأدائية" التي تسيطر على الفكر الحديث، معتبرة أن الحداثة بمعناها التقني والعلمي والبيروقراطي ليست مساراً حتمياً ومحايّداً لكل المجتمعات. مشيرة إلى أن فرض نموذج حدائي واحد، غربي في غالب الأحيان، يتجاهل الاحتياجات والقيم المحلية (مثل الأخلاق، والتقاليد، والسياقات المحلية)، ما يؤدي إلى إهمال وإسكات الأصوات الأخرى. وهذا الإهمال والإسكات هو شكل من أشكال "العنف البنيوي" لأنه يمنع المجتمعات من تطويرها وفقاً لإمكاناتها وثقافتها (Benhabib, 2002, pp. 20-35). أظهرت بنحبيب أن طرح الحداثة بوصفها "الحل الوحيد"، يخلق النقاش حول البدائل الممكنة الأخرى، التي قد تجمع بين التقدم التقني والقيم التقليدية أو أنماط تنموية مختلفة لا تتبع النموذج الغربي حرفياً. تنتقد سيليا فكرة أن المعايير العقلانية يمكن أن تكون محايدة أو عالمية تماماً، وتؤكد على أهمية السياق والتعددية في تشكيل النظريات الاجتماعية والسياسية. كما تنتقد ما تسميه "التعددية الثقافية البسيطة" وكذلك "النزعة الكونية المجردة" وتشرح كيف أن فرض قيم كونية (مثل نموذج حدائي معين) دون مراعاة الفروق الثقافية والسياقات المحلية يؤدي إلى إسكات الأصوات الأخرى وإخفاء أشكال الهيمنة والعنف البنيوي. وهي تدعو إلى "حوار بين الثقافات"، حوار حقيقي لا يتم فيه فرض نموذج واحد كـ "حل وحيد"، بل يتم التفاوض على القيم والمعايير في فضاء عمومي يتسع للاختلاف (Benhabib, 2002, pp. 130-160). تجدر الإشارة، أنه يمكن ملاحظة هذه الدينامية في العالم العربي، حيث غالباً ما تُصاغ السياسات التنموية والاقتصادية والتعليمية بلغة تقدمية تدّعي الحياد والموضوعية، لكنها في الواقع تعيد إنتاج التبعية الثقافية والاجتماعية. فالمصطلحات مثل "التخلف"، "الحاجة إلى التحديث"، و"الانزعاج عن العالم المتقدم" لا تُستخدم فقط لوصف الواقع، بل تعمل على فرض فهم معياري للعالم،





يوهان غالتونغ

يوهان غالتونغ (ولد في ٢٤ أكتوبر ١٩٣٠) هو عالم اجتماع ورياضيات نرويجي، والمؤسس الرئيسي لدراسات السلام والصراع وهو المؤسس الرئيسي لمعهد بحوث السلام أوسلو في عام ١٩٥٩ وعمل كأول مدير له حتى عام ١٩٧٠. كما أسس مجلة بحوث السلام في عام ١٩٦٤. / المصور: إلياس دالين

يحب المعرفة المحلية ويهمش الفاعلين الاجتماعيين المحليين. بهذا، تصبح اللغة والخطاب أدوات مزدوجة: على مستوى الرمزي، تطبع وتشرعن الهيمنة؛ وعلى المستوى البنوي، تكرر العنف عبر استبعاد بدائل محلية وإلغاء صوت الآخر" (Spivak, 1988, pp. 271-273). لذلك نرى أن السرديات الحداثية تُستخدم في مشاريع التنمية لتصوير المجتمعات المحلية في العالم العربي ككيانات "متأخرة" أو "ناقصة"، بينما يُقدّم النموذج الحداثي الغربي بوصفه معياراً عالمياً للتقدم لا جدال فيه. لذلك تبرز الحاجة إلى تحليل نقدي يعتمد مقاربات تركز على اللغة والخطاب كوسائل لفهم العنف البنوي، ما يعزز من إمكانية استكشاف بدائل معرفية وممارسات محلية، قادرة على مقاومة الهيمنة الرمزية واستعادة صوت الفاعلين المحليين.

٤. العقلانية: ادعاء الحياد وإقصاء البدائل

ارتبط مفهوم العقلانية الحديثة بفكرة أن القرارات والقوانين والسياسات يجب أن تُبنى على حسابات "موضوعية" ومنطقية، بعيداً عن التقاليد والدين والعاطفة. لكن هذه العقلانية ليست محايدة، بل تقوم على تراتبية ضمنية تُقصي أنماط التفكير الأخرى وتضعها في خانة "اللاعقلاني"، فإن "العقلنة"، كما أشار ماكس فيبر، كانت مرتبطة بظهور البيروقراطية والرأسمالية الحديثة. أي أنها تعبير عن نمط محدد من التنظيم الاجتماعي (Weber, 1978, pp. 1005-956).

لكن عندما يُقدّم هذا النمط بوصفه النموذج الوحيد للعقلانية، يتحول إلى أداة إقصاء للمعرفة المحلية والروحية والحدسية التي تشكل أساساً للحياة في مجتمعات عديدة. هنا، تعمل العقلانية كأداة سلطوية أكثر منها كأداة

تحرير (Fanon, 1961, pp. 125-145). من هنا، فإن نقد العقلانية بوصفها ادعاءً بالحياد يكشف عن كونها ليست أداة موضوعية كما يُروج لها، بل جزءاً من آليات الهيمنة الرمزية التي تعيد تشكيل الفضاء الاجتماعي بما يخدم مصالح مراكز القوة، وتقصي البدائل الممكنة لصالح نموذج واحد يقدم ككوني وحتمي.

ويظهر هذا الادعاء بالحياد بوضوح في بعض السياسات العربية، مثل إصلاحات التعليم التي ركزت على معايير "الجودة العالمية" وأقصت المناهج التي تعكس السياقات الثقافية المحلية (حمادة، ٢٠١٠، ص ١٧٠-١٧٥)، أو في برامج الإصلاح الاقتصادي التي قدمت كـ "ضرورة علمية" لكنها تجاهلت شبكات التضامن التقليدية، ما ساهم في إضعاف الحماية الاجتماعية وتعميق التفاوتات (الأشقر، ٢٠١٢، ص ٨٥-١٠٠). وهكذا، تتحول العقلانية إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة تحت غطاء الحياد.

في مصر، شكّلت إصلاحات التعليم منذ ثمانينيات القرن الماضي نموذجاً واضحاً لهذه الدينامية. فقد تم دفع السياسات التعليمية نحو "المواءمة مع سوق العمل" و "تحقيق الجودة العالمية" (عباس، ٢٠١٥، ص ٩٥-١٢٥)، وهي شعارات تنتمي إلى المنطق الحداثي الذي يربط التقدم بالتقنية والمعايير الدولية. غير أن هذه الإصلاحات همّشت المناهج النقدية، وأقصت المعرفة المرتبطة بالسياق المحلي، لتصبح المدرسة أداة لإعادة إنتاج التراتبية الطبقيّة، حيث يحصل أبناء الطبقات الميسورة على تعليم نوعي يفتح أمامهم آفاق الحراك، بينما يُحاصر أبناء الطبقات الدنيا في أنظمة تعليمية أقل جودة (عبد ربه زينب، صالح أماني، ٢٠٢٤، ص ٢٩). بهذا المعنى، تعمل اللغة المستخدمة في خطاب الإصلاح، الجودة والعصرية... على شرعنة واقع غير متكافئ وإخفاء العنف البنوي الكامن في السياسات التعليمية.

وفي لبنان، جاءت برامج الخصخصة في تسعينيات القرن الماضي تحت مظلة إعادة الإعمار ما بعد الحرب، لتقدم نموذجاً آخر لها الخطاب، وروج لها بوصفها "خياراً علمياً" و "ضرورة اقتصادية" معالجة العجز الحاصل (كوستانيان، ٢٠٢١، ص ١٢). لكن هذه اللغة التقنية تجاهلت البعد الاجتماعي للتنمية، إذ أدت الخصخصة إلى تقويض القطاعات



العامّة، وإضعاف منظومات الحماية الاجتماعية، وتعميق الجوة الطبقيّة، وتكريس اقتصاد ريعي يترك المواطن رهينة للسوق (الإنمائيّة، ٢٠٠٢، ص ٣٧-٤٠).

بالتالي نجد أنّ خطاب "العقلانيّة الاقتصاديّة" لم يكن محايداً، بل منح الشرعيّة لسياسات الخازن للنخب الماليّة والسياسيّة، وأقصت بدائل مثل تعزيز الاقتصاد التضامني أو إعادة بناء القطاع العام. من هنا يظهر العنف البنيوي في صورته المموّهة، فهو ليس عنفاً مباشراً، بل منظومة من التراتبيّات والحرمانات يتم إخفاؤها خلف لغة الإصلاح.

أمّا في العراق، فقد مثّلت الإصلاحات الاقتصاديّة بعد عام ٢٠٠٣ أوضح تجليات هذا المنطق. فالمؤسسات الدوليّة روّجت لتحرير السوق وخصخصة القطاع العام بوصفها مساراً "عقلانيّاً" لبناء الدولة الحديثة. وبالعودة إلى الواقع الفعلي لهذه الإصلاحات، تتطرق ناومي كلاين (١٩٧٠) في كتابها "عقيدة الصدمة: صعود رأسماليّة الكوارث" إلى حالة العراق بعد الغزو الذي قادته الولايات المتحدّة عام ٢٠٠٣ كمثال رئيسي على ما تسميه "رأسماليّة الكوارث"، وتشرح كيف استغلت المؤسسات الدوليّة (مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ٠) والصقور المحافظين في الإدارة الأمريكيّة حالة الفوضى والصدمة الجماعيّة لفرض إصلاحات اقتصاديّة متطرفة، بدءاً من الخصخصة الكاملة، مروراً بتحرير الأسواق، وليس انتهاءً بخفض الضرائب على الشركات، سياسات وإجراءات لم يكن من الممكن تطبيقها في ظل ظروف طبيعيّة (Klein, 2007, p. 16).

تقدّم ناومي كلاين فرضيتها الرئيسيّة حول "رأسماليّة الكوارث". تستخدم غزو العراق عام ٢٠٠٣ كمثال مبكر وقوي على كيفية استخدام حالة الصدمة الجماعيّة التي تعقب الكارثة لفرض سياسات اقتصاديّة رأسماليّة متطرفة (الخصخصة، تحرير الأسواق) كان من الصعب تمريرها في أوقات الاستقرار. وبالتالي تستخلص كلاين، أنّ هذه السياسات لم تكن "عقلانيّة" كما زعم، بل كانت استغلالاً للصدمة، وأدّت إلى عواقب وخيمة على الدولة والمجتمع العراقي (Klein, 2007, p. 16).

وبالتالي، فرضت هذه الإصلاحات تحت الاحتلال العسكري، في سياق سياسي وأمني هشّ، ما جعلها تُفاقم من تفكيك القطاع العام وتوسيع التبعية

للمؤسسات الدوليّة، بدلاً من خلق نموذج تنموي بديل يعكس أولويّات المجتمع العراقي. إصلاحات ظاهريّة لم تكن إلا استمراراً لسياسات الليبراليّة الجديدة التي طبقت في ظل ظروف استثنائيّة في مختلف أنحاء العالم.

نجدد الإشارة، إلى أنّ هذه الإصلاحات سوّقت كطريق حتمي ووحيد إلى "التقدم" بلغة أسهمت في نزاع الشرعيّة عن أي بديل محلي يقوم على إعادة بناء الاقتصاد وفق احتياجات العراقيين وأولويّاتهم (Klein, 2007, p. 16)، وبالتالي استخدم الخطاب لفرض إرادة خارجيّة ونزع الشرعيّة عن البدائل المحليّة. لذلك نجد أنّ العنف البنيوي هنا لم يكن نتيجة حرب فقط، بل أيضاً نتاج خطاب عقلاني تنموي أعاد تشكيل المجال الاقتصادي والسياسي بما يخدم مراكز القوة العالميّة والنخب المحليّة المتحالفة معها.

في سياق العلوم الاجتماعيّة، كانت الأنثروبولوجيا ذاتها جزءاً من المشروع الكولونيالي، حيث ارتبطت بداياتها بمخدمة الإدارة الاستعماريّة من خلال إنتاج معرفة عن "المجتمعات البدائيّة"

وعند المقارنة بين هذه الحالات الثلاث، يمكن رصد خيط بنيوي مشترك، إذ تُظهر جميعها كيف يُستخدم خطاب الحداثيّة والتنمية لإقصاء البدائل المحليّة عبر لغة عقلانيّة تدّعي الحياد، لكنها في الواقع تُخدم إعادة إنتاج الهيمنة الرمزيّة والعنف البنيوي. ففي مصر، أقصبت بدائل معرفيّة وتربويّة لصالح مقاييس السوق. وفي لبنان، أهملت الأبعاد الاجتماعيّة لصالح منطق الخصخصة. أمّا في العراق، فقد فرضت مسارات اقتصاديّة لم تُصغ من داخل المجتمع بل من خارجه. هذا النمط البنيوي يعكس ما يسميه إسكوبار "استعمار التخيل التنموي" (Escobar, 2012)، حيث يتم اختزال مستقبل المجتمعات في مسار واحد، بينما تُنسكت البدائل عبر خطاب يقدّم نفسه كعلمي ومحايد.

تُظهر هذه الحالات ومثيلاتها أنّ خطاب العقلانيّة الحداثيّة، بدعوى الحياد، هو خطاب يُخفي انحيازاته

الشهير "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" الوارد في كتابها "نقد العقل ما بعد الاستعماري"، إلى أن التابع أو المستعمر، غالباً ما يُختزل إلى صمت مفروض، حيث تُصاغ لغته وتجربته عبر منظومات خطائية خارجية، فتُعاد صياغة معاناته بلغة الآخر، لا بلغة الذات.

وبالتالي تشرح سبيفاك عند تحليلها لمحاولات المثقفين الغربيين تمثيل "التابع"، المستعمر، المهمش، .. حيث يتم إسكات صوت التابع الحقيقي وإعادة إنتاجه وفقاً لأطر المعرفة الغربية التي تُخدم هيكل القوة الموجودة أصلاً (Spivak, 1999, pp. 283 - 285).

وبذلك يُقضى صوت المستعمر بشكل منهجي من دوائر المشروع، يُبنى على افتراض أن المستعمر عاجز عن التعبير، أو أن صوته يحتاج إلى "ترجمة" ضمن أطر الحداثة والمعرفة الغربية، فإعداد إنتاج خطاب "من يتكلم باسم من؟" ليضمن أن يبقى الهامش مجرد موضوع للدراسة أو الإصلاح، وليس فاعلاً معرفياً أو سياسياً بحد ذاته.

طرح يتلاقى بين أعمال منظري ما بعد الكولونيالية أمثال سبيفاك وهومي بابا (١٩٤٩)، مع ما تناوله وناقشه إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، وفيه بين كيف اخترع، وكيف صنع الخطاب الغربي صورة "الشرق" ككيان متخلف وغريب وساكن، يحتاج إلى من يدرسه ويقيمونه ويحكمه. هذا الخطاب الاستشراقي أجاب على سؤال "من يتكلم باسم من؟" بأن جعل الغرب هو المتكلم الوحيد، والشرق هو الموضوع الصامت (سعيد، ١٩٨١، ص ٥٠-٧٠). هذا الاستبعاد تجلّى أيضاً في العديد من الحقول، ومنها الحقول الأكاديمية، فعلى سبيل المثال، أنتج علم الأنثروبولوجيا الكلاسيكي سرديات عن "الشعوب البدائية" بوصفها خارج التاريخ والحداثة، ما أسهم في ترسيخ موقعها كموضوع للدراسة "لا" شريك في إنتاج المعرفة. وبهذا، أصبح الصمت ليس غياباً للخطاب، بل نتيجة لهيمنة معرفية تحول دون الاعتراف بالفاعلية التاريخية والسياسية للمستعمرين (Asad, 1973, pp. 103- 118).

إضافة إلى ذلك، فإن دوائر المشروع السياسية في العالم الحديث اعتمدت بدورها على بنية استيعادية. فخطابات الدولة الاستعمارية، ولاحقاً الدولة القومية الحديثة، ارتكزت على معايير مشروعية تستثني المستعمر من حق تقرير

خلف قتاع النزاهة، ويعمل على إقصاء البدائل، ويُعيد إنتاج العنف البنيوي، بحيث تصبح الخيارات السياسية والاقتصادية التي تُخدم مصالح النخب أو المؤسسات الدولية مُقدمة باعتبارها حتمية عقلانية لا بدائل لها.

وبذلك يتضح أن الخطاب الحدائي في المنطقة العربية لا يُعد مجرد انعكاس لمقولات عالمية، بل هو ممارسة محلية - عالمية متداخلة تنتج العنف البنيوي وتعيد إنتاج التراتيبات الاجتماعية. فالعقلانية والحياد اللذان يتصدّران هذه السرديات ليسا سوى أدوات لإخفاء علاقات القوة، ولشرعة سياسات تؤبّد التبعية والتفاوتات، وهذا يفرض ضرورة قراءة نقدية لهذه الخطابات بهدف الكشف عن الأبعاد المتعددة للغة تبدو تقنية ومحيدة، لكنها في الواقع جزء من منظومة السيطرة التي تطلق المنافذ أمام أي شكل من أشكال بديلة من الموضوعية، قائمة على الاعتراف بالتموضع وتفكيك علاقات القوة، بما يسمح بظهور أصوات المستبعدين داخل الحقول والمجالات كافة.

أن مشاريع "التنمية" بعد الاستقلال في دول مثل مصر، لبنان، والجزائر لم تتفصل عن إرث الخطاب الكولونيالي

٥. استبعاد صوت المستعمر من دوائر المشروعية

يُعدّ استبعاد صوت المستعمر من دوائر المشروعية أحد أبرز مظاهر العنف الرمزي الذي كرسه السرديات الحديثة، فالحداثة، رغم ادعائها العالمية والحياد، أسهمت في إنتاج خطاب معرفي وسياسي لا يعترف بشرقية صوت "الآخر"، بل يُعيد إنتاجه باعتباره "موضوعاً للمعرفة لا فاعلاً" فيها. إن هذا الاستبعاد والإقصاء البنيوي لم يكن مجرد حادث عرضي أو أثر جانبي للحداثة، بل كان جزءاً أساسياً من بنيتها الخطائية، وضرورة هيكلية داخل نظام المعرفة الغربي نفسه لتعزيز هيمنته (Spivak, 1988, pp. 271 - 313).

يشير تحليل غاياتري سبيفاك (١٩٤٢) في نصها

وتحريرية تُعيد للمستعمر كرامته وهويته وحقه في الكلام والفعل. وبذلك يرى أن المستعمر لا يستطيع استعادة صوته وكيانيته إلا من خلال تخطيط النظام الاستعماري بشكل كامل، وهو ما يتطلب في مرحلة التحرير استخدام العنف كرد فعل على عنف المستعمر (Fanon, 1961, pp. 80 - 40).

وبالنظر إلى المجال المعاصر، لا يزال هذا الاستبعاد قائمًا عبر ما يمكن تسميته بـ "التهميش المزدوج". فمن جهة، يُقدم المستعمر السابق كفاعل "محلي" لا يمتلك الشرعية الكونية للخطاب، ومن جهة أخرى يُخضع خطابه إلى آليات فلترة وترجمة ضمن معايير الحداثة الغربية. وهذا ما يُبقي دوائر المشروعية حكرًا على الفضاءات المهيمنة، ويبعد إنتاج تفاوت القوة حتى داخل الخطاب النقدي (Mbembe, 2013, pp. 117 - 125).

وهنا يشرح ميممي كيف يُختزل "الآخر"، المستعمر سابقًا، إلى كيان محلي يُنظر إليه عبر

المصير أو المشاركة في صياغة مستقبله. وفي سياق نقد الاستعمار، حلل ألبير ميممي (19٢٠-٢٠٢٠) (Albert Memmi)، من خلال تجربته الشخصية في تونس تحت الاستعمار الفرنسي، العلاقة الجدلية بين المستعمر والمستعمر. مبيّنًا كيف أن العنف الاستعماري ليس فقط ماديًا، وإنما هو مزيج من قمع واستغلال اقتصادي، ولكنه أيضًا عنف رمزي نفسي وثقافي، يشمل حرمان المستعمر من لغته وثقافته، إضافة إلى تقديم المستعمر نفسه على أنه النموذج الوحيد للحضارة والمعرفة. وبالتالي ينتج عن هذا المسار، إسكات صوت المستعمر، وحرمانه من حقه في الكلام وإنكار قدرته على التعبير عن نفسه وتجاربه بطريقة الخاصة. (Memmi, 1957, pp. 109 - 120) وفي هذا الإطار، يُجادل فانون بأن العنف الاستعماري، المادي والرمزي على حد سواء، لا يمكن مقاومته إلا بعنف مضاد. حيث يصبح هذا العنف المقاوم^٧، أي العنف التحريري، أداة تطهيرية

إحدى المدارس المصرية
في ستينيات القرن الماضي/
من حساب فيسبوك "أهل
مصر زمان"



إذ تكشف النتائج الحاجة إلى مشروع معرفي تعددي يقوم على ثلاثة متركبات أساسية تتمحور حول:
١. إعادة الاعتبار لأصوات المهتمشين والمستعمرين بوصفهم منتجي معرفة، لا مجرد موضوعات للدراسة أو الإصلاح.

٢. تفكيك وهم الكونية الأحادية التي رسختها الحداثة، والاعتراف بمجذبات متعددة متجذرة في سياقاتها الخاصة (Chakrabarty, 2000, pp. 23 - 3)

٣. الانفتاح على إيكولوجيات المعرفة، أي الاعتراف بتعدد أنماط المعرفة العلمية والمحلية والجمالية والروحية، بوصفها رواقد شرعية لإنتاج عالمي أكثر عدلاً (Santos, 2007, pp. 1 - 33).

وعليه، فإن نقد السرديات الحداثيّة لا ينحصر في فضح بنيّتها القمعية، بل يتجاوز ذلك نحو الدفع باتجاه خطاب تحرري يوسّع أفق المشروع، ويعيد تعريف الشرعية خارج مركزية الحداثة الأوروبية أو الغربية. إنه يسعى لبناء عالم معرفي كوزموبوليتاني تُسمّع فيه الأصوات جميعاً، بما يتيح تجاوز العنف المعرفي، والاختراط في إنتاج معرفة أكثر إنصافاً وإنسانية.

وبالتالي، لا يكمن الرهان في نقد الحداثة فقط، بل في إعادة تأسيس معنى الإنسان خارج أوهام الكونية الأحادية، حيث تُستعاد الحرية بوصفها إمكاناً للتعدد لا كمعياراً للهيمنة.

الهوامش:

١. وردت هذه الفكرة لوالتر مينيولو في كتابه The Darker Side of Western Modernity: Global Futures, Decolonial Options الصادر عن Duke University Press سنة ٢٠١١، ويوضح والتر مينيولو (٢٠١١) في نقده للحداثة الغربية، إن مفاهيم مثل "التقدم" و"الحضارة" ليست محايدة بل هي أدوات أيديولوجية تم تصميمها تاريخياً لفرض هيمنة ثقافية وسياسية، تشكل ما أسماه "الخطّة الاستعمارية للكون". ولد والتر مينيولو في الأرجنتين عام ١٩٤١ هاجر إلى الولايات المتحدة في سبعينيات القرن العشرين، حصل على الدكتوراه في علم السيميائيات (Semiotics) من جامعة إيكول دي هوتيس إيند (École des Hautes Études) في باريس. يركز مينيولو على نقد ما يسميه "الجانب المظلم للحداثة

منظور غربي. فعندما يُنتقد الاستعمار، تبقى معايير النقد نفسها غربية، ما يعيد إنتاج التبعية. وبالتالي يجب تصفية خطابه وترجمته، والتحقق من صحته وفقاً للمعايير المعرفية الغربية لتحقيق شرعية عالمية. وبذلك تُديم هذه الآلية عدم تكافؤ القوة، حتى في الخطابات النقدية.

في المحصلة، وفي مساءلة البنية الكامنة في الخطاب الحداثي التي لا تزال، حتى في أكثر أشكالها "ليبرالية"، عاجزة عن الاعتراف بشرعية التعددية الصوتية، وعن التعامل مع المستعمر بوصفه منتجاً للمعرفة والشرعية السياسية. يكمن التحدي الأكبر في تجاوز لحظة "التحدث باسم الآخر"، نحو خلق فضاءات حيث يستطيع "الآخر" أن يتكلم بلغته الخاصة، دون وسيط أو وصاية. وفي هذا الإطار، يشير مبيمي

يُصبح العنف البنيوي غير مرئي أحياناً، لأنه متجذر في اللغة والمؤسسات والمعايير الاجتماعية، حيث تقدّم القبود والتمييز على أنها جزء من النظام الطبيعي للأشياء

إلى ضرورة أن يقدم المفكر غير الغربي تجربته بلفة ومفاهيم الغرب لكي تُقبل كـ "معرفة شرعية".

٦. نحو أفق نقدي بديل

أظهر هذا البحث أنّ السرديات الحداثيّة لم تكن مشروعاً كونياً محايداً كما صوّرت، بل إطاراً معرفياً وسياسياً متخماً بعلاقات قوة غير متكافئة. فالحداثة لا تفهم كحقيبة زمنية فحسب، بل كخطاب قوامه الإقصاء والهيمنة.

كما تؤكد التحليلات أنّ اللغة الحداثيّة لم تكن وسيطاً محايداً، بل قوة فاعلة في صياغة الواقع وتوزيع المواقع الاجتماعية عبر ثنائيات متعددة، بدت في ظاهرها توصيفية، ولكن شكلت في عمقها أدوات لإعادة إنتاج السيطرة، بما جعل من "المعرفة" نفسها حقلاً منضبطاً بلفة المركز. يُقصي الأصوات الأخرى ويمنع تبلور بدائل معرفية أصيلة.

غير أنّ هذا النقد لا يكتمل دون اقتراح أفق بديل.



اسم اللوحة: "وصول ويليام بن"
/ اسم الفنان: توماس بيرتش (١٧٧٩-١٨٥١)

التي تنتج المعرفة. والحياة كاستراتيجية للهيمنة الخطابية يُستخدم غالباً لإضفاء شرعية على ما يُقدّم باعتباره "الحقيقة الوحيدة". للحياة في وسائل الإعلام على سبيل المثال قد يعني تقديم روايتين متعارضتين حول الاحتلال وكأنهما متساويتان، بينما يتم تهميش السياقات التاريخية والسياسية التي تفسّر جذور الصراع..

٧. يرى فانون في الصفحة ٨٥ من كتابه، أنّ العنف المقاوم هو الشكل الأكثر نقاءً للفعل الإنساني في السياق الاستعماري.

قائمة المصادر والمراجع

- إدوارد سعيد. (١٩٨١). الاستشراق. (كمال أبو ديب، المترجمون) بيروت - لبنان: دار الآداب.
- أليبر كوستانتيان. (٢٠٢١). خصخصة الأصول العائمة في لبنان: لا حلول عاجئية للأزمة. بيروت، لبنان: معهد عصام فارس للشؤون العامة والسياسات الدولية. الجامعة الأميركية في بيروت.
- جيلبير الأشقر. (٢٠١٢). الشعب يريد: بحث جذري في الانتفاضة العربية. بيروت، لبنان: دار الساق.
- عبد الله العروي. (١٩٨١). مفهوم الأيديولوجيا. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- عبد ربه زينب، صالح أماني. (يونيو ٢٠٢٤). رؤية مستقبلية لتلبية الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي (المجلد المجلد ٤٠). أسبوط، جمهورية مصر العربية: مركز أ. د. أحمد المنشاوي للنشر العلمي والتميز البحثي. كلية التربية، جامعة أسبوط.
- محمد حمادة. (٢٠١٠). العولمة والمناهج الدراسية: تحديات الهوية والمواطنة. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مديرية الدراسات الإنمائية. (٢٠٠٢). الأوضاع المالية والنقدية في لبنان. بيروت، لبنان: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.
- منى عباس. (٢٠١٥). سياسات إصلاح التعليم في مصر: بين خطاب التحديث وإعادة إنتاج التبعية. القاهرة، مصر: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية.
- Abu-Lughod, L. (2013). Do Muslim Women Need Saving? Cambridge, England: Harvard University Press.
- Asad, T. (1973). Anthropology & the Colonial Encounter "Two European Images of Non-European Rule". Lon-

الغربية " (The Darker Side of Western Modernity)، يعتبر أنّ الحداثة الأوروبية لم تكن مشروعاً تنويرياً خالصاً، بل كانت وجهاً آخر للاستعمار. يُعرّف هذا الربط بمصطلح "الاستعمارية" (Coloniality).

٢. هي الفكرة المحورية التي يركز عليها كتاب "الاستشراق" بأكمله، وتشكّل الإطار النظري الذي ينسج عليه أدوارد سعيد كل تحليله.

٣. نحن أمام خلاصة استنتاجية لا اتجاه فكري كامل، ورد لدى العديد من المنظرين أمثال إسكوبار، أرتورو. ١٩٩٥. مواجهة التنمية. برينستون: دار نشر جامعة برينستون، وفيرجسون، جيمس. ١٩٩٠. الآلة المضادة للسياسة. كامبريدج: دار نشر جامعة كامبريدج، مينيلو، والتر. ٢٠١١. الجانب الأكثر عتمة من الحداثة الغربية. درم: دار نشر جامعة ديوك.

٤. المضمون الذي تناولته سيلا هو حجر الزاوية في أعمالها النقدية، بالإضافة إلى مفكرين من مدرسة فرانكفورت مثل يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) وتيودور أدورنو (Theodor Adorno) وماكس هوركهايمر (Max Horkheimer).

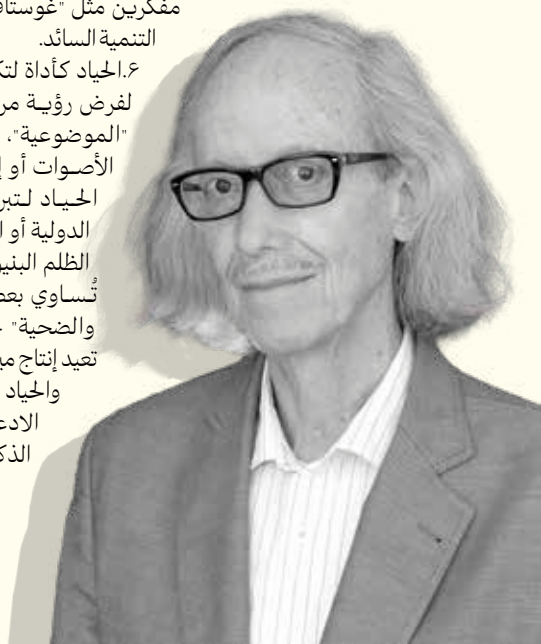
٥. هذا المضمون موجود في فصل كتاب "الخطاب والحداثة: دراسة تحليلية نقدية" للمؤلف أ. د. سعيد العمري. الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. في طبعته الأولى (بيروت وقطر) سنة ٢٠١٧، حيث ناقش نقد خطاب التنمية، وهو يعكس بشكل واضح تأثير المؤلف بأطروحات مفكرين مثل "غوستاف إستفا" في نقد خطاب التنمية السائد.

٦. الحياة كأداة لتكريس السلطة يُستخدم لفرض رؤية مركزية تتخفى خلف ستار "الموضوعية"، والحياة كآلية لاستبعاد الأصوات أو إسكاتهما يُستعمل مفهوم الحياة لتبرير صمت المؤسسات الدولية أو القوى الفاعلة إزاء حالات الظلم البنيوي أو الاحتلال. فعندما تُساوي بعض الخطابات بين "الحلاد والضحية" بحجة الحياة، فإنها عملياً تعيد إنتاج ميزان القوى لصالح الأقوى، والحياة في المعرفة العلمية إذ إن الادعاء بالحياة يخفي البنية الذكورية والطبقية والعرقية

✓

أرتور إسكوبار

هو عالم إنسان أمريكي وكولومبي، ولد في ١٩٥٢ في مانيزاليس في كولومبيا.



tion, and Bureaucratic Power in Lesotho. Cambridge, England: Cambridge University Press.

• Foucault, M. (1971). *L'Ordre du discours*. Paris, France: Paris: Gallimard.

• Galtung, J. (1969). *Peace By Peaceful Means* (Vol. 6). London, UK: Sage Publications.

• Ghulam Sarwar, Farzana Yameen, Quratul Ain. (2024). Review Of the Book "Orientalism" By Edward W. Said. Pakistan: Jahan-e-Tahqeeq journal.

• Klein, N. (2007). *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism*. Canada: Alfred A. Knopf.

• Mbembe, A. (2013). *Critique de la raison nègre*. Paris, France: Éditions La Découverte.

• Memmi, A. (1957). *Portrait du colonisé, précédé du portrait du colonisateur*. Paris, France: Éditions Buchet/Chastel.

• Said, E. W. (1978). *Orientalism*. New York: Vintage Books.

• Said, E. W. (1978). *Orientalism*. New York: Pantheon Books.

• Santos, B. d. (2007). *Another Knowledge Is Possible*. London, UK: Verso Books.

• Spivak, G. C. (1988). *Can the Subaltern Speak?* (C. N. Grossberg, Ed.) Urbana, Illinois, USA: University of Illinois Press.

• Spivak, G. C. (1999). *A Critique of Postcolonial Reason: Toward a History of the Vanishing Present*. Harvard, Cambridge, Massachusetts, United States: Harvard University Press.

• Weber, M. (1978). *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*. (E. b. Wittich, Ed.) California, USA: Berkeley: University of California Press. ◀

don, UK: Ithaca Press.

• Asad, T. (1973). *Anthropology and the Colonial Encounter "Two European Images of Non-European Rule"*. London, UK: Ithaca Press.

• Benhabib, S. (2002). *The Claims of Culture: Equality and Diversity in the Global Era*. Princeton, New Jersey, USA: Princeton University Press.

• Bourdieu, p. (1982). *Ce que parler veut dire: L'économie des échanges linguistiques*. Paris, France: Fayard.

• Bourdieu, P. (1991). *Language and Symbolic Power*. Cambridge: Cambridge: Harvard University Press.

• Chakrabarty, D. (2000). *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton: Princeton University Press.

• Chakrabarty, D. (2000). *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. New Jersey, USA: Princeton University Press.

• Dalleo, R. (2016). *Bourdieu and Postcolonial Studies*. Liverpool: Liverpool: Liverpool University Press.

• Escobar, A. (1995). *Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World*. Princeton, New Jersey, USA: Princeton University Press.

• Escobar, A. (2012). *Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World*. New Jersey, USA: Princeton University Press.

• Fanon, F. (1952). *Peau Noire, Masques Blancs*. Paris, France: Paris: Éditions du Seuil.

• Fanon, F. (1961). *Les Damnés de la Terre*. Paris, France: Éditions François Maspero.

• Ferguson, J. (1990). *The Anti-Politics Machine: 'Development,' Depoliticiza-*

مُنْكَتَبِر October 7

إلى اختبار الحداثة الأوروبية
فلسطين محكاً معرفياً وأخلاقياً لحدود الاستشراق



عمرو علان

كاتب وباحث • فلسطين



المقدمة

كشفت لحظة ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣، وما تلاها، صدوعاً عميقة في المنظومة المعرفية والأخلاقية التي قَدِّمتها الحداثة الأوروبية معياراً كونياً لإدارة العالم. إذ لم تكن عملية "طوفان الأقصى" في فلسطين حدثاً عارضاً يُؤطر بوصفه جولة أخرى في دورة عنيف مألوفة، بل محكا بنيوياً يُظهر حدود تلك المنظومة حين تدار الحياة والموت بمنطق السيادة لا بمعيار العدل. وما بدا استثناءً طارئاً لم يكن سوى انكشاف بنية سابقة على الحدث ولا حقة له، تُنزل المعيار الأخلاقي منزلةً الإجراء، وتُعبد تعريف الإنسان والحق والأمن وفق احتياجات الإدارة.

كشفت لحظة ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ صدوعاً عميقة في المنظومة المعرفية والأخلاقية التي قَدِّمتها الحداثة الأوروبية كمعيار كونى لإدارة العالم، مُظهرة حدود تلك المنظومة حين تدار الحياة والموت بمنطق السيادة لا بمعيار العدل

تنطلق الدراسة من فرضيتين: الأولى أنّ الحداثة الأوروبية ليست "طوراً زمنياً" محايداً، بل منظومة معرفية وأخلاقية قد أنتجت "الإنسان" معياراً و"الآخر" موضوعاً، وصاغت "القانون" تقنية لإدارة الحياة والموت، ورفعت "الأمن" إلى غاية إجرائية للأخلاق (حلاق، ٢٠١٣، أسد، ٢٠٠٣). والثانية أنّ فلسطين تكشف هذه المنظومة في ذروة اشتغالها، لأنها تقع على تقاطع ثلاث مسارات: الاستشراق بوصفه تمثيلاً (سعيد، ١٩٧٨، سيفياك، ١٩٨٨)، والاستعمار الاستيطاني بوصفه بنية (وولف، ٢٠٠٦)، وثلاثية الدولة/الأمن/القانون بوصفها مؤسسة تُعيد إنتاج الواقع بلسان الحياء (أنغي، ٢٠٠٤، كوسكينمي، ٢٠٠٥، كينيدي، ٢٠٠٦). وعليه، لا تُقرأ تفاعلات واقعة ٧ تشرين الأول/

أكتوبر ٢٠٢٣ كـ "حدث" منفصل، بل كمرآة تُظهر منطقاً يسبق الحدث ويستمر بعده: تمثيلات تتحول لإدارة، و"سياسة حياة" (biopolitique) تنقلب -عند حدّ معلوم- "نيكروسياسة" (necropolitique) (فوكو، ٢٠٠٤، مبمي، ٢٠٠٣). في قلب هذا المنطق يقف مفهوم "الإنسان" كما صاغته الحداثة: ذات فردية عقلانية تُقاس أخلاقيتها بما يقبل التعقل العام. غير أنّ هذا "الإنسان"، كما نبّه سعيد وسيفياك، إنسان مُنتج في نظام تمثيل صنعه المركز على هوامشه، "شقي" تُديره المعرفة بوصفها سلطة، فتصبح الفوارق مادة للإخضاع الإداري لا موضوعاً للعدل (سعيد، ١٩٧٨، سيفياك، ١٩٨٨).

على الضفة المؤسسية، يميز طلال أسد بين "العلماني" كمقولة تاريخية و"العلمانية" كبرنامج تُعيد الدولة الحديثة عبره تعريف المقدس والمدني، إذ تُنزل الأخلاق إلى أدوات قابلة للقياس، وتقدم "الأمن" شرطاً سابقاً على الحق (أسد، ٢٠٠٣).

بين "سياسة الحياة" التي تُحسب الحياة (فوكو، ٢٠٠٤) و"النيكروسياسة" التي تُحدد من يُصان ومن يُدفع إلى الهوامش (مبمي، ٢٠٠٣)، يتمدد "الاستثناء" حتى يصير انتظاماً، تُعاد عنده صياغة فئات القانوني ("مدني/مقاتل"، "نظامي/غير نظامي") وتُدار حماية المدنيين بصفتها حساباً تقنياً لا قيماً أخلاقياً. هنا يتقاطع تحليل أسد مع أطروحة وولف في أنّ الاستعمار الاستيطاني "بنية لا حدث"، منطقها "الإحلال": مهادنة وتقطيع وإعادة تسمية وإدماج قانوني وتخفيف لشروط الحياة، وكلها تؤدي إلى هدم بإحلال لا إلى إبادة لذاتها (وولف، ٢٠٠٦). بهذا المعنى يتحول "السلام" المزعوم في فلسطين إلى وظيفة "تسكين" تُدير المنطق الإحلالي بدل تفكيكه.

وعلى هذا المسرح، لا تعمل "المؤسسة" قانوناً وسلاحاً فحسب، بل تُسند نفسها بواجهة ثقافية محلية تُنتج سرّاً "توافقياً" يُبئض الإدارة ويُطيعها اجتماعياً، عبر "مُخبرين أصليين" وبُنى "سمراء" بأقنعة بيضاء (دباشي، ٢٠٠٧). ومن ثمّ، لا تكمن مشكلة المنظومة في "سوء تطبيق" قابل للإصلاح، بل في تصميم يُعيد توزيع المشروعية ويُقيصي المعيار خلف لغة تقنية محايدة المظهر. أمام ذلك، لا يقف هذا البحث عند نقدٍ وصفيّ،

حين يبين كيف تُنتج الدولة الحديثة، عبر منظومتها العلمانية، أشكالاً مخصوصة من "المشروعية" تُحدّد ما يُعدّ قابلاً للقول والفعل، وما يُقمع أو يُقضى (أسد، ٢٠٠٣).

في هذا السياق تتبدّى "سياسة الحياة" (biopolitique) على نحو صاغ خطوطه ميشال فوكو: إدارة الحياة عبر القياسات والانضباط والإحصاء، بما يربط الجسد والفتات والسكان بسُلطان معرفي-تقني (فوكو، ٢٠٠٤). غير أنّ هذا التدبير لا يستند بنية السلطة، إذ يتقدّم، لاسيما في البيئات الاستعمارية، منطق آخر سَمّاه أشيل ميمبي "نيكروسياسة" (nécropolitique): تقرير من تصان حيّاته ومن يُدفع إلى الهوامش أو يُعرّض للموت البطيء أو السريع (ميمبي، ٢٠٠٣). وعلى نحو هذين الحدين، يشغل ماسمّاه جورجو أغامبن "حالة الاستثناء"، حيث يُعلق المعيار الأخلاقي وتُقدّم الحجة الإجرائية-الأمنية بوصفها قدراً تقنياً لا بديل عنه (أغامبن، ٢٠٠٥). ليست هذه مفاهيم متجاوزة فحسب، بل هي آليات متداخلة: إدارة الحياة، وصناعة هوامش الموت، وتمدّد الاستثناء حتى يصير انتظاماً.

وعندما توضع هذه البنية على مسرح استعماريّ مُعلن—كما في فلسطين—تشخّص الأفتعة بسرعة. فالاستعمارُ الاستيطاني، بتوصيف باتريك وولف، "بنية لا حدثاً"، إذ يُعيد ترتيب المكان والموارد والبشر بما يضمن إدامة الإحلال (وولف، ٢٠٠٦). هنا تعمل ثلاثية الدولة/الأمن/القانون في ذروتها: يُعاد تعريف "الحماية" لتجمع بين رعاية شكلية وإخضاع مادي، ويختبر "المدني" هشاشته بين نصوص القانون وممارسات القوة على الحواجز. وفي التصاريح، وعلى خرائط الحركة والزمن والرزق، وإذ يتقدّم "الإجراء" على "المعيار"، يتسرّب العنف من ثنايا الإجراءات "المحايدة" حتى يُعاد تشكيل الحياة اليومية ذاتها.

ليس المقصود، إذن، "منظومة للقول والقتل" بصياغتها الحرفية، بل منظومة تحكم القول وتحتكره وتُعيد توزيع المشروعية، فتُجيز للعنف أن يتخفى في ثوب القانون والخبرة. يتشكل "اقتصاد للمشروعية" تتزاحم فيه سرديات الدولة ومؤسساتها الإعلامية والقانونية والأكاديمية لتنتج بديهيات نافذة: تقرير يُعيد توزيع المسؤولية، ومصطلح قانوني يختزل التاريخ، وصورة إعلامية

بل ينهض بسؤال معياري: بأيّ ميزان تُحكّم الوسائل قبل الشروع فيها؟ تستأنس الدراسة هنا بمقترح "الائتمانية/الأمانة" بوصفه معياراً سابقاً على الأداة—ميراناً يعيد القانون إلى العدل، ويقيّد "الضرورة الأمنية" بغاية صون الكرامة، ويمنع اختزال حماية المدنيين إلى إدارة خطر حسابية (طه، ٢٠٠٠، طه، ٢٠١٢، حلاق، ٢٠١٩). ليس المقصود حينئذٍ ما قبل الحادثة، بل إعادة تأصيل تلزم الدولة والمؤسسات بقيّد أخلاقي لا تُعرّفه أدواتها وحدها.

بهذا المسار، تتقدّم الحجة من نقد التمثيل إلى كشف البنية وتتبع عمل الثلاثية المؤسسية، ثم إلى الأفق المعياري الذي يردّ "الكونية" (Universalism) من شعار يُجمل الإجراء إلى التزام قابل للاختبار. والغاية إبرازُ فلسطين بوصفها محكاً معرفياً وأخلاقياً يُظهر خلل المنظومة، حيث يُعاد وصل المعيار بالأداة، ويُوزن الفعل العام بقدر ما يحفظ من حياة وحقوق غير منقوصة.

تنطلق الدراسة من فرضية أن الحادثة الأوروبية ليست طوراً زمنياً محايداً، بل منظومة معرفية وأخلاقية أنتجت "الإنسان" كمعيار و"الآخر" كموضوع، وصاغت "القانون" تقنية لإدارة الحياة والموت

القسم الأول:

حادثة تنتج الهيمنة

لا تُفهم الدولة الحديثة بوصفها جهازاً إدارياً محايداً ينظم المجتمع فحسب، بل بوصفها مشروعاً أخلاقياً-سياسياً يصوغ الإنسان ذاته ويحدّد ما يُعدّ "نظاماً صالحاً للحياة". لهذا المشروع خطابٌ ومؤسساتٌ تنتج المواطن وتُعيد تعريف العائلة والسوق والتعليم والفضاء العام على مقتضى السيادة. وقد نبّه وائل حلاق إلى أنّ "حياد" الدولة المزعوم يخفي برنامجاً قيمياً مُسبقاً يُنزل الأخلاق من مقام الغاية إلى مقام الإجراء، فيتحوّل القانون إلى أداة ضبط لا معيار عدالة، ويغدو "الأمن" لغة تُشرعن العنف باسم "الحماية" (حلاق، ٢٠١٣، حلاق، ٢٠١٩). ويضيء طلال أسد جانباً مكتملاً

النظر: من تقنيات الإدارة إلى سؤال العدل. فإذا احتجّت السلطة بـ"الضرورة الأمنية"، سُئِلت: أين يقف القيّد الأخلاقي؟ وإذا رفعت شعار "حكم القانون"، سُئِلت: أيّ قانون وأيّ عدل؟ وإذا ادّعت "حماية المدنيين"، سُئِلت: كيف تُقاس الحماية في الواقع لا في الخطاب؟ هذه الأسئلة تُمَهِّد تلقائيًا إلى مستوى التمثيل: كيف صيغت الأسماء والحرائط والهوامش التي سبقَت الفعل ورافقتة ومنحته مبرراته؟ وهنا يبدأ تحليل الاستشراق بوصفه نظام تمثيل يصنع موضوعه ويضع شروط القول فيه (سعيد، ١٩٧٨).

القسم الثاني:

الاستشراق واستعمارية المعرفة

لا يُفهم الاستشراق بوصفه وصفًا محايدًا لـ"شرق" قائم سلفًا، بل بوصفه نظام تمثيل يصنع موضوعه ويضع شروط القول فيه. نَبّه إدوارد سعيد إلى أنّ

تُعلّق المعنى على لقطة خاطفة (أسد، ٢٠٠٣، سعيد، ١٩٧٨). هنا بالذات تستعيد الكتابة مهمتها: ردّ القانون إلى العدل، وكشف المسافة بين الوصف التقني والحكم الأخلاقي.

في المقابل، يقدّم طه عبد الرحمن، من جهة، مبدأ "الائتمانية/الأمانة" بوصفه معيارًا سابقًا على الأداة: الوسيلة مُقَيَّدة ابتداءً بغايات العدل والرحمة، لا مُنْطَلِقة تحت ذريعة الضرورة (طه، ٢٠٠٠، طه، ٢٠١٢). ومن جهة أخرى، يُقيم حلاق على هذا الأساس صلة الحكم بالعدل ضمن تصوّر مؤسسيّ يَصُون الإنسان معيارًا قبل أن يجعله موضوعًا للإدارة (حلاق، ٢٠١٩). بميزان الأمانة لا تُتَّخَذ "حماية المدنيين" ذريعة لتوسيع القوة، بل قيدًا عليها، ولا تُقاس المشروعات بما تنتجه الأنظمة من أوراق وبيانات، بل بما يثبت على الأرض من حياة مصونة وحقوق غير منقوصة. وليس هذا تحريرًا لغويًا فحسب، بل تغييرًا في زاوية

غزة - أكتوبر
عناصر من كتائب عز الدين
القسام، الجناح العسكري
لحركة حماس، يدخلون الجانب
الإسرائيلي من السياج في غزة.
هاني الشاعر/ وكالة الأناضول
عبر وكالة فرانس برس.



“استهداف دقيق”) لا تعمل كمفرداتٍ محايدة، بل كقوالبٍ تنظّم الأجساد والحركة والمجال والزمن. ومع كل جولةٍ جديدةٍ من “التوثيق” و”التحقيق” و”التقييم”، يُعاد تدوير الصور ذاتها بملفاتٍ أحدث وصيغٍ قانونيةٍ أنقى، من غير أن يتغيّر أساس الهيمنة. ومن هنا أهمية نقد “الإنسانية الإجرائية” التي تحوّل معيار حماية المدنيين إلى تقنيةٍ لإدارة الخطر، لا إلى قيدٍ على القوة، وتوضيح كيف تنتج “أخلاقيات القتل الأَقْلِيّ” أطرًا عملية تعيد تعريف الضرر بحيث يصبح كل فعل ممكنًا متى أدرج في حسابات “التناسب” و”الضرورة”.

لا يعني ذلك إنكار الحاجة إلى المعرفة المتخصصة، بل وضعها في موضعها الصحيح: وسيلةٌ تُحاسب بمعيار العدل، لا سلطةٌ تنشئ معيارًا بديلًا. فالصور الملتقطة من الجو، والبيانات الوصفية، ومحاكيات “مسرّح العمليات”—كلها أدوات قابلة للتسييس. والمفارقة أن ما يُقدّم بوصفه “حيادًا تقنيًا” ينتهي، في التطبيق، إلى “حكم أخلاقي مفتوح” يسلب الضحايا حقّ التسمية والتأويل.

ومع أن الاستشراق بدأ نقدًا لتمثيل “الشرق”، فإنه يَمَسُّ، في جوهره، آليات إنتاج الكونية ذاتها، من يحدّد معيار الإنسان؟ ومن يُعرّف الحرية والعنف والواجب؟ هنا يتجاوز نقد سعيد مع نقد طلال أسد لأشكال المشروع التي تُنتجها الدولة الحديثة عبر منظومتها العلمانية، وكيف تصاغ “لغة الحقوق” بما يضمن قابلية الإدماج والضبط معًا (أسد، ٢٠٠٣). وعند هذا التخوم، تتقدّم “الانتمائية/الأمانة” كما صاغها طه عبد الرحمن بوصفها ميزانًا يقلب ترتيب السلطة والمعيار: الغاية الأخلاقية تسبق الوسيلة وتقيدها، فلا تختزل الحماية إلى حساب تقني للضرر، ولا يُستبدل العدل بإدارة الخطر (طه، ٢٠٠٠، طه، ٢٠١٢).

ما سبق لا يقف عند تحليل الخطاب، بل يكشف كيف تتحوّل التمثيلات إلى أدواتٍ تعمل داخل الدولة والقانون والأمن. فالقانون الدولي نفسه لم يولد خارج التاريخ، لقد نشأ وتشكل وسط اختباراتٍ إمبراطورية جعلت السيادة والاستعمار توأمين، كما يظهر نقد أنطوني أنغي لسيرة القانون الدولي الحديث (أنغي، ٢٠٠٤)، ويحلل مارتي كوسكنيمي هشاشة تمايز “القانون” و”السياسة” خلف لغة تقنية تخفي خياراتٍ قيمية صريحة (كوسكنيمي، ٢٠٠٥)، فيما يبين ديفيد كينيدي كيف

هذا النظام يعمل على ثلاثة مستويات متداخلة: أسلوب تفكير يصطنع ثنائيات مُشكّلة (شرق/غرب، عقل/أسطورة)، ومؤسسة أكاديمية تنتج نصوصًا ومناهج، وإطار سلطة/معرفة يربط القول بالإدارة الاستعمارية (سعيد، ١٩٧٨). ومع تراكم النصوص والخرائط والتقارير، تصبح الصور المُنتجة “بديهيات” نافذة في التعليم والإعلام والسياسات، فتغدو المعرفة ذاتها أصلًا من أصول الهيمنة لا تُجَرّد وصفٍ للعالم.

وتتسع دائرة النقد حين نواجه سؤال “من يتكلّم؟” و”بأي لغة؟”. هنا تكشف غاياتي سببًا عن آليات إسكات “التابع” عبر وساطة خبيرة تتكلّم باسمه وتعيد صياغة تجربته ضمن قالب مقبولة لدى المركز (سببفاك، ١٩٨٨). ليست المشكلة في الترجمة اللغوية فحسب، بل في الترجمة المفهومية التي تُعيد ترتيب الوقائع كي تتسجم مع معجم مُسبق. بهذا المعنى يتكوّن “اقتصادٌ للمشروعية”

يُشدّد التحليل على أن الاستعمار الاستيطاني “بنية لا حدث”، ومنطقه الأساسي هو “الإزالة”، الذي يتدرّج من الطرد والمصادرة إلى التجنيس والتذويب وتخفيف شروط الحياة

تُوَزَّع فيه الأدوار: باحثٌ يُعرّف، منظمةٌ “توثّق”، وخبيرٌ “يُفسّر”، بينما يتضاءل الصوت الأصلي تحت وطأة الوساطة.

ويشير تيموثي ميتشل إلي وجه آخر لهيمنة التمثيل: كيف تختزل الحياة إلى جداول وأرقام ورسوم تنظاهر بالحياد فيما هي تعيد هندسة الواقع على مقاس الإدارة الحديثة (ميتشل، ١٩٨٨). الأرقام لا تخطئ، لكن اختبار ما يُقاس وكيف يُقاس ومن يملك أداة القياس—كله عمل سياسي بامتياز. على هذا الخط، دعا ديبيش تشاكرابرتي إلى تحييد مركزية أوروبا، وإعادة كتابة السرديات من أطرافها، لا بوصف الأطراف نسخًا ناقصة من “المركز”، بل بوصفها مواقع معرفة تعيد تعريف الزمن السياسي والمعياري الأخلاقي معًا (تشاكرابرتي، ٢٠٠٠). في المسرح الفلسفي، تتكثف هذه الآليات، فالتصنيفات “إرهاب”، “مناطق تماس”،

يعمل "الخبراء" على تحويل القانون إلى صندوق أدوات لإدارة النزاعات لا إلى معيار للعدل (كينيدي، ٢٠٠٦). وفي فلسطين، حيث تتقاطع السيادة والأمن والقانون في أدق تفاصيل الحياة اليومية، تظهر هذه الثلاثية في أوجها.

القسم الثالث:

الاستعمار الاستيطاني "بنية لا حدث"

ليس الاستعمارُ الاستيطاني طَوْراً عابراً ولا حزمة وقائع متفرقة، بل بنية تُعيد إنتاج ذاتها. منطقته المركزي "الإحلال"، أي إزالة حضور سياسي موصول بالأرض واستبداله بهيكل سكانية ومؤسسية جديدة. تتنوع أدوات الإحلال وتتكاثر: المصادرة والتجزئة وتقطيع الجغرافيا، الإدماج القانوني والتجنيس لإذابة الكيان السياسي للسكان الأصليين، إعادة التسمية والهندسة الثقافية-العمرانية لصياغة خرائط ومناطق تماس

تُعيد تعريف المكان، وتُخفّف شروط الحياة من اقتصاد ومياه وحريّة تنقل. الغاية واحدة: هدم إحلال لا إبادة لذاتها (وولف، ٢٠٠٦).

في هذه البنية تغدو الأرض غير قابلة للاختزال أو التعويض، فهي شرط الهوية السياسية وحيز ممارسة السيادة مكانياً وقانونياً. لذلك تفهم "التسويات الإدارية" والحدود وإدارة السكان بوصفها سياسات للأرض بقدر ما هي سياسات للأشخاص. وعلى هذا المحور يعمل "التصنيف العرقي" أداة إدارية لا "طبيعة" ثابتة: تُستخدم قاعدة "قطرة واحدة" (one-drop rule) لتكثير جماعة ما في سياق، بينما تُستخدم "كمية الدم" (blood quantum) لتقليص جماعة أخرى في سياق مختلف، أي إن المعيار يُعاد تعريفه سياسياً وفق ما يخدم إعادة إنتاج المشروع الإحلالي (وولف، ٢٠٠٦).

وبحكم كونه "بنية"، يتحرّك الاستيطان في زمن

الجنود الإسرائيليون في مدينة الخليل (حبرون) بالضفة الغربية. يوجد ما لا يقل عن ٢٠٠٠ جندي في الخليل لحماية حوالي ٥٠٠ مستوطن.



القسم الرابع:

ثلاثية الدولة/الأمن/القانون الدولي

لا تعمل الدولة والأمن والقانون كدوائر متجاورة، بل كمنظومة واحدة تُعيد تعريف الواقع ثم تديره وفق ما تنتجه من معايير. في البيئات الاستعمارية، لإسيما في فلسطين، تبلغ هذه المنظومة زخماً؛ تُحدّد الدولة "الخطر" وتُعيد تسميته، ويُوفر الأمن اللغة التنفيذية التي تُجيز التوسع في تدابير القوة، فيما يمنح القانون غطاءً إجرائياً يزعم الحياد. هكذا لا يبقى القانون "حكماً" خارج اللعبة، بل يصير جزءاً من أجهزتها: يحدّد من هو "المدني"، وما "التناسب"، وكيف تقاس "الضرورة"، ومن ثمّ يستتب الاستثناء في صميم القاعدة.

تاريخياً، لم يولد "القانون الدولي" خارج علاقات الإمبراطورية. نبّه أطونني أنغي إلى أنّ لحظة تشكيله الحديثة ارتبطت بـ "رسالة التمدين" التي فرزت الأقاليم والشعوب على مقياس قيميّ يحدّد من يدخل دائرة الحقوق ومن يبقى على تخومها (أنغي، ٢٠٠٤). ويُظهر مارتي كوسكنيمي هشاشة الحدود بين "القانون" و"السياسة": بنود مطاطية ولغة تقنية تتيح قراءات متعارضة تُشرعن خياراتٍ قيمة مسبقاً (كوسكنيمي، ٢٠٠٥). ويشرح ديفيد كينيدي كيف يحول "الخبراء" هذا الهامش التأويليّ إلى صندوق أدوات لإدارة النزاعات، لا إلى ميزان للعدل (كينيدي، ٢٠٠٦). لذلك يتعدّد فصل "القاعدة" عن سياق استعمالها: التطبيق ليس تفصيلاً لاحقاً، بل هو مكان صناعة المعيار فعلاً.

في فلسطين، تُرجم "اللغة الأمنية" هذه الهشاشة إلى سياسات ملموسة: خرائط حركة، تصاريح، مناطق مُغلقة، "قوائم" وتصنيفات. وتأتي المفردات القانونية—"التمييز"، "التناسب"، "الضرورة"—كأنها قياسات بريئة، بينما هي محاور تأويل تعاد عندها صياغة الواقع. إنّ "أخلاقيات القتل الأقل" تُنتج، في الممارسة، إطاراً يسمح بفعل أوسع ما دام قد أدرج في حساب تقني مُسبق. ويُضاف إلى ذلك أنّ موضوع "الدفاع عن النفس" يُستخدم في ظل واقع احتلال مُعلن لتوسيع هوامش القوة بدل تضيقها. مع أنّ منطق الاحتلال نفسه يُغيّر شروط انطباق هذا الادّعاء في القانون (عريقات، ٢٠١٩).

وليس القانون الدولي على حياءٍ إزاء البنى الاستيطانية؛ فهو الذي يُتيح، عبر صيغ إجرائية،

تكراريّاً لا يستنفده الحدثُ الآتي، فالأدوات ذاتها تُستعاد عند كل مفصل حادّ—حرب أو هدنة أو اتفاق أو انتفاضة أو حصار—وتتراكم داخل المحاكم والسجلات ولجان التخطيط والبنى التحتية والمناطق العازلة. هنا تخطّ القراءات التي تُجزئ الزمن وتُفصل "العمليات" عن الديمومة المؤسسية التي تُعيد إنتاج السيطرة.

وعلى الأرض، يتجلّى هذا المنطق في تحويل التمثيل إلى مادة: خرائط تُعيد ترسيم المجال، وقوانين تُعيد توزيع المشروعية، وأجهزة أمن تُعيد هندسة الحركة والزمن، وإدارة مدنية تُلبس السيطرة ثوب الخدمة. لا يعود السلام—في هندسات معينة—خروجاً من المنطق الإحلالي، بل وظيفة بنوية لـ "التسكين" وإدارة النزاع مع إبقاء بنية الإحلال على حالها. وعلى مستوى المعنى والمعيار، تتقاطع أطروحة وولف مع نقد طلال أسد لأشكال المشروعية التي

مع أنّ الاستشراق بدأ نقداً لتمثيل "الشرق"، فإنه يُمسّ، في جوهره، آليات إنتاج الكونية ذاتها: من يحدّد معيار الإنسان؟ ومن يُعرّف الحزبية والعنف والواجب؟

تُنشئ الدولة الحديثة عبر منظومتها العلمانية، إذ يُعاد تعريف "الإنساني" و"القانوني" بما يَسع منطق السيطرة ويُعيد ترتيب الحدود بين المقبول والمرفوض (أسد، ٢٠٠٣). وفي أقصى هذا المنحنى تظهر "النيكروسياسة" عند أشيل مبمي: التعبير الأقصى للسيادة هو تقرير من يحيا ومن يُدفع إلى هوامش الموت البطيء أو السريع (مبمي، ٢٠٠٣). هكذا يتضح أنّ الاستعمار الاستيطاني ليس "حوادث" منفصلة، بل منظومة تُزاوج المعرفة بالمؤسسة وتحوّل الاستثناء إلى انتظام.

إذا كان الإحلال هو المنطق، فإنّ الله الدولة والأمن والقانون: تُسمّى الدولة الواقع وتُسَنّ الإطارات، ويمنح الأمن لغة التنفيذ. ويُعطي القانون الغطاء الإجرائي. فكيف تعمل هذه الثلاثية—معاً—على إعادة تركيب الحق؟ وكيف يمكن أن يستعيد معيار الأمانة كقيّد على الأداة لا شعاراً يُجمّلها؟

بندي في جدول المخاطر، بدل أن تكون قيداً مُلزمًا على استخدام القوة. ليست هذه ثغرات عارضة، بل خصائص بنيوية في المنظومة، فحين تتقدم "اللفة الإجرائية" على "المعيار"، يُعاد تفسير كل تجاوز بوصفه "سوء تطبيق" لا "خللاً في التصميم"، وهنا تأتي الحاجة إلى قلب المعادلة: إعادة مركزية معيار أخلاقي سابق على الأداة، لا تابع لها. إنَّ "الأثمانية/الأمانة" كما صاغها طه عبد الرحمن تقدّم هذا القيد: غاية حماية المدنيين لا تُشتق من حساب الضرورة، بل تلزم الضرورة وتحدّها (طه، ٢٠٠٠، طه، ٢٠١٢). ويميزان الأمانة، يُعاد وصل القانون بالعدل، ويُساوئ الأمن على أساس ما يحفظه من حياة وحقوق، لا على ما يحسنه من "إدارة". وتبقى الإشارة إلى أن محكمة العدل الدولية، في فتاوها ذات الصلة، كشفت -ولو بحدود- عن قدرة القانون، حين يُحرّر من ضغط "إدارة النزاع"، على

تحويل القيود اليومية إلى "إدارة للسكان"، ويُعيد تعريف الحماية بوصفها "إدارة للخطر". وقد أظهرت أعمال قانونية نقدية أن "حالة الاستثناء" لا تعلن فحسب، بل تدرج في التنظيم الإداري وفي الجغرافيا القانونية للحياة اليومية حتى تصير انتظاماً (أغامين، ٢٠٠٥). هنا يصبح السؤال الأخلاقي مُهمّشاً أمام سؤال "الإجراء الصحيح"، وتستبدل المحاسبة على النتائج الواقعية بمناقشة بنود وصيغ. على هذا المسار، يشغل الأمن كجهاز ترجمة بين القوة والقانون، فحين تُرفع تقارير "التقييم بعد العملية" وتُقاس الأضرار بخرائط وصور وبيانات، يُحافظ الإطار التقني على ادعاء الحياد فيما هو يثبت قراءات بعينها ويقصي غيرها. إن اختيار ما يُقاس وكيف يُقاس، ومن يملك أداة القياس، عمل سياسي بامتياز (ميتشل، ١٩٨٨). وباسم "إدارة المخاطر"، تُنقل المعضلة من معيار العدل إلى حساب الاحتمالات، فتتقلص "حماية المدنيين" إلى

فتاة فلسطينية تُحمل على
الكثاف بينما يجتمع مقاتلو
حماس في موقع تسليم
أسيرين إسرائيليين في رفح
بجنوب قطاع غزة، كجزء من
سايخ تبادل للأسرى في ٢٢
فبراير ٢٠٢٥. - المصور: عمر
القطاع



ويُذكر طلال أسد بأن أشكال المشروعات التي تنتجها الدولة الحديثة عبر منظومتها العلمانية ليست وصفاً بريئاً لمقتضيات العيش المشترك، بل صيغٌ معيّنة لما يجوز قوله وفعله وتبريره، ومن ثمّ فاستعادة المعيار الأخلاقي عملٌ نقديٌّ على اللغة والقانون والمؤسسة في آن (أسد، ٢٠٠٣). في ضوء ذلك، لا تفهم "حماية المدنيين" كعبارة إجرائية تُقاس بمجادول التناسب والضرورة فحسب، بل كقيدٍ ملزم يسبق كل إجراء. أي خطاب يختزلها إلى حسابات "مخاطر" ينقلها قسراً من مقام القيمة إلى مقام التقنية. وقد أظهر نقد أخلاقيات "القتل الأقل" أنّ تحويل العدل إلى إدارة خطر يوسع في الواقع من مساحة العنف ما دام قد جرى إدراجه في نموذجٍ حسابيٍّ سابق الصنع، وهو ما يقتضي ردّ الحماية إلى معناها القيميّ لا إلى صيغتها البيانية وحدها. من جهة المعرفة، لا تتقلب الخبرة العلمية إلى سيادةٍ معيارية. الخبرة وسيلةٌ تُحاسب بمقتضى العدل. لا مرجعيةٌ تنتج معياراً بديلاً. فالخراط، والبيانات، والمحاكيات، والقياسات، كلها أدوات قابلة للتسييس. وقد بينَ تيموثي ميتشل كيف تتحوّل تقنيات التمثيل إلى هندسةٍ للواقع حين تُقدّم بوصفها حياداً تقنياً بينما هي تقصي بدائل وتُعلي أخرى، لذلك فإنّ معيار الأمانة يلزم بأن تُفحص مقولات "ما يُقاس" و"كيف يُقاس" و"من يملك أداة القياس" قبل اعتماد نتائجها في الحكم الأخلاقيّ أو القانوني (ميتشل، ١٩٨٨).

هنا أيضاً يُعاد تعريف "الكونية". فبدل أن تُستعمل مظلة لغوية تحمّل الإجراءات، تصبح التزاماً أخلاقياً يسري على الجميع ويحاسب القوة قبل غيرها. نقد القانون الدولي الحديث لدى أنطوني أنغي ومارتي كوسكنيمي وديفيد كينيدي يوضح أنّ صيغ "القاعدة" و"التفسير" و"الخبرة" نشأت داخل تاريخ إمبراطوريٍّ محدّد، وأنّ الحياة القانوني والخبرة الموضوعية قد وُظفاً غير مرّة لإدارة النزاع لا لوزن العدل. والمعيار الانتمائي يُحاجج بأن استعادة الكونية لا تكون بإطلاق شعارات عامة، بل بإلزام القوة بحدود سابقة على حاجاتها الإجرائية. أي إعادة القانون إلى العدل لا العكس (أنغي، ٢٠٠٤، كوسكنيمي، ٢٠٠٥، كينيدي، ٢٠٠٦).

على المسرح الفلسفيّ يظهر معنى هذا الأفق المعيارية بصورة جلية. فالاحتلال واقعٌ مُعلن، وحالة الاستثناء انتظامٌ يوميٌّ في الجغرافيا والإدارة.

تسمية الواقع باسمه ووضع قيدٍ معياريٍّ على الأداة (محكمة العدل الدولية، ٢٠٠٤). لكنّ هذا الأفق لا يتحقّق تلقائياً. إذ تُستعاد "الكونية" إمّا بوصفها ادّعاءً لغوياً يُجمل الإجراء، وإمّا بوصفها التزاماً أخلاقياً يلزم الدولة والمؤسسات قبل أن يطال الأفراد. بعد أن بان كيف تعمل الثلاثية المؤسسية على إعادة تركيب المجال والحق، يتقدّم سؤال "بأيّ ميزان تُقاس الشرعية؟". هنا يتضح أنّ استعادة معيار سابق على الأدان - ميزان الأمانة - ليست إضافةً تجميلية، بل شرطٌ لئلا تتقلب "حماية المدنيين" إلى حسابٍ تقنيٍّ، ولئلا يُختزل العدل إلى إدارة للخطر.

القسم الخامس:

الأفق المعياري - الأمانة قيّداً على الأداة

ينبغي أن تُعاد صياغة السؤال من "كيف تُحسّن إدارة الواقع؟" إلى "بأيّ ميزان تُحكم الوسائل قبل الشروع فيها؟". هنا تتقدّم "الانتمائية/الأمانة" بوصفها معياراً سابقاً على الأداة، لا لاحقاً لها.

تُظهر المقاربة النقدية لـ "ثلاثية الدولة/الأمّن/ القانون الدولي" هشاشة الفصل بين المعيار والإجراء، وكيف تُعاد صياغة الواقع عبر مفرداتٍ تقنيةٍ تعدّل الحدود بدل أن تضبط القوة

الأمانة تعني أنّ الغاية الأخلاقية تضبط الوسيلة منذ البدء، وأنّ قابلية التنفيذ لا تمنح شرعيةً بذاتها، وأنّ الإنسان معيارٌ للحكم قبل أن يكون موضوعاً للإدارة. بهذا تتغيّر بنية السؤال القانوني والأمنيّ معاً: لا يُسأل عمّا يتيح الإجراء فحسب، بل عمّا يمنعه قيدُ الأمانة من الأصل (طه، ٢٠٠٠، طه، ٢٠١٢). هذا الانقلاب في ترتيب المعيار والوسيلة يجد سنداً فلسفياً وقانونياً في نقد الدولة الحديثة بوصفها مشروعاً يُنزل الأخلاق إلى مرتبة الإجراء، ويحوّل القانون إلى تقنية ضبط تحسّن الكفاءة بدل أن تُقيم العدل. وقد نبّه وأثل حلاق إلى أنّ حياد الدولة المزعوم يخفي برنامجاً قيميّاً يسبق النصوص ويشكلها، الأمر الذي يقتضي "ميزاناً" أعلى من أدوات الدولة نفسها لمحاسبتها على أفعالها وتبريراتها معاً (حلاق، ٢٠١٩، حلاق، ٢٠١٣).

ولأنَّ الغاية هنا ليست هندسةً "وصفةً مؤسسية" تفصيلية، فإنَّ قيمة الأفق المعياري تتمثل في قدرته على صون اللغة والمعنى من الانزلاق إلى التقنية الخالصة. وفي تمييز ما يُعدّ عدلاً عمومياً عن "كفاءة" تدير الخطر دون أن تنقص من القهر شيئاً، بذلك يُستعاد "الإنسان" معياراً، وتعاد تسمية الأفعال وفق أثرها على الحياة المصونة والحقوق غير المنقوصة، لا وفق قابليتها للصياغة في تقارير وإجراءات.

الخاتمة

إذا كان ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ قد كشف عملاً المنظومة الحدائية في أقصى اشتغالها، حيث تراكب اللغة مع الأمن والقانون لتوليد "عوالم الموت"، فإنَّ المقصود هنا الانتقال من نقدٍ يصف إلى نقدٍ يؤجِّل، يُعيد وصل الأداة بالغاية ويمنح القانونَ والاقتصاد والثقافة شرطها الأخلاقي. ويتم ذلك مع تثبيت حقيقة أصيلة: فلسطين تحت احتلالٍ

ومع ذلك، لا يتعدَّد على القانون—حين يتحرَّر من ضغط إدارة النزاع—أن يسمِّي الأشياء بأسمائها ويضع قيماً على الأداة، كما يبنّت فتوى محكمة العدل الدولية بشأن الجدار، وإنَّ ضمن حدودٍ معروفة. لكنَّ هذا الأفق لا يتحقّق تلقائياً، إذ يظل رهناً بميزان أخلاقيّ نحاسب به المؤسسات والسياسات، لا نبجل تقنيّ حول الفقرات والبنود وحدها (محكمة العدل الدولية، ٢٠٠٤).

لا يعني ذلك القطيعة مع "الإجراء" كليّاً، بل يعني ترتيبه تحت المعيار. فحيث نعلن "الضرورة الأمنية"، يُسأل: ما حدودها في ضوء الأمانة؟ وحيث يُرفع شعار "حكم القانون"، يُسأل: أيُّ عدل يُقيمه هذا الحكم؟ وحيث تُدعى "حماية المدنيين"، يُسأل: كيف تُقاس الحماية في الواقع، لا في الجداول؟ هذه الأسئلة ليست زخرفاً بل آليات محاسبية تعيد وصل الأخلاق بالسياسة والقانون والأمن، وتمنع الاستثناء من التمدّد إلى قاعدة دائمة.

الاحتجاجات في قطاع غزة
في بداية الانتفاضة الأولى
عام ١٩٨٧



بواجهة ثقافية محلية من "مخبرين" و"بني سمراء" بأقنعة بيضاء" تسوق الخطاب وتطبعه اجتماعيًا (دباشي، ٢٠٠٧، ميمبي، ٢٠٠٣).

ومن هذا التشخيص، لا تكفي الدعوة إلى "تطبيق أفضل" للقانون الدولي، بل ينبغي إعادة تأسيس معيار يُوزن به القانون ذاته: "الأمانة" التي تقيد السيادة بمقصد حفظ الكرامة ومنع الظلم وصون العالم (حلاق، ٢٠١٩، طه، ٢٠١٢). بذلك تستعاد "الكونية" التزامًا أخلاقيًا قابلاً للاختبار، لا مظلة لغوية تجمل الإجراء.

بهذه العبرة، لا نقرأ فلسطين كـ "أزمة إنسانية" متجددة فحسب، ولا كـ "استثناء" لا يُقاس عليه، بل بوصفها محكا معرفيًا وأخلاقيًا يُظهر خلل المنظومة البنيوية من أساسه.

الهوامش:

1. "The colonial encounter was central to the constitution of international law and to the emergence of its basic doctrines of sovereignty."

(كان الاحتكاك الاستعماري محوريًا في تشكل القانون الدولي وظهور مبادئه الأساسية في السيادة.) أنطوني أنغي

(Antony Anghie), 2004.

2. "Both Shari'a and Sufism... may be characterized by what I call a persistent moral benchmark."

(يمكن توصيف الشريعة والتصوف بما أدوه معيارًا أخلاقيًا مستمرًا.) وائل حلاق

(Wael Hallaq), Reforming Modernity, 2019.

3. "The secular' is neither singular in origin nor stable in meaning."

(إن "العلماني" ليس واحد المنشأ ولا ثابت الدلالة.) طلال أسد

(Talal Asad), Formations of the Secular, 2003.

4. "Law is not simply a constraint on war; it is part of its practice."

(القانون ليس مجرد قيد على الحرب: إنه جزء من ممارستها.) ديفيد كينيدي

(David Kennedy), 2006.

استيطاني ممتد، و٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ مفصل كاشف في سياقه لـ "جولة متناظرة" بين ندين، ومن ثم تفهم أفعال الفاعل الدولي بوصفه سلطة احتلال تمسك بمفاتيح المجال والإمداد والحدود. وتقرأ أفعال المقاومة ضمن مشروعية تقرير المصير وضوابط الأخلاق والقانون (مبادئ): التمييز، التناسب، الضرورة، مع التأكيد أن القدرة البنيوية على فرض "الاستثناء" وترتيب "عالم الموت" مركزة، بوجه أخص، في يد سلطة الاحتلال. بين القسم الأول أن الحادثة ليست "مرحلة بريئة"، بل تصميم أخلاقي-مؤسسي يُعيد تعريف الإنسان والأخلاق بما يلائم السيادة (حلاق، ٢٠١٣، طه، ٢٠١٢، أسد، ٢٠٠٣). وشرح القسم الثاني كيف يصنع الاستشراق موضوعه ويضبط شروط القول فيه، بما يجعل "الشرق" نصًا مُدارًا أكثر منه موضوعًا بريئًا (سعيد، ١٩٧٨). مع تقاطع النقد مع تحذير سبيفك من إسكات "التابع" لاسيما حين تكون "التابعة" امرأة (سبيفك، ١٩٨٨). ونقل القسم الثالث

تُمثل فلسطين مجالاً انكشافياً لهذه المنظومة، حيث تكثفت فيها أدوات الاستثناء والسيادة في جهة واحدة، بينما أُعيد تعريف الإنسانية لـ "نزع الصفة الإنسانية" عن الفلسطينيين

النقاش من اللغة إلى البنية: الاستعمار الاستيطاني "بنية لا حدث". ومنطقه "الإزالة" يتدرج من الطرد والمصادرة إلى التجنيس والتذويب وتحفيف شروط الحياة (وولف، ٢٠٠٦). فيما تظهر ثلاثية الدولة/الأمن/القانون الدولي، في القسم الرابع، هشاشة الفصل بين المعيار والإجراء، وكيف تعاد صياغة الواقع عبر مفردات تقنية تعدل الحدود بدل أن تضبط القوة (كوسكنيمي، ٢٠٠٥، كينيدي، ٢٠٠٦). أما القسم الخامس فتثبت الأفق المعياري: "الأمانة" قيدًا سابقًا على الأداة. تُعيد القانون إلى العدل (طه، ٢٠١٢، حلاق، ٢٠١٩). بهذا الترتيب لا تساوي القراءة بين فاعل احتلال يملك عذرة الاستثناء وفاعلين اجتماعيين واقعين تحت سيطرته، بل تظهر كيف تتكشف أدوات الاستثناء والسيادة في جهة بعينها، مع بقاء ميزان الأخلاق والقانون ملزمًا للجميع. ويُستعان، في ذلك،

2003.

7. "The state of exception tends increasingly to appear as the dominant paradigm of government in contemporary politics."

(يغدو "حالة الاستثناء" -على نحو متزايد- النموذج الغالب للحكم في السياسة المعاصرة). جورجيو أغامبن

Giorgio Agamben), State of Exception, 2005.

8. "Orientalism is a style of thought based upon an ontological and epistemological distinction made between 'the Orient' and (most of the time) 'the Occident'."

(الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على تمييز أنطولوجي وإبستمولوجي بين "الشرق" و"الغرب")

5. "Power is no longer the right to take life or let live; it is the right to make live and let die."

(لم يعد السلطان حق أخذ الحياة أو تركها. بل صار حق إحياء البعض وترك آخرين للموت). ميشال فوكو

(Michel Foucault), Society Must Be Defended (lectures 1975-76; published 2003).

6. "The ultimate expression of sovereignty resides, to a large degree, in the power and the capacity to dictate who may live and who must die."

(تكمُن الذروة القصوى للسيادة -إلى حد بعيد- في القدرة على تقرير مَنْ يجوز له أن يعيش ومَنْ يجب أن يموت). أشيل مبمبي

(Achille Mbembe), "Necropolitics,"

الجنود الإسرائيليون يقفون بجانب شاحنة تحمل معتقلين فلسطينيين في قطاع غزة، ٨ ديسمبر ٢٠٢٣ / رويترز



Palestinian Territory, 2004.

15. "Israel is under an obligation to cease forthwith the works of construction of the wall... and to make reparation for all damage caused."

(تقع على "إسرائيل" التزامٌ بوقف أعمال تشييد الجدار فوزاً... وأن تجبر الضرر كله الذي تسببت به.) محكمة العدل الدولية 2004 (ICJ).

16. "Denuded reason is not necessary... no form, qua form, can have a universal validity."

(ليس "العقل المُجرد" ضرورةً... ولا يمكن لأي صيغة من العقل، بوصفها صيغة، أن تدعي صلاحية كونية.) وائل حلاق

(Wael Hallaq), Reforming Modernity, 2019.

17. "Guided reason (al-aql al-musaddad)... is empowered by its shari affiliation to stay the correct course in articulating knowledge that leads to benefit."

(إنَّ العقلَ المُسدّد... مُمكنٌ بانتماؤه الشرعي من لزوم الحجة في إنتاج معرفة تؤوّل إلى منفعة.) وائل حلاق

(Wael Hallaq), Reforming Modernity, 2019.

18. "The end, the highest value in his project, is ethical formation, potentially achievable through a variety of forms."

(الغاية، والقيمة العليا في مشروعه، هي التشكيل الأخلاقي، وهو ممكن التحقق عبر صيغ متعددة.) وائل حلاق

(Wael Hallaq), Reforming Modernity, 2019.

١٩. "لا إنسانٌ بغير أخلاق." طه عبد الرحمن سؤال الأخلاق، ٢٠٠٠.

قائمة المصادر والمراجع

• أسد، طلال

(Talal Asad). (2003). Formations of the Secular: Christianity, Islam, Moderni-

"الغرب". إدوارد سعيد

(Edward Said), Orientalism, 1978.

9. "The subaltern cannot speak."

(التابع لا يستطيع أن يتكلّم، غاياتري سبيفاك (Gayatri C. Spivak), "Can the Subaltern Speak?", 1988.

10. "White men are saving brown women from brown men."

(الرجال البيض يُنقذون النساء السُمر من الرجال السُمر.) غاياتري سبيفاك

(Gayatri C. Spivak), "Can the Subaltern Speak?", 1988.

"There is no virtue in global laundry lists with 'woman' as a pious item."

(لا فضيلة في قوائم عالمية تُدرج "المرأة" بنداً تقوياً وحسب.) غاياتري سبيفاك

(Gayatri C. Spivak), "Can the Subaltern Speak?", 1988.

11. "Representation produces the effect of order and objectivity that it claims merely to reflect."

(إنَّ التمثيل يُنتج أثر النظام والموضوعية الذي يزعم أنه يكتفي بعكسه.) تيموثي ميتشل

(Timothy Mitchell), Colonising Egypt, 1988.

12. "European thought is at once both indispensable and inadequate."

(الفكر الأوروبي في آنٍ معاً لا غنى عنه وغير كافٍ.) ديبيش تشاكرابرتي

(Dipesh Chakrabarty), Provincializing Europe, 2000.

13. "Settler colonialism is a structure not an event."

(الاستعمار الاستيطاني بنيةٌ لا حدث.) باتريك وولف

(Patrick Wolfe), 2006.

14. "The construction of the wall... is contrary to international law."

(إنَّ إنشاء الجدار... مخالف للقانون الدولي.) محكمة العدل الدولية

(ICJ), Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied

- سؤال الأخلاق. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
• طه عبد الرحمن
(Taha Abdurrahman). (2012).
روح الدين. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
• عريقات، نورا
(Noura Erakat). (2019). Justice for Some: Law and the Question of Palestine. Stanford, CA: Stanford University Press.
• فوكو، ميشال
(Michel Foucault). (2004). Sécurité, terroir, population: Cours au Collège de France (1977-1978). Paris: Seuil/Gallimard.
• كوسكنيمي، مارتّي
(Martti Koskeniemi). (2005). From Apology to Utopia: The Structure of International Legal Argument (rev. ed.). Cambridge: Cambridge University Press.
• كينيدي، ديفيد
(David Kennedy). (2006). Of War and Law. Princeton, NJ: Princeton University Press.
• مبمبي، أشيل
(Achille Mbembe). (2003). Necropolitics. Public Culture, 15(1), 11-40.
• محكمة العدل الدولية
(International Court of Justice). (2004). Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territory, Advisory Opinion of 9 July 2004. The Hague.
• ميتشل، تيموثي
(Timothy Mitchell). (1988). Colonising Egypt. Cambridge: Cambridge University Press.
• وولف، باتريك
(Patrick Wolfe). (2006). Settler Colonialism and the Elimination of the Native. Journal of Genocide Research, 8(4), 387-409.
ty. Stanford, CA: Stanford University Press.
• أغامبن، جورجيو
(Giorgio Agamben). (2005). State of Exception. Chicago, IL: University of Chicago Press.
• أنغي، أنطوني
(Antony Anghie). (2004). Imperialism, Sovereignty and the Making of International Law. Cambridge: Cambridge University Press.
• تشاكرابرتي، ديبيش
(Dipesh Chakrabarty). (2000). Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference. Princeton, NJ: Princeton University Press.
• دباشي، حميد
(Hamid Dabashi). (2007). Brown Skin, White Masks. London: Pluto Press.
• حلاق، وائل
(Wael B. Hallaq). (2013). The Impossible State: Islam, Politics, and Modernity's Moral Predicament. New York: Columbia University Press.
• حلاق، وائل
(Wael B. Hallaq). (2019). Reforming Modernity: Ethics and the New Human in the Philosophy of Abdurrahman Taha. New York: Columbia University Press.
• سيفاك، غاياتري شاكرافورتي
(Gayatri Chakravorty Spivak). (1988). Can the Subaltern Speak?
ضمن: C. Nelson & L. Grossberg (محرران)، Marxism and the Interpretation of Culture (ص 313-271). Urbana, IL: University of Illinois Press.
• سعيد، إدوارد
(Edward W. Said). (1978). Orientalism. New York: Pantheon.
• طه عبد الرحمن
(Taha Abdurrahman). (2000).

ولادات محمود درويش: أولماذا نخسر معركتنا الحضارية؟

قصيدة لاعب النرد نموذجاً



معاذ بني عامر
باحث في الصحافة والإعلام
• الأردن



المقدمة

يُشكّل سؤال: لماذا نخسر معركتنا الحضارية؟ سؤالاً مركزياً في هذه الورقة، أجتهدُ في تقديم إجابة عليه من خلال استطلاع عام لولادات الشاعر الفلسطيني محمود درويش المختلفة، واستطلاع خاص لقصيدته "لاعب النرد" أو بلغة أخرى، كيف يمكن لولادة محمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨) الشعريّة، كما تجلّت في قصيدة "لاعب النرد" أن تُقدّم لنا رؤية حول سؤال: لماذا نخسر معركتنا الحضارية؟

وقبل ذلك: هل فعلاً نخوض، أولاً، معركة حضارية، ونخسر ها ثانياً؟ حتى يُصبح السؤال السابق سؤالاً مشروعاً.

سأجتهد، مرة أخرى، في الإجابة على هذا السؤال من داخل السياق الذي أشتغل عليه في هذه الورقة، وليس من خارجها، أي أنني لن أشرع في تقديم جملة من الحجج والبراهين والأدلة على هذا السؤال من زوايا فكرية أو سياسية أو اجتماعية أو علمية... إلخ، بل من ولادات محمود درويش ذاتها، لا سيما من ولادته التي تجسّدت في قصيدة "لاعب النرد" على نحو مخصوص، بما يجعل من هذه الورقة أكثر فائدة وكشفاً عن الإمكان الذي يمكن أن تنطوي عليه بعض الأعمال الأدبية، والدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه في مسيرة المجتمعات البشرية، تاريخاً واستشرافاً.

ولادات محمود درويش

بتقديري أنّ "محمود درويش" وُلد خمس ولادات، سأعمل على تفصيلها أنا، لكنني سأركز بشكل رئيسي على ولادته الخامسة التي تجسّدت في قصيدة "لاعب النرد"، نظراً لتعلق هذه الولادة من السياق الذي أؤيِّس له في هذه الورقة، والمتعلق بالدور الذي يلعبه الأدب في (تأريخ/ استشراف) النسق الحضاري الجمعي، وانعكاس ذلك كله على الأمة كاملة.

١. الولادة الأولى: الولادة البيولوجية، وهي ولادة غير واعية بالنسبة للإنسان على الإطلاق، كما



٤. **الولادة الرابعة: الولادة التراجيدية**، رغم أنه شارق الموت وعانيه في تلك الفترة الحرجة من فترات حياته، إلا أن الشاعر بدأ يعي قيمة ذاته أنطولوجياً، ويعي خطورة عدم انفصال هذه الذات عن كينونات الآخرين لحظة الإبداع، حتى وهي تعاني ما تعاني من آلام شديدة وقوية. فالنأريخ للحظة الإبداع يستلزم انفصالاً كاملاً عن الذوات الأخرى، حتى يترك المُبدع أثراً لا يمكن لغيره أن يأتيه، وقد تجلّى هذا الانفصال في قصيدته الفارقة: "الجدارية"؛

٥. **الولادة الخامسة: الولادة المعرفية**، وفيها عمد محمود درويش إلى عمل مراجعة معرفية، وإن تم تأريخها شعرياً، شاملة لمواضعات الإنسان العربي الحديث، والموقع الذي يتأوه اليوم في العالم، وهذا ما سيكون عليه تركيزي في هذه الورقة، إذ سأحدث، كما أشرت آنفاً، عن ولادته المعرفية كما تجلّت في قصيدة "لاعب النرد"؛

وللتأسيس بشكل منهجي لولادته الخامسة أو ولادته المعرفية، سأحدث بداية عن ولادته الرابعة أو ولادته التراجيدية التي تجلّت في قصيدة "الجدارية"؛ لما للولادتين من علاقة عضوية مع بعضهما البعض. أعني تلك الولادة بما هي كينونة فردية في "الجدارية"، وكينونة جمعية حضارية في "لاعب النرد". ففي "الجدارية" كان محمود درويش قد تعاطف أنطولوجياً رغم الهشاشة الجسدية التي عاينها على المستوى الفردي في القصيدة إياها، أو بالأحرى بدأ يعي ذاته بما هي ذات منفصلة عن الجماعة، رغم حالة الألم الشديد التي ألمّت به. وقد شكل هذا التعاطف بداية أو باكورة لإعادة التفكير، سيتجلى في "لاعب النرد"، في نسقه الهويّاتي كاملاً بأبعاده المختلفة، وفهم ما هو عليه حقيقة ليس في الواقع المعيش فحسب، بل وفي العقل الجمعي أيضاً.

في قصيدة "الجدارية" حدث انقطاع إبستمولوجي بين محمود درويش والجماعة التي ينتمي، وفي الوقت عينه حدث اتّصال بينه وبين ذاته الشعريّة، أي بما هو شاعر أساساً، ولا يمكن لوجوده العياني أن يتجلى في الزمن والمكان إلا باستنطاق العالم شعرياً، حتى وإن لم يرق هذا الشعر للجماعة التي ينتمي إليها. فذاته قبل الجدارية كانت في مواضعها الشعرية مرهونة، حتى ولو عند حدود دنيا، للغير أو متعلقة معها بشكل عضوي. إلا أن

للشاعر أيضاً، فقد تجسّد فيها كوجود تابع لم يكن طرفاً في اختياره. فتحقّق في كينونة بيولوجية ليس إلا، دون أن يحمل أي ميزة يازاء أي كائن آخر في هذا العالم. فبتاريخ "١٣/٣/١٩٤١"، ولد محمود درويش في قرية البروة الفلسطينية التي تقع في الجليل شرق ساحل عكا^١. وهذا بطبيعة الحال، حدث ويحدث وسيحدث للكثيرين، إذ لا ميزة فيه لإنسان على إنسان، فالكل سواسية أمام هذا الحدث البيولوجي. **الولادة الثانية: الولادة الوجدانية**، ويمكن تلّمس سيرورتها بشكل واضح في قصيدة "سجل أنا عربي"^٢؛ فصوت الشاعر كان يتقاطع مع صوت الجماهير العربية الغاضبة، المُنفعة، التي يتبدئ فعلها بالكلام وينتهي بالكلام. وإلى حدّ كبير لم يستطع محمود درويش أن ينقطع عن هذه الجماهير ويتنكر لها أثناء التحقّق في هذه الولادة، فصوتها، أي صوت هذه الجماهير، أصوات صاحبة وعيفة وأقوى من صوت الشاعر، ما ساهم في مسح هويّة الشاعر الذاتية، إلى حدّ كبير، فتأخّر

محمود درويش مرّ بخمس ولادات شعرية انتهت بـ "الولادة المعرفية" في "لاعب النرد"؛ وهي القفزة الإبستمولوجية التي سمحت له بمقاربة الذات العربية بـ "نظرة أصيلة" لا "نظرة معيّة"

صوته الناعم وتقدّمت أصوات الجماهير الخشنة. أو بالأحرى كان، في هذه الولادة، يُعبّر عن الهويّة الوجدانية الجمعية، بطريقة سلبت صوته الشعري حقه بأن يكون صوتاً فردياً منفصلاً عن هذا السياق العام.

٣. **الولادة الثالثة: الولادة الأيديولوجية**، فالتكوين السياسي أو البيئة السياسية التي ترقى فيها محمود درويش "كانت تُشاركه مشروعه الأدبي، أو هيأته ليكون ناطقاً بليغاً باسم مشروعها؛ ما انعكس على صوته الشعري. فناطقية كلامه التي خرجت من حنجرتة تنازعها رغبة الشاعر -من جهة- بالانعتاق من تربيته السياسية، وخضوعه -من جهة ثانية- لهذه التربية وصوتها الأقرب إلى الأيديولوجيا منه إلى الأدب الصرف، وقد تجلّى هذه الصراع العميق في قصيدته المميزة: "مديح الظل العالي"^٣.

أنا مَنْ يُحَدِّثُ نفسه:
وَقَعْتُ مُعَلَّقَتِي الأَخيرةَ عن نخيلي
وأنا المُسَافِرُ داخلي
وأنا المُحَاضِرُ بالتَّبائياتِ،
لَكِنَّ الحَيَاةَ جَدِيرَةٌ بَعْموضِها
وبطائرِ الدَّورِي
لم أُولَدُ لأَعْرِفُ أَنِّي سَأَمُوتُ، بل لأُحِبَّ مَحْتَوِيَّاتِ
ظِلِّ إِلَهِي
يَأْخُذُنِي الجَمالُ إلى الجَميلِ
وأُحِبُّ حُبَّكَ، هَكَذَا مُتَحَرِّراً مِنْ ذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ
وأنا بَدِيلِي
أنا مَنْ يُحَدِّثُ نفسه:
مِنْ أَصْغَرِ الأَشْيَاءِ تُولَدُ أَكْبَرُ الأَفْكارِ
والإيقاع لا يَأْتِي مِنَ الكَلِمَاتِ،
بل مِنْ وَحْدَةِ الجَسَدِينِ
في ليل طَوِيلِ
أنا مَنْ يَحَدِّثُ نفسه
ويَرِوِّضُ الذِّكْرَى... أَأَنْتِ أَنَا؟

تجربة المرض الشديد التي مرَّ بها الشاعر جعلته
ينتبه إلى ذاته بصفاتها حالة أنطولوجية، أي ينبغي
النظر إليها كما لو كانت كلاً متكاملًا في العالم،
وأي تهدم أو انهيار في معمارها هو تهدم وانهيار في
معمار العالم. فالمُكوّنات: البيولوجية والوجدانية
والأيديولوجية والقومية لم تعد تشغل بال محمود
درويش وهو يُطرح الموت ويطرحه المرض في
السريّر. بل كان ثمة وعي شفيف وعميق بذاته
الوجودية، التي تتقاطع مع كل المُكوّنات السابقة
في تشكيل البُعدين: المعرفي والجغرافي، لكنها تنقطع
عنهما لحظة الإبداع كما صيغت في "الجدارية".
فالشاعر لا ينتبه إلا لذاته بما هي ذات على حافة
الحياة وتلامس مُكوّناتها الأنطولوجي العميق في تلك
اللحظات الحرجة، بعد أن أهملها، شعرياً، لسنوات
طويلة من حياته لصالح حيوات جمعية جاهزة
وناجزة في المجال العام.
"هل قُلتَ لي شيئاً يغيّر لي سبيلي؟
لم أقل. كانت حياتي خارجي

مَدِينَةُ الْبِيرَةِ
تُظْهِرُ هَذِهِ الصُّورَةَ، الَّتِي
تُنْقَطَتْ فِي ثَمَانِينَاتِ الْقَرْنِ
الْعَشْرِينَ، مَدِينَةُ الْبِيرَةِ فِي
مَنْطَقَةِ الْجَلِيلِ - صُورَةٌ مِنْ
مَوْقِعِ أَرَشِيفِ الْمَتْحَفِ
الْفِلَسْطِينِيِّ الرَّقْمِيِّ



وثالثنا يرفرف بيننا "لا تنسياني دائماً"
يا مؤثناً! خذنا إليك على طريقتنا، فقد نتعلم
الإشراق
لا شمسٍ ولا قمرٍ عليَّ
تركبتُ ظلي عالقاً بغصون غوسجةٍ
فخفتُ بي المكان
وطاري روعي الشرود"^١
وسبكون لهذا التأمل الثر والمركز الدور الحاسم في
التعامل مع الذات العربية، في وقت لاحق، كذاتٍ
أنطولوجية سعى محمود درويش إلى تفكيكها في
"لاعب النرد" كما فكك ذاته الفردية في "الجدارية".
بما يمكن أن يُصنّف قصيدة "الجدارية" كمقدمة
أفضت لاحقاً إلى "لاعب النرد". فالمشروع
الهوياتي الذي انفصل عنه درويش لأول مرة في
"الجدارية" سيعمل على تفكيكه، بعد أن استعاد
عافيته الجسدية، وبلغ مبلغاً متقدماً عقلياً،
في "لاعب النرد". فالذات الفردية الهشة على
المستوى الجسدي في "الجدارية"، ستفتح الطريق

"الجدارية" كانت لحظة الانفصال الإستمولوجي
عن الجماعة وتحقق الذات أنطولوجياً؛ وهي شرط
أساسي لفكك الذات الجمعية بجرأة معرفية في
"لاعب النرد" لاحقاً

أمام درويش لمُعالجة الهشاشة الروحية الجمعية
وتأريخ تلك الهشاشة في "لاعب النرد". ففي
"الجدارية" فكك درويش جسده قطعة قطعة،
وتعالقات هذا الجسد مع القوة المعرفية التي كان
درويش قد وصل إليها بعد جهد كبير. وفي "لاعب
النرد" فكك درويش جسد الأمة العربية قطعة
قطعة، وتعالقات هذا الجسد مع الروح الحضارية
الناظمة لذلك الجسد، ما أَرخ لولادته ولادة معرفية
في "لاعب النرد".

لكن السؤال المطروح هنا هو: كيف أثّرت
ولادة درويش الفردية في قصيدة "الجدارية"
على تفكيكه للذات العربية الكلية ونشر محتوياتها
في العراء في قصيدة "لاعب النرد"؟

في ولادات درويش سألقة الذكر: ١- البيولوجية.
٢- الوجدانية. ٣- الأيديولوجية، لم تكن ذاته

الفردية قد تحقّقت أنطولوجياً إلا في كينونة جمعية،
أي لم يتسنى له التفكير بذاته كنصٍّ مُتخارج عن
النصوص التي سبقتها، فكان صوته الشعري إلى
حدٍّ كبير صوت غيري، فهو امتداد بمعنى أو بآخر
للمقولة العربية القديمة "شاعر القبيلة". فهو إذ
ينطق فإنّ نطقه لا يُعبّر عن ذاته كذاتٍ مولودةٍ
على مستوى الوعي كشخصية اعتبارية تتمظهر
في الشعر، بقدر تعبيره عن ذاته الجمعية التي شكلت
معالمه البيولوجية والوجدانية والأيديولوجية،
وتتشابه مع غيرها من الذوات في هذه المكونات
التأسيسية. لكن مع "الجدارية" حدث قطع
إبيستمولوجي مع أنواته السابقة، وهذا شرط
أساسي وضروري للتعبير عن الذات أنطولوجياً،
فأول تعبّر لدرويش عن ذاته بصفتها ذاتاً واعية
بقيمة وجودها في العالم - بعيداً عن الآخرين
وهوياتهم الجامعة - كان في "الجدارية". إذ يمكن
اعتبار تلك اللحظة هي لحظة ميلاده الحقيقي في
هذا العالم، إذ تحوّل من ذاتٍ مفعل بها بيولوجياً/
وجدانياً/ أيديولوجياً، إلى ذاتٍ فاعلة في الوجود.
أو بمعنى آخر قفز قفزة هائلة على المستوى
الإبيستمولوجي، من كونه شاعراً يُعبّر عن وجود
الآخرين أكثر من تعبيره عن وجوده الشخصي؛
إذ بدأ يتحقّق وجودياً على المستوى الفردي،
ومع هذا التحقّق لن يعود النظر إلى العالم نظراً
بـ "المعقّة" بل نظراً أصيلاً. فقد تمّت الإطاحة
بفكرة الأب التي أنتجت محمود درويش مرحلة
ما قبل الجدارية، ومنذ تلك اللحظة الفارقة تخارج
درويش عن والده الجمعي، وأصبح يُفكر كفردٍ
مُستقل له هويته الأنطولوجية الخاصة. وعليه،
فقد كانت مقارنته للذات العربية كما تجسّدت
في "لاعب النرد" ليست حالة اتصالية كما هي في
ولاداته الأولى، بل هي مقارنة انفصالية بالأحرى،
أو مُتخارجة عن ذاته الجمعية. فدرويش إذ يُفكر
بالذات الجمعية هذه المرة فهو لا يفكر بها كجزءٍ
من تكوينه الهوياتي، بل كجزءٍ من سيرورته
المعرفية بالأحرى. أي أنه يُقارنها في نصّه الشعري
كحالة معرفية بحاجة إلى تفكيك من ذاتٍ تُفكر
تفكيراً حرّاً، وليس بصفتها تضغط عليه ضغطاً
قسرياً لينطق بمكنونها، كما كانت تضغط عليه
ولاداته التي سبقت "الجدارية".

إذاً، كان درويش قد انقطع عن ولاداته السابقة
واتصل بذاته في "الجدارية"، لكنه عاود الاتصال

شميل، وأبو خليل القباني، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد عبده، وجبران خليل جبران، وسليمان البستاني، وطه حسين، وعلي عبد الرزاق، وتوفيق الحكيم، وإسماعيل أدهم، وعرار، وبدر شاكر السياب، وأدونيس، وصادق جلال العظم، ومحمد عابد الجابري، وجورج طرابيشي، وطيب تيزيني، وميخائيل نعيمة، ونجيب محفوظ، وسليمان بشير، وسحبان خليفات، وعبد الله العروي، وفهمي جدعان، وفتحي المسكيني، وعبد الجواد ياسين، وعبد المجيد الشرفي، وغيرهم الكثير الكثير، الذين شكلوا علامات مميزة في مسيرة الوعي العربي الحديث.^٧ لكن الاسم الذي يهمننا في هذا المقام هو الشاعر الفلسطيني "محمود درويش" الذي ساهم في مسيرة الوعي العربي الحديث بشعره، تحديداً في قصيدته "لاعب الزرد" التي نتناولها بحثاً ودرساها هنا. ولكي نفهم سياقات هذه القصيدة، أشير إلى أن ولادات درويش الفردية التي أشرت إليها آنفا، متعلقة بشكل حاسم مع الظرف العربي،

بذاته الجمعية مرة أخرى في "لاعب الزرد"، لكنه لم يكن اتصالاً هوياتياً، بقدر ما كان اتصالاً معرفياً بالآخرى. أي أن السؤال المعرفي سبق الهاجس الهوياتي لحظة التأريخ للذات الجمعية، بما يجعل من مقارنته مقارنة أكثر رصانة وعقلانية، حتى وهو يُثبتها في نص شعري مُضاد في معنى من معانيه لما هو رصين وعقلاني.

لكن قبل أن نشعر في تفكيك "لاعب الزرد" إلى وحدات صغيرة، عليّ أن أشير ابتداءً إلى أن محمود درويش هو أحد النتاجات المعرفية المميزة لآخر قرنين معرفيين عربيين. فالحرّاك المعرفي الذي بدأ بواكير القرن التاسع عشر تجلّ تجليات مختلفة ومتعددة في الثقافة العربية الحديثة، وبرزت أسماء واضحة في هذه المسيرة، قدمت ما لديها من رؤى ومعارف وتصورات في سبيل إنقاذ العالم العربي من حالة التردّي التي وصل إليها، بعد ما يقارب الألف عام من العطالة الحضارية، أمثال: إبراهيم اليازجي، ورفاعة الطهطاوي، وشبلي

✓
حصاد القمح
صورة بالأبيض والأسود
لحصاد القمح في مدينة
البيرة الواقعة تحت الاحتلال
الإسرائيلي / صورة من موقع
أرشيف المتحف الفلسطيني
الرقمي.



والظرف الفلسطيني جزء من الظرف العربي، بتجلياته المختلفة، فإلى حد كبير بقي درويش ضمن هذا الظرف في ولادته الثلاث الأولى، لكنه مع الولادة الرابعة في "الجدارية" بدأ يعي ذاته كذات تروم أن تعيش فرادتها الوجودية وتجتهد شخصيتها الاعتبارية في العالم كما تريد هي، لا كما يُراد لها، ما منحها قوة كبيرة على وضع ولادته السابقة، وهي بالضرورة ولادات الإنسان العربي الحديث، ضمن سياق قابل للنقد المعرفي، تظهر في "لاعب النرد". فالحالة العربية التي أنتجت شرارات مختلفة فيما يتعلق بسيرة النهضة، كانت تعاني الأمرين على المستوى الجمعي. فبعد انتهاء الاحتلال العثماني الذي استمر لقرون طويلة ومُظلمة، دخل العالم العربي في احتلالات أخرى، إلى أن وصل الأمر إلى نكبة فلسطين في العام ١٩٤٨ وما رافقها من تهجير قسري ومأساوي للفلسطينيين، ثم تلتها النكسة في العام ١٩٦٧ بحسارات كبرى وعمليات تهجير أخرى، وغيرها من الأحداث موسومة بـ "لاعب النرد".

السؤال الآن: أين وصل هذا المشروع كما تمثله محمود درويش في "لاعب النرد"؟ وأين (يتصل/ ينقطع) مع الشرارات التي أضاءت شعلة مشروع النهضة العربي؟ لتُعين القصيدة لكي نكتشف ذلك. جاءت الجملة الأولى في قصيدة "لاعب النرد" كجملة صادمة: "مَنْ أنا لأقول لكم، ما أقول لكم:" وإذا دجناها بالجملة الأخيرة منها: "مَنْ أنا لأخيب ظنَّ العدم؟ مَنْ أنا؟ مَنْ أنا؟" يمكن التأشير بقوة على الحس المأساوي الذي طال القصيدة عن حَدِّها: الأول والأخير: فسؤال الكينونة يتصدر مشهدية القصيدة:

"مَنْ أنا لأقول لكم

ما أقول لكم؟"^٨

لكنه يتخذ طابعاً انتحارياً في نهاية القصيدة:

"مَنْ أنا لأخيب ظنَّ العدم؟

مَنْ أنا؟ مَنْ أنا؟"^٩

بين البداية والنهاية، يُعَمِّلُ محمود درويش مبضعة الشعري في جسد تكوينه الوجودي على المستوى الجمعي، وينثر محتوياته في العراء؛ كما كان قد أَعْمَلَ مبضعة في جسد تكوينه الوجودي على المستوى الفردي ونثر محتوياته في العراء، أيضاً، في قصيدة "الجدارية".

فالصيغة المبدئية التي ابتدأ بها الشاعر قصيدته

والظرف الفلسطيني جزء من الظرف العربي، بتجلياته المختلفة، فإلى حد كبير بقي درويش ضمن هذا الظرف في ولادته الثلاث الأولى، لكنه مع الولادة الرابعة في "الجدارية" بدأ يعي ذاته كذات تروم أن تعيش فرادتها الوجودية وتجتهد شخصيتها الاعتبارية في العالم كما تريد هي، لا كما يُراد لها، ما منحها قوة كبيرة على وضع ولادته السابقة، وهي بالضرورة ولادات الإنسان العربي الحديث، ضمن سياق قابل للنقد المعرفي، تظهر في "لاعب النرد". فالحالة العربية التي أنتجت شرارات مختلفة فيما يتعلق بسيرة النهضة، كانت تعاني الأمرين على المستوى الجمعي. فبعد انتهاء الاحتلال العثماني الذي استمر لقرون طويلة ومُظلمة، دخل العالم العربي في احتلالات أخرى، إلى أن وصل الأمر إلى نكبة فلسطين في العام ١٩٤٨ وما رافقها من تهجير قسري ومأساوي للفلسطينيين، ثم تلتها النكسة في العام ١٩٦٧ بحسارات كبرى وعمليات تهجير أخرى، وغيرها من الأحداث

في "لاعب النرد"، تحولت مقارنة درويش للذات الجمعية من "اتصال هويتي" إلى "اتصال معرفي"، حيث أصبح يفكر بالحالة العربية كـ "موضوع معرفي" يحتاج إلى تفكيك من ذات حرة

التي ساهمت في صياغة ولادات محمود درويش بيولوجياً ووجدانياً وأيديولوجياً. فالقصائد الأولى كانت تُعَبِّرُ بشكل واضح وصريح عن تكويناته غير الواعية التي فرضت سيطرتها على حالة الوعي عنده، وعلى الأمة العربية كاملة بشكل عام. لكن مع "الجدارية" حدث خرق في منظومات الولادة الخاصة بدرويش، فاللاوعي الجمعي لم يعد يرسم معالم وعيه الشعري، بل تفرَّد صوته وتخرج مع ما هو غيري، أي أن كينونته الأنطولوجية بدأت تتحقق، بفعل وعي معرفي متقدم، خارج السياق الجمعي. لكن مع "لاعب النرد" كان ثمة عودة لما هو جمعي لكن من خارجه هذه المرة، عكس ما حدث معه في ولادته الأولى إذ كان نُطقه داخلي. فمعها وفيها بدأ محمود درويش يُفَكِّرُ بالحالة العربية كـ "موضوع" معرفي على المستوى

صدفة ليس إلا: فالشرط الأساسي الذي أوجدها في هذا العالم هو شرط الصدفة أصلاً: "ولدت بلا زفة وبلا قابله" وسميت باسمي مُصادفةً وانتميتُ إلى عائلة مصادفة، وورثتُ ملاحظها والصفات وأمراضها:

- أولاً: خللاً في شرايينها وضغط دم مرتفع
- ثانياً: خجلاً في مخاطبة الأم والأب والحديقة - الشجرة
- ثالثاً: أملاً في الشفاء من الانفلونزا بفنجان بابونج ساخن
- رابعاً: كسلاً في الحديث عن الظبي والقبرة
- خامساً: مللاً في ليالي الشتاء
- سادساً: فشلاً فادحاً في الغناء^{١١}

الصدفة ها هنا لوغرتمية مُرعبة تُدخل كينونة

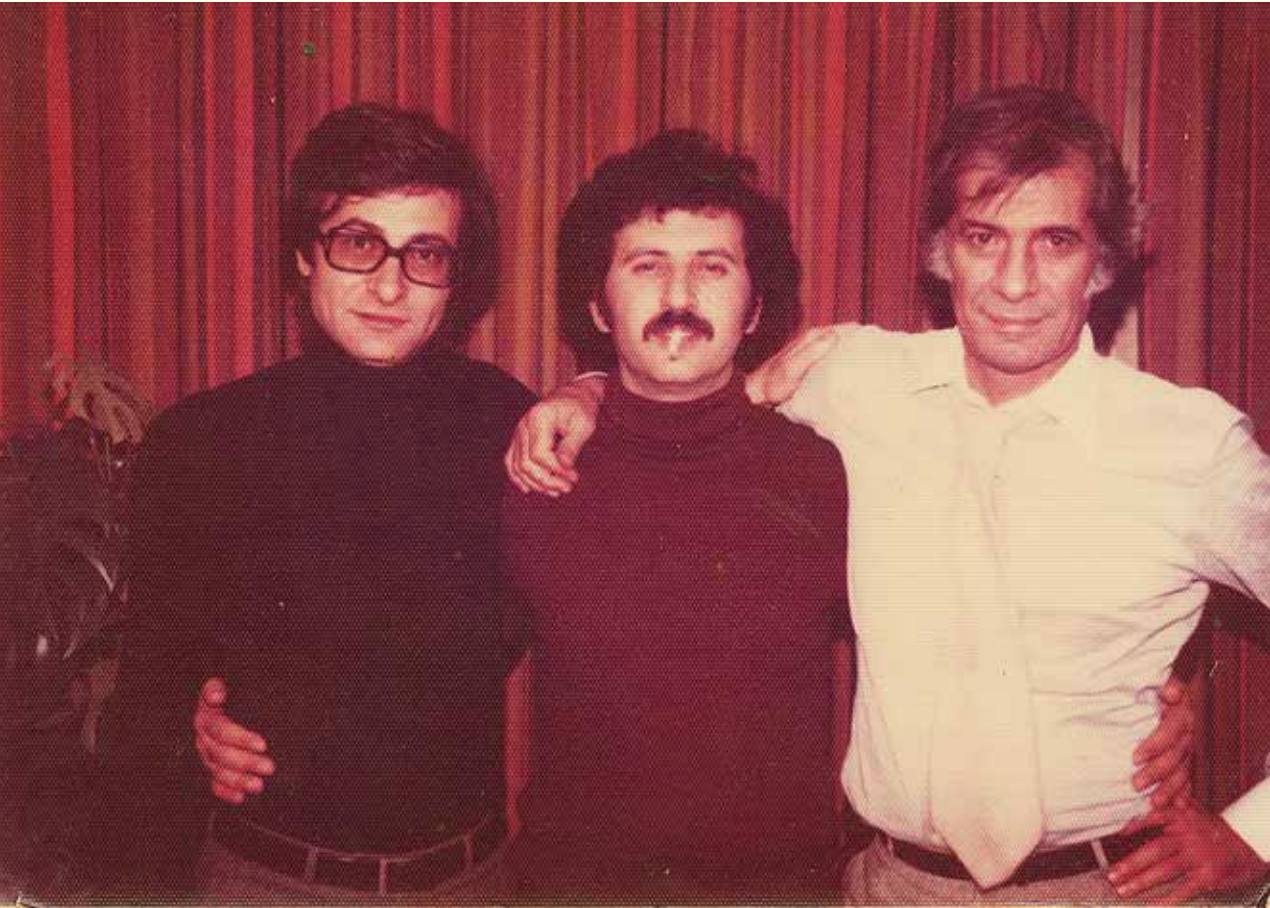
كانت صيغة تساؤلية: "مَنْ أنا؟"، ثم تحولت إلى صيغة استنكارية في الخاتمة: "مَنْ أنا لأخيب ظنَّ العدم؟" وبين "الاستفهام" و "الاستنكار" ستنحى الأمور منحى استقصائياً في متن القصيدة.

يتساءل درويش في بداية قصيدته: "مَنْ أنا لأقول لكم ما أقول لكم؟" وبعد أن ينفي كينونته كعنصر فاعل من عناصر الكون، يصدح بتعريف صريح لماهوية هذه الكينونة:

"أنا لاعب النرد، أربح حيناً وأخسر حيناً أنا مثلكم أو أقل قليلاً"^{١٢}

فهي ذات مُقامرة ابتداءً، أي أنّ وجودها مقترنٌ بالخط والصدفة العشوائية، وليس قائماً على البناء والتخطيط المُنظم. وليس للشاعر من حظ وسط هذه المقامرة الجماعية الكبيرة إلا أن يكون مُؤرخاً بارعاً لربحها أو خسارتها، وهي إذ تخسر أو تريح، وفقاً لمبدأ الخطأ أو الصدفة، فإنَّ ربحها أو خسارتها محض

مؤتمراً في مينابوليس
تظهر هذه الصورة
مؤتمراً عربياً-أمريكياً في
مينابوليس، حيث يجتمع
فيه الشاعر الفلسطيني
الشهير سميح القاسم،
والشاعر والكاتب الفلسطيني
معين بسيسو، ومحمود
درويش معاً.



الشاعر - بصفتها كينونة إنائية عن الذات العربية الكلية - في مأزق وجودي كبير. فالفعل الجنسي بين الأم والأب، بما هو فعل تأسيس في الحياة، هو فعل غير مخطط له:

"كان يمكن أن لا أكون
كان يمكن أن لا يكون أبي
قد تزوج أمي مصادفة"^{١٢}

بل كان وجوده محض نزوة عابرة أفرزت ذاتاً لم يكن ثمة نتيّة بالأساس لوجودها، لذا فإنها لا تعرف الدور المنوط بها أصلاً، ما أحال وجودها إلى وجود مُرهق مادياً ومعنوياً، وهذا منزع خطير على مسلكية الإنسان والمجتمعات على المستوى الحضاري. فالحضارة لا تُبنى على الصدفة والوجود العرضي، بقدر ما تُبنى على الرؤى والمخططات الواضحة من جهة، وبعيدة المدى من جهة ثانية. وهذا ما أكّد الشاعر محمود درويش على أنه غير موجود في

افتتاحية القصيدة صادمة: "مَنْ أنا لأقول لكم، ما أقول لكم" واختتامها استنكاري: "مَنْ أنا لأخيب ظنّ العدم"، ما يؤسس لـ "حسّ مأساوي" يُعلن عن الإغلاق الأنطولوجي للذات العربية

مجتمعاتنا العربية. فنحن لا نكتفي بوجودنا الطارئ فحسب، بل وبالأهمال والمواريث التي نرثها من الأجيال الطارئة السابقة، فهي تحمل على كاهلها، وفقاً للقصيدة:

١. إرث بيولوجي مليء بالأمراض التي تنتقل للأولاد من الآباء والأمهات.

"أولاً: خلافاً في شرايينها وضغط دم مرتفع"^{١٣}
٢. إرث سيكولوجي مليء بالعقد في التعامل مع الناس على اختلافهم، فالكائن هاهنا شبه متوجد ومسيّتحش.

"ثانياً: خلافاً في مخاطبة الأم والأب والجدّة الشجرة"^{١٤}
٣. إرث ثقافي مليء بالخرافات والخزعات، أو بالأحرى الـ "ما قبل علمية".

"ثالثاً: أملاً في الشفاء من الانفلونزا بفنجان بابونج ساحن"^{١٥}

٤. إرث حضاري بطيء ومتأخر عن العالم بقرون

كثيرة.

"رابعاً: كسلًا في الحديث عن الظبي والقبرة"^{١٦}

٥. إرث اجتماعي مليء بالفراغ واللاجدوى.

"خامساً: مللاً في ليالي الشتاء"^{١٧}

٦. إرث فني مليء بالرصاص والأصوات المخيفة والمرعية.

"سادساً: فشلاً فادحاً في الغناء"^{١٨}

يجعل من وجودها، أي الذات العربية، خارج السياق الحضاري بالمرّة. وشيئاً فشيئاً يُحكّم درويش قبضته المعرفية على عنق الذات العربية، ويجعلها تعترف بما آلت إليه من تردّد وانهايار عقب كل هذه العطالة الحضارية:

"كانت مصادفةً أن أكون ذكراً
ومصادفة أن أرى قمراً"

"كانت مصادفةً أن أكون
أنا الحيّ في حادث الباص"

"لا دور لي في المزاح مع البحر"

"ولا دور لي في النجاة من البحر"

"كان يمكن ألا أكون مُصاباً

بجِنِّ المُعلّقة الجاهليّة"^{١٩}

بإزاء هذه الصّدف المُميتة، يطول أمد الذات العربية وهي على قيد الحياة، ليس للاستمتاع بها أو باستكشاف إمكاناتها، بل لكي تشهد معاناتها ومأساة انحدارها وتقهرها وسيرها ببطء ناحية هاوية هلاكها:

"رحمتٌ مزيداً من الصحو

لا لأكون سعيداً بليالي المقمرة

بل لكي أشهد المجزّة

نُحوت مصادفة: كنتُ أصغر من هدف عسكري

وأكبر من نحلة تنتقل بين زهور السياج

الفداء مع محمود درويش

تُظهر هذه الصورة سميح القاسم واثنين من إخوته، نديم وسامي، وهم يتناولون الغداء مع محمود درويش. إنها لحظة مريحة وخيمية بين أصدقاء وعائلة من المهتمين بالثقافة والأدب الفلسطيني. بالترتيب من اليمين إلى اليسار: سُمَيَّة القاسم - نديم القاسم (الأخ) - محمود درويش - سامي القاسم (أخو سُمَيَّة). وظهره نحو الكاميرا/ صورة من موقع أرشيف المتحف الفلسطيني الرقمي، السنة: ١٩٧٠.



~~محمود درويش~~
 صورة تذكارية مع محمود درويش في عام
 ١٩٧٠ - سامي وسُمَيَّة القاسم مع سمح
 وسُمَيَّة سامي ونديم
 (١١) محمد قسب سفره ابي موسكو
 عام ١٩٧٠
 سمح - نديم - محمد - سامي

وخفت كثيراً على إخواني وأبي
وخفت على زمن من زجاج
وخفت على قطي وعلى أرني
وعلى قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العالية
وخفت على عنب الدالية
يتدلى كأثناء كلبتنا^{٢٠}

ثم في مشهد لافت يؤرخ محمود درويش لمآلات
الصدفة التي أنتجت هذه الذات المسلوقة،
المُحطمة، الخائفة، والنائية:

"ومشي الخوف بي ومشيت به
حافياً، ناسياً ذكرياتي الصغيرة عما أريد
من القد - لا وقت للقد -

أمشي/ أهول/ أركض/ أصدع/ أنزل/ أصرخ/ أنبح/
أعوي/ أنادي/ أو لول/ أصرع/ أبطئ/ أهوي/ أخف/
أجف/ أسير/ أطيّر/ أرى/ لا أرى/ أتعثر/ أصفز/
أخضر/ أزرق/ أنشق/ أجهش/ أعطش/ أتعب/
أسغب/ أسقط/ أنهض/ أنسى/ لا أرى/ أتذكر/
أسمع/ أبصر/ أهذي/ أهلوس/ أهمس/ أصرخ/ لا
استطيع/ أنن/ أجن/ أضل/ أقل/ وأكثر/ أسقط/ أعلو/
وأهبط/ أدمي/ ويغمي عليّ"^{٢١}

إذا دققنا في الأفعال السابقة التي صعد بها محمود
درويش حالة الالحدوى إلى درجة قصوى، سنجد
أن السرعة التي تطوي عليها هذه الأفعال ستجعل
منها أفعالا عاطفية أو غير عقلانية. فالذات الخائفة

الذات العربية في "لاعب النرد" هي "لاعب النرد":
وجودها مقترن بـ "الحظ والصدفة العشوائية"،
وليس قائماً على التخطيط، ما ينافي الشرط الأساسي
لأي بناء حضاري

عادة ما تفرز هرموناتها بشكل متسارع ومتهور،
ما يجعل من تصرفاتها تحت عتبة العقل، فغرائزها
هي التي تحركها، تحديداً غريزة البقاء، فثمة مفترس
يطارد فريسته ويريد أن يطيح بها ويقضي عليها،
فلا تجد مفراً من الهروب. وفي رحلة الهروب هذه
تتصاعد وتيرة التصرفات غير العقلانية، وهذا شيء
مُناف لأي بناء حضاري. فالحاضرة لا يمكن لها أن
تقوم إلا على توازنات عقلية كبيرة، حتى في صيغ
الكلام التي تبني أفعالها على المستوى النظري

أولاً، من هنا تبرز الأهمية الكبرى للأفعال، سريعة
الإيقاع، التي اختارها "درويش" آنفاً، للتعبير عن
حالة الطريدة الخائفة وهي تهيم على وجهها
في العالم، دون رؤية أو خطة أو مسار واضح
ومنتج، فالذات، في القصيدة، تمشي بإزاء الخوف
والخوف يمشي إزائها، صياد وطريدته: الخوف
صياد ماهر ومحترف والطريدة خائفة وهاربة، لذا
تندم الرؤية لديها بسبب هذا الخوف المتلاحق
والمُتعاضم، ولا هم لها إلا النجاة، والبقاء على قيد
الحياة، وفقاً لاشتراطات غريزة البقاء ليس إلا، لذا
فإن المستقبل، مع ما يتضمنه من رؤى مسيئة
لإحكام السيطرة على مسلكياته، غائب تماماً أو
ساقط تماماً من حسابات الطريدة. فأبديتها لحظة
آنية، وهذه الأنية مُستهلكة بالخوف الشديد، فهي
تريد النجاة من القبضة القوية والشديدة للصياد،
لذا تنتابها رغبة عارمة بالهرب، ولا تفكر بشي آخر
خارج الهرب، تمشي، تدرج خطوة إثر خطوة إلى أن
تستقيم لها الطريق فتأخذ بالهرولة ثم تتصاعد
وتيرة الهرمونات بين جنبها فتزداد سرعتها وتأخذ
بالركض، وفي غمرة سعار ركض الطريدة الخائفة
تتحول خطواتها إلى خطوات عبثية، فتأخذ بالسير
على غير هدى، فعيون بصيرتها الحضارية مفقودة،
لذا فإنها تتلمس طريقها وسط ظلام مخيف، تصعد،
ليس لغاية الصعود بل لتحرك بشكل غريزي
فحسب، تنزل، ليس لأنها خطت للنزول بل
لأنها تسقط في الهاوية. تصرخ، ليس لرغبة في
تفريغ ما هو سالب، بل خوفاً من بطش الصياد.
تنبح، فالكلاب تنبح ساعة تشعر بخطر داهم،
تعوي، مثل ذئب جريح، تُنادي، فريقيها على
وشك أن تدق من قبل الصياد، تولول، مثل ثور
مدبوح، تسرع، ترتفع نسبة الأدرينالين في جسدها
الخائف، تبطئ، ينقطع نفسها من شدة اللهاث،
تهوي، من شدة التعب، تحف، لا وزن لها حضارياً،
تحف، مات فلاسفتها وعلمائها، تسير، تعاود الكرة
حرصاً على بقائها، تطير، فالخوف يُخرجها عن
طورها تماماً، ترى، نهايتها وشيكة، لا ترى، تندم
بصيرتها، تتعثر، تتلعثم بخطواتها مثل طفل كسحج،
تصفر، توشك على السقوط، تحضر، تستعيد مجداً
قديمًا، تزرع، كمن تلقى ضربة على صدغه، تنشق،
الرغبة بانفتاح الأرض وابتلاعها خوفاً من صيادها
المتوحش، تجهش، بشارات النهاية المأساوية،
تعطش، الهلاك من التعب واللهاث، تتعب، الصياد



حَنَّا نَقَّارَه
المحامي الفلسطيني، مع
عائلته في لبنان. هذه الصورة
تعود إلى خمسينيات القرن
العشرين، بعد أن اضطُرَّ هو
وعائلته للنزوح بسبب حرب
١٩٤٨/ حياة عائلة فلسطينية
خلال فترة المنفى.

تقلُّ، الكثرة والوفرة صنيعة الحضارة، والقلة تقترب
بالحضارات من الموت، تكثر، هلوسات الهالكين في
اللحظات الأخيرة، تسقط، من علو شاهق، من أعلى
العالم إلى قاع المجتمعات الإنسانية، تلعو، لتشهد
حالة الاخطاط إذ تُقارن نفسها بالعلو الحضاري
للآخرين. تهبط، لتشهد أنفاسها الأخيرة قبل أن
تواري الثرى. تدمى، تُصيِّبها رصاصة الصياد. يُغمى
عليها، تغيب غيبته الكبري، معرفياً وحضارياً.
وفي استدراك لمآلات حالة الإغلاق التام لما هي
عليه الذات العربية، وغياب أي تخطيط مستقبلي،
نظراً لانشغالها بلحظتها الآنية بما هي لحظة
خوف هائل من الموت والعذم، فإنَّ الشاعر يدفع
بإمكانات قصيدته ناحية حدود قصوى، ليس
على ما هي عليه الآن فحسب، بل وما يمكن أن
ينتج عن هذا الآن الفجائي، فهو يندرج تحت باب
الصدفة أيضاً:
"إن القصيدة رميةٌ نردٍ

لا يترك لها فسحة للراحة. تسغب، فلا موارد لديها
لكي لا تجوع. تسقط، لا خيار إلا السقوط من شدة
التعب. تنهض، هرمونات البقاء أو ردأت فعل ما
قبل الموت والهلاك. تركض، مُعاودة الكثرة فالروح
منزع عظيم لا يمكن خسارته ببساطة. تنسى، لا
خيار أمام البقاء إلا نسيان الموت ولو أنا. ترى،
نهايتها الوشيكة. لا ترى، انعدام البصيرة. تتذكر، أنها
على قيد الحياة. تسمع، أصوات الصياد الماهر وهو
يُطاردها. تُبصر، خطواته وهو يقترب منها. تهذي،
وصول الخطر إلى مراكز القوة في الدماغ. تُهلوس،
تشوُّش الحواس لانعدام الإمداد من الدماغ.
تهمس، صوت الحياة الأخير. تصرخ، صحو الموت
الكبرى. لا تستطيع، تقع في الشراك ولا تتمكن من
الخروج. تنن، صوت الدَّم وهو يشخب. تُجنُّ، الشعور
الصادم بالخسارة الفادحة، أو الانتقال من الوعي
إلى اللاوعي لاستيعاب الصدمة الكبرى. تضل، أي
هداية تلك التي تكون على مشارف الهلاك الأخير!

على رُقعة من ظلام
تشعّ، وقد لا تشعّ
فيهوي الكلام
كريش على الرمل
لا دور لي في القصيدة
غير امثالي لإيقاعها:
حركات الأحاسيس حسناً يعدّل حساً
وحدساً يُنزل معنى
وغيبوبة في صدى الكلمات
وصورة نفسي التي انتقلت
من أني إلى غيرها
واعتمادي على نفسي
وحيني إلى النبع
لا دور لي في القصيدة إلا
إذا انقطع الوحي
والوحي حظ المهارة إذ تجتهد^{٢٣}
فالشاعر ينثر، بجراحة كبيرة وصادمة وصادقة،

الذات وريثة "إرث سلمي" بيولوجي، وسيكولوجي
(الخنجل والعقد)، وثقافي (الخرافات)، وحضاري
(الكسل والتأخر)، ما يجعل وجودها خارج السياق
الحضاري بالمرّة

محتويات كينونتنا العربية بجميع محتوياتها في العراء،
إذ لطالما سكت عن محتويات النسق الهويّاتي
أو ترك دونما مساءلات معرفية حقيقية. فقد
قرّ، أي ذلك النسق الهويّاتي، في أعماقنا خلاص
أنطولوجي أكثر منه خلاصة إبستمولوجية. ومع
عملية نثر المحتويات التي يشتغل عليها محمود
درويش في قصيدة "لاعب النرد" تنتشر الروائح
الكريهة في مجالنا الحيوي، بسبب العفن الذي حفّر
عميقاً فينا لقرون طويلة. وهذا بدوره أثر سلبي
على كل شيء في حياتنا، فعلاقتنا بذواتنا العميقة
هي علاقة مشوهة ومُحَيّفة:

"ولست أنا من الآن إلا
إذا التقت الانثنان:

أنا، وأنا الأثنوية
يا حُب! ما أنت؟ كم أنت أنت
ولا أنت. يا حُب! هُب علينا

عواصف رعدية كي نصير إلى ما تحبّ
لنا من حلول السماويّ في الجسديّ^{٢٣}
وعلاقتنا بالحياة ذاتها، من ألفها إلى يائها، مُشوّهة
وناقصة هي الأخرى أيضاً، فالحياة تتقدّم بخطّ
ثابتة وسريعة ناحية التقدم الحضاري، فيما نحن
واقفون، وقفة أبدية، في نسق مُفلق، تسيطر عليه
أوهام وهلوسات لذيدة:
"للحياة أقول: علي مهلك انتظريني
إلى أن تجف الثمالة في قدحي

...
انتظريني لئلا تفرّ العنادلُ مني فأخطئ في اللحن
في الساحة المنددون يشدّون أوتار آلاتهم
لنشيد الوداع. علي مهلك اختصريني
لئلا يطول الشيد، فينقطع النبر بين المقاطع
وهي ثنائية والختام الأحادي:
تحيا الحياة!

على رسلك احتضني لئلا تبعثني الريح^{٢٤}
وفي استكمال لهذا الموقف الأُمّنيّاتي، المخيالي من
الحياة، يُصغّد درويش من حدّة المأساة بما هي
نسق فاعل في واقع يرفل أهلُه وينعمون بأوهام
وطوباويات مُخدّرة:
"لولا وقوفي على جبل
لفرحت بصومعة النسر: لا ضوء أعلى
ولكن مجدّاً كهذا المُتوجّ بالذهب الأزرق اللانهائي
صعبُ الزيارة: يبقى الوحيدُ هناك وحيداً
ولا يستطيع النزول على قدميه

فلا النسر يمشي
ولا البشري يطير
فيا لك من قمة تشبه الهاوية

أنت يا قمة الجبل العالية^{٢٥}
إلى حدّ تُصبح معه ذروة الوجود هاوية سحيقة، إذ
لا قيمة للأمة ولا وزن لها على المستوى الحضاري،
فهو محض فائض عن الحاجة بشكل كامل، أو في
أحسن التقديرات منفصلة بأفعال الآخرين من
جهة ومفعول بها من جهة ثانية. فالذات الكلّية في
تحليلاتها الحيّاتية لا تملك شيئاً من شأنها، لا في زمنها
الحالي ولا في أزمانها المستقبلية:

"ليس لي أي دور بما كنْتُ
أو ساكون^{٢٦}

وفي خضمّ هذه السلبية المُطلقة، يعود درويش
شيئاً فشيئاً إلى المُنطلق الذي بدأ منه، أعني
عودته إلى سؤال الكينونة الذي طرحه بصيغة

<

حرب ١٩٤٨

صورة بالأبيض والأسود
لمجموعة من المقاتلين أثناء
الدفاع عن مدينة القدس في
حرب ١٩٤٨، تم العثور عليها
في مجموعة مركز السنابل
للدراسات والتراث، السنة:
١٩٤٨.



التي تحتكم إليها هذه الذات في تعالقاتها مع الآخرين تفتقر إلى التوازن الأفقي، نظراً لغياب أي ندية. لذا يتم اللجوء، كحالة استيعاضية أو كحالة هروبية، إلى الخيال والطوى والتهويم والتهويل. ومن شدة الخراب الذي شهد عليه الشاعر داخل قصيدته، أحوال الصيغة الاستفهامية، أولاً، لسؤال: "من أنا؟" والصيغة الاستقصائية له، ثانياً، إلى صيغة استنكارية نهاية المطاف. فصيغة: "من أنا؟" الاستفهامية لم تعد كافية، مرحلة ما بعد الاستقصاء، لذا ثمة استدعاء لصيغة الاستنكار: "من أنا لأخيب ظنّ العدم، من أنا من أنا؟" فالخراب الهائل في عالم الشهادة، يستلزم ذهاباً إلى العدم. واللحظة التي يُعلن فيها الشاعر عن ولادة الصيغة الاستنكارية ليست لحظة موت حضاري فحسب، بل هي لحظة موت سريري أيضاً: "ومن حسن حظي أني أنام وحيداً فأصفي إلى جسدي وأصدق موهبي في اكتشاف الألم فأنادي الطبيب، قبل الوفاة، بعشر دقائق عشر دقائق تكفي لأخيا مُصادفة وأخيب ظنّ العدم من أنا لأخيب ظنّ العدم؟ من أنا؟ من أنا؟"^{٢٧}

لكن السؤال الذي ينبغي طرحه ها هنا هو: هل يتفق هذا الرثاء الكبير مع مقتضيات عصر النهضة، التي انطلقت فيها شرارات كثيرة وعديدة، أعادت، ولو بنسب قليلة، الاعتبار الحضاري للذات العربية، بعد أن غابت لمدة تقارب الألف عام؟ أو بلغة ثانية، أليست قصيدة "لاعب النرد" توصيف بارع، وإن كان ذا طابع مأساوي، لما آل إليه العالم العربي حتى بعد قرنين من عصر من النهضة المنشودة؟

أيمكن الحديث عن مرحلة النهايات لعصر النهضة العربية، إذ لم يُقم "محمود درويش" بعملية رثاء من عبث، بل جاء الرثاء بعد تقصّ لما آلت إليه أوضاع الذات العربية سواء في علاقاتها الداخلية أو في تعالقاتها الخارجية؟

ربما، مع إمكان عدم التحقق في إجابة أخيرة وقاطعة، إذ يمكن التأشير على هذا التاريخ المأساوي، وإن كتب بلغة جميلة وآسرة، على أنه جزء صعب وقاسي من تشخيص المرض بدقة كبيرة، مع التأشير، مرة أخرى، أن تشخيص المرض جزء من علاجه.

استفهامية بداية قصيدته: سؤال: "من أنا؟" وقد تكّلت هذه العودة باستقصاء عن طبيعة هذه الكينونة في رحلة التقدم ناحية الأمام، ليصل في النهاية إلى حالة إغلاق أنطولوجي ستفرض عليه أن يُعيد سؤال الكينونة بصيغة استنكارية هذه المرة.

كمُفتتح يمكن تفهّم سؤال الكينونة: "من أنا؟" بما هو سؤال استفهامي يُراد منه البحث عن تعديد مفاهيمي لمصطلح الذات الكلية. فالسؤال في دققيته الأولى سؤال مشروع من جهة، وضروري من جهة ثانية، مشروعيته تتأتى من مُنطلق معرفي، وضروريته تتأتى من مُنطلق حضاري. وباندماج المشروعية والضرورية يمكن التأشير على البُعد الهوياتي لأيّ كيان يتموقع في الزمن والمكان، شريطة أن تبقى معادلة: ١- المشروعية. ٢- الضرورية حاضرة في عمق سؤال الكينونة، حتى لا

الأفعال السريعة في مشهد الهروب ("أمشي / أهول / أركض...") تعبر عن ذات "طريدة خائفة" تحركها غريزة البقاء فقط، فتتعدّم رؤيتها وتغيب حسابات المستقبل والحضارة لصالح اللحظة الآنية

تتحول هذه الكينونة إلى حالة مُغلقة تُميت غيرها وتموت هي ذاتها.

هذا المستوى تحقق في باكورة "لاعب النرد"، في "من أنا؟" وضع الكينونة موضع تساؤل، انطلاقاً من صيغتي:

١. المشروعية.
٢. الضرورية.

ولكي تأخذ هذه الصيغة المزدوجة فاعليتها على المستوى المعرفي، كان لا بُدّ للشاعر أن ينتقل من صيغة الاستفهام إلى صيغة الاستقصاء لسؤال "من أنا؟". وفي هذا المستوى من الصياغة اكتشف الشاعر الويلات التي تعاني منها الذات الكلية، ابتداءً من الويلات على المستوى البيولوجي وليس انتهاء بالويلات على المستوي الحضاري. فشبكة العلاقات التي تحكم تعاقد الذات العربية بميكانيزماتها الداخلية هي شبكة مُتهالكة ومُتآكلة وفي طريقها إلى التلاشي والعدم. وشبكة العلاقات

الهوامش:

١. موقع مؤسسة محمود درويش على الرابط التالي:
<https://www.mahmouddarwish.ps/article/645/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9>

٢. لقد اشتهرت قصيدة (بطاقة هوية) لمحمود درويش بمقطع (سجل أنا عربي) أكثر من شهرتها باسمها الأصلي. يمكن مراجعة أوراق الزيتون ضمن الأعمال الكاملة لمحمود درويش بطبعتها الأولى، المجلد الأول، الصادرة عن مؤسسة محمود درويش ودار الناشر، رام الله، فلسطين، والمكتبة الأهلية في عمان، الأردن، ص ٧٤-٧٨

٣. يمكن مراجعة قصيدة مديح الظل العالي ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لمحمود درويش، المرجع السابق، ص ٧١٥-٧٧٦

٤. درويش، محمود، جدارية، مؤسسة محمود درويش، الأهلية للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط ٢٠١٣، ١

٥. درويش، محمود، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، قصيدة لاعب النرد.

٦. درويش، محمود، جدارية، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٦.

٧. سأقترح عدداً من المؤلفات، على سبيل المثال لا الحصر، التي من شأنها إلقاء الضوء على ما اصطلح عليه بعصر النهضة العربية، منها:

الفكر العربي في عصر النهضة / ألبرت حوراني.
 تخلص الإبريز في تلخيص باريز / رفاعه الطهطاوي.
 رسالة التوحيد / محمد عبده. في الأدب الجاهلي / طه حسين. لماذا أنا ملحد / إسماعيل أدهم. الشخصية المحمدية / معروف الرصافي. الله / عباس محمود العقاد [هذا الكتاب في جوهره تلخيص لكتاب رسالة في الدين الطبيعي لديفيد هيوم]. نقد الفكر الديني / صادق جلال العظم. أزلا د حارتنا / نجيب محفوظ. من العقيدة إلى الثورة / حسن حنفي. بيان في النهضة والتنوير العربي / طيب تيزيني. الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب / أدونيس. مشروع نقد العقل العربي / محمد عابد الجابري. الرسالة الثانية للإسلام / محمود محمد طه. العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب

والإنسان والطبيعة / محمد أبو القاسم حاج حمد.
 الكتاب والقرآن / محمد شحرور. الإسلام بين الرسالة والتاريخ / عبد المجيد الشرفي. ليلة الفلق / فتحي بن سلامة... إلخ.

٨. درويش، محمود، ديوان لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، قصيدة لاعب النرد، مرجع سابق، ص ٣٣

٩. المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤

١٠. السابق، ص ٣٤

١١. السابق، ص ٣٤

١٢. السابق، ص ٣٥

١٣. السابق، ص ٣٤

١٤. السابق، ص ٣٤

١٥. السابق، ص ٣٤

١٦. السابق، ص ٣٤

١٧. السابق، ص ٣٤

١٨. السابق، ص ٣٤

١٩. السابق، ص ٣٦-٣٧

٢٠. السابق، ص ٣٦-٣٧

٢١. السابق، ص ٣٨-٣٩

٢٢. السابق، ص ٤١-٤٢

٢٣. السابق، ص ٤٢-٤٣

٢٤. السابق، ص ٤٤

٢٥. السابق، ص ٤٥

٢٦. السابق، ص ٤٥

٢٧. السابق، ص ٥٢-٥٣ ▶



أعمال محمود درويش
 تتناول أعمال محمود
 درويش غالباً مواضيع
 الوطن، والنفي، والمقاومة،
 والهوية الفلسطينية، والحب.

المرأة الفلسطينية في مواجهة الإحتلال الصهيوني

معالم وإشارات



المعتصم بالله عدنان مطر

باحث ومدير لجمعية القبة
الثقافية • الأردن



المقدمة

ملامح مواجهة المرأة الفلسطينية

للاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٤٨م

منذ نكبة عام ١٩٤٨، شكلت المرأة الفلسطينية ركناً أساسياً في مسيرة النضال الوطني، حيث واجهت سياسات الاحتلال "الإسرائيلي" بالتهجير والقمع والتهميش، إلا أنها لم تقف موقف الضحية فقط، بل تحولت إلى فاعل رئيسي في الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم الأسرة والمجتمع، والمشاركة في العمل السياسي والمقاومة الشعبية.

وفي أعقاب النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م، واجهت النساء الفلسطينيات التهجير الجماعي وفقدان الأرض والبيت. ورغم الصدمة، لعبن دوراً محورياً في إعادة بناء الحياة داخل المخيمات، وحافظن على التراث واللغة كوسيلة لمواجهة محاولات الاحتلال طمس الهوية، ومع تنامي العمل الفدائي، انخرطت النساء في صفوف المقاومة، وبعضهن شاركن في العمل المسلح، في حين تولت أخريات العمل التنظيمي والإغاثي داخل المخيمات، وقد أسهمت الجمعيات النسوية في دعم الأسر المتضررة والحفاظ على تماسك المجتمع الفلسطيني. وخلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٩٣-١٩٨٧م لعبت المرأة الفلسطينية دوراً أساسياً في الانتفاضة، إذ نظمت المظاهرات والإضرابات الشعبية، وأسست شبكات تعليم بديلة بعد إغلاق



• أولاً: الإيمان بالقضية الوطنية والهوية الفلسطينية: حيث تعتبر الهوية الوطنية مصدر قوة للمرأة الفلسطينية، حيث تدرك أن صمودها هو دفاع عن الأرض والتاريخ والذاكرة الجماعية، وهذا الوعي العميق بالقضية جعلها ترى نفسها جزءاً من النضال العام، لا مجرد متفرج.

• ثانياً: الدور الأسري والاجتماعي
فقد تحمّلت المرأة مسؤولية الأسرة في ظل غياب الزوج أو الأب بسبب الاعتقال أو الاستشهاد، وقامت بدور مزدوج: رعاية الأسرة وتربية الأبناء على الصمود، إلى جانب المشاركة في النضال المجتمعي.

• ثالثاً: التعليم والوعي الثقافي
سعت النساء الفلسطينيات إلى التعليم رغم العراقيل التي يفرضها الاحتلال، ما عزز من وعيهن السياسي والاجتماعي، إلى جانب أن التعليم مكن المرأة من المشاركة في العمل النقابي والسياسي والإعلامي، وإيصال صوتها للعالم.

• رابعاً: الاضطراب في المقاومة الشعبية والسياسية
إذ شاركت النساء في الانتفاضات، والمظاهرات، واللجان الشعبية، ما عزز مكانتهن ودورهن في المجتمع، وقد منح هذا الاضطراب المرأة الفلسطينية شعوراً بالقوة، وحولها من ضحية إلى فاعل في النضال الوطني.

• خامساً: الدعم المجتمعي والتضامن الداخلي
إن العادات والتقاليد الفلسطينية تعزز قيم التضامن والتكافل بين النساء، حيث ساعدت الجمعيات النسوية في رعاية أسر الشهداء والأسرى، وهذا التضامن منح المرأة شبكة حماية اجتماعية تقوي من قدرتها على الصمود.

• سادساً: الإبداع الأدبي والثقافي
ساهمت المرأة الفلسطينية من خلال الأدب والثقافة والحياة الجامعية بدعم القضية الفلسطينية وتوثيق نضالها، فضلاً عن كون هذا المسار ساعد في صمود المرأة وانتماؤها لتراثها ودينها.

هذا وقد حرصت المرأة الفلسطينية منذ بداية الاحتلال البريطاني، مروراً بأحداث ١٩٤٨ وما حدث من محاولات للتطهير العرقي، على المحافظة على السردية الفلسطينية المتناقلة عبر الأجيال، ومهما حدث وأينما ذهبت كانت روايتها الشعبية الخاصة، لتستمر منبعا لعائلتها جيلاً بعد جيل يؤكد هويته الفلسطينية، توضح إصرارها على العودة لموطنها

الاحتلال للمدارس، وقادت النساء لجان المقاومة الشعبية التي تولت مهام إغاثية وتنظيمية، بينما في الانتفاضة الثانية ٢٠٠٠-٢٠٠٥م "انتفاضة الأقصى"، في هذه المرحلة، اتسع استهداف الاحتلال للنساء بالاعتقال والملاحقة. وقد وثقت مئات الحالات لأسيرات، بينهن قاصرات وأمهات. في الوقت ذاته، ظهرت مشاركة نسائية بارزة في المظاهرات والمقاومة الشعبية، ما عزز من حضور المرأة كرمز للنضال (الهي، ٢٠٠٩، ص ٦٠٥).

وفي مرحلة الحصار والحروب على غزة وسائر الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام ٢٠٠٧ وحتى الآن تواجه المرأة الفلسطينية تحديات مركبة نتيجة الحصار والقصف المتكرر، ورغم الظروف الإنسانية القاسية، أسهمت النساء في مؤسسات حقوقية وإغاثية وإعلامية، وعملن على توثيق الجرائم والدفاع عن الحقوق في المحافل الدولية. كما تحملت المرأة الفلسطينية أعباء مضاعفة في غزة، لكنها تواصل إدارة الحياة اليومية وصون الهوية الوطنية والصبر في ظل القتل والدمار والإبادة الكاملة لكل مظاهر

شكّلت المرأة الفلسطينية منذ نكبة ١٩٤٨ ركناً أساسياً في مسيرة النضال الوطني، حيث تحولت من مجرد "ضحية" إلى فاعل رئيسي في الحفاظ على الهوية الوطنية ودعم المجتمع

الحياة. وبالتالي فقد واجهت المرأة الفلسطينية الاحتلال منذ عام ١٩٤٨ بثلاثة مسارات رئيسية: الصمود الاجتماعي وحماية الهوية، المشاركة في العمل المقاوم والسياسي، والمساهمة في الجهد الحقوقي والثقافي والإعلامي، ورغم التهجير، والقمع، والاعتقال، فإنها لم تكتف بدور المتأثرة بالحدث، بل تحولت إلى فاعل محوري في صياغة المشهد الوطني الفلسطيني، وتوثيق هذه التجربة بشكل شهادة حية على قدرة المرأة الفلسطينية على تحويل الألم إلى قوة، والمعاناة إلى فعل مقاوم مستمر.

عوامل صمود المرأة الفلسطينية في وجه الاحتلال "الإسرائيلي" (المسيري، ١٩٩٧، ص ٧٣)

متطلبات كل مرحلة، وتحملت كأم مشاق الحياة وتربية الأبناء ورعايتهم، في ظل غياب الزوج معتقلاً في غياهب السجون أو شهيداً، وينتشر نموذج المرأة الفلسطينية التي قامت وتقوم بالإعداد الجيد والتربية للأبناء، ومن ثم تسوية السلوك وصولاً إلى التعبئة الوطنية والتحشيد، وتغليظ ذلك تحت إطار "تحرير الوطن"، مع اتصال بالهوية الأصلية، وبقين بالحق في هذا الوطن، والتي تتجاوز العواقب مهما كانت صعبة، حيث سجلت المرأة التضحيات ولا تزال؛ فلا تكاد ترى عائلة فلسطينية إلا وقد فقدت فرداً منها أو اعتقل أحد أبنائها، أو تهدم منزلها وشردت، وفي القدس انطلقت دفاعاً عن بيت المقدس من الاحتلال مرابطة ومقاومة، ونسجت صوراً راقية لحسن التوكل على الله والرضى بقدره (علي، ٢٠٠٧، ص ١٣-٤١).

التحديات التي تواجه المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني

برزت التحديات في التربية في مواجهة المرأة

مع أسرتها وقد بدأت حياتها تعاون أسرتها في الحقل، ومعيينة في الاقتصاد في الداخل والخارج، وهي في تلك المراحل ربة الأسرة التي ترعاها، وتؤكد المعاني الأصلية للتمسك بالوطن والحفاظ على هويته للحفاظ على الموروث بين أفراد أسرتها ومجتمعها، وتسعى المرأة الفلسطينية في ميادين تواجهها في البيت وخارجه للمساهمة في بناء أركان بيتها ومجتمعها ووطنها، راعية للأسرة، وعاملة على الارتقاء بها، وهي المنبع الأول للمعرفة لدى الجيل: في الثقافة، وفي الوعي، وفي رسم الهوية، وفي حفظ التاريخ وسرياته المختلفة.

في ظل الهجمة الشرسة على المجتمع الفلسطيني، وهويته الأصلية، وعناصر التراث الفلسطيني، ومفردات الثقافة، وفي محاولة الاحتلال الصهيوني لسرقة التاريخ وكى الوعي، ومع الواقع الصعب الذي جعل المرأة الفلسطينية تحمل المجتمع الفلسطيني الذي يتعرض رجاله للاستهداف بكافة الطرق من المحتل. شاركت المرأة الفلسطينية ولا تزال في الدفاع عن فلسطين، وحملت على عاتقها تنشئة "جيل التحرير"، بما يتناسب مع

✓
شجرة الليمون
فيلم "شجرة الليمون" يروي قصة أرملة فلسطينية تضطر للدفاع عن بستان أشجار الليمون الخاص بها بعد أن ينتقل وزير الدفاع الإسرائيلي الجديد للسكن بجوارها ويهدد بتدمير بستانها.



و ضرب مناعته الفكرية والوجدانية والنفسية، من خلال فكرة المشاركة مع الآخر، رغم ما فيها من ضياع للإرث، وذوبان للهوية، وما يتبعها من تحويلات ملزمة في المناهج، و بما لا يتناقض مع الاتفاقيات المعقودة.

دور المرأة الفلسطينية في حماية الهوية وصون ثقافة مجتمعا

إن أي تخطيط يحتاج أن يتضح جلياً في إطاره المفاهيمي أو التنفيذي، ولا بد له من كامل الشروط والتقنيات اللازمة لنجاحه، وهذا الأمر يحتاج حتماً إلى وحدة المفهوم: الأمر الذي روته المرأة الفلسطينية في بنائها للجيل كخيوط النسيج، وهذا ما أجمعت عليه الأمهات الفلسطينيات وغيرهن من خنساوات الوطن ممن سبق وممن تلا في مواجهة العدو ومجابهته، بالعديد من العبارات التي لا يحسن صياغتها في تلك اللحظات أحد مثلهن (دويكات، ٢٠١٩، ص ٢-١٦):

"النفوس يمكن تعويضها، لكن المسجد الأقصى لا يمكن تعويضه"

"الحمد لله الذي كرمني باستشهادهم، وأرجو أن يجمعني بهم في الجنة"

"قطعة مني سبقتني إلى الجنة"

"اللهم إني أستودعك فلذة كبدي يا الله"

ومن هنا، فإن برنامج التنمية والحفاظ على الهوية وحماية التراث للمجتمع الفلسطيني هو أمر يبدأ من كافة المحاور ضمن منهجية التخطيط، والميدان يرسمها، ورغم كل تلك التحديات، برز دور المرأة الفلسطينية كجزء من المجتمع لأداء دورها الرسالي وتحقيق الوحدة الفكرية والثقافية للجيل، وتكون المسؤولة عن نشر الثقافة والقيم والتعاليم بين الأبناء من خلال التربية والتدريب والمتابعة اليومية، وذلك عبر أدوار عدة أبدعت في تأديتها على النحو التالي (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٢١):

• أولاً: هي المربية أماً وأختاً وزوجة وبنناً واعية، وذلك من خلال تنشئة جيل لا يخاف الاحتلال الصهيوني، وتربية الأبناء على حب فلسطين والتضحية من أجلها، وكانت الأم الفلسطينية أول من يفرح عند استشهاد الابن والأخ والزوج والأب قبل أن تحزن على فقدانه، وهي التي أنجبت جيلاً يُقبل على الشهادة ومقارعة الاحتلال.

الفلسطينية فيما يتعرض له الجيل، وقد بدأ ذلك بالاختلاط الإجباري مع الكيانات المختلفة، إما عبر الهجرة، أو غيرها من تبعات الاحتلال، كذلك غياب دور الأب بما يمثله من مصدر حماية واطمئنان ومرجعية إسناد للأسرة والأبناء، بعد أن أصبح هو الآخر عرضة للتغيرات والغياب سواء بموت أو استشهاد أو سفر، مما يؤدي إلى فجوة تربوية داخل الأسرة، و إلى صراع الأجيال، وما ينتج عنه من ضعف الجسور الممتدة بين الأجيال السابقة واللاحقة، وتساعد فيه بعض المؤثرات مثل: الاحتلال وما يتعلق به بشكل عام، والعولمة، والإعلام الموجه، وتشتت دور الأسرة، والأفكار الدخيلة، والثقافة الغربية.

المرأة الفلسطينية والذاكرة الجمعية الموروثة

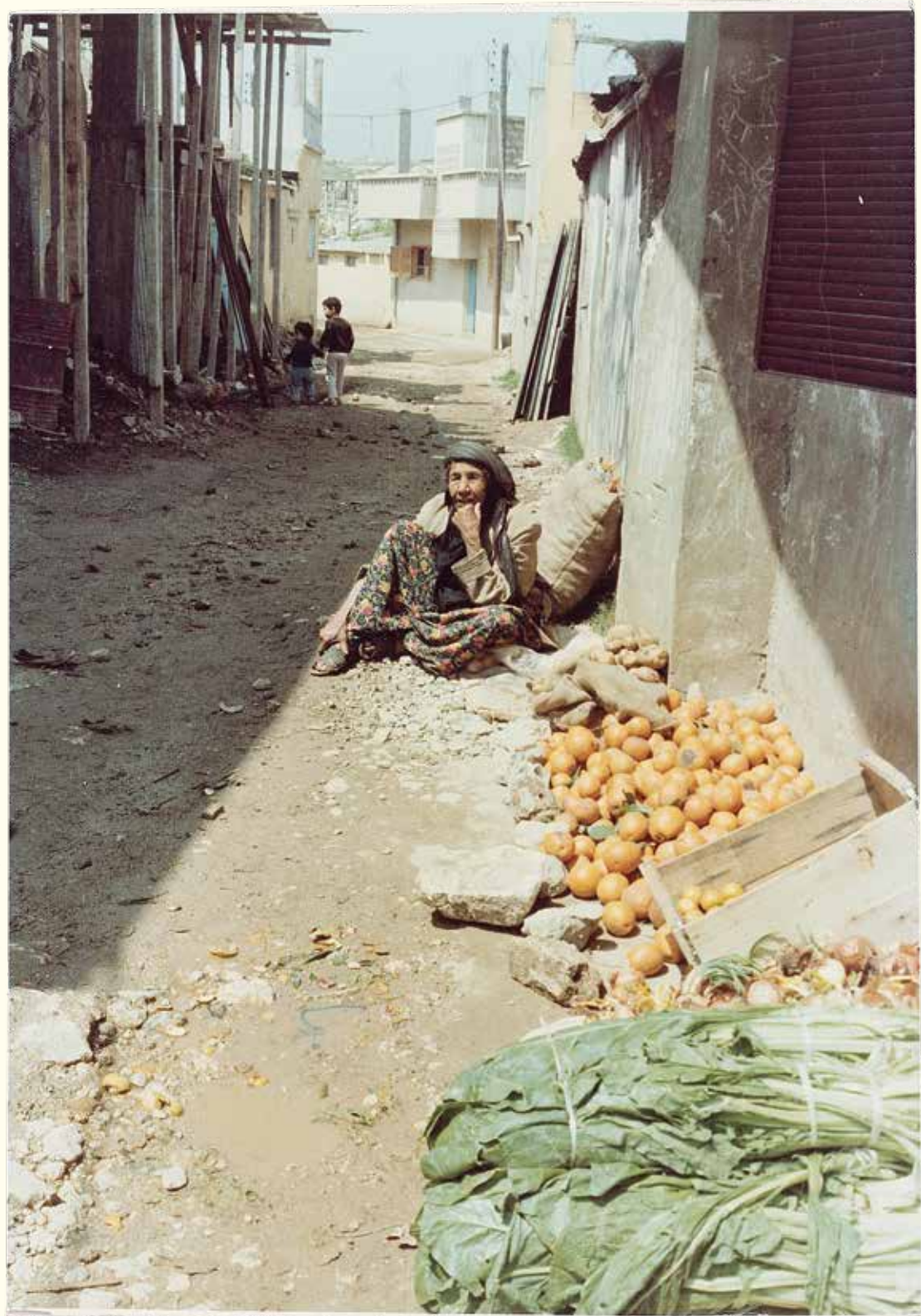
تقوم الأم الفلسطينية بدور عظيم لبناء الأجيال التي ستقود مسيرة النضال، ونشر الحق والمعرفة الأصيلة عبر الثقافة العربية والإسلامية التي تغرسها في الأذهان، وهي نواة البيت، وتعتبر لفة هذه الأم من أسس الثقافة لأنها أول لفة يكتسبها الطفل، وتغرس لهجتها فيه طوال عمره، فيزرع بيان لسانها فكراً لا تؤثر فيه المتغيرات إن أحسنت الغراس، ولعل هذا الدور يتمركز حول العديد من التفاصيل التي تظهر في الحفاظ على الذاكرة الموروثة للفرد والجماعة، فيما يطلق عليه: "الذاكرة الجمعية"، ورغم اختلاف تعريفات الذاكرة الجمعية، يمكن القول أن: "الذاكرة الجمعية هي ظاهرة مجتمعية، وليست مجرد إرث بيولوجي؛ ذلك أن ارتباط شأن جماعي بصورته المتكاملة يرتبط بمن كانوا معاً، ولتكتمل الذاكرة التاريخية الجمعية لا بد من اجتماع ذكريات الآخرين لتثبيت موروث عميق ومؤكد للهوية" (صوافطة، ٢٠٢١، ص ٣٩-٣١).

وحينما تتمثل الجماعة ماضياً وتذكره: فإن ذاكرتها المترابطة تبقى مدركة هويتها الخاصة بها عبر الزمن، وهو ما تأتي معه أهمية الفكر في حياة العائلة الفلسطينية التي تمثلها المرأة الفلسطينية عماد هذه الأسرة، بما تجمع به الأفراد حولها، وتعنيهم للمضي والاستمرار، ولعل في التطبيق الثقافي مع الاحتلال الصهيوني وانعكاساته السلبية على الفرد ما يشرح الأمر: حيث يتم استهداف

<

عجيم البداوي لللاجئين

صورة ملونة لامرأة تبني
الخضروات والفواكه في مخيم
البداوي للاجئين الفلسطينيين
عام ١٩٨١.



• **سادساً:** وهي من يحسن الحفاظ على الهوية وبناء الإنسان ضمن منظومة قيمية: وهذا يمثل مشروعا للمجتمع الفلسطيني بأكمله: ليعرف ماضيه ونضالاته وأعلامه منذ بداية الاحتلال الصهيوني وحتى اليوم، ويستمر حاضره على أسس واضحة يستطيع بها أن يسترد أرضه المسلوبة، ولقد أوجدت الهوية الفلسطينية العميقة في المرأة الفلسطينية ومجتمعها من حولها إصراراً ونهجاً وطنياً فردياً وجماعياً للتحرر ومقاومة المحتل عبر خريطة طريق متعددة التفرعات: بدأت بالكلمة والموروث الثقافي الديني والتاريخي مروراً بالفولكلور والغذاء والتاريخ المكتوب والمروي شفاهة بالتواتر، كما أن الحفاظ على الهوية يجعل المرأة الفلسطينية والجيل الذي تربيته يتلمسون خطواتهم في طريق التحرر من الاحتلال على أرضية راسخة، فتمضي قوية بلا خوف أو خلل تقود شعباً هي له مربية و راعية، وبذلك يتكون المستقبل مع وعي وحرس هذه المرأة الفلسطينية (Kanaana, 2018, p.1; Holt, 2018, p.1).

نظرة الاحتلال "الإسرائيلي" للمرأة الفلسطينية ودورها

تمثل المرأة الفلسطينية أحد أعمدة الصمود في وجه الاحتلال "الإسرائيلي"، فهي ليست مجرد ضحية للصراع، بل فاعل أساسي في مواجهة الاحتلال وحماية الهوية الوطنية. ومع ذلك، ينظر إليها الاحتلال بعين مزدوجة: فمن جهة يسعى إلى تهميشها وكسر إرادتها عبر سياسات القمع والتضييق، ومن جهة أخرى يتعامل معها كخطر ديمغرافي وأمني بسبب قدرتها على إنجاب أجيال جديدة من الفلسطينيين، والمشاركة المباشرة في النضال. تتجلى هذه النظرة في سياسات الاحتلال اليومية: فالمرأة الفلسطينية تواجه الاعتقال الإداري، والتعذيب النفسي والجسدي في السجون، ومنع السفر، وحرمانها من أبسط حقوقها. وتشير تقارير المؤسسات الحقوقية الفلسطينية والدولية إلى وجود مئات الأسيرات في سجون الاحتلال على مر العقود، كثير منهن اعتقلن لمشاركتهم في المظاهرات أو لأنهن قدمن خدمات إنسانية للمقاومين. ويستخدم الاعتقال بحق المرأة أداة

• **ثانياً:** وهي جبهة الدفاع عن التراث الأصيل، والحق التاريخي في القدس والخليل وجنين، وفي حيفا وعكا وصفد والجليل، وفي غزة وكل أرجاء فلسطين، تدافع وتذود عما تبقى من بيوت الفلسطينيين، في وسط محاولات مستميتة لتهويد الأحياء، وطرد العرب والمسلمين، وخلق الخطأ بالصواب.

• **ثالثاً:** وهي المراقبة في المسجد الأقصى لا تنفك تحرسه، تصلي فيه، تعلم القرآن الكريم، وتشغل مصاطب العلم فيه، وتناضل في سبيل دفع انتهاكات المستوطنين لمسرى رسول الله (ص)، فأضحى هي وأخواتها شوكة في حلق الصهاينة. وحصناً منيعاً يصد عن حرمان القدس والمسرى، ومنهن هنادي الحلواني، التي يصفها الاحتلال الصهيوني بأنها المرأة الأخطر في القدس، ويستمر بملاحقتها ومنعها من دخول المسجد بأبشع الطرق: كالاعتقال الذي وصل إلى ما يزيد عن ٦٥ اعتقالاً وتحقيقاً فضلاً عن اقتحام منزلها وتدمير محتوياته أكثر من ١٢ مرة.

لعبت المرأة دوراً محورياً في إعادة بناء الحياة داخل المخيمات، وحافظت على التراث واللغة كوسيلة لمواجهة مخططات الاحتلال لطمس الهوية وتزييف التاريخ الفلسطيني

• **رابعاً:** وهي الخنساء التي قدمت بعضهن أربعة أو خمسة من أبنائهن، شهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ومنهن من فقدت في معركة طوفان الأقصى جميع الأبناء والأخوة والآباء والأمهات، ومع ذلك تكون صابرة ومحتسبة في تأصيل حقيقي للتراث وثقافة المقاومة والهوية الإسلامية والحقوق الفلسطينية التاريخية الباقية حتى النهاية.

• **خامساً:** وهي المقاومة والاستشهادية التي قدمت نفسها في كثير من الأحيان والمواقف والمعارك منذ ثورة البراق ١٩٢٩م وحتى يومنا هذا، حيث تحفظ سجلات الشهداء أسماء كثيرة لفتيات ونساء فلسطينيات قُدمن أرواحهن من أجل القضية المرتبطة بالأرض الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى وبعضهن استشهدت وهي تتجاوز ٧٥ سنة من عمرها في مواجهة الاحتلال الصهيوني.

الجماعية للشعب الفلسطيني. ولهذا تحاول سياسات الاحتلال تفكيك هذا الدور عبر ضرب التعليم، وتشويه الوعي، وفرض رواية بديلة للتاريخ. غير أن المرأة، عبر الأمومة والعمل المجتمعي، ما زالت تؤدي دورها في حماية الذاكرة ونقلها إلى الأجيال.

إلى جانب ذلك، وثقت وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية قصص النساء اللواتي استشهدن أو أصبن أو فقدن أبناءهن في المواجهات مع الاحتلال. هذا التوثيق لا يحمل فقط بعداً إنسانياً، بل أيضاً بعداً سياسياً يفضح سياسات الاحتلال ويؤكد أن المرأة الفلسطينية ليست هامشية، بل في قلب الصراع. إن الاحتلال "الإسرائيلي" ينظر إلى المرأة الفلسطينية كعنصر يجب إخضاعه وإضعافه، لكنه في الواقع يجد نفسه أمام نموذج فريد من الصمود والمقاومة. فقد جمعت المرأة بين دورها الأسري والاجتماعي والسياسي، وظلت ثابتة أمام سياسات القمع والتهجير. والتوثيق المستمر

ضغط على عائلتها ومجتمعها، في محاولة لإضعاف روح المقاومة.

كما يستهدف الاحتلال المرأة في حياتها اليومية، عبر هدم المنازل وحرمانها من حق السكن الآمن، ومنعها من لم شمل العائلة أو الحصول على تصاريح للتنقل. وهذا يضاعف من معاناتها، إذ تتحمل مسؤولية الأسرة تحت ظروف استثنائية من القهر والحصار. وعلى الرغم من هذه الظروف، فإن المرأة الفلسطينية ما تزال حاضرة في المشهد النضالي والثقافي، تشارك في المظاهرات الشعبية، وتقود الحملات الحقوقية والإغاثية، وتدافع عن أرضها وحقوق شعبها (Addameer Prisoner Support and Human Rights Association, 2005-2022).

ومن زاوية أخرى، ينظر الاحتلال إلى المرأة الفلسطينية كرمز للهوية الوطنية؛ فمن خلال قدرتها على الحفاظ على اللغة، والثقافة، والتربية الدينية، تصبح خط الدفاع الأول عن الذاكرة

✓
جميلة يعقوب الخوري
عاملين في أحد مستشفيات
القدس، تقف في الوسط جميلة
يعقوب الخوري.



لهذه التجربة يشكّل رصيّدًا تاريخياً ومعنوياً للشعب الفلسطيني، ودليلاً على أن إرادة النساء لا تقل صلابة عن إرادة الرجال في معركة الحرية والاستقلال (Rockwell, 1985, pp. 114-136).

وسائل الاحتلال الصهيوني في كسر صمود المرأة الفلسطينية

• أولاً: الوسائل الاجتماعية

١. الاعتقال والاستهداف المباشر: اعتقال النساء وتعرضهن للتعذيب النفسي والجسدي، ما يترك أثراً على حياتهن الأسرية والمجتمعية.
٢. هدم البيوت والتهجير القسري: الاحتلال يستهدف منازل الأسر الفلسطينية، مما يحرم المرأة من الأمان والاستقرار الأسري.
٣. منع لم الشمل والقيود على الحركة: عبر منع الزوجات من الالتحاق بأزواجهن أو أسرهن، وحرمان النساء من السفر أو العلاج خارج الضفة وغزة.
٤. العنف الميداني اليومي: من خلال الحواجز، الاعتداءات الجسدية، والإذلال اللفظي، وهو ما يترك أثراً نفسياً طويلاً الأمد.

تُعدّ الأولويات البحثية لحماية التراث وتوثيق ما سرقه الاحتلال، والاهتمام بالطاقات العلمية والإبداعية للمرأة، ركائز أساسية لتعزيز التنمية التحريرية وصمود المجتمع

• ثانياً: الوسائل السياسية

١. الإقصاء من المشاركة السياسية: فرض قيود على حرية التنظيم والعمل السياسي للنساء، ومنع نشاطات الجمعيات النسوية أو التضييق عليها.
٢. استهداف الناشطات: ملاحقة واعتقال الصحفيات والناشطات الحقوقيات، مثلاً حدث مع العديد من المدافعات عن حقوق الإنسان.
٣. القوانين العنصرية (اجبيص، الصلاحيات، و عيتاني، ٢٠٠٨، الصفحات ١٧-٦٤) (HRW): مثل قوانين الإقامة والجنسية التي تمنع المرأة الفلسطينية من التمتع بحقوقها السياسية

والمدنية الكاملة.

٤. التشويه الإعلامي:

محاولة تصوير المرأة الفلسطينية كعنصر خطر أمني، لتبرير القمع أمام الرأي العام الدولي.

• ثالثاً: الوسائل الاقتصادية

١. مصادرة الأراضي: ما يحرم النساء الريفيات من مصدر رزقهن الأساسي المرتبط بالزراعة.
٢. إغلاق المعابر وفرض الحصار: خاصة في غزة، حيث يُمنع دخول المواد الأساسية، ما يضاعف أعباء المرأة الاقتصادية في إعالة أسرهما.
٣. التمييز في سوق العمل: القيود المفروضة على حركة النساء تعيق وصولهن إلى أماكن العمل أو التعليم، وتزيد من معدلات البطالة بينهن.
٤. الحرمان من الموارد والخدمات: عرقلة وصول النساء إلى الخدمات الصحية والاجتماعية والتمويل للمشاريع الصغيرة.

الخاتمة:

الخلاصة التي تتضح من النقاط المطروحة أنّ المرأة الفلسطينية كانت ولا تزال ركيزة أساسية في حماية الهوية الوطنية والثقافة الجمعية، فهي الحارسة الأولى للغة والموروث والتاريخ، والمربية التي تغرس الوعي المقاوم في الأجيال الجديدة. عبر دورها التربوي والاجتماعي والثقافي، استطاعت أن تحفظ وحدة المفهوم التربوي والنضالي داخل الأسرة والمجتمع، وأن تجعل من التراث الشعبي والذاكرة الجمعية سلاحاً في مواجهة الاحتلال الذي يسعى دوماً إلى طمس الهوية وسرقة الموروث. لقد برزت المرأة الفلسطينية كأيقونة للمقاومة والصمود، فهي الأم المربية، والباحثة المبدعة، والشاعرة والمتقفة، والمجاهدة المربطة، التي حملت الرسالة جيلاً بعد جيل لتضمن استمرار المشروع الوطني الفلسطيني. ومن هنا فإن التوصيات تركز على ضرورة صيانة الهوية وتحديثها عبر مشاريع ومؤسسات فكرية وثقافية، ودعم المرأة الفلسطينية في أدوارها المتعددة باعتبارها عماد الأسرة وحارسة التراث. كما تدعو إلى تفعيل المكتبات والمراكز البحثية لحفظ التراث، وتوثيق ما سرقه الاحتلال، والاهتمام بالطاقات العلمية والإبداعية للمرأة. فالرهان الأكبر يكمن في الوعي والفكر والثقافة باعتبارها حصناً منيعاً أمام مخططات الاحتلال، وضمانة لاستمرار

الهوية الفلسطينية الأصلية في مواجهة محاولات المحو والتزييف.

قائمة المصادر والمراجع:

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٢١). المرأة والرجل في فلسطين- قضايا وإحصاءات. رام الله المركزي للإحصاء الفلسطيني.
- حسن المجيص، سامي الصلاحيات، و مريم عيتاني. (٢٠٠٨). المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي. (٢٠٠٨).
- سليمان الهسي. (٢٠٠٩). دور المرأة المسلمة في تربية أبنائها على الجهاد. غزة، فلسطين.
- عبد الوهاب المسيري. (١٩٩٧). الأنثوية: ما بين حركة تحرير المرأة وحركة التمرکز حول المرأة.. رؤية معرفية.
- عزيزة عبد العزيز علي. (٢٠٠٧). دور المرأة في تعزيز الثقافة الإسلامية لدى أبنائها في ظل تحديات العولمة. غزة.
- عليان صوافطة. (٢٠٢١). التنمية التحررية في

المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ المظاهر والتحديات. نابلس.

- نبيل دويكات. (٢٠١٩). التمييز والعنف ضد النساء: تربة القتل الحصى. تقرير تحليلي صادر عن مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي. رام الله.
- Addameer Prisoner Support and Human Rights Association. (2005-2022). Reports on Palestinian Female Prisoners. Ramallah.
- Holt, M. (2018). A Crises of Palestinian Women. Memory and Dissent.
- HRW. (n.d.). A Threshold Crossed: Israeli Authorities and the Crimes of Apartheid and Persecution.
- Kanaana, S. (2018). The Future of Palestinian Identity. UK.
- Rockwell, S. (1985). Palestinian Women Workers in the Israeli-Occupied Gaza Strip. Journal of Palestine Studies.

مجموعة "الحنون"

وهي مؤسسة ثقافية نشطة تعنى بحفظ وإحياء وعرض الثقافة الشعبية والتراث الفلسطيني الأصيل، مع الاهتمام أيضاً بالتقاليد والعادات، وذلك في الإطار الأوسع لثقافة بلاد الشام والمنطقة.





قرن القطيعة والخديعة

حوار مع وضاح خنفر حول استئناف التاريخ

مقدمة

في هذا الحوار، يتحرّك النقاش على خطّين متوازيين: قراءة تاريخية عميقة لطبيعة التحوّلات في منطقتنا، وتشخيص واقعي لموازين القوى الراهنة. على المستوى التاريخي، يؤكد الحوار أنّ انقطاعات القرن العشرين—منذ انهيار الدولة العثمانية—جاءت بوصفها "قطيعة" مع المسار التاريخي للأمة ومع مرجعياتها الجامعة (فكرة الأمة، الخلافة بصفقتها رمز الإجماع السياسي، والشرعية المتأتية من الشريعة)، بخلاف تحولات سابقة (سقوط بغداد، الأندلس، الحروب الصليبية) التي ظل فيها الجوهر محفوظاً ولو تبدّلت الأطر. وعلى المستوى الراهن، يعالج الحوار عجز السردية الغربية عن فهم الدوافع غير المادية في منطقتنا، ويقرأ مركزية مصر في خيال القوة لدى الغرب، ويستعرض جذوراً قديمة للنظام الإقليمي والقانون والعلاقات البحرية قبل أن "يكشفها" الغرب بقرون.

أما فلسطينيّاً، فيفكّك الحوار مسار "عنق الزجاجة" الذي ظلت تعيد إنتاجه مبادرات التسوية منذ مدريد وأوسلو، ويضع السابع من أكتوبر كزلزال أخلاقي-سياسي قلب صورة "إسرائيل" عالمياً، ويرصد تمذد موجات المقاطعة والتحوّلات الشعبية والدبلوماسية، مع التحذير من مسعى "إعادة تأهيل" "إسرائيل" عبر لغة عملية سلام جديدة بلا أثمان حقيقية. وفي المقابل يطرح الحاجة إلى تكثّل إقليمي رشيد (تركيا، إيران، باكستان ودول عربية قادرة) يوفر مظلة ردع وتوازن، ويقرأ ملف السلاح النووي ومعادلات الردع، ويطالب بعقيدة أمن قومي عربي تتجاوز منطق "نفسي نفسي" إلى هندسة مصالح مشتركة. الخلاصة: التاريخ ذاكرة فاعلة وليست حنيناً، والنظام الدولي يتبدّل على نحو يتيح فرص ضغط ومبادرات عملية لا محجّز بيانات.

من هو وضّاح خنفر؟

وضّاح خنفر صحفي فلسطيني وفاعل فكري، يشغل رئاسة "منتدى الشرق" (Al Sharq Forum)، شبكة مستقلة تُعنى بصياغة استراتيجيات طويلة المدى للتنمية السياسية والعدالة الاجتماعية في الشرق، وكان قبلها مديراً عامّاً لشبكة الجزيرة (٢٠٠٣-٢٠١١) حيث أشرف



الكبير سخ وتحديات العصر

الشرعية للنظم السياسية وحالة التنزع الغربية وحالة التفكك والتجزئة وحالة الهيمنة الغربية. كل هذه المسائل ما زالت حاضرة. يعني روح ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى يومنا هذا لا تزال حالة انتقال، هذه المنطقة لم تثبت بعد. ولذلك القول إن هذه المنطقة أصبحت الآن شيئاً آخر ونسبجاً مختلفاً عن النسيج السابق غير صحيح. لأنني لا أرى الحال نسبجاً: لا أرى الحال إلا مجموعة مفككة من التيارات الاستراتيجية والسياسية والفكرية التي لم تصل بعد إلى لحظة الثبات أو لحظة التوازن أو لحظة الرشد. هذه من ناحية لماذا اختلف مع هذا الرأي. لكن لماذا أتفق؟ على أن طبيعة التغيير الذي وقع منذ عام، يعني من ١٩١٤ للحرب العالمية الأولى وصولاً إلى يومنا هذا، تختلف عن طبائع التغيير التي وقعت في الأمة عندما سقطت بغداد وعندما سقطت الأندلس وعندما أصيبت الأمة بأزمات في العهد الصليبي وما إلى ذلك.

الرؤى: ما الذي كان يميز الأزمات السابقة مقارنة بما نعيشه اليوم؟

خنفر: أولاً: كل الأزمات التي وقعت في عهد سابق كانت الأمة تعيد استئناف مسيرتها بالشكل الذي كانت عليه في السابق من حيث الأصول وليس من حيث التفاصيل. قلت لكم: الفكر كان يتغير. المفاهيم في بعض الأحيان تتجدد، عندما دار إسلام ودار حرب يصير عندما خمس دور على سبيل المثال، تقسيمات جديدة، وبالتالي ليست مسألة ثابتة، لكن الجوهر هو أن الأمة موجودة. هذه واحدة. ما كان عندنا؟ في سلطنات، في إمارات، في أشياء كثيرة جداً مختلفة. ابن بطوطة لما سافر من طنجة إلى أقصى آسيا مر بكل إمارات؛ هذه كانت مختلفة متنازعة لكن هو ابن الأمة. الأمة موجودة، المواطنة تابعة للأمة وليست تابعة للدولة. هوية الفرد يحددها انتماؤه للأمة. إذن مفهوم الأمة بقي ثابتاً راسخاً لم يتشقق أبداً. حتى لما جاء المغول وجاء الصليبيون بقي عندنا شيء اسمه الأمة. رمزية تمثيل الأمة من خلال إجماع سياسي متعلق بالخلافة بقي مستمراً. إلا في لحظات انقطاع في العهد المغولي عندما جاء ثم استؤنف بعد ذلك رمزياً في عهد المماليك ثم جاءت الخلافة العثمانية. إذن بقي مفهوم الخلافة موجوداً إلا بالاستثناء القصير ذلك. وبقي مفهوم الخلافة

على تحولها من قناة واحدة إلى شبكة متعددة المنضات والقنوات. بدأ مسيرته في الجزيرة عام ١٩٩٧ مراسلاً في مناطق ساخنة (جنوب إفريقيا، أفغانستان، العراق) قبل أن يُعين مديراً لمكتب بغداد ثم مديراً عاماً. اختير ضمن "أكثر ١٠٠ مفكر تأثيراً" في قائمة Foreign Policy (٢٠١١)، ومن "الأكثر إبداعاً في الأعمال" لدى Fast Company. وقدم محاضرة على منصة TED عن لحظة الربيع العربي. يحمل خلفية أكاديمية في الهندسة ودراسات عليا في الفلسفة والعلوم السياسية.

يؤكد الحوار أن انقطاعات القرن العشرين كانت "قطيعة" مع المسار التاريخي للأمة ومرجعياتها الجامعة (فكرة الأمة، والخلافة كرمز للإجماع)، بخلاف التحولات السابقة التي ظل فيها الجوهر محفوظاً

الرؤى: في بعض محاضراتك تكلمت عن مراحل الانتقال: المرحلة العباسية، المرحلة المغولية، المرحلة التي جاءت بعد ذلك في زمن سقوط الأندلس وما إلى ذلك، وأشياء كثيرة مرت فيها الأمة. لكن يبدو أن المرحلة التي نعيشها الآن، القرن الماضي، ابتداءً من سقوط الدولة العثمانية إلى يومنا هذا، مختلفة تماماً عن النسيج السابق للأزمات التي مرت بها أمتنا. كيف ترى ذلك؟

خنفر: أنا أتفق مع هذا الرأي ولكنني اختلف معه أيضاً في جوانب أخرى. فسأفصل شيئاً متعلقاً بالقرن الماضي، لأنه بتقديري الذي حدث في القرن الماضي هو حالة انتقال وليست حالة ثبات، وما زلنا نعيش إلى يومنا هذا حالة الانتقال هذه وحالة السبولة. لم نصل إلى لحظة نستطيع أن نقول فيها إن هذا القرن أعاد تشكيل هوية الأمة؛ لأنه حتى نقول إن هذا القرن أعاد تشكيل هوية الأمة إلى شيء جديد أو أعاد تشكيل هوية المنطقة، حتى الشرق، إلى شيء جديد، يجب أن نتكلم عن شيء ثابت استقر وثبت وأصبح أمراً واقعاً. نحن الآن نعيش حالة غير واقعية غير ممكنة الاستمرار، لأن الحروب الأهلية والنزاعات وغياب



يقدم خنفر خطاباً في
مؤتمر TED لعام ٢٠١١
حول الربيع العربي.

المرجعية نحو الشريعة. الشريعة ليس بالضرورة بمفهومها القانوني، لكنني أتكلم عن مرجعية الأمة وشرعية نظمها: كانت دائماً نابعة من فكرة التزامها بالإسلام أو التزامها بالكتاب والسنة أو التزامها بتطبيق ما يعتقدونه الناس أنه الشيء الثابت في حياتهم. في حياة هذه الأمة. إذن عندي أمة. عندي خلافة، وشرعية الخلافة هذه وشرعية النظم المتفرع عنها أو الممالك أو السلاطين تابعة لشيء ما اسمه الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة باعتباره حميداً والمعروف ومحاربة المنكر. كانت هذه مسائل ثابتة. إذن عندنا هذه المعايير الثلاثة الكبرى ثابتة في تاريخنا الإسلامي.

الرؤى: لماذا تعدّ القرن الماضي قرناً استثنائياً؟

خنفر: هذا القرن قرن استثنائي حقيقة، لأنه أول شيء حدث فيه القطيعة مع التراث. المعنى: كل الأنماط السابقة كانت أنماطاً تستأنف بعد انتكاسة، تتجدد من داخل المنظومة. النمط

المستمر: هذا هو التعبير عنه. لأنه هو مفهوم بالمناسبة. وهذه مسألة مهمة برأيي. أن مفهوم الخلافة هو مفهوم له علاقة بالأمة؛ بمعنى هو مفهوم متفرع عن الأصل. الأصل هو أن هناك أمة، والأمة تدبر شؤونها من خلال مركز إجماع سياسي، من خلال مفهوم سياسي مركزي اسمه الخلافة. وهذه الخلافة كان يُعاد تمظهرها بمظاهر كثيرة: عندنا الأموية والعباسيون، ثم جاء بعد ذلك فترة المماليك، ثم جاء بعد ذلك... طبقاً كان عندنا أيضاً الخلافة الفاطمية، عندنا الخلافة في الأندلس، عندنا خلافة... يعني مجموعة من النظم التي كانت تطلق على نفسها. لكن مصطلح الخلافة وفكرة إجماع الأمة على رجل أو شخص أو إدارة أو نظام يعبر عن مصالح عابرة للقوم بالمفهوم العربي وعابرة للشعب بالمفهوم الجغرافي كانت حاضرة دائماً. الأمة وما يتفرع عن ذلك من مفهوم جامع سياسي، فالإجماع كان حاضراً دائماً. إذن هذه المفاهيم كانت دائماً مستمرة. النقطة الثالثة التي كانت حاضرة في كل مراحل التحول في التاريخ الإسلامي: فكرة

واستمراريتها. ولذلك عندما تقول إن هذه الأمة موجودة في هذه الجغرافيا، وهذه الجغرافيا فيها تاريخ، وهذا التاريخ لا يزال يتدفق؛ انقطاعه شيء غير طبيعي. ولذلك انقطاع التدفق التاريخي في جغرافية منطقة الشرق، في الجغرافية الإسلامية عمومًا، هو انقطاع القصد منه إنهاء مفهوم الأمة وإنهاء حالة الاستمرارية التي كانت حادثة في التاريخ. ولذلك هذا من النصاب الكبرى، هذه المسألة ما حدث لا في زمن المغول ولا في زمن الأندلس في زمن الصليبيين، ولا حدث في سقوط الموحدين؛ إنما انتهى التاريخ تمامًا وأريد لنا أن نبدأ بشيء جديد. هكذا فكر الذين جاءوا وتسيّدوا السلطة والحكم في بلداننا. بدءًا، طبقًا، كان عندنا في تركيا منظومة أريد لها أن تكون منظومة قومية جديدة مختلفة تمامًا عن الماضي، في إيران أيضًا أريد أن يكون هناك منظومة جديدة مختلفة عن الماضي، وكذلك في نظامنا العربي التي لم تشكل بعد، لكنها كانت دعوات ومحاولات لكي نبدأ بشيء جديد: التيار القومي، التيارات العلمانية الليبرالية الحديثة، بدأت تؤثر علينا جميعًا؛ حتى مع القيم الإسلامية بدأت الليبرالية الحديثة تُغيّر فيها... هذه القطيعة لم تكن حقيقة حادثة في حالات الانقطاع الماضية باستثناء الأندلس طبقًا؛ لأن الأندلس انتهى فيها فعلًا، أصبح هناك نهاية للتاريخ بسبب سقوط الدولة الأندلسية.

الرؤى: ما الذي ترتب على هذه القطيعة داخل الفضاء الإسلامي؟

خنفر: القطيعة رقم واحد هي القطيعة مع المنهج والتاريخ التي أدت إلى قطيعة داخل الأمة؛ بمعنى أصبح التركي، على سبيل المثال، ينظر إلى الفضاء العربي كشيء آخر مختلف تمامًا بعدما كان الجميع، التركي والعربي، ضمن فضاء عثمانى واحد؛ الآن أصبحوا ضمن فضاء متخاصم أكثر منه متنافسًا في أحسن الأحوال، بدل أن يكون فضاءً موحدًا. وكذلك الفضاءات الأخرى؛ فضاءنا العربي مع الإفريقي، وفضاؤنا العربي مع آسيا... كلها أصبحت فضاءات مستقلة تحكمها موازين المصلحة المجردة وليست الموازين الأعلى من مصلحة الدولة ومركزيتها، التي هي مصالح متعلقة بمركزية الأمة.

الرؤى: وما المفهوم الثاني الذي ساد؟ وكيف

الجديد الذي واجهناه في القرن الماضي هو في الحقيقة نمط قطيعة مع التراث؛ فأريد لنا أن نبدأ شيئًا جديدًا، يعني أن التاريخ، تاريخنا، انتهى. ليس عندنا نظرية انتهاء التاريخ، لكن في الحقيقة أريد لنا أن ينهي التاريخ؛ فنقول: يا إخوان من اليوم المطالع انتهى كل التاريخ الذي قد سبق في السياسة والتفكير الاستراتيجي، واليوم نحن بدأنا شيئًا جديدًا؛ شيء اسمه الدولة القومية، شيء اسمه الدولة القطرية. وبالتالي انسوا مفاهيم الأمة، مفاهيم الخلافة، مفاهيم الشرعية؛ هذا كله كلام عفا عليه الزمن. نحن اليوم عندنا شيء جديد. فاستيقظنا في يوم من الأيام، في مطلع القرن العشرين، يعني بعد الحرب العالمية الأولى لنقل بالعشرينيات، استيقظنا على فكرة أنه أبدأ، اليوم عندنا دولة ما لها علاقة بكل الماضي هذا، بل بالعكس؛ الدولة هذه أيضًا تخصم التراث، ليست فقط محايدة؛ هي تخصم التراث. التراث بالنسبة لها عبء، فيه قدر عالٍ من التخلف والرجعية، ونحن

يضع الحوار السابع من أكتوبر كـ "زلال أخلاقي- سياسي" قلب صورة 'إسرائيل' عالميًا، وكشف عجز السردية الغربية عن فهم الدوافع غير المادية في منطقتنا

أحسن شيء، نحن تقدميون، ولنا مناهج حديثة جاءتنا من الغرب، فنخاصم التراث. إذا أول شيء حدث هو القطيعة مع الماضي.

الرؤى: وما منطقك في التحذير من انقطاع التدفق التاريخي؟

خنفر: نحن نفهم في قواعد التفكير الاستراتيجي، وأنا دائمًا أقولها، أن الجغرافيا هي صنع الله في الأرض، أما التاريخ وهو التفاعل الإنساني في الجغرافيا فهذا شيء ثابت. ومن عظمة أية أمة في الدنيا أن تكون مسيرتها التاريخية مستمرة؛ هذا شيء طبيعي، منذ ذلك حكيما عن الألمان، وعن الصين، وعن غيرها؛ هذه الأمم هناك تدفق طبيعي للتاريخ في جغرافيتها وفقًا لروح هذه الأمة. هذا الذي يؤسس عظمة أية أمة في الدنيا

أثر على علاقتنا بمرجعيتنا؟

خنفر: أصبح لدينا أيضًا مفهوم جديد في هذه المرحلة وهو أن تراثنا، تاريخنا، حضارتنا رجعية، والثالث: المرجعية الإسلامية في الحقيقة ممكن أن تكون موجودة ولكن لا ينبغي أن تكون شأنًا عامًا، لا ينبغي أن تؤسس قواعد الشأن العام. ولذلك بدأنا نفكر باستيراد النظم: النظم القانونية، النظم السياسية، النظم الاجتماعية، كلها تأتينا من الخارج. وبالتالي الفكرة أننا فقدنا ثقة بأن ما لدينا من مخزون ثقافي قادر على أن يُخرج لنا ابن تيمية جديدًا يجتهد اجتهادات، أو الإمام الجويني جديدًا، أو ابن خلدون جديدًا. أصبحنا نفكر بمفكري الغرب وفلاسفة الغرب وحدائي الثقافة الغربية لكي ننسخ شيئًا مما يقولون ونوفق بينه وبين ما لدينا؛ فأفضل ما كان لدى بعضنا أن نقول: التراث الإسلامي مثلاً في مسألة الديمقراطية قريب من الشورى؛ فلنقم بتوفيق وندخلهم على بعض. فأصبحنا نريد أن نوفق ما بين ما لدينا من تراث، الذي اعتقد بعضنا أنه لن

ينفع في المستقبل، وما جاءنا من تجربة باهرة مدهشة من قبل غرب متغول منتصر متغلب، ومحاول قدر الإمكان أن تخفف من غلوائه بأن نعطيه بعض المفاهيم الإسلامية والتراثية حتى نلينه ويُبلغ من قبل الناس والأمة. إذن مرة ثانية فقدنا الثقة في تراثنا، وهذه كانت مشكلة كبيرة.

الرؤى: وصفت القرن الماضي أيضًا بأنه قرن إهانة. لماذا؟

خنفر: لأنه عندما تكون صاحب مركزية جيوسياسية كما كانت الأمة الإسلامية عبر ١٣٠٠ سنة، ثم تأتي بعد ذلك تجد نفسك مقسمًا مجزأً نهجًا للمستعمر، تابعًا ثقافيًا، مُستلبًا حضاريًا؛ هنا إهانة كبرى. والإهانة خطيرة في العقل البشري: لأنها تدفعك إلى أحد أمرين: إما أن تصبح ثائرًا متمردًا رافضًا قطعياً للواقع فتثور عليه ثورة غير رشيدة، أو أن تنساق إليه ومعهم وبه، وتصبح بعد ذلك شكلاً تابعاً لفضاء اسمه الفضاء العربي الإسلامي، ومضمونك عقل جاء من الخارج. هذه الإشكالية

رئيس وزراء إسرائيل، إسحاق رابين (يسار) ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات (يمين)، يصافحان بعضهما في البيت الأبيض بحضور الرئيس بيل كلينتون في سبتمبر ١٩٩٣. أثناء توقيع الاتفاقية OSLO





لورانس العرب يستعرض قصة توماس لورنس في الصحراء خلال الحرب العالمية الأولى، مسلطاً الضوء على تأثير الاستعمار البريطاني في المنطقة وصراعات القوى الكبرى على الأرض والشعوب.

أدت إلى فصام: بين من حاول أن يعيد تأسيس كل شيء بناءً على تراثيات لا يُجْتَهد بها كما اجتهد ابن تيمية وخلافه وتمسك بتفاصيلها بشكل صارم، يؤدي إلى كثير من الإشكالات، وبين من رأى أن نمشي مع التيار الغربي والأمور طيبة، وهذا أفضل ما يمكن. هذه حالة الفصام أوقفت النمو الطبيعي والتلقائي للفكر والوعي الاستراتيجي والسياسي الإسلامي.

الرؤى: لنُعد إلى مطلع القرن العشرين: ما السياق الدولي والإقليمي الذي عصفت بالدولة العثمانية؟

خنفر: الغرب كان يرى الدولة العثمانية رجل أوروبا المريض، ويريد ابتلاع أراضيها. الأوروبيون طردوا العثمانيين من البلقان، وروسيا كانت تريد الوصول إلى المياه الدافئة عبر الدردنيل والبوسفور. خاضت الدولة العثمانية ١٣ حرباً مع الروس. ومع مطلع القرن وقع تطور خطير: ١٩٠٩ طرد السلطان عبد

”إسرائيل“ تحذر من التمدد: فهي تتمدد وقد تدخل سيناء يوماً، وهدفها الأقصى هو منع أي ردع نووي إقليمي وتفكيك دول الجوار للحفاظ على تفوقها المطلق

لكن أنور باشا (٣٢ سنة) ورفاقه تحمّسوا، رأوا تفوق ألمانيا ووعدوا بالتسليح والمال، وأن الجيش الألماني لا يُهزم، وأن الانضمام قد يُعيد أراضيها من روسيا وربما البلقان. قرروا الانضمام لألمانيا في أكتوبر ١٩١٤، رغم رفض عبد الحميد، وسعيد حليم باشا (استقال)، ووزير المالية وثلاثة وزراء، وحتى الشريف حسين كتب لهم محذراً أن لا شأن لنا بهذه الحرب. جمال باشا كان يرى أن عدم الدخول يجعلنا نكرت في النظام الدولي بعد الحرب: الدخول يجعلنا على الطولة. لكنه كان يفضل التحالف مع فرنسا، بينما أنور كان على صلة خاصة بألمانيا.

الرؤى: ما نتائج القرار عسكرياً في بداياته؟
خنفر: هزيمتان منكرتان وانتصار واحد كبير. ساريقاميش: قاد أنور باشا الجيش الثالث في الشتاء ضد الروس: تجمّد عشرات الآلاف ومات معظم ٩٠ ألفاً، وأبديت نخبة الجيش تقريباً. قناة السويس: قاد جمال باشا الجيش الرابع عبر سيناء: استعداد ضعيف واستخبار جوي بريطاني، فواجهت القوات مدافع ورشاشات وانسحبت منهكة. الدردنيل/غاليبولي: هنا النقطة المضنية: البريطانيون والأستراليون والنيوزيلنديون ربع مليون جندي، ألقام ومدفعية عثمانية بإشراف ألماني، قتال عام كامل، خسر الحلفاء أكثر من ٢٥٠ ألفاً وكذلك العثمانيون، لكن النتيجة هزيمة الحلفاء. معركة شارك فيها عرب وترك وكرد وكل شعوب الدولة.

الرؤى: ثم انتقل البريطانيون إلى اللعب على الوتر العربي. ماذا جرى في مراسلات الحسين مكماهون؟

خنفر: رأى البريطانيون ضرورة فصل الجبهة العربية، فاتصلوا بالشريف حسين مداعبين حلم الدولة العربية الواحدة لدى جمعيات العهد والعربية الفتاة. في ١٩١٦ جرت عشر رسائل: طلب الشريف دولة عربية مستقلة من اليمن إلى الشام والعراق. جاء رد مكماهون بلغة تجميل ووعد ممّوه: الحديث عن الخلافة للعرب، واستقلال عربي... النص الإنجليزي عام، والترجمة العربية أوحث بموافقة أوضح: انطلقت الثورة العربية الكبرى في يونيو ١٩١٦. وطرد العثمانيون من مكة ثم العقبة ثم فلسطين، وقطعت سبيل الإمداد...

الحميد، وسيطر الاتحاد والترقي على السلطة في إسطنبول. الاتحاديون أرادوا تحديثاً منفصلاً عن التراث. بدأت الخسائر: ليبيا ١٩١١ للطلبان (اتفاق في أكتوبر ١٩١٢)، وفي الشهر نفسه اندلعت حروب البلقان بدعم روسي: سقطت أدرنة وسالونيك، وانهارت الجبهات، وطردت الدولة من أوروبا إلا تراقيا. هذا يعني خسارة القاعدة الاقتصادية الكبرى. الديون ٨٠ مليون جنيه إسترليني تقريباً، والخزينة تحت تحكم الأوروبيين. ثم ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى بين محور ألمانيا/النمسا ومحور بريطانيا/فرنسا/روسيا.

الرؤى: لماذا دخل الاتحاديون الحرب؟ وماذا فعل الحكماء؟
خنفر: استراتيجياً لم تكن هناك ضرورة للدخول.

After five years
...the first motion picture
from the creators of
"The Bridge On The River Kwai."

Columbia Pictures presents
THE SAM SPIEGEL
DAVID LEAN
Production of

LAWRENCE OF ARABIA

ALEC GUINNESS
ANTHONY QUINN
JACK HAWKINS
JOSE FERRER
ANTHONY QUAYLE
CLAUDE RAINS
ARTHUR KENNEDY

PETER O'TOOLE

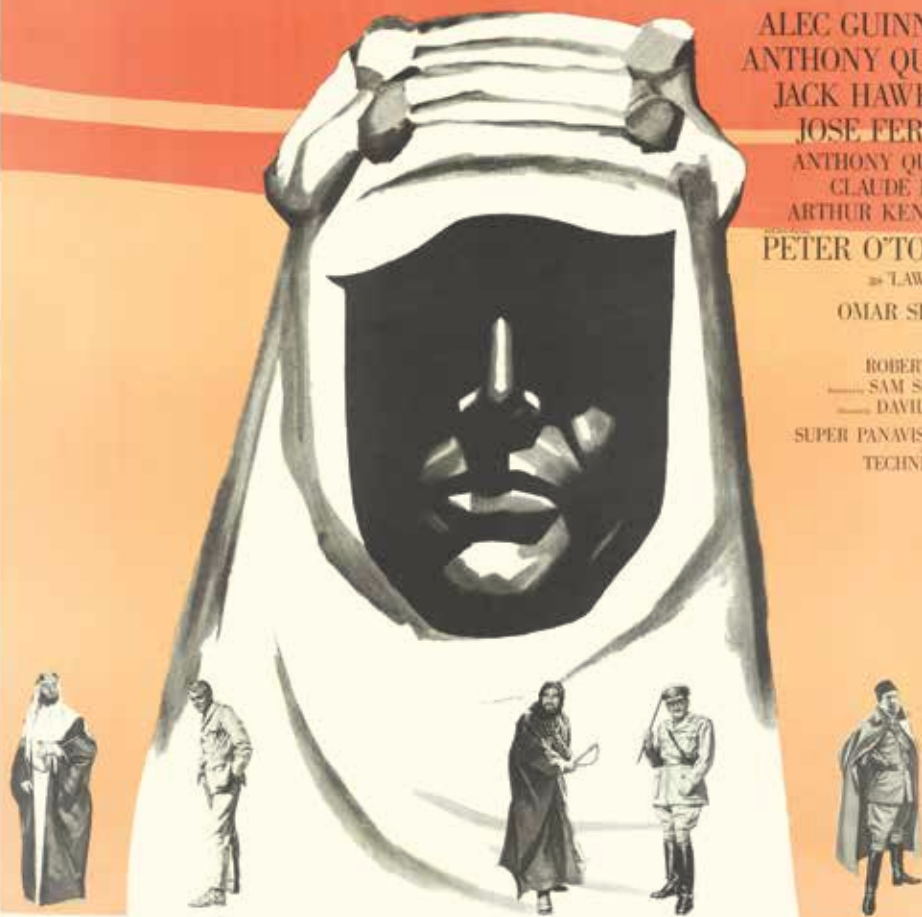
as 'LAWRENCE'

and
OMAR SHARIF

as 'Ali'

Directed by
ROBERT BOLT
Produced by
SAM SPIEGEL
DAVID LEAN

Photographed by
SUPER PANAVISION 70®
Technicolor®



NEXT ATTRACTION...

academy *Theatre* /

WATCH FOR OPENING DATE.

وكان للعرب دور تاريخي في إخراج العثمانيين من الأراضي العربية.

الرؤى: ولكن كانت هناك اتفاقية سرية سابقة... سايكس-بيكو؟

خنفر: نعم. البريطانيون والفرنسيون وقّعوا سايكس-بيكو قبل الثورة بعشرة أيام في ١٩١٦ لتقسيم المشرق. ظلت سرية حتى ١٩١٧ حين نشرها البلاشفة في برافدا بعد إسقاطهم النظام القيصري، فاطلع عليها العالم. جمال باشا حذر الشريف وفصل وعبد الله: الإنجليز يخدعونكم. سأل الشريف كم ماهون فجاءه رد مبهّم يثني عليه ولا ينفي صراحة! ومع ذلك استمر العرب مقتنعين بوعود بريطانيا.

الرؤى: كيف انتهى المسار بعد الحرب؟ وما مصير الحلم العربي؟

خنفر: انهارت الدولة العثمانية، وانتصر الحلفاء.

العرب اليوم بلا تصوّر لأمنهم القومي، وكل دولة تلجأ لمنطق "نفسى نفسى" بالتقرب لترامب أو لـ "إسرائيل"، وهذا لا يعصمها من التهديد، مما يعكس غياب الإرادة والعمل الجماعي

جلس الآخرون في فرساي، وبقينا على الهامش. اخترع لفظ الانتداب بدل الاستعمار: بحجة "تأهيل الشعوب". قُبِحت الشام، وُضعت العراق تحت الانتداب، وفلسطين تحت الانتداب البريطاني وصولاً إلى التمكين الصهيوني وسقوط القدس ١٩٤٨. أعطى الشريف حسين لقب ملك الحجاز بدل ملك العرب كما طمحت وثيقة دمشق ١٩١٤-١٩١٥. كان حلم الدولة العربية سراً. والواقع غرباً فرضته موازين القوة، وكان الخداع جزءاً أصيلاً في تصميم المبادرة أمام الشريف. وما زالت الخديعة مستمرة إلى يومنا هذا: نستمر في قبول خداع الخادعين وإقناع أنفسنا بأن المصلحة تقتضي السير في هذا الركب أو ذاك.

الرؤى: ما خلاصة هذه اللحظة التأسيسية

على واقع قرن كامل؟

خنفر: لأنها لحظة ولدت فيها كل الأمراض التي ما زلنا نعاني منها اليوم: القطيعات، الضعف والهزيمة، التبعية، التجزئة، الاستغلال، غياب الثقة بالنفس، وغياب مفهوم الأمن القومي المشترك. لذلك ما زال القرن الماضي قرن خديعة وقرن إهانة وقرن قطيعة، وما زلنا نعيش تداعيات الحرب العالمية الأولى، لم نخرج منها إلى اليوم، للأسف الشديد.

الرؤى: لماذا يدهشك دائماً عجز العقل الغربي عن فهم العقل العربي والإسلامي رغم تقدمه في الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا والعلوم والثقافة؟

خنفر: لأنه في فهم عالما العربي والإسلامي لا يزال متخلفاً، والدليل أن كل فعل جرى في العقود الماضية، في القرن الماضي، كان مفاجأة كبيرة جداً للغرب: لم يتوقعوا ١١ سبتمبر مثلاً، وفوجئوا كيف أن الشعب العراقي رفض الاحتلال، وفوجئوا كيف أن أفغانستان صمدت وثبتت ٢٠ عاماً ثم انتصرت، ولا يزالون يفاجئون كيف أن غزة، هذه الأرض الصغيرة، ما زالت تنزف وتموت ولكنها ثابتة وقوية. العقل الغربي لا يستطيع أن يفهم هذا لأنه عقل قائم على فهم الحياة كما قال الله سبحانه وتعالى "ظاهراً من الحياة الدنيا (روم: ٣٠)". وظاهر الحياة الدنيا قائم أساساً على التبادلية، على المصلحة والمنفعة الآنية. على الذاتية والشخصانية. وليس قائماً على أي معنى متعدد للمادة: فإذا كان الإنسان مؤمناً بفكرة وعقيدة ورؤية تتعدى المادة لا يمكن للعقل غير المؤمن بمثل هذه الأفكار أن يفهم، وإن فهم لا يستطيع أن يتنبأ لأنه سيكون في كثير من الأحيان عاجزاً عن ذلك.

الرؤى: هل هذا العجز طارئ أم ضارب في التاريخ؟

خنفر: ليست جديدة. في عام ١١٠٠ للميلاد وقف رجل اسمه بلدوين الأول، مولود في جنوب فرنسا، قاد مع أخيه غودفري الحروب الصليبية على بلادنا، احتلوا الأناضول ووصلوا إلى القدس واحتلوها، وفي عام ١١٠٠ نصب بلدوين الأول نفسه أول ملك على مملكة كانت تسمى "مملكة الرب الأبدية" في أرض زعموا أن الرب منحها لهم لأجيال قادمة. اتخذ لقب "حامي القبر المقدس"

يقصدون قبر عيسى (ع)؛ وطبقاً لعيسى (ع) حسب الاعتقاد الإسلامي لم يمّت ولم يدفن هناك لأنه رفع، لكن هناك مكان في كنيسة القيامة، ووضع جثمان ثم نقل إلى كهف ما واعتُبر ذلك قبراً للإله أو لابن الله. بلدوين الأول عاش ١٨ سنة ملكاً، لكن مملكته انتهت في عام ١١٨٧ على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. جاء ليغيّر خارطة هذه المنطقة ويعيد تأسيس "شرق أوسط مسيحي صليبي غربي فرنجي"، متهووساً بفكرة أنه قدير على إعادة تشكيل المنطقة. وهذه فكرة قديمة في العقل الغربي: أنه قادر على إعادة تشكيل الشعوب "غير المتحضرة" لأن عقله مستنير علوي، أما شعوبنا فلا قيمة لها فيمكن إعادة برمجتها وإعادة خلق مجالها الاجتماعي والثقافي والحوي وحتى الديني.

الرؤى: تقصد أن تلك الروح ظهرت أيضاً مع نابليون؛ ولماذا كانت مصر مركزاً لهذه الرغبة الغربية؟
خنفر: نابليون في نهاية القرن الثامن عشر جاء إلى

مصر غازياً، ولم يأت بالجد فقط، بل جيشه تشكّل من جند ومثالث العلماء والباحثين والمؤرخين؛ لأنه جاء لينقل أرض مصر من "البربرية" إلى "الحضارة"، وجاء بالمطبعة، وأدعى الإسلام ورسالة جديدة للتصالح مع الشعب المصري، لكن المصريين لم يُستغفّلوا وطردوه فعاد ذليلاً عام ١٧٩٩ بعد أن ترك جيشه نهباً للأمراض والوباء وبعد ذلك الفشل العميق. كان هدفه الاستراتيجي منع البريطانيين من الوصول إلى الهند، لكنه حمل رسالة "قدسية". وفي أصل القصة أن العقل الغربي يؤمن أن مصر "العقدة" التي إن فتحت تقدّس وضُك كقائد؛ جذور هذا الإيمان من أيام الإسكندر المقدوني الذي فتن بحضارة مصر حتى تأله وسُمّي رسمياً ابن الإله وطلب أن يُدفن في مصر. منذ ذلك صار في العقل الغربي أن من يفتح أو يحتل مصر يقتدي بـ "القدوة المطلقة" في مفهوم القوة، وهو الإسكندر الأكبر. لذلك قيصر حين دخل مصر شعر أن الأمور قد استقرت له، ثم جاء أغسطس فصار بإحكام سيطرته على مصر إمبراطوراً للعموم الدولة الرومانية، وكانت

في ٣٠ سبتمبر ٢٠١١، أعلن خنفر على صفحته الرسمية في تويتر أنه بعد ثماني سنوات من قيادة القناة، "سيقادر قناة الجزيرة".



ومواثيق في العصر الإسلامي الأول، ثم انتقلت لآسيا وطبقها الصين.

الرؤى: تذكر أيضًا الأسطول الصيني المسلم لـ "تشنغ خه". ما قصته في سياقك؟

خنفر: في عام ١٤٢١ كان أكبر أسطول في العالم صينيًا بقيادة الجنرال المسلم "تشنغ خه". كان معه نحو ٦٠ ألف بحار وسفن عملاقة جابت المحيطات؛ وزع مع علماء مسلمين كتيبات عن اختراعات صينية كصناعة الورق وآلات رفع الماء، ويقال إن ليوناردو دافنشي استفاد من ترجمتها؛ فليست "النهضة الأوروبية" نشأت من عدم. لكن عقولنا بُرّجت غربيًا على أن التاريخ بدأ حين بدأ الغرب ينتشر في العالم، وأنه صنع القوانين والنظام الدولي، وأن قبل ذلك "فوضى". هذه مشكلة كبيرة حتى في مناهجنا؛ لا أحد يعلم أن الأصول جاءت من علماء مسلمين أو الصين... وكان الحصار بدأت حين استفاق "الإنسان الغربي".

الرؤى: كيف أسقطت هذه السردية على فلسطين ومسارات "السلام"؟

خنفر: في كل مرحلة من مراحل القضية الفلسطينية يحاول الغرب أن يعيدنا إلى "عنق الزجاجة". بعد الانتفاضة الأولى عقدوا لنا مؤتمر مدريد ١٩٩١ وقالوا: "حل الدولتين". طلب الاعتراف بـ "إسرائيل"، بينما "إسرائيل" لا تعترف بفلسطين؛ ثم طلب من العرب طمأنة "إسرائيل" أمنياً والتطبيع لتعزيز "الاعتدال" "الإسرائيلي". وقعنا أوسلو ١٩٩٣، ووادي عربة، وكامب ديفيد قبلها، وحلفنا بكل المقدسات أن نحافظ على أمن "إسرائيل"، وقدمنا كل التنازلات دون ثمن، و"إسرائيل" ترفض الثمن وتوسع الضم والاستيطان. وحين قامت انتفاضة الأقصى أعدونا إلى كامب ديفيد ٢٠٠٠ وعدّ لوها أمنياً وطلبوا تنازلات في القدس؛ وفي الوثائق التي نشرتها الجزيرة قال المفاوض الفلسطيني لتسيبي ليفني: "أعطيتك أكبر أورشليم في تاريخ الشعب اليهودي". ثم أين الدولة التي كان يفترض أن تحتفل بها؟ لم تُطبق الاتفاقات، وبدأ الضم، ثم جاء ٧ أكتوبر.

الرؤى: تصف ٧ أكتوبر بأنه "زلزال مذهل"، فماذا تراه بعده؟

خنفر: دخلت "إسرائيل" في إبادة جماعية ومحاولة قلع

مصر عقدة كبيرة في عقله. ونُسج على هذا المنوال قراءات كثيرة. حتى قصة شارلمان و هارون الرشيد التي يُلبس بها البعض "تفاهمًا حضاريًا"، والحقيقة أنها تفاهمات استراتيجية ضد عدوين مشتركين - البيزنطيين والأمويين في الأندلس - لا علاقة لها بالموثقة ولا "حوار الحضارات".

الرؤى: إذا عدنا إلى جذور أقدم أليست منطقتنا صاحبة نظم وعهود سبقت "القانون الدولي" الغربي؟

خنفر: في بحثي وجدت أن أقدم وثيقة سياسية أمنية في التاريخ الإنساني تتكلم عن اتفاقية بين مصر والدولة الحثية سنة ١٢٥٩ قبل الميلاد، "وثيقة قادش"، موجودة على ألواح طين مشوي في متحف إسطنبول. تنص على حفظ كل ملك

دخلت "إسرائيل" في إبادة جماعية ومحاولة قلع الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة، ثم بدأ العالم يستفيق على أنها دولة مارقة

سيادة الآخر، وعدم الاعتداء، والنصرة عند الهجوم الخارجي، وتسليم المطلوبين... إلخ. دولتان عظيمتان كانتا تقتسمان النفوذ: مصر والحيتيون في الأناضول وبلاد الشام. التاريخ لا يتغير كثيرًا؛ لهذه المنطقة نظم وقواعد وقوانين ورؤى تمتد آلاف السنين. قبل ١٢٥٩ ق.م. كان يتقاسم الشرق الأوسط خمس دول: الآشورية، البابلية، المصرية، الحيثية، ودولة في شمال جزيرة العرب، ووقعوا نظامًا إقليميًا للتعاون الاقتصادي والتجاري وعدم الاعتداء (نحو ١٣٦٤ ق.م)، ومع ذلك يأتي من يقول: الغرب اخترع "النظام الدولي" و "قانون البحار"؛ يقال إن الهولنديين اخترعوه حين غزوا جزر آسيا، والحقيقة أن كثيرًا من قواعد الملاحة والضرائب و "قانون البحار" وضعت قبل ذلك بقرن على يد المسلمين في منطقة "ملقا"، وكان التجار يجمعون المحيط الهندي وفق قواعد مكتوبة، والصين طبقتها لأنها دولة تجارية لا استعمارية. بدأ المسلمون التجارة مع الصين منذ عهد عثمان بن عفان، فكان لا بد من نظم ملاحة وضرائب



قانون بحار ثم قُضت لاحقًا الانضمام وأُرسلت رسالة من وزير خارجيتها. لدينا أيضًا النرويج وإيرلندا وإسبانيا والبرازيل... والاتحاد الأوروبي يعيد النظر في اتفاقية الشراكة مع "إسرائيل" و١٦ دولة تتكلم عن تجميدها. العالم يتغير.

الرؤى: ولكن في المقابل هناك مؤتمرات في نيويورك تؤكد "حل الدولتين" وتطالب بنزع سلاح المقاومة. كيف تنظر لهذا؟

خنفر: حين يتحرك العالم ضد "إسرائيل" أتوقع قرارات مقاطعة وضغط على داعميها وإجراءات لوقف المذبحة، لا بيانًا خطايا يعيد التأكيد على "حل الدولتين" الذي ترفضه "إسرائيل" وتُبعد غزة وتلتهم الضفة. ١٤٧ دولة اعترفت بفلسطين: ماذا فعل الاعتراف لإيقاف المجزرة؟ الإجراءات العملية هي التي توقفها. أما مطالبة المقاومة بتسليم سلاحها في وسط المعركة فهذه ليست اللحظة: أوقف الحرب أولاً ثم تكلم عن ترتيبات قادمة بتمثيل شرعي حقيقي. أي "شرعية"؟

الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة، ثم بدأ العالم يستفيق على أنها دولة مارقة. مظاهرات في الجامعات، ومشاهد في حفلات موسيقية كبرى في بريطانيا يهتف فيها ٢١٠ آلاف "الموت لجيش الدفاع الإسرائيلي" و"فلسطين من البحر إلى النهر"، فاهتزت بريطانيا، وأدين المغني وحُظر ونوقشت الـ BBC لنقلها الحفل مباشرة. هذه موجة تعاطف أوروبية بيضاء لا علاقة لها بالإسلام، لكنها ترى الحقائق.

الرؤى: أشرت إلى مبادرات مقاطعة سياسية وليست شعبية فقط. ما الذي يجري دوليًا؟ **خنفر:** انعقد في لاهاي قبل أشهر اجتماع لثمانية دول بقيادة جنوب إفريقيا وماليزيا، وقررت مقاطعة "إسرائيل" بستة بنود (منع تزويد السلاح ومنع عبور سفنه ومقاطعة المنتجات...)، بلا دول عربية. ثم اجتماع بوغوتا في كولومبيا ٦/١٥، ارتفع العدد إلى ٣٠ دولة وانضمت دول من أميركا اللاتينية وإفريقيا وآسيا وبعض الدول العربية، ووقعت ١٢ دولة الوثيقة. تركيا لم توقع أولاً لأسباب

شمعون بيريز كتب "الشرق الأوسط الجديد" وواعد بالرخاء بعد التطبيع؛ أين الرخاء؟ ثم جاء جورج بوش بمشروع "الشرق الأوسط الكبير" ٢٠٠٤، ثم كوندوليزا رايس "شرق أوسط يولد من جديد"، ودائمًا مركز "الولادة" هو "إسرائيل".

الرؤى: ما البديل الاستراتيجي إذن؟ وكيف تفكر بالتاريخ في صنع الرؤية؟

خنفر: أي تفكير استراتيجي بدون تاريخ هو خبط عشواء: هذه أمم عريقة تعيد تشكيل نفسها رغم التواءات (الصليبيون، المغول...)، وهذا لا يفهمه إلا من قرأ التاريخ. حتى ماوتسي تونغ، بعد جنونه وثورته الثقافية التي مات فيها ٤٥ مليوناً، قال قبل موته: حاولت أن أغير الصين فاكشفت أنني لم أستطع أن أغير إلا بكين؛ وسفيتلانا ألكسييفيتش تنقل قولاً جميلاً: "روسيا قد تنقلب رأساً على عقب في خمس سنوات لكنها في ٢٠٠ عام لا تتغير". منطقتنا لا تدار من الخارج، لكنها قد تنفجر؛ وحين تنفجر يتغير كل شيء وتبدأ مرحلة جديدة ويُعاد ترتيب الأمور.

الرؤى: وتخشى أن تُعاد "تأهيل" "إسرائيل" عبر مسارات سلام فتتحول من متهم بالإبادة إلى "شريك"؟

خنفر: نعم، هذا أخشى منه. يصير مؤتمر سلام ويخرج ننتباهو المتهم في المحكمة الدولية "شريكاً"، وربما مرشحاً لنوبل. يجب الانتباه.

الرؤى: كيف ترى تغير النظام الدولي وصلته بموازن القوى الإقليمية (تركيا، إيران، باكستان)؟

خنفر: اليوم الواقع أفضل مما كان: تركيا كانت أول دولة إسلامية اعترفت بـ"إسرائيل" عام ٤٨، وإيران الشاه كانت أهم حليف لـ"إسرائيل". تزودها بالنفط في حرب ٦٧ وأهم مركزًا بحرياً كان في طهران. اليوم إيران في حالة عداء وحرب مع "إسرائيل"، وتركيا باتت ترى "إسرائيل" مشكلة للامن القومي التركي بسبب سوريا، لا فقط بسبب فلسطين. قصف "إسرائيل" للمنشآت الإيرانية ليس "من أجل حماس" بل لتخصيب اليورانيوم، وترتبط بقضية الأمن القومي الإيراني. "إسرائيل" صارت عدواً حقيقياً لدول تريد نفوذاً: إيران، تركيا، وباكستان

وراثية؟ ليست عندنا. انتخابية؟ متى أجريت آخر انتخابات؟ ثورية؟ أين الثورة؟ أنا أرى دولة احتلال تُسيّر أجهزة أمن في السلطة. أي شرعية أخضع لها كفلسطيني لتحميني بعد هذا الثمن الباهظ من الشهداء والجرحى والدمار؟ الذي سيحدث "ديجافو": يبدأ "سلام"، صور ومصافحات وجائزة نوبل على شيء لم يحدث، ثم يبدأ التطبيع العربي لأن "الفلسطينيين يتفاوضون"، فتطوّع المنطقة وتريح "إسرائيل" تطبيقاً جديداً.

الرؤى: ماذا عن الضغوط الغربية على دول مسلمة للاعتراف بـ"إسرائيل" مقابل الاعتراف بفلسطين؟

خنفر: مكتب رئيس وزراء "إسرائيل" يسترب نحن على وشك التطبيع مع إندونيسيا، ثم يُطلب من إندونيسيا وماليزيا الاعتراف بـ"إسرائيل" مقابل اعتراف فرنسا بفلسطين. فترفضان. السؤال: "أي "إسرائيل" نعرّف؟" ضعوا حدوداً! "إسرائيل" تعرّف

لم يكن لدينا موقف عربي موحد: كنا نلتقي "الإسرائيليين" في الكواليس وكل دولة "ترتب أمورها" منفردة، فبدأ التنسيق الأمني ثم السياسي السري ثم التطبيع العلني

نفسها بدولة عاصمتها القدس "الأبدية"، والقدس الشرقية محتلة قانوناً، والجولان "جزء لا يتجزأ"، وهناك قرارات بضم الضفة. الاعتراف بماذا يتغير كل يوم ويتوسع؟ هذه مؤتمرات تعيدك إلى ما قبل النضال والتضحية.

الرؤى: تقارن دائماً بمدير يد وأوسلو وأنا بوليس. كيف كان السياق حينها؟

خنفر: يوم مدريد كانت أميركا خارجة من حرب العراق وقد أخضعت العرب بالعصا، والمنظمة كانت واقفة مع صدام. لم يكن لدينا موقف عربي موحد: كنا نلتقي "الإسرائيليين" في الكواليس وكل دولة "ترتب أمورها" منفردة، فبدأ التنسيق الأمني ثم السياسي السري ثم التطبيع العلني. الغرب دائماً يحاول إعادة خلق "شرق أوسط" جديد: ١٩٩٣

دفاع مشترك“، تركيا بلا نووي، والمظلة النووية الباكستانية تغطي تركيا وإيران، وتنتهي معادلات كثيرة. المشكلة دائماً “إرادة”. الأمم العظيمة تحتمل المكاره وتدفع الثمن وتبتكر الحلفاء؛ نحن فشلنا فخرنا.

الرؤى: البعض يقول: الصين ليست بديلاً عن أميركا ولن تحل محلها، إذن ما الجدوى؟

خنفر: ومن قال إننا نريد “سيذا” جديداً؟ لا نريد دولة تتفرد كأميركا أو بريطانيا أو فرنسا؛ نريد دولة نتاجر معها وتوازن الغرب، ولدينا نموذجنا الحضاري. القول إننا نخلفنا لأننا بلا “فلاسفة حديثين” مغالطة: الغرب تقدّم بالقوة والذهب والاقتصاد. لا لأن “نيتشه قال مات الإله”! نحن لدينا إجاباتنا الكبرى من قرآننا وسنّنا، فارتاح الإنسان وانطلق للفعل. مشكلتنا اليوم ليست “فكرًا” بل قوة وإدارة قوة، وهذه وقعت علينا وقعة صاعقة في القرن الأخير. في تاريخنا كلما وقعنا نهضنا بعد قليل، إلا في القرن الماضي. ▶

التي تمتلك السلاح النووي. لماذا تريد “إسرائيل” ضرب إيران؟ لتبقى الدولة الوحيدة بسلاح نووي؛ فلو امتلكت إيران سلاحاً نووياً صار ردع متبادل وتكافؤ تقليدي قد تهزم فيه “إسرائيل” أمام تحالفات إقليمية. لذلك تضغط أيضاً على باكستان، وقد تعمل على تفكيكها لمصادرة السلاح بذريعة “وقوعه في الأيدي الخطأ”. وعلى العرب أن يقلقوا؛ فـ “إسرائيل” تتمدد وقد تدخل سيناء يوماً، وسيناء شبه خالية السلاح. نحن أمام عدو يكسر قواعد الأمس ويقوده قوم لا يرون الآخرين بشراً.

الرؤى: أين “الأمن القومي العربي” من هذا كله؟ وما شكل التكتل الممكن؟

خنفر: العرب اليوم بلا تصور لأمنهم القومي؛ كل دولة “نفسى نفسى” بالتقرب لترامب أو لـ “إسرائيل”، وهذا لا يعصمها. النظام الدولي الحالي يسمح بتكتلات جديدة: أمس الصين وروسيا استخدمتا الفيتو لصالح غزة، وهذه فرصة. تخيل لو جلست تركيا وإيران وباكستان وقالوا: “اتفاقية

✓
الرئيس بيل كلينتون (يمين)،
ورئيس الوزراء الإسرائيلي
إسحاق رابين (يسار)،
والرئيس المصري حسني
مبارك (الثاني، يسار)، والعاقل
الأردني الملك حسين،
يحسّنون علاقاتهم، بينما
يتابع رئيس منظمة التحرير
الفلسطينية ياسر عرفات، في
البيت الأبيض، ٢٨ سبتمبر/
أيلول ١٩٩٥، رويترز/نشرة.





فلسفة الذاتية و الإرث الحداثوي الكولونيالي وبن

فوزي العلوي

أستاذ الفلسفة وعلم الاستغراب
جامعة الزيتونة • تونس



مقدمة

لقد غدت الحداثة إحدى الاهتمامات الفكرية الكبرى، بل هي معيار الحكم على المشاريع والأفكار التأسيسية. إنها بحق البراديفم المرجعي لكل ما سواه، باعتبارها مقياساً أوحدهم للتقييم والحوكمة والتصنيف، والحد الفاصل بين المقبولة والاعتماد والشرعية، وبين الرفض واللاعلمية. وبإمكاننا أن نتبين إلى أي مدى هي فكرة مراوغة: وأن الواجب الأول الذي يفرض نفسه هو تمييزها عن المفاهيم المجاورة والملحقة، كـ "الراهن" (L'actuel)، و"المعاصر" (Le contemporain) و"الجديد" (Le nouveau). كانت الذاتية والحرية والتفكير هي خصائص العصر الجديد. وجاء العالم الحديث أولاً، في نهاية القرن الثامن عشر، معبراً عن مشروع لعالم عقلائي يهدف أيضاً إلى ضمان تحرير الأفراد، حيث، اعتبرت عقلانية التنوير حرية الإنسان مضمونة من خلال انتصار العقل وتدمير المعتقدات القديمة: فكان ذروة هذه الحركة إعلان حقوق الإنسان عبر تقديس فكرة "التقدم". إن ما تشهده الذاكرة والموروث الشفهي والمادي للثقافة الغربية والفرنسية تحديداً، هو مدى التلازم بين بناء المشروع الثقافي ومفهوم الهوية لاستجابتها لمقتضيات الشملة (ميكشليليل، ١٩٩٣، ص ١١): تمييزاً له عن نظرائه كـ "الماهية"

و"الجوهر"، نظراً لانتماء المطلب الهوي إلى موضوع إنساني محض، يكون فيه الإنسان وحده هو الذي قد يتبدى على غير ما هو عليه استحضار لثنائية المفارقة والتعالي، الواقع والمثال، على نحو قد تنقلب فيه الهوية إلى استلاب من حيث أن وجودها يشيء بالوجود الذاتي بمعنيتها "الفردية" و"الداخلي"، وفي غيابها يحل الغتراب (حنفي، ٢٠١٢، ص ١١).

لعل من أبرز الإشكاليات الفلسفية والسياسية الراهنة، والأكثر اشتغالا داخل متون الفلسفة السياسية الحداثية، تلك المتعلقة بسؤال الآخر السياسي وما اتصل بها من مظاهر العنف والإقصاء، كظاهرة متجذرة في تاريخ التفكير السياسي، بل ومتوتنة في الممارسة الفردية والجماعية وكسلوك سياسي واجتماعي، ابتداءً من اللحظة الماكيافيلية، وصولاً إلى اللحظة الكانطية.

والحال أن العقل الفلسفي الحداثي، في طرحه لمفهوم منزلة الآخر الاجتماعي وبقية التيمات المتصلة به والمشكلة لمفهوم الحداثة السياسية، قد أنزل خطابه وممارسته التاريخية ولحظة حدائته السياسية ضمن مفارقة تكشف عن مخاتلات، أدت به إلى حد الانقلاب على مسلماته ومقدماته النظرية التي شكلت على أساسها منطلقاته ومسلماته الكبرى.

لقد سعى الخطاب الفلسفي الحداثي إلى تأسيس أولوياته في صميم الحدث السياسي. إذ تكشف الحداثة السياسية على حقيقة يشير تاريخها إلى تجذره ضمن مرجعية تاريخ النقد الجذري لفكرة الاستبداد السياسي، وتأسيس الحقوق المدنية الفردية والجماعية، كمبدأ أساسي يقوم به الأداء

حظة الإنسية أنموذجا سواء التصورات المعاصرة للهوية

رسالة التقدم، وهو تبني الليبرالية السياسية، ومرجعية الخيار الاقتصادي الرأسمالي القائم على الملكية الفردية والمبادرة الحرة. فضلا عن مسككية المنهج التجريبي والعلمانية.

غير أن تفكيك منظومة الحداثة يكشف أن رهاني التحديث والعقلانية لا يمثلان سوى ظاهرتين تتسمان بدور الوسيلة لا الغاية. والواقع أن الحداثة لا تشكل سوى الإطار الفكري والثقافي الناظم لتشكيل البنى الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا، وأن الاستعمار هو المحدد النهائي والعمل لنمط الإنتاج الرأسمالي الحديث، وتدويله ضمن حركة العولمة السياسية. وأن السعي نحو تحقيق مزيد من الربح والاستثمار بغنيمة فوائض القيمة وموارد العالم لصالح المركز الأوروبي والغربي بعاملة، إن هي إلا الدوافع الحقيقية المحركة لأخطبوط الحداثة وحركة الغزو والإفساد في الأرض.

أولا: الحداثة ثانيا- الحداثة ومفارقة الديني - الديوي: ومفارقة الهوية

إن ما تشهده الذاكرة والموروث الشفهي والمادي للثقافة الغربية والفرنسية تحديدا، هو مدى التلازم بين بناء المشروع الثقافي ومفهوم الهوية لاستجابته لمقتضيات الشملة (ميكشيلي، ١٩٩٣، ص ١١): تميزا له عن نظرائه كـ "الماهية" و "الجوهر"، نظرا لانتماء المطلب الهوي إلى موضوع إنساني محض، يكون فيه الإنسان وحده هو الذي قد يتبدى على غير ما هو عليه استحضارا لثنائية المفارقة والتعالي، الواقع والمثال، على نحو قد تنقلب فيه الهوية إلى استلاب من حيث أن وجودها يشيء بالوجود الذاتي بمعنييه "الفردية" و "الداخلي"، وفي غيابها يحل الاغتراب (حنفي، ٢٠١٢، ص ١١).

ذلك أنه، لا بد -في نظر مارسيل غوشيه (Marcel GAUCHET)- أن نأخذ بعين الاعتبار مشهدية ثلاثية الأبعاد تجري وفقها وبشكل مترام حركة التغيير: "داخل الأشخاص، وبين الأشخاص (أو علائقي)، ومدني" (غوشيه، ٢٠٠٧، ص ١١٥)، انطلاقا من ظاهرة "إثبات الذات بالهوية": إلى حد يجوز معه الحديث عن "الخطاب" المستند إلى فهم للعقلانية وللعلمية معا، يؤسسان لروحية ثقافية تنويرية، تسري دون انقطاع أو التباس في كامل مجرى التاريخ الإنساني، على أساس تنظير فلسفي لعقلانية استعلائية مترسخة في فهم

الوظيفي للدولة الحديثة، وتستقيم به منظومة الحقوق والتشريعات.

غير أنه لا يمكن فصل الحداثة السياسية عن المنظومة الكولونيالية التي أرسنها إلى حد اليوم بما لا يلزم من استحضار الصفات الجوهرية (روزنتال، ١٩٧٤، ص ٢٥١)، جاءت في صميم الاستجابة لمقتضيات تشكل النظام الرأسمالي في القسم الغربي من القارة العجوز، منذ منتصف القرن الخامس عشر للميلاد. وحيث اعتمدت، في سبيل توفير إغناح هذا المسار وتطويره، على توفير الشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفق مقاربة علموية من نسيج روح عصر النهضة الأوروبية، انطلاقا من تفعيل دور العقل البشري وقواه في استنزاف المقدرات الطبيعية، لتحقيق أعلى درجات الرفاه المادي والمتعة، تحت غطاء تحصيل المنفعة. ولا عجب أن يتزامن تشكل النظام الاقتصادي الرأسمالي مع ملازمته لإطار فكري ومرجعية ثقافية وسلطة معرفية مبتكرة كليا في القارة الأوروبية.

وهو أمر يجعل من الصعوبة بمكان فهم الحداثة والمنظومة الكولونيالية دون استحضار الإطار الذي مهد للانهايار الكامل للبناء المعرفي المتهاك للقرون الوسطى، لتتبدل معه صفة العصر واسمه، فضلا عن طبيعة المرحلة. فكانت الحداثة بذلك أهم ناظم للنسق الثقافي الناشئ في القارة الأوروبية، والإطار المركزي في منظومة الإنتاج الرأسمالي الوليدة^٢. فتكون بذلك الحداثة الغربية في صميم الحالة الثالثة للمرحلة الوضعية المعبرة عن أهمية نظم المعرفة العلمية في بنية الدولة الحديثة^٣. حين تخلت عن الإرث الميتافيزيقي، وتبنت بالكامل نظرة جديدة لحياة عنوانها: "البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم" (ماريك، ١٩٧٢، ص ٣٢)، وحيث سيكون للمبادئ الأساسية الثلاثة للحداثة ارتباط وثيق بالمنظومة الكولونيالية في صميم تحديد ماهية "نظرية التحديث والعقلانية" -كما صاغها بعض الرواد الأول- ليبرالية ذات مرجعية لاهوتية مسيحية بروتستانتية، والتي تشدد على وجود سبيل وحيد على جميع شعوب العالم أن تسلكه لتحقيق

مارسيل غوشيه
(Marcel Gauchet)
فيلسوف ومؤرخ للأفكار
وعالم اجتماع فرنسي
معاصر (مواليد ١٩٤٦)، يُعدّ
من الشخصيات البارزة في
الفكر السياسي والفلسفي
في فرنسا.



وغريزة الغرب الثقافية والسياسية. حتى بتنا أمام "إيديولوجيا" لعقلانية غربية فظة ومتوحشة تتناقض بنيويا مع الموروث المفاهيمي لحدثة التنوير ذاته. إذ لم تعد غايتها الكشف عن وجوه اللانسجام واللامعقولية في التاريخ والممارسة، لصالح غايات موهلة في المصلحة والنفعية^١.

وفي سبيل تقديم تصور هيدغري لإمكانية اقتراح مقارنة تفهيمية للعلاقة القطبية بين "الديني" و"الحدائي" من منظور فينومينولوجيا للتجربة الدينية تهدف إلى فهم وتفهم البنية "الحدائية" للحياة وتجليتها في تجربة "الإيمان المسيحي": فإن الفينومينولوجيا تتحول بمقتضى هذا المسعى انطلاقا من مسارات العودة للأشياء ذاتها بمعزل عن أحكامنا المسبقة وأوهامنا عنها، نحو الاغراط في "حدئية" تدعونا للتخلي عن أنبينا النظرية العامة في مسعاها لتركيب وإعادة تركيب مفهوم الحياة بصفة بعدية، وذلك "من أجل إدراك المعنى الحقيقي للحياة بماهي تجربة هيرمينوطيقية تقوم على الـ"تحقق" المستمر للدلالة والفهم في "وضعيات" تاريخية ملموسة لا تقبل الموضوعة والاختزال في مواقف نظرية ولا تخضع للتحكم النظري. فالالتقاء الفينومينولوجي بالحدائي ينسب الذاتية التي تأسست عليها الحدائية ويرتد بهذا التنسب على التجربة الدينية اجتثاثا لكل مركزية إنسانية، هي في الواقع نشأت قديما وتدعمت وسيطا ولكنها وجدت في الحدائية منعرجا حاسما للتبلور" (التسولي، ٢٠١٨، ص ٥٤).

يتجلى تأويل هيدغري (١٩٧٦-١٨٨٩) للحدائية من خلال الكشف عن ظاهرتين متلازمتين: ظاهرة مخاض الذاتية، وظاهرة "الوعي التاريخي" التي نشأت انطلاقا منها. فالمفهوم الحديث للذاتية يتعلق باكتشاف منطقة الوعي التي أصبحت تكتسي دلالة الميدان الأساسي للبحث الفلسفي، على قاعدة "أن يكون شيء ما من قبيل الوعي محور بحث، فذلك ما كان مستبعدا من الوعي الإغريقي والمسيحي" (Heidegger, 2013, p:66).

إنه انطلاقا من هكذا منزلة جديدة للوعي، تمنحه امتياز شرعة البحث الفلسفي عبر رده إلى أرضيته الموضوعاتية (Thématique): فقد تحول ما هو إنساني مختزل إلى حدث من الوجود النفسي المتقوم بذاته، حيث يجد في "مذهب العزلة" (Solipsisme) ملامح إنانة شاحبة، تتحدد في

صورة انسحابه من العالم إلى مركز "الأنا"، ضمن تمش يجعل منه "أنا نظري"، يستمد من ذاته يقين معرفته بالعالم وقد استحال "موضوعا"^٢.

إلا أن الثابت في تاريخ الثقافة الغربية، هو ذلك التنافر الأصيل بين كينونة اللغة، وكينونة الإنسان كخاصة من خصائص فكرنا الأساسية. وهذا ما يفسر الانقلاب داخل مراكز القرار المعرفي، عندما يتحول إلى أسير للغة، مغمورا بها من كل جانب. فهي تحاصر الذات داخل قلعتها المكشوفة وتسلب منها حق الدلالة عليها، وقول الحقيقة عنها: "إن ما يطل علينا من داخل اللغة [...] هو أن الإنسان "نهائي"، وأنه حيث يبلغ ذروة كل كلام ممكن، لا يصل إلى صميم ذاته، بل إلى حافة ما يحدده: في تلك المنطقة حيث يهيمن الموت، وينطفئ الفكر، وحيث الوعد بالأصل يتراجع إلى ما لا نهاية" (فوكو، ١٩٩٠، ص ٣١١)^٣.

إن الفلسفة بعد أن كانت لقرون طويلة تمثل بحثا في

لقد غدت الحدائية إحدى الاهتمامات الفكرية الكبرى، بل هي معيار الحكم على المشاريع والأفكار التأسيسية

الموجود الذي هو العالم استحالت بحثا في موجود جديد هو الوعي بالعالم من خلال الوعي بالذات. ومع ذلك فإن فهم فكرة الحدائية على أنها فكرة حقبة من الزمن في قطيعة مع الماضي الإغريقي والمسيحي لا يمكن أن يتوافق مع التأويل الهيدغري. بل إن الاكتشاف الديكارتي لـ"الأنا أفكر" من جهة أنه "الكائن الواعي" أو الذات ليس إلا تجسيدا لبعض من إمكانات الفلسفة الإغريقية، وهي اختزال ماهية الدازاين في بعد ممكن من أبعاده هو "النظر". (Heidegger, 2012, p:133)

ويتكشف جوهر الحدائية -حسب هيدغري- فيما يسميه بـ"الوعي التاريخي"، الذي تحدت معالمه الأساسية في سياق علاقة بالمفهوم التاريخي للثقافة الذي دشنته فلسفة الأنوار (Heidegger, 1999, p:132). ويتعلق الأمر -حسب التأويل الهيدغري- بظاهرة الوعي الحديث بالبعد التاريخي "بما هو وعي بالتغير يختبر التاريخ على أنه "عبي"، فتنشأ

بذلك الحاجة إلى "موقف" يتوخى "الوضع" والسلوك النظري سبيلا له من أجل تأكيد الـ (Dasein) لذاته و"تأمين" معنى وجوده وحياته في مواجهة زمانية التغيرات التاريخية^{١١}. لقد كشف تحليل التناهي انطلاقاً من الفكرة السائدة حول اللغة لدى ميشيل فوكو (١٩٨٤-١٩٢٦)، بكونها لا يمكن أن تكون إطار معرفة موضوعية لأنها ما تزال تلج على ضرورة إعادة تفسير التاريخ بكشفها أن الإنسان كان على الدوام تاريخاً: "وهذا ما يكشف عن القدرة الكامنة في الإنسان على فهم نفسه والموجودات من حوله، مما يفتح أمام الإنسان فضاءً زمنيًا يمنح التاريخ والزمن وجودهما المتميز داخله"^{١٢}؛ إلى "درجة أن الأشياء (حتى تلك التي تأتي قبله) تجد فيه بدايتها؛ فهو ليست ندبة وسمت في لحظة من الزمن، بل هو النافذة التي يستطيع الزمن بشكل عام أن يعيد تكوين ذاته من خلالها وينصرم، وتستطيع الأشياء فيها أن تحقق ظهورها في لحظتها الخاصة" (فوكو، ١٩٩٠، ص ٢٧٤). لذا، يكشف فوكو عن تصميمه إقصاء هذا المفهوم الكلاسيكي عن التاريخ لأنه يحيل إلى الذات الفاعلة والمؤسسة.

ولعل تأكيد هيدغير أن الوعي التاريخي الحديث متمفصل مع نزعة "دنيوية" تقود "الحياة الحديثة"^{١٣} إلى البحث عن "وسائل دنيوية" لتبرير ذاتها، استناداً إلى بعد مقولي أساسي من أبعادها وهو "الاكتفاء الذاتي" (Heidegger-Autosuffisance, 1999, p: 33, ger)، من شأنه أن يكشف عن "طبيعة المنظور الهرمينوطيقي للدنيوية وعن دلالاته الأنطولوجية بالنظر إلى نمط الاضطلاع بالوجود التاريخي" (التسولي، ٢٠١٨، ص ٥٧).

ويستند هذا التوصيف الهيدغيري للحدث، مفهوماً وواقعاً تاريخياً، إلى بيان "الدنيوية" وتجليتها بصفتها "نمطاً حياتياً في الوعي بالتاريخ انطلاقاً من افتقاد الحياة ليقين المشروعات العتيقة" (المرجع نفسه). وهو توصيف يضم الديني ذاته باعتباره متمفصلاً في الأفق الحداثي، ويتحدد من جهة أنه تحول إلى "ظاهرة وعي" تختزل الديني على نحو من المضمون الموضوعي والمزج الشرعي

إن المتتبع لحقيقة موقف فوكو من التاريخ، يدرك أن هذا النقاش الدائر، يتنزل في صلب اهتمام فوكو الأساسي والموجه إلى محاربة الإنسية في كل تجلياتها، وتعقب الإنسان كذات واعية وفاعلة وعاملة ومريدة، وما يحيل إليه من رفض لفكرة الاستمرارية في التاريخ: "إن التاريخ المتصل هو الرديف الملازم للردور التأسيسي للذات؛ فهو الذي بضمن لها أن تستعيد كل ما ضاع منها، وتؤكد أن الزمان لا يفرق بين الأشياء إلا لكي يعيد إليها وحدتها، وما يعد بأن كل هذه الأمور التي أزاحها الاختلاف، في مقدور الذات- في صورة الوعي التاريخ- أن تتملكها يوماً ما، لتبتس عليها هيمنتها، وتجد فيها ما يمكن أن نسميه مقرها"^{١٤}.

وقد حاول إدغار موران (Edgar MORIN) أن يبين أن الأفكار الرائجة المتعلقة بـ "الإنسان العاقل" (Homo Sapiens)، ذي الفكر العقلاني الذي يمكنه أن يكون في الوقت نفسه إنساناً معتوهاً (Homo demens) وقادراً على الهذيان والجنون، و"الإنسان الصانع" (Homo Faber) الذي يدرك صناعة الأدوات واستعمالها، و"الإنسان الاقتصادي" (Homo Economicus) الذي يتحدد وفقاً لمصلحته الشخصية، ويكون في الآن نفسه الإنسان اللاهوتي (Homo Ludens) الذي بلهو وينفق ويبذر، هي كلها أفكار غير كافية. وفي هذا الصدد، يؤكد موران أنه لا بد من صهر هذه السمات المتناقضة ربطاً ببعضها البعض خاصة لما تحتويه من جانب "العتة" أو كما يسميه اليونانيون بـ "الإفراط" (L'hybris)، المؤسس



● صعود المسيح
● الرسام: غير معروف
(أوروبا)
● التاريخ: الفترة: القرن
السادس عشر أو السابع
عشر الميلادي
(عصر النهضة المتأخر /
أوائل الباروك)





وجاء العالم الحديث أولاً، في نهاية القرن الثامن عشر، معبرا عن مشروع لعالم عقلائي يهدف أيضاً إلى ضمان تحرير الأفراد

تاريخياً بولادة البورجوازية الليبرالية كقوة اجتماعية واقتصادية صاعدة، استطاعت الأنوار من خلالها التعبير عن طموحاتها الذاتية محلياً وعالمياً. وقد تأتّى لها ذلك عبر تحرير المؤسسات والعقول من الأغلال التقليدية ومن أوهام أشكال اليقين المطلق والمقدس أحياناً الذي صمد لقرون قبل قيام الثورة البرجوازية الفرنسية كحدث سياسي رسم المعالم الهويوية لحركة التغيير الاجتماعي والحضاري العام في فرنسا وأوروبا. ولا يمكن رد فلسفة الأنوار إلى مجرد حركة اجتماعية أو اقتصادية أو مجرد غطاء لهذا الموقف أو ذاك بما في ذلك الثورة الفرنسية نفسها. فكان لازماً الإشارة

للهمجية الإنسانية، والمنتج للهذيان والكراهية والاحتقار الموجودة في العقل. غير أن المعقولية (Rationalité) - حسب موران - لا يمكن تحديدها بطريقة أحادية الدلالة: ذلك أننا نقع في الخلط بين دائرة المعقولية ودائرة العقلنة (Rationalisation)، أي ذلك النظام الذي يكون غاية في المنطق ولكنه يفتقر إلى أساس خبري عملي يثبت صحته، خاصة وأن العقلنة يمكن أن تخدم الشهوة، وبالتالي تؤدي إلى الهذيان، أو ما يسميه موران بـ "هذيان المعقولية المغلقة". أما "الإنسان الصانع" فهو - في نظر موران - قادر على خلق أساطير هذيانة عندما يبعث الحياة في آلهة شرسة وجائرة تقوم بأعمال همجية. وقد اعتبر موران أن عالم الأفكار والأرواح والآلهة التي أنتجها ذلك الإنسان الصانع في رحم ثقافته، عبارة عن "محيط معرفي" اكتسبت من خلاله الآلهة القدرة على التحكم في العقول وتملك البشر وإساءة الهمجية بينهم، بالرغم من أنها من خلق فكرهم (موران ٢٠٢٠، ص ١٣). وهذا ما يفسر أن انبثاق فلسفة الأنوار قد اقترن

النظريات والمذاهب. ومنذ مطلع القرن العشرين، ظهرت حركة جدلية امتنعت عن البدء بالمحاور الفكرية وردت اعتبار كل ما هو محسوس في مقابل التصور النظري. وبذلك، أعيد وضع نظرية المعرفة في مكان ثانوي بعد أن كانت تتمتع بالتبجيل والهيبة خلال القرن التاسع عشر. حتى أن "فكرة الوعي" أصبحت موضع بحث وطريقاً لانتفاخ الذات على العالم الخارجي للتعايش معه، وضعفت الثقة في فكرة النسق الفلسفي وطريقة إملاء المشكلات وفرضها. وبالتالي، أصبحت مشكلة الوجود تختفي شيئاً فشيئاً أمام مشكلة القيم، وتكاثفت جهود تعمل على المصالحة مع الوجود العيني وتشير إلى ظهور تحول حقيقي في عالم الفلسفة، ينشد إلى تحالف ديكرات مع كانط في حقل الثقافة الفرنسية لم ينته بعد، من خلال العمل على تخفيف النقد الفكري على فعل النهوض بوظيفة التقنية اللازمة لإصلاح المدونة الفكرية والثقافية الفرنسية خاصة، حتى تعود كما كانت إلى صوت الحكمة^{١٧}.

إنه انطلاقاً من القرن السادس عشر حدث تحول حضاري في أوروبا الغربية، تزامن مع توسع عمراني وازدهار اقتصادي، على أساسه تشكل مفهوم الدولة/ الأمة الحديثة انطلاقاً من النهضة الأوروبية التي قامت بإحياء الإثن الإثني اللاتيني^{١٨}، والإغريقي^{١٩}، عبر تطور ثقافة قائمة على إدماج الثقافتين، تحت راية "الإنسية" (Humanisme) الأوروبية في عصر النهضة، حين كان السبق لجان جاك روسو في دعوته إلى خلاص الإنسان من ذلك الجهاز المرعب، أي فلسفة الأنوار (علوي، ٢٠١٤، ص ١٣٣-١٣٨). ويمكن الكشف عن مصدرين لجوهر هذه الإنسية. وهما: الإرث الديني في عهديه القديم والجديد المتمثل في اليهودية والمسيحية، وداخل التراث الفكري والفلسفي الإغريقي الذي أثبت خلاله الفكر البشري ومعقوليته استقلاليتهم؛ على نحو لا يقصي الواحد منهما الآخر. ويترب على هذا الدمج أن المصدر الأول -حيث يكون الإنسان في صورة الإله ويصير الرب بشرياً- وإن كان يخلص إلى احترام الذات البشرية؛ إلا أنه يفضي خاصة إلى "إناسة مركزية ساذجة" (Anthropocentrisme)، تكون مصدراً لداء جنون العظمة (Mégalo manie)، ويشير إدغار موران، في حديثه عن همجية الثقافة الأوروبية، إلى أن التخلص من الرب من شأنه أن يمنح الإنسان

إلى بعدها التأسيسي الآخر المتمثل بالمطلب الإيبستيمولوجي، عبر براديفم القطيعة المعرفية داخل الفكر الفرنسي والأوروبي بين القديم والحديث على صعيد القيم المعرفية.

وبفضل هذه الروحية الجديدة بدأ المفكر الأوروبي (الفرنسي والألماني خاصة) يشعر بضرورة التحرر من الموروث الديني - السياسي - المعرفي للحضارات الأخرى لاسيما الشرقية منها، فكانت مقتضيات ذلك بناء مركزية إيبستيمولوجية وجغرافياً - سياسية مقترنة بسجال نقدي عنيف ضد المعتقدات المسيحية وتجلياتها على القيم الأخلاقية والمفاهيم السياسية والأدب والفنون والعلوم، دون أن يعني ذلك مطلقاً التنكر للدين بل علمنته عبر تطويعه، إلى أن يكون تعبيراً حميمياً دون أن يتحول إلى أرضية للتمثل الجماعي للمسكون والديني؛ حتى أننا لا نعتز عن توجه استثنائي عام للمسألة الدينية في التمثل الفرنسي والغربي لهويته الثقافية. وهو يشهد على عديد المحاولات الفلسفية التي لم تستطع - رغم تعددها وثرائها وتنوع مرجعياتها- أن ترسم معالم تشخيصها للبدائل البحث المنهجي الممكنة لبعض الاتجاهات الفلسفية النقدية خارج ثراء التحالف بين الديكراتية والكانطية في حقل الثقافة الفرنسية.

وهو الموقف الذي عبر عنه فردينان ألكيه (Fer- dinand ALQUIE 1906- 1985)، بضرورة العمل على تخفيف النقد التفكيري على النهوض بوظيفة التقنية الضرورية لإصلاح الفلسفة حتى تعود كما كانت "صوت الحكمة" الذي يصدر بحضور ديكرات ثقافياً في فرنسا^{٢٠}. ويأمل ألكيه أن ينقذ الفكر النقدي الفلسفة وينقي معناها ووظيفتها ويضمن أصالتها وعلمها. كما حاول البرهنة على أن إنقاذ الإنسان لا يتم إلا عبر إنقاذ الفلسفة. فالمعرفة النقدية ليست مجرد خسارة العلوم، بل إنها تتبع النموذج الذي رسمه ديكرات وكانط يجعل عمل النقد بمثابة الاعتراف بتعال الكائن^{٢١}. وتشير الحركة الفكرية لفرنسا في السنوات الخمسين الأخيرة، إلى سعي الفلسفة نحو توسيع التجربة في ذاتها بعيداً عن

مارتن هايدغر
(Martin Heidegger)
فيلسوف ألماني في القرن
العشرين.



صفة الذات وبيوؤه مركز الكون. وخلافا لموقعي لـ زاك كولوكوفسكي (Leszek KOLAKOWSKY) و جان باتوشكا (Jan PATOCKA) (1927-2009)، يعتبر موران أن رسالة المسيح ذاتها التي تتحدث عن الرحمة والصفح: بحيث تكون "روح الأخوة" متضمنة في المعقولة الإغريقية، بما يسمح باتحاد بُعد وجداني بـ"الخاصية الباردة للمعقولة": ليشكل معا الإنسانية الأوروبية.^{٢٠} ويكشف موران عن سمة مفارقة لهذه الإنسانية عبر الجمع بين وجهين، الأول "هيمني" يتبدى وهما وربما "هذيانيا"، ينصب الإنسان في مكان الرب كذات فعلية وحيدة عمليا في الكون، وهو ما سيحمله مسؤولية "الهيمنة" على العالم، ضمن المهمة الموكولة للطم ديكارتيا المكرسة لسيادة الإنسان على الطبيعة وملكيته لها، في حين أن الآخر "أخوي".^{٢١} وعلى الرغم من الطبيعة العلنية لهذه النزعة ذات السمة "الإنسانية" إلا أن وجهها "العملي" يكشف عن مخاتلة أصلية، لم تعف الذهنية الغربية من أسر الثنائيات التقليدية في عمقها التفاضلي: لتتكشف عن وجه إنساني شاحب يبشر من ناحية المبدئية بسرمان مفعولها على جميع البشر: في حين يقتصر ما هو إنساني على العنصر الغربي تحديدا، انطلاقا من أحكام معيارية ترفض الآخر وتهشمه وتعمل على إقصائه وإدانته وتجريمه باعتباره متخلفا وقديما وبدائيا، انطلاقا من تمييز إثني بمجد مجتمعا مركزيا مفكرا وعقلانيا وناجعا تقنيا وعمليا، في مقابل توحش شرقي يحتكم إلى تفكير طلسمي ورمزية أسطورية (موران، ٢٠٢٠، ص ٣٩).^{٢٢}

ثانيا: الحداثة ومفارقة الديني-الدنيوي:

ويمكن الإشارة إلى سمة ثانية ارتبطت بتطور الإنسانية عبر مسارات المعقولة النقدية وحتى النقدية الذاتية، يعبر عن ذاته في "الرسائل الفارسية" لمونتسكيو (مونتسكيو، ١٩٩٢، ص ١٨-٣٥)، الذي يسرد صورة متخيلة لفارسي يزور الغرب ويندهش بالكائن الفرنسي العجيب. كما يقدم فولتير في "خطب إلى سكان بلاد الفال" (فولتير، ٢٠١٨، ص ٨٩ و ص ٣٠٠) مثالا آخر عن محدودية المعقولة الذاتية النقدية في التقليد الغربي واقتصارها على مقاربة مشوهة و "نقد اختزالي" للدين أنواريا - خاصة في القرن الثامن عشر- لا تتناسب مع ما أبرزه ماركس

لاحقا من طموحات إنسانية أعمق غورا تعتبر "الدين زفرة الكائن المثلث بالألم"^{٢٣}. وقد عبر عن ذلك إدوار موروسير (Édouard MOROT-SIR) (1907-1993)، حين تفتن إلى أن طريقة التفكير الانتقادية عند جان نابيير (Jean NAPIER 1550-1617) تنطلق من وضعية لا يمكن تجاوزها تتمثل أساسا في وضعية غياب مطلق أي المطلق الغائب. فالإنسان يكشف ذاته، ويعطي ذاته إنسانية بسبب هذه السلبية الأنطولوجية المتمثلة في "الرغبة". إن الحكمة القصوى تتمثل في الحفاظ على الرغبة باعتبارها لغة قصوى تضم المعارف المبعثرة، وتهيبا وحدة إنسانية داخل انساق ظرفي ولكنه صحيح (موروسير، ١٩٧٨، ص ٩٦)، وذلك في إطار البقاء المزدوج ضمن جدلية الحضور والغياب في التقليد الديكارتي الكانطي، مشفوعة بروح نقدية مثابرة حريصة على فضح أشكال الوهن والتزييف العقلين في صميم كل نزعة اعتقادية، بعد أن تمت

وجاء العالم الحديث أولاً، في نهاية القرن الثامن عشر، معبرا عن مشروع لعالم عقلائي يهدف أيضًا إلى ضمان تحرير الأفراد

مصادرتها على مختلف توليقاتها النظرية ومحاميلها الثقافية والحضارية وتعبيراتها الأخلاقية والسياسية والدينية. وهو ما يستدعي الترحال بين الإثبات والنفي، على نحو تتمظهر فيه الحكمة كموقف مفارق. وذلك تميزا لها عن أن تكون ميدان تناقضات على الطريقة الهيجلية، بل استحضار لطريقة كل من كانط وديكارت في البحث عن الأقصى والممتنع في حضور لوضعية نقدية. وفي صميم هذه المفارقة بالذات، يكون بالإمكان اختارها قاسيا لنقدية دنيا بإمكانها "أن توسع وعودها بدءا من مسألة مزدوجة هي موضوع الحضور والغياب. وعندئذ تنجح الفلسفة النقدية إلى التجلي في أشكال مذهب الشخصانية أو المثالية الأخلاقية"^{٢٤}. فقد ظلت مسألتان تهيمنان على الفكر الحديث برمته منذ ظهور الكوجيتو الديكارتي، وهما: تأسيس العلم وعلية الوعي. فمن حيث المسألة الأولى، فقد

المتمثل في ضياع طبيعتنا الخاصة. لصالح ضرب من العلموية المعلمنة المحددة للثقافة والمجتمع معا. وهو تحديد كان ممكنا في القرن الثامن عشر: ففي الوقت الذي ألح فيه عصر التنوير إلى تصور مماثل دمج فيه بين الطبيعة والثقافة، فإننا نعثر على شكل من الأنثروبولوجيا الحداثية أخذت تلويها إيديولوجيا واضحا، عمل على إعطاء علاقات الإنتاج الطبيعية أهمية قصوى، عبر رد كل مجتمع إلى درجة من درجات التطور التقني والاقتصادي. وبمقتضى ذلك، أصبح مفهوم النقد مفهوما أساسيا قادرا على استيعاب كل إمكانية لتوسع جديد للعقل الطبيعي. فكانت المدرسة التطورية ثمرة لهذا التكامل بين الأدوات المادية وعملية التعقيد على مستوى العلاقات خلال مراحل تطورية ومعقدة. حينها، يتمظهر التقدم عبر عملية الانتقال من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة البدائية، ومن هذه إلى "البربرية"، ومنها إلى التمدن والتنوير. حيث لازالت الحداثة وفية لمبادئها وأفكارها التي مثلت أرضية لصياغة رؤيتها إلى العالم المتمثلة في "مسلمة ديكارتر" التي تتخذ من الإنسان سيذا للطبيعة ومالكها. إضافة إلى تجلياتها في "مسلمة هوبز" التي تتخذ من الإنسان ذببا لنظيره الإنساني. ويكشف روجي غارودي (1913 Roger GARAUDY) عن الطابع العنيف للمسلمتين في دعوتيهما (2012-) إلى غزو الطبيعة والسيطرة عليها. وتأسيس علاقة فردانية المنزع وعدوانية مع الآخر بصورة أساسية: لتتحول هذه المسلمة الديكارتية إلى عنوان أصلي في استعمار الآخر ونهيه، تعبيرا عن "إرادة الغازي" الذي لا يتردد في اقتحام تخوم العالم المعروف. ولا في تدمير القارات والحضارات (غارودي، 2002، ص ٧٦). فلم يعد التاريخ إلا مجرد سرد تاريخي للغزو المشرعن "باسم المدنية" (المرجع نفسه). فالمشروع الفلسفي الديكارتى قد شكل مرجعية فكرية ساهمت على نحو مباشر وغير مباشر في بلورة إستيمولوجيا تنتظم وفق مرجعية "النمذجة"، على قاعدة فهم جديد للصياغة الفلسفية لديكارتر القائلة بالإحصاء الشامل^{٣١}. فتنتقل معها حركة السيطرة على الشعوب، بالنظر إلى ما كان للحداثة تعصباتها الخاصة بها، وفيما وجد البعض العصر الحديث محررا وآسرا، خبره آخرون بصفته قامعا وعدوانيا توسعيا ومدمرا (آرسترونغ، 2010، ص 323). ويكشف إدغار موران أنه ثمة نوع آخر من

استطاعت فلسفة كانط النقدية تقديم إسهام كبير وحاسم لإزالة حاضرا إلى اليوم من خلال رفض مزدوج للدوغمائية الميتافيزيقية عبر إقامة نظرية للوعي تبدأ من التفكير في العلم، ومن تصور لذات وقد تخلصت من كل خضوع للوجود. ثم اعتماد مقولات/ معايير تستبعد كل واقعية وتقوم على افتراض مقولات ثابتة.

من هنا، جاءت العلاقة بين النظرية والتطبيق كمسكلة رئيسية في فلسفة التأمل العقلي لدى جان نابير. إذ تأتي الفلسفة أن تكون نسقا، بل هي أكثر من ذلك مسار لمجموعة عمليات ذهنية يتملك الوعي بها ذاته. فتؤكد حضور الإنسان مع ذاته، وإثبات الـ "الأنا" نفسها لا يغادر أن الوعي، رغم وجود مسافة بين الإنسان وذاته تظل قائمة أبدا. وفي استطاعتنا كذلك أن نقول إن الفعل هو الحقيقة بالنسبة إلى النية، وأن النية هي الحقيقة بالنسبة إلى الفعل؛ لكن هاتين الحقيقتين: النية والفعل لا تتطابقان.

فجاء حديث نابير عن "الوجود" ليصف حركة الانتشار نحو العالم؛ فالإنسان عندما يبدأ في الشعور بوجوده أكثر، يستعيد في الوقت ذاته شعوره بالحياة. رغم أن ذلك الشعور يعبر عن تأكيد حضور الأنا الأخلاقية. هذا الشعور النهائي لا يكون في حالة "راحة نفسية"، التي أشار إليها سبينوزا (1632-1677 Baruch SPINOZA). والمتمثلة في "متعة الكائن"، بل هي تلك التي سماها أوغست كونت (1798-1857 AUGUSTE COMTE) بـ "الاحترام" أو "التبجيل"، التي تكشف من خلال التجربة المبدأ الذي أكدته لنا التفكير العقلي^{٣٢}.

وفي سياق منظومة الحضور ومنظومة الغياب، كناظر ومنظور إليه من الإنسان إلى الإنسانية، تتبدى السمة الثالثة المميزة لتشكيل الإنسانية الأوروبية هو تعبيرها عن ذهنية علمانية وكونية. فمن حيث انكفاء العقلانية الأوروبية إلى آلية فجوة، ليتخذ للعقل الأداتي أهدافا لا عقلانية بسبب إهمال - ما يسميه جان جاك روسو (1712-1778) بـ "الحساسية" (Rousseau, 1999, p: 219&262) المفضية إلى شكل من الاستيلا بـ البدئي

رينيه ديكارت
(René Descartes)
لوحة بورتريه لرينيه
ديكارتر، الفيلسوف
والرياضي الفرنسي في القرن
السابع عشر.



الأنثروبولوجيا، ظهرت خلال القرن التاسع عشر مع جورج فاشي لابوج (Georges Vacher LAPOUGE) (١٨٥٤-١٩٣٦)، أسهمت في توسع مبحث تفوق "الجنس الآري". وقد أشار موران إلى أن غوبينو (GOBINEAU) كان قد نافح بدوره عن ذلك التفوق، وأنه عمل مع فاغنير (WAGNER) على التأثير في هتلر. كما زعم هوستن ستيفارت تشامبرلين (CHAMBERLAIN 1855-1927) - صاحب كتاب "أسس القرن العشرين ولادة القرن العشرين" (١٨٩٩) - أن له القدرة على التأسيس العلمي لتفوق العرق الآري. وقد صاغ نظرية لعنصرية لم تكن بعد قائمة على التراتبية بشكل نسقي (Chamberlain, 1913, p:200).

وفي هذه المرحلة المتقدمة من الثورة الصناعية، صار معيار التقدم يقاس بدرجة التطور التقني، وهنا نعثر على المبدأ الناظم لوحدة الهوية الأوروبية على أساس عولمة المعرفة التقنية، وليس انشدادا إلى كونية العقلانية العلمية^{٢٧}؛ ليتبدى زيف العلم،

أو زيف التمسك بالعلم لأهداف لاعلمية على الإطلاق، وهو ما يفصح بطلان فكرة الحياء العلمي. ومن هنا، لا يبدو غريبا على الإطلاق أن تترافق ما نشهده من تحول في العلوم البحتة- كالرياضيات والفيزياء- إلى تقنية هدامة في بعض جوانبها، مع فترة ازدهار العلوم الإنسانية، في انسجام كامل مع مرحلة انتعاش التوسع الغربي الفرنسي والأوروبي باتجاه إفريقيا وآسيا والجزر المتناثرة عبر المحيطات. يشير مطلع القرن العشرين إلى كمّون المنزع الروحي لاغيايه، حيث كشف بحث دوركايم (Émile DURKHEI 1917- 1858) في مجال الدين عن أصل وطبيعة الذهن كما اكتشفه برغسون (Henri BERGSON 1958- 1491) في نمو الحياة نفسها^{٢٨}، وحاول لابرتونييار (LABERTHONNIERE 1932- 1860) ربط اللاهوت من جديد مع جذور الحياة المسيحية خاصة منها فكرة "البر"، باعتبارها إحدى "عناصر الفلسفة الشخصية"^{٢٩}. فقد سعى لابرتونييار إلى فصل الكاثوليكية عن المدرسة الأرسطية، وحاول التوفيق بين

الوصايا العشر

فيلم "الوصايا العشر" لكيشلوفسكي هو سلسلة مستوحاة من الوصايا العشر في الكتاب المقدس، تستكشف من خلال قصص إنسانية قضايا الإيمان، الذنب، والمسؤولية، مقدّمة رؤية دينية وفلسفية عميقة عن معنى الأخلاق والحياة.



المسيحية ومعطيات العلم الحديث. فطور نظرية "المحايثة" (Immanence) حين كشف عن أن إله أرسطو الذي يعقل عقله ويجهل العالم هو منطقي ولا أخلاقي، في مقابل منطقية الرب المسيحي وأخلاقيته. في حين يجمع الرب التوماوي بين الاثنين معا: فلا هو منطقي ولا هو أخلاقي، وإنما هو فحسب المسيح^٣.

وبالرغم من عدم التطابق بين "الديمومة"^{٣٣} عند برغسون، و"التصور الجمعي" عند دوركايم^{٣٤}، و"البر" عند لا بر تونيار، إلا أنها تدل جميعا على اتساع التجربة، وامتداد طريق المعرفة، وتأسيس موقف فلسفي جديد دفع العديد من الفلاسفة إلى جدلية التناقضات بين الداخلي والخارجي (الفكر والواقع المعيش). فمن أهم ميزات هذا العصر هو انتصار الذاتية والبحث عن كل ماهو داخلي وكامن فيها. لذلك، عملت المسيحية على تقريب آلهتها إلى البحث الإنساني ولم تعد تنظر إليه نظرة قداسة وجعلت منه "موضوعا". وهذا ما مهد لحصول نوع من "الانسجام الألي" بين الديانة المسيحية وفلسفات الذات، يمكن المسيحي من إنقاذ ذاتيته. فكان من الطبيعي أن تنتصر الذاتية كفلسفة وفكرة ولكن اعتبرها بعض الباحثين أنها تؤدي إلى "التعالي"، أو تنقلب إلى الضد حينما يتخذ الإنسان الأشياء سنداله فتصير ذاتية متطرفة وتحلق حسب رأي كيركيغارد (Søren Aabye KI- 1813-1855) مشكلة العلاقات مع العالم (كيركيغارد، ١٩٨٤، ص ٥٨). وهذا ما يفسر وجود الحرية كقيمة في محور التفكير الفلسفي المعاصر.

ومثل هذه الصعوبات نجدها لاحقا في فرنسا: حيث تولدت عدة نقاشات جدية بين الماركسيين والفلاسفة الذين يتبنون فكرة "الكوجيتو"، انتهت بتشبث كل طرف بمبادئه: فقد رفض الماركسيون كل فلسفة تكون الذات محورها، وحاول غيرهم إقحام ماركس داخل فكر ديكرت لكن دون جدوى. فالمنزلة الأولى التي تحتلها النظرية في فلسفة الثورة تقود إلى تفسير جديد لمفهوم "الإيديولوجيا" أو العقائدية الماركسية. فمن الضروري وجود هذه العقائدية في كل مجتمع من أجل تنشئة الناس وتغييرهم وجعلهم في حال يمكنهم من الاستجابة لمطالب شروط الوجود. إن العقائدية تمتن العلاقة في كل ثقافة بين ثنائية النظري والعملية، الخيالي

والواقعي / مما يجعل منها في نفس الوقت خيالا نظريا وسجن الإنسان وأداة ثورية. ذلك أنها تتألف من "منظومة مفاهيم" مترابطة ارتباطا وثيقا ومتسلسلة لتحديد نظاما تطوريا في المقال. فتصبح بذلك لا إنسانية تكفل للنظرية صدارتها. "ويمكن الحديث عندئذ من هذه الزاوية النظرية الدقيقة عن لا إنسانية نظرية لدى (ماركس)، وإن نرى في هذه اللاإنسانية النظرية شرط الإمكان المطلق (السلب) لمعرفة (إيجابية) بالعالم الإنساني ذاته ويتحواله العملي. إننا لا نستطيع أن نعرف عن البشر شيئا إلا بتوافر شرط مطلق، هو تحويل الأسطورة الفلسفية (النظرية) عن الإنسان إلى رماند" (Althusser، ١٩٦٥، p. ٢٤٩). ولكن نتج عن ذلك أن المواقف الفلسفية للشوعية قد اصطفت بصيغة من المرونة نتيجة لتطورها السياسي. وكذلك أثمرت جهود الفلاسفة الذين سعوا إلى التوفيق بين التفكير العقلي والحياة. فالفلسفة الحديثة سعت جاهدة إلى وصف "الإنسان ما قبل التاريخ".

ويقدم مرلوبونتي تحليلا دقيقا وعميقا لحالات تجارب حية بين الإنسان والعالم، يشرح من خلالها الوعي إلى التمييز - بصفة متأخرة - بين الذات والموضوع. فالعيش في هذا العالم يحتم على الذات أن تتفاعل معه وتعمل وتتأصل فيه. لهذا، يمكن الحديث عن "كوجيتو سابق على التفكير" مما جعل بعض النقاد يوجه اللوم إلى ديكرت لأنه بالغ في التفكير في الكوجيتو ولم يهتم كثيرا بـ "أنا موجود". وعلى رأي كيركيغارد كان يجدر به أن يقول "أنا أفكر، فأنا غير موجود"، أو كما يقول فاليري (Paul VALERY 1871-1945): "أحيانا أفكر، وأحيانا أنا موجود". فالإنسان عند فال كما هو عند هيدغير، كائن "متخارج"

يوجد في الآن الواحد في الأشياء وفي نفسه، كما يعلو على الداخل والخارج. وفي كتابه "رسالة في الميتافيزيقا"، يؤكد جان فال (Jean WAHL، 1888-1974) رغبة ملحّة دائمة في الفكر الحديث وهي اتصال الإنسان في جوهره بما هو جوهر في الأشياء. (Wahl، 1957، p15-20).

ميشيل فوكو
(Michel Foucault)
ميشيل فوكو فيلسوف
ومؤرخ فرنسي (مواليد
١٩٢٦).



واختفاء "أنا أتكلم" وظهور تعبير "هناك كلام" أو "يوجد كلام". فـ"الأنا" لم تعد المتسببة في الكلام وأصله بل أصبح "مكان" أو "موضع" الكلام. وقد فسر جاك لاكان (Jacques LACAN 1901-1901) ما أورده فرويد (Sigmund FREUD 1856-1939) بالقول إن "حديث اللاشعور يعلو ويسمع خارج الذات" لأنه حديث بمثابة لغز.

يؤكد "التوسير" "لا إنسانية ماركس". ويقترح نوعاً من التفسير البنيوي للماركسية. وأن كل شيء يفهم على أنه "كل بنيوي"، وأنا إذا أردنا فهم ماركس يجب علينا أن نرفض القول بوجود "مركز" أو "محور"، أو ذوات خالقة للمعاني وللتاريخ. ولذا، نجد التوسير (١٩٩٠ - ١٩١٨)، من خلال كتابه "من أجل ماركس" (١٩٦٧)، يدين إدانة جذرية ماضي الفلسفة الفرنسية، بدءاً من ١٧٨٩، كما يفصح هذا "الخواء النظري" الذي لم يتمكن من حد الحزب الشيوعي على النمو. "لقد وجب على الحزب الفرنسي أن يولد ويتعرض في هذه الظروف من غير مكسب أو عون من أي تقاليد قومية نظرية، ومن ثم [...] بدون مدرسة نظرية يمكن أن يخرج منها معلمون" (Althusser, 1965, p:16).

ويشرح التوسير ضمن كتابه هذا، الوضع المؤسف الذي عجز فيه الفكر الفرنسي عن إنتاج آثار نظرية قيمة تعوض عناده الروحي والرجعي الذي يصفه برغسون بقوله: "مما يتسم به تاريخنا الاجتماعي أيضاً هو أن المفكرين الناشئين من منبت البورجوازية الصغيرة شعروا عند انتمائهم حينذاك إلى الحزب بأن عليهم أن يبذلوا فاعلية محضة، إن لم نقل نشاطاً سياسياً عملياً، ليوفوا بذلك الدين الخيالي الذي تضوروا أنهم قد التزموا به، لأنهم لم يولدوا من البروليتاريين. وفي إمكاننا أن نعتبر سارتر، على طريقته، شاهداً أميناً لهذا العماد التاريخي؛ ولقد كنا نحن قد قرأنا له أيضاً، ولا ريب أن من باب كسب الوقت أن يكون رفقاءنا الشباب نظيفين من أوصاب هذا (الدين)، وأنهم قد يؤدونه على نحو آخر" (برغسون، ٢٠٠٨، ص ٧٧ و ٨٣). وهذا الموقف - حسب موروسير - له دلالاته على إرادة الاستيلاء على الأرض الثقافية وتحويلها ومعالجتها، وبالتالي معالجة النظرية ككل (موروسير، ١٩٧٨، ص ٨٨-٨٩).

فقد حذرنا سبينوزا على خلاف ما يجب أن

كل هذه المواقف المذكورة سلفاً، تحيل إلى اهتمام خاص بالجسد باعتباره أداة الامتداد لجذورنا في هذا العالم، وليست نظرية "جسدي" عند غابرييل مارسيل إلا تمييزاً فعلياً لصورة خاصة من صور الهوية الفكرية المعاصرة، وما كتاب ميشال هنري "فلسفة الجسد" إلا امتداد بعيد لتلك النظرية. فهو يحاول من خلال إعادة فلسفة مين دي بيران (Maine DE BIRAN 1766- 1824) أن يدخل الجسد في دائرة الوجود والذاتية، فلم يكتشف الجسد الذاتي كأساس للجسد الملموس وللجسد الموضوعي باعتباره موضوعاً معروفاً. والواقع أن المشكلة الحقيقية عند بيران مشكلة أنطولوجية: إنها مشكلة الجسد، لا باعتباره موجوداً بل باعتباره كائناً. أي أنها مشكلة كينونة الجسد.

ولكن يرى ميشال هنري (Michel HENRY 1922-2002) أنه لا يوجد في ذلك أنطولوجيا

اعتبرت عقلانية التنوير حرية الإنسان مضمونة من خلال انتصار العقل وتدمير المعتقدات القديمة: فكان ذروة هذه الحركة إعلان حقوق الإنسان عبر تقديس فكرة "التقدم"

حقيقية، بل إن هذه القوة الممارسة مستمدة من "قوتي" أي أنا مع ذاتي وليست شيئاً آخر غير جسدي والفعل الداخلي المحسوس والأصيل في ذلك الجسد.

ومع ذلك، شهد الفكر الفرنسي خلال فترة بين ١٩٦٥ و ١٩٧٠ تحولاً جديداً يتسم بزوال نسي لفلسفات الوجودية والإنسانية. وهو ما أكدته كل من جان غرانبيه (Jean GARNIER 1612-1681) وجيل ديلوز (Gilles DELEUZE 1925-1995). كما أن البنيوية أخذت تتخطى الجمال اللغوي والأثر بولوجيا لتغزو عالم الفلسفة. وباستطاعة الكوجيتو الديكارتي فك الغموض عن الوجود، لكنه يكتفي بفتح باب كبير من الأسئلة التي تدور حوله. إن مشكلة التعبير اللغوي لابد أن تكون في مركز الوسط من التفكير المعاصر. غير أن اللغة تصبح "بناءً ونسقا" وتنفصل عن الذات المتكلمة



كتاب الفلسفة
وفينومينولوجيا الجسد/
ميشيل هانري

العبرة: "التغيرات الكمية في التاريخ أو النظرية"، واللحظة الثانية هي تلك التي يوجد فيها التحديد الفوقي في الشكل الذي يسود التكثيف (الصراعات الطبقيّة في حالة المجتمع، الأزمة النظرية في العلم) واللحظة الأخيرة هي التفجر الثوري (في المجتمع، في النظرية) باعتبارها لحظة التكثيف الشامل اللامستقر والذي يثير تفكك كل شيء، وترميم كل شيء، أي إعادة بنية كل شيء إعادة شاملة تستند إلى قاعدة جديدة من حيث الكيف"^{٣٤}.

ويلج ميشل فوكو على وجود لغة تميز كل نمط من أنماط الثقافة، أو هي مقولات تنتمي إلى التاريخ ونجهل قائلها، وبالرغم من ذلك تبقى مهمة جدا وجوهرية وبها يحدد انفتاح أو انغلاق المعارف عبر العصور. ويطلق عليها فوكو تعبير "مجال المعرفة الممكنة" حسب زمن ما وتجربة معينة. كما يحدد صورة كينونة الأشياء التي تظهر في هذا الزمن وفق الشروط التي يمكن فيها التحدث عن أشياء محدث معترف به وحقيقي. وفكرة "البناء" هنا هي فكرة ذات بعد موضوعي، يشير إلى مقولات الوجود بدلا من مقولات للتفكير. واكتشاف كينونة اللغة يؤدي إلى مفارقة مذهلة هي "اكتشاف الإنسان" (فوكو، ٢٠١٢، ص ٣٥٠-٣٥١).

ورغم تعدد هذه الآراء، فإن البنية لا تستطيع استبعاد نشأة التفكير. ولا يستطيع النسق أن يستبعد التاريخ، لذلك لا بد من معرفة كيفية الانتقال من طور إلى آخر التي لا تتم إلا بفضل فعل الإنسان وتفكيره، من حيث أن فكرة تعميق الفلسفة هي نفسها تأويلية تأملية. وبمعنى آخر، أن يصبح من واجب الفلسفة العقلية أن تقوم بدور

ندعوه الاختبارية الاعتقادية الكامنة في المثالية الديكارتيّة: إذ أن موضوع "المعرفة" أو الذات كان متميزا بذاته كل التميز ومغايرا للموضوع الواقعي (ماركس، ١٩٤٧، ج١، ص ٤٩). وتستند الطرافة الماركسية إلى مذهب الذات السبينوزي "الماركسية في نظر ألتوسير هي نظرية بالدرجة الأولى، وهذه النظرية هي التي تسبغ عليها صفتها الثورية. إن الماركسيين يعلمون أن من المحال وجود أية خطة لا تستند إلى مبادئ استراتيجية ولا توجد استراتيجية دون أن تستند إلى نظرية" (Althusser, 1965, p:249). ويحدد ألتوسير النظرية بقوله: "إننا ندعو نظرية (بالمعنى الدقيق) النظرية العامة، أي نظرية الممارسة بوجه عام، وهي ذاتها تنشأ عن نظرية الممارسات الموجودة في العلوم التي تبدل إلى "معارف" (حقائق علمية، النتائج العقائدي للممارسات "الاختبارية الراهنة" (نشاط البشر المشخص). وهذه النظرية هي "الجدل المادي" الذي لا يختلف عن المادية الجدلية" (Ibid, p:169).

ويعرف ألتوسير "الجدل" انطلاقا من التمييز في التناقض بين ثلاث مراحل هامة وهي: "الانتقال والتكثيف والتحول"، ويستند في ذلك إلى تعريف لينين (Vladimir Ilitch LENINE 1824-1870) لتلك المراحل حيث يقول: "إن التناقض يعمل دوما في أية لحظة وهذه المراحل الثلاث ليست سوى أشكال وجود التناقض الثلاثة. وإني لأرغب طوعا في وصف اللحظة الأولى على أنها اللحظة التي يوجد فيها التحديد الفوقي في شكل سائد هو شكل الانتقال (الشكل المجازي لماتعنيه





مدرسة أثينا
الرسام: رافائيل
سنة التنفيذ: ١٥٠٩-١٥١١

عنه، ويمكن أن يعبر عن نفسه بصيغ لفظية لأنه تجسد في المادة. ولكن هذا يحدث على حساب عقلانيته (المرجع نفسه، ص ٤٩-٥٩).

من خلال مقولة لالاند، نلمح وجه الاختلاف والتعارض بينه وبين ميرسون الذي يربط التطور باللامعقول ذاته. فالمبدأ الثاني من مبادئ الديناميكا الحرارية التي تنسب إلى سادي كارنو (Marie Françoise Sadi CARNOT 1796-1832) هو مبدأ "التدهور النوعي للطاقة" الذي يقر أنه لا يمكن إعادة تغيير طبيعة شيء معزول. وهو عند ميرسون أفضل مثال للدلالة على وجود اللامعقول في ميدان العلم. وفي هذه النقطة يعارض لالاند ما جاء به ميرسون بقوله أن التطور لا يتعارض مع العقل إلا إذا كان يجري في اتجاه مغاير للعقل، وهو نفسه اتجاه يسمح بالتغير والتطور (المرجع نفسه، ص ١١-١٤). أما عن مبدأ كارنو فهو لا يحتوي أي شيء غير معقول، إذ أن عدم التجانس الذي يقرره دائماً في تقلص. وبالرغم من هذه المعارضة بين الفيلسوفين، إلا أن ذلك لم يمنح لالاند من قبول فلسفة مايرسون (Emile MAYERSON 1859-1933) الذي يعتبر أننا دائماً نعيش تحت سيطرة الفكرة. ونعاني من فكرة ضرورة وضع العقل في الأشياء. ولكن، في الواقع، أصبح العقل أكثر تعقيداً مما رآه لالاند (André LALAND 1876-1963) ومايرسون خاصة حينما يصعب عليه الخلط بين الشرح والهوية. الشيء الذي جعل الفيلسوف رينوفيه (Charles RENOVIER 1815-1903) يندد بما أسماه "الجنون الميتافيزيقي للوحدة"، في حين عبر ليبنتز (Gottfried Wilhelm LEIB-

فلسفة للروح يكمن خاصة في تخطي العقل وإدماج محصلته من خلال إضفاء صفة المرونة على النزعة العقلية دون أن يؤدي هذا إلى التردّي في اللاعقلية^{٣٠}. إن كل عملية للشرح هي عملية لإيجاد الهوية، وهنا تتوافق فكرة ميرسون (Emile MEY- 1859-1933) مع لالاند (André LALANDE) (١٨٦٧- ١٩٦٣) (لالاند، ٢٠٠١، ص ٦٠٨-٦١٠). غير أن هذه الهوية لن تكون مكتملة وذات معنى إلا إذا زُدت الكثرة إلى وحدة، وزُدت الغيرية إلى تشابه. فمن أهم الوظائف التي يشغلها العقل هو السعي وراء الهوية بالرغم من اصطدامه بالكثرة والتنوع التي لا تقبل أحياناً أن ترد إلى الوحدة. بهذا الخصوص، يميز لالاند بين العقل المكون والعقل الذي يتكون أن الإنسان يظل واحداً إذا اعتقد أنه يستطيع حبس نفسه في الفكرة، حتى بحجة دراسة هذه الفكرة. والشيء المنطقي المعقول في العقل هو المجهود الرامي لتحقيق الهوية، لكن هذا لا يمثل إلا العقل كما ينبغي أن يكون. أما في الواقع، فإن مسيرة المعرفة تصطدم دائماً بمادة تثنيها بدرجة تزيد أو تقل عن السير في طريقها الطبيعي. هذا الدرجة أن العقل في عصر معين يتكون من صورة ومن مادة، من عنصر ضروري وعنصر ممكن حادث. لكن من شأن التقدم أنه سوف يعدل، وسوف يقلب المبادئ المكونة مؤقتاً رأساً على عقب. لكن بقصد الوصول إلى أكبر تشكيل وأحسن صورة للعقل (لالاند، ٢٠١٥، ص ٤٩ و ٥٩). فالعقل المكون نشط، لكن لا تستطيع الإمساك به في حالته الخالصة، كما لا تستطيع الإمساك بضوء بلا ظل. أما العقل الذي يتكون فإنه يمكن التعبير

إلا بخلاف تمثل لتدين بديل وضعاني الهوى لاهوتي التمشي. ورغم ما اتسم به من مسحة عقلانية في الظاهر، إلا أن ذلك لا يخفي ذرائعية هذا المنهج بل يغذيه بمزيد من التأصيل الإبيستيمي في لحظة الكوجيتو الديكارتي، وما أفرزه من مخاتلات تخفي تناقضات هيكلية حكمت، ومازالت توجه الفكر والممارسة غربا.

ومن أبرز تداعيات محنة الكوجيتو هو انشدادها لذاتية هلامية، استدعت مقولات عرجاء في فهم الوجود ككوسموس لم يرتق بعد إلى أن يكون إلا رجوع الصدى لفزياء الكون والفساد. كما أن دلالات الوجود لم تتخلص بعد من مخلفات عدم القدرة على استخلاص روح الحكمة حتى لدى رواد الإغريق الأول، حين جعلوا من مطلب الحكمة أرسطيا بحثا في المبادئ والعلل الأولى. عبر تقصي آفاق "العلم" كمعرفة للمعرفة، تكون غايتها في ذاتها، مجردة عن الذاتية والإنانية، في شكل فهم لموضوع الكون المادي لفهم حركيته الغائية، التي تجلت في مراتب جدلية، تبدأ من رصد الحركة الحسية التي تنتهي إليها حدود البشر، انطلاقا مما هو حسي يكون من اختصاص العلم الطبيعي، أو عبر الارتقاء به نحو مستوى آخر من وجود رمزي، من حيث هو مقادير وعلامات وعدد، حيث يكون العلم الرياضي. وإما أن يستوقفنا النظر العقلي لتقصي الوجود بإطلاق بحسب مطالب الميتافيزيقا، فننتهي إلى فكرة المابعديات التي كانت ولا تزال تخرج البني المتهاكلة لقول مريك في حكمة ظلت عاجزة عن تمثل المطلق، وحتى إن أمكنها ذلك فإنها لا تخرج من رحم التشبيه والقياس المغالطي.

إن تاريخ التفلسف الغربي لم يرح دائرة الإميات المستحكمة في مصادره وبنائه النظرية. وهو في مسيرته للتعقل قد خير مسارا خال من بعد مرجعيا وأساسيا، يتمثل في مطلب الأخلاق بل التخلق. وهو عنوان آخر مغيب لحكمته الأولى، كما عبرت عن ذلك نصوص الأفلاطونية التأسيسية.

إننا لم نعد نعثر في التفلسف الغربي إلا سرديات عن التميز والتفرد، انتهت به إلى الوقوع في العنصرية والعرقية. حتى أن كل الأنساق الفكرية الكبرى لم تخل من محنة الوعي في ذاته، كشكل من التفرد والتميز الذي كشف عن وجوه كالحة تاريخيا، عبرت عنها حركة الاستعمار والغزو، ورفض الآخر والاختلاف والتنوع. ولعل العودة إلى فينومينولوجيا

(1716-1646 NIZ) (لبنيز، ١٩٧٨، ص ١١١-١١٢) بقوله أن المعرفة ليست إذابة الفكرة، بل هي تعبير عن كثرة الواحد الذي يظل محتفظا بقيمته. إن الشخصانية الأصيلة لا يمكن أن تفكر في القضاء على الفرد، بل تفكر في ضرورة إقناعه بإدراج تفكيره في مجموع عام. ذلك أن الفردية والجماعية تظلان في حالة من التوتر المتبادل والضروري ولكنهما مقولتان تستلزمان بعضهما، وضروريتان للفرد. وقد أثبت باشلار (Gaston BACHELARD 1884-1962) أن العلم لا يتصف برد الكثرة إلى الوحدة فقط حتى لا يبتعد عن العالم. وبالرغم من ذلك، تبقى فلسفة لالاند، التي هي ضد كل الفلسفات "الحادية"، بمثابة الضابط لجنونها والساعية نحو الوحدة حتى تتصدى لكل أنواع الثقافات المزيفة التي لا تتعدى حدود التمايز والاختلاف والفردانية.

الخاتمة

يشير التحليل العميق لتاريخية الحداثة الغربية عن مسارات متعرجة، بل ومتداخلة تكشف عن متاهات تخرق المتانة المفترضة لنسق فكري، يزعم الحصانة من كل أعراض المثالية واللاعقلانية، بل ومن سائر مظاهر الذاتية المتصلة بشكل من الغوص في دلالات غربية وغريبة. وهو ما قد يوحي بأن مرجعية الحداثة لا تستقيم إلا برفض استحضر مطلب الهوية. نظرا لارتباطه برهانات غير وضعية، كانت قد خطت السبيل للحداثة كروية متزمنة ميتا-تاريخية تأتي أن ترتد إلى سرديات لما قد يعد مطالب غرائزية، لا تنسجم مع واقعية الروح العلمي للشخصية المعرفية الغربية.

غير أن سجل الحداثة الغربية يشير إلى ارتباطه الوثيق بتصورات كان قد زعم مقارنته لها. حيث تكشف المدونة الفكرية الغربية عن انسجام منقطع النظير مع المسلمات الحضارية التي شكلت روافد أساسية لتيار التحديث عبر التاريخ. إذ إننا نسجل تماهي التراث المكتوب والشفوي -على قلته- مع ما تم اعتباره الجينات الوراثية الثابتة في بنية الثقافة في الغرب تاريخيا. فلم تفلح شعارات معاداة الدين

إدغار موران
(Edgar Morin)
فيلسوف وعالم اجتماع
فرنسي، ولد في باريس في ٨
يوليو ١٩٢١.



الروح الغربي تحليلاً وتفكيكاً لبنائها الفائرة، من شأنها أن تكشف عن وحدة حال حكمت نظريات تشكيل المعرفة وبناء الأنساق والمنظومات -يميناويسارا- بما يعنيه ذلك من تجليات لمرجعية الذات والذاتية في حكمة الغرب ورؤاه وتمثلاته.

أما ما تم الترويج له من كونية الأفكار وعالمية الحقائق، بل ومن حتميات لم تكن سوى رهانات الغرب ذاته على مزيد توليد أشكال من الذاتية والهوية والغيرية، لا تنطبق إلا على كياناته الوضعية المتكلسة. وهي لا تستنسب إلا ما يشبع نهمها وتخمتها في مزيد من المركزية والانغلاق على الذات، تحت شعارات للإنسانية ولا كونية، بل هي خلاصات معولمة تكرس مزيداً من التبعية والإلحاق والسبي.

لقد أن الأوان حتى يكون للغرب الجراة على مراجعة تاريخه المعرفي على الأقل، وأن تكون لديه الشجاعة على النقد الجذري لبراديفماته. أما على مستوى حركة التاريخ والتدافع الإنساني، فإن راهن ما تحياه الإنسانية من اغتراب وظلم وإفساد وتفكير للحرث والنسل والبيئة، خير مؤشر على ما يحكم الخطاب الرسمي الغربي من جدلية مستحكمة بين مرجعية الحداثة ومطلب الهوية الأوروبيةتين.

الهوامش:

١. فالذاتي (Subjectif): "هو ما يخص الشخص دون غيره وينتسب إلى الذات مما يتصل بها أو يخضع لها، وهو مقابل للموضوعي. ويطلق هذا اللفظ على معان منها:

- الفردي، وهو ما يخص شخصاً واحداً دون غيره.
- الداخلي، أي الموجود في الذهن، ويقابله الخارجي والتجريبي.

- الوهمي، كإحساسات الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي ما يقابلها.

- ما يخص العقل البشري، في مقابل الأشياء في ذاتها (مثلاً في فلسفة كانط).

- ما يخص الذات المدركة والعارفة دون سواها، كالأمر النفسي والمعنوية التي تشكل ما يسمى بالفلسفة الذاتية في مقابل الفلسفة الموضوعية التي تبني نظرياتها على حقائق العلم". (انظر: سعيد جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ت، ص

ص ٢٠٥-٢٠٦).

٢. يشير غيوم توماس راينال (Guillaume Thomas François Raynal) إلى الدور التاريخي الذي اضطلع به الاستعمار البرتغالي في توطيد أركان النظام الرأسمالي التجاري الماركنتلي، وتغيير نمط البناء الاجتماعي في أوروبا، قياساً بنظيره الإسباني المنهمك بنهب الذهب من الأمريكيتين. انظر:

RAYNAL: (Guillaume Thomas): Histoire philosophie et politique des établissements et de commerce des européens dans les deux indes, Gosso Fils, LAHAIE, 1774, Tome premier, pp. 60, 77, 78, 85, 92 et 116.

٣. انظر:

WARFIELD (John N.): An introduction to systems science, World scientifique Publishing CO. Ltd, New Jersey, 2006, p.7.

٤. وهذه المبادئ الثلاثة، هي:

الف. السيطرة على الإنسان وإخضاعه لاشتراطات الحداثة: وذلك لضمان تسخيرها بالكامل في دورة رهانات الحداثة. وهذا ما تم إداركه عبر هندسه سياسية اجتماعية جديدة للأفراد والجماعات. ب. السيطرة الكاملة على الطبيعة وإخضاعها لهيمنة الإنسان وجشعه: وهو ما يتأتى من فهم آليات الطبيعة المادية وترويضها لخدمة شبقية الإنسان. فكان العمل على تحديد مبدأين مرجعيين للتشريع قوام الأول التمييز بين القانون الطبيعي والقانون الوضعي. أما المبدأ الثاني وهو الأهم فيقر بوجود قانون طبيعي نابع من الكينونة البشرية بالذات. (انظر: السنهوري (عبد الرزاق): الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٢). يسمح بإخضاع الطبيعة دون أي وازع، وإعادة ترتيبها وفق متطلبات نمط الإنتاج. ج. السيطرة على المعرفة التاريخية: حيث تقنع الحداثة الغربية بقدرة الإنسان الفائقة على خلق تراكم المعرفة دون انقطاع. كرافد أساسي يضمن ديمومة الحداثة عبر مواكبة العلوم ورعايتها لتوسع نمط الإنتاج الرأسمالي. (انظر:

SOREL (Charles): La science univer-

يخضع لها، وهو مقابل للموضوعي. ويطلق هذا

اللفظ على معان منها:

- الفردي، وهو ما يخص شخصا واحدا دون غيره.
- الداخلي، أي الموجود في الذهن، ويقابله الخارجي والتجريبي.

• الوهمي، كالإحساسات الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي ما يقابلها.

• ما يخص العقل البشري، في مقابل الأشياء في ذاتها (مثلا في فلسفة كانط).

• ما يخص الذات المدركة والعارفة دون سواها، كالأمور النفسية والمعنوية التي تشكل ما يسمى بالفلسفة الذاتية في مقابل الفلسفة الموضوعية التي تبني نظرياتها على حقائق العلم. (انظر: سعيد جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ت، ص ٢٠٥-٢٠٦).

٧. المرجع نفسه، ص ١٢٣. لكن بشرط فهم "الذات" بما "هي، في معناها الأول (عند أرسطو

مشهد من خطاب عام /
أدولف هتلر

selle, Toussaint Quinet, Paris, 1641, Second volume, pp. 40- 98).

٥. انظر على سبيل المثال:

SERMENT (J. H.): Le libéralisme, ses principes - son but - ses preuves - christianisme et libéralisme- obstacles - moyens , Libraire - éditeur Joël Cherbulez 1860, p.22.

٦. فالذاتي (Subjectif): "هو ما يخص الشخص دون غيره وينتسب إلى الذات مما يتصل بها أو



عشر على التبشير، وبنبرة مفطرة في التفاؤل، بحتمية تحقيق المقام السعيد للإنسان على الأرض، وفي اللحظة التي يتمكن فيها البشر من إزاحة الآلهة عن عروشها، وبالقضاء على الاستلابات والأوهام. إلا أن هذا الخطاب الأنثروبولوجي المتمحك في الفكر الفلسفي منذ كانط إلى اليوم قد خمدت أنفاسه ودخل في مرحلة النزاع الأخير، لتهن جذوة العنفوان ولهيب الحماس داخل إبستيمية الحداثة، ويخلو المكان هذه المرة للسأم والضجر. فيتصدع البنيان الجديد للمعارف، ويتفكك الفضاء الموحد لإبستيمية الحداثة، ويتشظى منبثاً بقرب لحظة أقول عهد التاريخ، وقرب اختفاء الإنسان وعلومه. وربما كانت التجربة النيتشوية هي السباقة للدعوة إلى التحرر من النزعات النفساوية والتاريخاوية، وكل أشكال الحكم الأنثروبولوجي السبقي، باعتبارها تمثل أول سعي لاقتلاع الجذور الأنثروبولوجية، وأول مجهود يبذل في الفلسفة الحديثة يهدف إلى إيقاظ الفكر من سباته الأنثروبولوجي المتمثل في الوثوق بأسطورة الإنسان الحديثة“ (انظر: العلوي (فوزي): حفر في

مثلاً) مجموع الصفات والحالات والأفعال المحددة لطبيعة الشيء وماهيته، وبهذا المعنى كان يوحد بينها وبين مفهوم الجوهر. وابتداءً من القرن السابع عشر أصبحت الذات تؤخذ بمعنى معرفي، كما أصبحت تشير الآن إلى الشخص الإنساني باعتباره ذاتاً عارفة تتمتع بالإرادة والوعي، في مقابل الموضوع (L'objet) الذي يوجه إليه النشاط المعرفي. وتعتبر العلاقة بين الذات، واعتبروا أن الموضوع موجود وجوداً مستقلاً عن الذات، واعتبروا الذات شيئاً سلبياً ومستقبلاً للتأثيرات الخارجية، بينما كان المثاليون يستنبطون العلاقة بين الذات والموضوع من نشاط الذات، محاولين تفسير الدور الإيجابي للذات في المعرفة، باعتبار أن الذات هي وحدة النشاط النفسي للفرد وباعتبار الموضوع مجموع حالات الذات لا غير ونتاج نشاطهما لا أكثر“ (انظر: سعيد (جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص ٢٠٦).

٨. لقد “دأبت الفلسفة الحديثة منذ القرن التاسع



منظور فينومينولوجيا الدين لهيدغير"، مرجع سابق، ص ٥٦. وهو ما أكدته هيدغير من خلال قوله: "و على نحو أكثر حدة فإننا نختبر اليوم ما هو تاريخي على أنه عي. إنه يكبح سذاجة خلقنا. فالوعي التاريخي يرافق دوما كل محاولة لخلق جديد لينهض فينا مذاك وعي بما هو عابر يحرمننا حماسة المطلق. و لكن بقدر ما يتطلع الجميع إلى مجيء ثقافة روحية جديدة يتعين الإجهاز على الوعي التاريخي، و ذلك بمعنى أنه وعي نزرع تحت ثقله ليكون بذلك في الواقع تأكيد الذات ضد التاريخي معركة تقريبا صاخبة ضد التاريخ". انظر:

HEIDEGGER (Martin): Phénoménologie de la vie religieuse, trad. Fr par J. Greisch, Gallimard, Paris, 2012, p. 48.

١٢. العلوي (فوزي): حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، مرجع سابق، ص ١٣٥.

١٣. مفهوم أساسي لدى هيدغير الأول سواء في مرحلة الهرمينوطيقا الحديثة أو لاحقا ضمن مشروع الانطولوجيا الأساسية سنعود إليه لاحقا. ١٤. (فوكو (ميشال): حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٣.

لقد أدرك فوكو أن فكرة تاريخ شامل مثقل بالوعود، وحامل لواء تحرر الذات من استلاباتها قد أخذت في الاندثار، بحيث: "صرنا نلاحظ ارتسام البشائر الأولية لما يمكن أن نطلق عليه تاريخاً عاماً، مختلف عن الأول أشد الاختلاف" (المرجع نفسه، ص ١١).

مما يفرض ضرورة التخلي عن شكلين متلازمين من الأوهام هما: أوهام النزعة الإنسانية، وأوهام التاريخ: "إن جعل التعليل التاريخي خطاً للمتمصل، والوعي البشري ذاتاً هي مصدر كل صيرورة وممارسة: هما وجهان لنسق فكري واحد. إنه نظام يعتبر الزمان تجميعاً كلياً للأحداث، والثورات مظاهر ليقظة الوعي". (المرجع نفسه، ص ١٣) (انظر: العلوي (فوزي): حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، مرجع سابق، ص ١٣٦)

15. ALQUIÉ (Ferdinand): Descartes, l'homme et l'œuvre, Éd. Table Ronde, Paris, 2017, pp.8-10.

كما يعتبر ألكيبه محلاً مستتباً للشعور الفلسفي في كتابه: "التوق إلى الخلود" (Le désir de l'éternité) (tê, P.U.F, Paris, 1943 و "الحنين إلى الكون" (La nostalgie de l'être, P.U.F, 1953)

أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، دار المعارف الحكومية، بيروت، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٣١).

9. TENGELYI (László): « L'idée de mét-ontologie et la vision du monde selon Heidegger », in Heidegger Studies, Enowning-Thinking, the Onefold of Hermeneutic Phenomenology, Interpreting Gestalt and History Published By: Duncker & Humblot GmbH, London, 2011, Vol. 27, pp. 13, 7, 153.

يقول هيدغير محمدا ماهية الوعي من خلال التقابل بين الذات والموضوع: "علينا أن نستبعد هذا الرسم: ثمة ذوات وموضوعات، وعي ووجود، وأن الوجود هو موضوع للمعرفة. الوجود على وجه الخصوص هو وجود الطبيعة أما الوعي فهو الأنا أفكر، أي أنه أنا. فهو قطب الأنا ومركز أفعال أي شخص. فالأناوات (الأشخاص) ينتصب قبالتهم الموجود والموضوعات أي أشياء الطبيعة، الأشياء من جهة أنها أشياء ذات قيمة وباعتبارها خيرات". انظر:

HEIDEGGER (Martin): « Ontologie, hermèneutique de la factivité », in Martin Heidegger Édition Complète 63, Trad. Fr. Alain Boutot, Gallimard, Paris, 2012, pp. 111- 112.

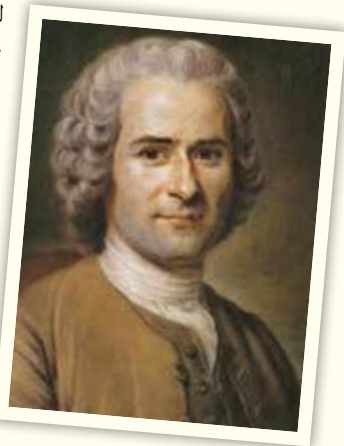
١٠. إن بروز كينونة اللغة، سمح للثقافة المعاصرة ببلورة محور جديد من التفكير. يطرح لأول مرة أمام الفكر إشكالية الوجود الإنساني عبر سبر أغوار اللامفكر فيه، ليشكل بذلك موضوع اللاوعي (L'inconscient) أو اللامفكر فيه (L'impensée) إغراءً جديداً

للفكر الحديث: "إن ما يهيمن على مجرى الفكر الحديث بأكمله، هو قانون التفكير في اللامفكر فيه" (فوكو (ميشال): الكلمات والأشياء، المصدر نفسه، ص ٢٧٠). (العلوي (فوزي): حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، مرجع سابق، ص ١٣٤).

١١. التسولي (معز): "الديني بين الحداثة وما بعد- الديني من

جان-جاك روسو
Jean-Jacques
(Rousseau)

رسم بورتريه جان-جاك روسو الفيلسوف والكاتب والموسيقار السويسري. ولد في جنيف، ٢٨ يونيو ١٧١٢ وتوفي في إيرمينونفيل، ٢ يوليو ١٧٧٨.



”القوة البرومثيوسية“ الخارقة إلى هيمنة ذات طابع انتحاري أدى إلى تخريب المحيط الحيوي للإنسانية. (انظر: موران (إدغار): ثقافة أوروبا وهمجيتها، مرجع سابق، ص ٣٨).

٢٢. يعتبر موران من الضمائر الغربية النادرة التي عبرت عن هكذا موقف مبدئي (انظر، موران (إدغار): ثقافة أوروبا وهمجيتها، مرجع سابق، ص ٣٩).

23. « La misère religieuse est tout à la fois l'expression de la misère réelle et la protestation contre la misère réelle. La religion est le soupir de la créature accablée, l'âme d'un monde sans cœur, de même qu'elle est l'esprit d'un état de choses où il n'est point d'esprit. Elle est l'opium du peuple ».

Voir: MARX (Karl): Philosophie: Pour une critique de la philosophie du droit de Hegel (1844), Folio- Gallimard, Paris, 1994, pp. 89-90.

ويطلق لفظ الدين عموماً على ”إربة عقائدية يمكن تحديد أهم عناصرها كما يلي: أولاً، وجود طقوس عقائدية [...] وثانياً، وجوب الانخراط والاندماج ضمن مجموعة ما، والتسليم والإيمان بما تسلم به وتؤمن به من معتقد [...] وثالثاً، الوظيفة الاجتماعية المتمثلة في التوحيد بين الأفراد روحانياً“. (انظر: سعيد (جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مصدر سابق، ص ٢٠٠).

٢٤. المرجع نفسه، ص ٩٧.

25. « De l'inégalité [du moi à son être] qui est au cœur de l'expérience, pourrions-nous espérer rendre raison [...] ? Il n'y a de réponse possible qu'à partir du moment où le moi renonçant à découvrir ce qu'il est, ressaisit au fond de soi l'acte absolu impliqué dans ce renoncement même, pour être par cet acte, pour être cet acte, et y appuyer son existence effective ». (Voir: NABERT (Jean): Essai sur le Mal, Les Éditions du Cerf, 2001, Paris, 2001, p. 57).

٢٦. حيث ينقل غارودي هذا التصور انطلاقاً

بالإضافة إلى كتاب ”فلسفة السريالية“ De la philosophie de sérialisme, Flammarion, Paris, 1955 وهو كتاب يرصد التواصل الفكري الممكن بين التأمل الديكارتي واليقظة السريالية للقوى اللاشعورية.

١٦. حيث يقول ألكيب: ”لا العلم ولا الميتافيزيقا بإمكانهما إعطائنا تفسيراً شاملاً للعالم [...] حتى إذا افترضنا أن العقل السامي هو كل شيء ليس بإمكانه بلوغ كما الضمير لدى الإنسان“ وهو بهذا يجعل التحليل المنهجي القائم على التعقل ” الطريقة الوحيدة للمعرفة الأكيدة“ التي تتجنب كل معرفة اعتقادية وكل وثنية، بالإضافة إلى أن النقد- حسب رأيه- ليس بالضرورة سلبياً محضاً بل يقود إلى توازن فكري الذي هو جوهر الفلسفة، لذلك يطلق على المعرفة الفلسفية اسم ”الحكمة“. وهذه الحكمة هي الدرس النابع من تاريخ الفلسفة، وإذا تم فهم ذلك الدرس جيداً، يتأكد لنا أن المعرفة الميتافيزيقائية، فيما يجاوز معارف العلوم، ” تزاوُل الإدراك المحض“ ويساعد على ” اتخاذ موقف صحيح إزاء العالم“ (انظر: ألكيب (فيرديناد): التوق إلى الخلود، ترجمة سنا خوري، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية، أبو ظبي، ١٠، ٢٠٠٩، ص ص ١٢٩-١٣١ و ١٥٠).

١٧. وهو موضوع اهتمام جون فال في كتابه ” نحو العيني“ (Vrin, Paris, 1932).

١٨. يشير إدغار موران إلى ما سماه بـ ”وجود توماوية“ (Le Thomisme) صاحبة تفكير عقلائي ظل تحت الهيمنة الدينية (موران (إدغار): ثقافة أوروبا وهمجيتها، مرجع سابق، ص ٣٧).

١٩. عبر ما يسميه إدغار موران بـ ”عودة الإغريق“ هذه من خلال تقويض ”القوقعة اللاهوتية“ وهو ما أدى إلى استقلالية التفكير التي تسمح بدورها بانطلاق الفلسفة والعلوم الحديثة: لينتشر العلم وفق قاعدة رباعية: ”الخبرية، والمعقولة، والتحقق والتخيل“ (موران (إدغار): ثقافة أوروبا وهمجيتها، مرجع سابق، ص ٣٧).

٢٠. موران (إدغار): ثقافة أوروبا وهمجيتها، مرجع سابق، ص ٣٨.

٢١. يتحدث موران عن ”رسالة ديكارتية“ سيستعيد بها لاحقاً كل من بوفون (BUFFON) وكارل ماركس (Karl MARX)، لتتقلب هذه

sens et des appétits d'une part, celui de la raison et de la morale de l'autre, la distance est si considérable que le second semble n'avoir pu se surajouter au premier que par un acte créateur » (Durkheim (Émile): Les formes élémentaires de la vie religieuse, 4ème Éd. Quadrige/ P.U.F, Paris, 1960, pp.636- 637).

٢٩. برغسون (هنري): الأعمال الفلسفية الكاملة، ترجمة سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص ص ٢٢١-٢٤٢.
٣٠. وهو عنوان أحد كتب هذا اللاهوتي والفيلسوف المسيحي، الذي ترأس إدارة حوليات الفلسفة المسيحية (١٩٠٥-١٩١٣).

« On ne démontre pas que Dieu existe, pas plus qu'on ne démontre aucune existence. On le trouve en Le cherchant. Mais aussi on ne le cherche que parce que déjà on l'a trouvé, que par qu'il est présent et agissant dans la conscience que nous avons de nous-mêmes... On ne démontre pas Dieu: on Le trouve en cherchant à être ce qu'on doit être parce que alors Il apparaît comme la Vie de notre vie ». Voir: LABERTHONNIERE (L.): Esquisse d'une philosophie personaliste, Vrin, Paris, 1942, p.19).

٣١. لقد عبر لوسيان لابرتونيار (١٩٣٢-١٨٦٠) عن هذه الأفكار في كتبه التالية:

- Théorie de l'éducation, Éd. Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 10ème Édition, 1935.

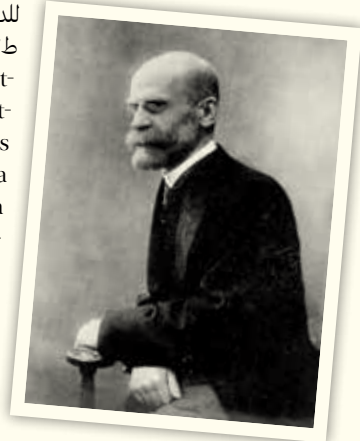
- Le réalisme chrétien et l'idéalisme grec, Éd. Librairie P.Lethielleux, Paris, 1904. - Positivism et catholicisme, Éd. Bloud et Cie, Paris, 1911.

٣٢. الديمومة (La durée): "هي الزمان كما هو معطى مباشرة في الوجدان، أي الزمان المعيش والحاضر وغير المنقسم وغير القابل للقيس، على خلاف الزمان الرياضي الذي ينقسم ويمكّن

من رواية دون كي شوت لسارفانتس (Miguel DE CERVANTES SAAVEDRA)، فيقول - على لسان دون كي شوت: "ماذا أرى هناك؟ إنه الذهب المعدن الأصفر اللامع والنفيس، القليل من هذا الذهب يكفي ليحول الأسود إلى الأبيض، القبيح إلى جميل، والظالم إلى عادل، والوضيع إلى نبيل، المسن إلى شاب، إنه سيبعد عن منابركم قساوتكم وخدامكم، ويسلب الوسادة من عند سرير المريض. هذا المال الذهبي سيلحم ويقطع التعهدات، سيبارك الملعون، وسيجعل المجذوم يعبد وسيضع اللصوص بعد منحهم الألقاب والاحترام والثناء على منصة النواب، وهو ما سيحول الأزمة الحزينة تقرر الزواج مرة أخرى، وسيحول مستشفى لمرضى القرحة التي تبدو كئيبة وتثير الغثيان، إلى راحة عطرة، إلى الأمام، أيها العفار الملعون المبتذل لكل أنواع البشر، أريد أن أعيد لك مكانتك في الطبيعة" (غارودي (روجيه): كيف صنعنا القرن العشرين؟، ترجمة ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١، ص ص ٤٥-٤٧).
٢٧. مثل هذا الموقف هو محصلة لما انتهى إليه جبرار لكرك بقوله: "جعلت المدرسة التطورية في القرن التاسع عشر همها المعرفة الكاملة للممارسات التي يمكن فهمها والسلوك الإيماني الذي يمكن معاينته في المجتمعات البدائية. ففي حين رأى القرن الثامن عشر في كل ما يتميز عن المواقف الإيمانية والممارسات الأوروبية غيبا، اعتبرتها الأنثروبولوجيا الحديثة شعائر راحت تحاول فهمها انطلاقا من معناها الداخلي أول الأمر، وبمقارنتها ثانيا بمجمل درجات التقدم". (انظر: لكرك (جبرار): الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص ص ٢٩-٣٠).

28. « On s'étonnera peut-être de nous voir rapporter à la société les formes les plus élevées de la mentalité humaine: la cause paraît bien humble, eu égard à la valeur que nous prêtons à l'effet. Entre le monde des

إميل دوركايم
(Émile Durkheim)
١٨٥٨-١٩١٧ عالم اجتماع
بارز فرنسي وأحد المؤسسين
الرئيسيين لعلم الاجتماع
الحديث.





برلين الغربية
تجمع حشد من سكان برلين
الغربية عند جدار برلين
المشيّد حديثاً، بينما كان
جندي من ألمانيا الشرقية
يقوم بدورية على الجانب
الآخر في آب/أغسطس ١٩٦١.

op.cit., p.222.

وبذلك، يتقارب في حقل البحوث الماركسية اهتمامان: اهتمام أخلاقي لدى سارتر استمدّه من ماركس لمعالجة المشكلات التي تسبغ المعنى على "المشروع الوجودي"، واهتمام ليفي سترواس بأنموذج "العلم" الذي وجده عند ماركس من أجل علوم الإنسان. وهذا البحث المزدوج للمشكلات الأخلاقية-الإستيمولوجية، فرضته القرينة الثقافية الفرنسية. ومن الجائر أن ينهض ماركس بفضل الفرنسيين بدور يماثل ما قام به كانط في المحيط الإيديولوجي للجمهورية الثالثة بين سنتي ١٨٧٠ و١٩٣٩. حيث أن مفهوم الفلسفة الماركسية ينتقل، متخذاً طريق العلاقات الاجتماعية في مجموعها، لا طريق التأمل الإنساني، ولا يمكن إصلاح متناقضات القوى الاقتصادية والاجتماعية على مستوى "المشروع"، أو الخلافات الفردية، إذ أن هذه المتناقضات نتاج "غير مقصود" لنمو النسق.

٣٥. تحدث الفيلسوف برهيهيه (BREHIER)

قيسه. ولقد جرت العادة منذ برغسون أن نقابل بين الديمومة والزمان، باعتبار أن الديمومة هي الخبرة المعيشة للزمان بينما الزمان الخارجي هو زمان مجرد وقابل للقيس والتحديد. فالديمومة هي حقيقة نفسية وذاتية تختبرها في الانتظار ونفاذ الصبر، مثلاً عندما تبدو لنا ساعة من الزمن الموضوعي طويلة للغاية، في حين أنها تبدو لشخص آخر قصيرة جداً إذا كان مثلاً يمر بلحظات سعيدة" (انظر: سعيد (جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص ١٩٩).

٣٣. وذلك في سياق فهم الدين كمؤسسة اجتماعية "قوامها التفريق بين المقدس والدنيوي، لها جانبان أحدهما روحي مؤلف من العقائدي والمشارع الوجدانية. والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات". (انظر: سعيد (جلال الدين): معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص ٢٠٠).

34. ALTHUSSER (Louis): Pour Marx,

• (مترجم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
• حنفي، ح. (٢٠١٢). الهوية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
• روزنتال، م. & يودين، ب. (١٩٧٤). الموسوعة الفلسفية. بيروت: دار الطليعة.
• غارودي، ر. (٢٠٠١). الاستعمار الثقافي والصهيونية والتمسك بالأسطورة بدلا من سرد الحقائق في تدريس التاريخ (هـ. حداد، مترجم). مجلة الآداب الأجنبية، (١٠٨)، أكتوبر.
• غارودي، ر. (٢٠٠٢). حفارو القبور. بيروت: دار الشروق.
• غارودي، ر. (٢٠٠١). كيف صنعنا القرن العشرين؟ (ل. حافظ، مترجمة). القاهرة: دار الشروق.
• غوشيه، م. (٢٠٠٧). الدين في الديمقراطية (ش. محسن، مترجم). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
• فوكو، م. (١٩٨٧). حفرات المعرفة (س. يفوت، مترجم). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
• فوكو، م. (٢٠١٢). الكلمات والأشياء (فريق مترجمين). بيروت: دار الفارابي - مركز الإنماء القومي.
• فولتير. (٢٠١٨). القاموس الفلسفي. القاهرة: مؤسسة الهداوي.
• لكلرك، ج. (١٩٩٠). الأنثروبولوجيا والاستعمار (ج. كتورة، مترجم). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
• لالاند، أ. (٢٠٠١). موسوعة لالاند الفلسفية (خ. أ. خليل، مترجم). بيروت - باريس: منشورات عويدات.
• لالاند، أ. (٢٠١٥). محاضرات في الفلسفة (فريق مترجمين). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
• ليبينز، غ. ف. (١٩٧٨). المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي (ع. مكاي، مترجم). القاهرة: دار الثقافة.
• ماركس، ك. (١٩٤٧). رأس المال (ر. البراوي، مترجم). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
• موران، إ. (٢٠٢٠). ثقافة أوروبا وهمجيتها (الم. الحملي، مترجم). ك. الزغباني، مراجعة). تونس: دار APULEIUS.
• مونتسكيو، ش. ل. د. س. (١٩٩٢). الرسائل الفارسية (أ. ك. يونس، مترجم). القاهرة: د.م.ط.
• موروسير، إ. (١٩٧٨). الفكر الفرنسي المعاصر

انطلاقاً من التقليد الحدائي الغربي والفرنسي تحديداً للهوية الثقافية عن تحولات الفلسفة الفرنسية عن الجدال القائم في أنفسنا بين الدفاع عن الحضارة الغربية، وهي في حالة يأس دون انتظار مخرج سعيد، وبين الاستمرار في العمل قصد منح تلك الحضارة قيمة وارتقاء. فالضعف الذي يصيب الباحث ناجم عن إحساس بالخوف والذعر الذي أصاب كل العالم ويصلنا عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، أو ما يصوره لنا الكتاب والنقاد من ألم وملل. لذلك نلجأ إلى الفلسفة حتى نضبط أعصابنا وهدهودنا وقدرتنا على إعمال العقل والتأمل في العالم والتفكير في كل ما يخصنا.

36. MEYERSON (Émile): Identité et Réalité, Librairies Félix ALCAN & Guillaumin REUNIES, Paris, 1908, p.358 & après.

قائمة المصادر و المراجع:

• أرمسترونغ، ك. (٢٠١٠). مسعى البشرية الأزلي (ف. نصر & هـ. م. عارف، مترجمان). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
• ألكبيه، ف. (٢٠٠٩). التوق إلى الخلود (س. خوري، مترجم). أبو ظبي: كلمة ومجد المؤسسة الجامعية.
• التسولي، م. (٢٠١٨). الديني بين الحداثة وما بعد-الديني من منظور فينومينولوجيا الدين لهيدغير. مجلة مسارات، (١٦)٥، خريف.
• السنهوري، ع. ر. (١٩٥٢). الوسيط في شرح القانون المدني الجديد. القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.
• سعيد، ج. (د. ت.). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية. تونس: دار الجنوب للنشر.
• سورين، ك. (١٩٨٤). خوف ورعدة (ف. كامل، مترجم). القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
• العلوي، ف. (٢٠١٤). حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو. بيروت: دار المعارف الحكيمة.
• برغسون، هـ. (٢٠٠٨). الأعمال الفلسفية الكاملة (س. الدروي،

✓
لوك كولاكوفسكي
(Leszek Kołakowski)
فيلسوف ومؤرخ الفكر
البولندي (١٩٢٧-٢٠٠٩)



l'éducation (10e éd.). Paris: Librairie philosophique J. Vrin.

• Laberthonnière, L. (1942). Esquisse d'une philosophie personaliste. Paris: Vrin.

• Marx, K. (1994). Philosophie: Pour une critique de la philosophie du droit de Hegel (1844). Paris: Folio-Gallimard.

• Meyerson, É. (1908). Identité et Réalité. Paris: Librairies Félix Alcan & Guillaumin réunies.

• Nabert, J. (2001). Essai sur le Mal. Paris: Les Éditions du Cerf.

• Raynal, G. T. (1774). Histoire philosophie et politique des établissements et de commerce des Européens dans les deux Indes. Gosso Fils, Lahaie.

• Rousseau, J.-J. (1999). Dialogues: Rousseau juge de Jean-Jacques (Le Lévi d'Ephraïm) (2e éd. corrigée). Paris: Flammarion.

• Serment, J. H. (1860). Le libéralisme, ses principes, son but, ses preuves: christianisme et libéralisme, obstacles, moyens. Paris: Joël Cherbulez.

• Sorel, C. (1641). La science universelle. Paris: Toussaint Quinet.

• Tengelyi, L. (2011). L'idée de métontologie et la vision du monde selon Heidegger. In Heidegger Studies: Enowning-Thinking, the Onefold of Hermeneutic Phenomenology, Interpreting Gestalt and History. London: Duncker & Humblot GmbH.

• Wahl, J. (1932). Vers le concret. Paris: Vrin.

• Wahl, J. (1957). Traité de Métaphysique. Paris: Payot.

• Warfield, J. N. (2006). An introduction to systems science. New Jersey: World Scientific Publishing Co. Ltd. ◀

(ع. العوا. مترجم). بيروت: منشورات عويدات.

• ميكشيللي، أ. (١٩٩٣). الهوية (ع. وطفة. مترجم). دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعة.

منابع فرانسوى

• Alquié, F. (1943). Le désir de l'éternité. Paris: P.U.F.

• Alquié, F. (1953). La nostalgie de l'être. Paris: P.U.F.

• Alquié, F. (1955). De la philosophie de sérialisme. Paris: Flammarion.

• Alquié, F. (2017). Descartes, l'homme et l'œuvre. Paris: Table Ronde.

• Althusser, L. (1965). Pour Marx. Paris: Maspero.

• Chamberlain, H. S. (1913). La Genèse du XIXe siècle (R. Godet, Trans.). Paris: Payot.

• Durkheim, É. (1960). Les formes élémentaires de la vie religieuse (4e éd.). Paris: Quadrige/P.U.F.

• Heidegger, M. (1999). Phénoménologie et philosophie de valeur transcendante. In Édition Complète (Vol. 56/57). Lena, Allemagne: Vittorio Klostermann.

• Heidegger, M. (2012a). Ontologie, herméneutique de la factivité (A. Boutot, Trans.). In Édition Complète (Vol. 63). Paris: Gallimard.

• Heidegger, M. (2012b). Phénoménologie de la vie religieuse (J. Greisch, Trans.). Paris: Gallimard.

• Heidegger, M. (2013). Introduction à la recherche phénoménologique (A. Boutot, Trans.). Paris: Gallimard.

• Laberthonnière, L. (1904). Le réalisme chrétien et l'idéalisme grec. Paris: Librairie P. Lethielleux.

• Laberthonnière, L. (1911). Positivismisme et catholicisme. Paris: Bloud et Cie.

• Laberthonnière, L. (1935). Théorie de

المقاومة الإلكترونية الفلسطينية منذ أكتوبر

بحث في الماهية والمقومات والرسالة





حمادي ذويب

أستاذ الحضارة الإسلامية في جامعة
صفاقس • مستشار التحرير في
المجلة "يتفكرون" • تونس

المقدمة

تمثل الهجمات السيبرانية اليوم واجهة بارزة للحروب. ولئن كانت أهميتها قبل سنوات باهتة فإنها تشهد حالياً فورة في نشاطها بسبب تقدم الوسائل التكنولوجية وتنوعها. ولعل الهجمات التي شنتها "إسرائيل" منذ مدة على أجهزة الببجر وأجهزة اللاسلكي^١ قد ضاعفت الوعي والخوف في الآن نفسه من تحول الاختراقات الإلكترونية إلى سلاح تدمير وقتل جماعي. لقد تحولت جبهة الحرب الإلكترونية "الساير" إلى جبهة قتالية جديدة إلى جانب ساحات البر والبحر والجو في الحروب الحديثة. وقد أكد الفضاء السيبراني منذ سنوات أنه أصبح ساحة المعركة الحامسة. ولما كانت الأضواء غير مسلطة على هذا الموضوع بما يكفي خاصة في سياق الصراع الفلسطيني "الإسرائيلي" ارتأينا أن تكون المقاومة الإلكترونية الفلسطينية بعد ٧ أكتوبر محور بحثنا ذلك أنها لم تحظ بعناية أكاديمية رصينة إلا نادراً لا سيما في المحيط العربي، أما في المحيط الغربي فكثر ما تدرس هذه المقاومة باعتبارها شكلاً من أشكال الإرهاب غير أن دراسة سكاربه "الجهاد الرقمي المقاومة الفلسطينية في العصر الرقمي" المترجمة إلى العربية شذت عن هذا الاتجاه لكنها تنشط بفترة ما قبل ٢٠١٨.

وقد حصل وعي تدريجي بالدور المحوري للمقاومة الإلكترونية في نطاق الحرب الشاملة القائمة بين الفلسطينيين وبين الكيان "الإسرائيلي" إن في المستوى السياسي الفلسطيني وإن على صعيد المجموعات والأفراد الذين ينشطون في حقل النضال الإلكتروني. وقد تجلّى هذا الوعي السياسي لدى المسؤولين السياسيين عن حماس في هذا الصدد منذ معركة الفرقان في ٢٠١٢ من خلال قول القيادي في هذه الحركة سامي أبو زهري: "إنّ الهجمات الإلكترونية جزء لا يتجزأ من الحرب على إسرائيل"^٢.

١. المفهوم العام للمقاومة

يعرّف بعض الدارسين المقاومة باعتبارها

"الاستخدام المشروع لكل الوسائل المتاحة بما فيها القوة المسلحة لدرد العدوان وإزالة الاحتلال وتحقيق الاستقلال ورفع الظلم المسنود بالقوة المسلحة وهو ما يتفق مع اعتراف القانون الدولي بحركات التحرر الشعبية والوطنية وحققها في النضال والمقاومة". والظاهر أن هذا المفهوم يعتمد في صياغة محتواه على معياري الوسائل والأهداف غير أنه قد يعتمد إلى جانب ذلك على معيار المكونات البشرية للمقاومة^٣.

وقد لاحظنا في هذا الصدد أن هذا التعريف ينهض على أطراف لا ينتمون إلى الدولة أو السلطة الرسمية، فقد ورد في بعض تعريفات المقاومة والحركات المنضمة إليها أنها عبارة عن "منظمات شعبية أخذت على عاتقها تحرير شعوبها وأوطانها من الوجود العسكري الأجنبي فوق ترابها الوطني وتستمد المقاومة شرعيتها من تأييد الجماهير لها"^٤.

يعرّف بعض الدارسين المقاومة باعتبارها "الاستخدام المشروع لكل الوسائل المتاحة بما فيها القوة المسلحة لدرد العدوان وإزالة الاحتلال وتحقيق الاستقلال ورفع الظلم المسنود بالقوة المسلحة وهو ما يتفق مع اعتراف القانون الدولي بحركات التحرر الشعبية والوطنية وحققها في النضال والمقاومة"

٢. مفهوم المقاومة أو النضال الإلكتروني

ترتبط المقاومة الإلكترونية في الخطاب المتداول حديثاً بعدة مصطلحات قريبة منها على غرار مصطلح الحرب السيبرانية، وهي اختراق الشبكات الافتراضية للوصول غير المصرح به والحصول على البيانات أو زرع الفيروسات التي قد تؤدي إلى إتلاف أنظمة الكمبيوتر أو تدميرها أو السيطرة عليها، ممّا يعرض البنية التحتية الحكومية والخاصة والعامة للخطر^٥.

ويبدو أن بعض الباحثين العرب انطلقوا من هذا المفهوم ليعرّفوا الجهاد الإلكتروني أو المقاومة الإلكترونية اعتماداً على الهدف الذي يتوخاه

في ٦ أكتوبر سنة ٢٠٠٠، بالترافق مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، عندما اخترق ناشطون إلكترونيون وقتها ٤٠ موقعاً إسرائيلياً في بضع ساعات، وأفضى هذا الاختراق إلى موجة من الدعوات إلى "الجهاد السيبراني" ضد الاحتلال، واستهدفت في ذلك الوقت عدة مواقع تابعة للكنيسة ووزارة الخارجية وبنك إسرائيل وبورصة تل أبيب.

ولم يقتصر هذا التصعيد على الفلسطينيين، وإنما تحول إلى حرب إلكترونية عربية "إسرائيلية"، وهكذا تم من جويلية ١٩٩٩ حتى منتصف أفريل ٢٠٠٢ اختراق ٥٤٨ موقعاً إسرائيلياً^١.

ولئن كان الفلسطينيون يقاتلون جيشاً يفوقهم في السلاح، فإنهم كانوا كذلك يناضلون رقمياً في مجال يتفوق فيه "الإسرائيليون" سعيًا منهم إلى تجاوز الهيمنة عليهم وإثبات الوجود الفلسطيني في مقابل المحتل الصهيوني، وبذلك يخلق النضال الإلكتروني الفلسطيني ساحة جديدة للمقاومة تعزز بقية الساحات.

٤. مجموعات المقاومة السيبرانية الفلسطينية والداعمة للفلسطينيين

أ. مجموعات المقاومة السيبرانية الفلسطينية
برزت ظاهرة مجموعات القرصنة الفلسطينية قبل معركة طوفان الأقصى بمدة طويلة نسبياً، ومن أبرز هذه المجموعات مجموعة "هاكر غزة" التي ظهرت في سنة ٢٠٠٧ واستمرت نحو عقد من الزمان^٢. ومن إنجازاتهم اختراق موقع حاخامات "إسرائيل" للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين في سجون الاحتلال^٣.

تخوض هذه المجموعات حرباً حقيقية ضد "إسرائيل"، ولعله من المفيد التوقف عند بعض هذه المجموعات، فالإحاطة بها جميعاً يتجاوز مساحة بحثنا. ويمثل الرسم التالي أسماء عدد من المجموعات الناشطة رقمياً دعماً للقضية الفلسطينية، وهي ٧٧ مجموعة. ويقابلها في الرسم ٢٠ مجموعة موالية للكيان الصهيوني.

١. سايبير حماس

نجد على رأس مجموعات المقاومة الإلكترونية الفلسطينية "سايبير حماس"، وهي الوحدة الإلكترونية التابعة لكتائب الشهيد عز الدين القسام المتخصصة بتنفيذ هجمات سريرية على "إسرائيل". وقد برز الهجوم الإلكتروني الأول

ممارس هذا العمل بكونه "بذل الجهد لاستغلال الثغرات الموجودة في شبكات شركات المعلوماتية وتصميم برامج معلوماتية للتسلل من خلالها والقيام بتدمير قاعدة البيانات والتي غالباً ما تؤدي إلى شلل كامل أو جزئي في عمل الشبكات ومنه التأثير على وظيفة هذه الشبكات وتكبيد الشركات والمؤسسات والأفراد خسائر مادية ومعنوية^٤.

ويعتبر النضال الإلكتروني مفهوماً جديداً يتماهى مع المصطلح الإنجليزي (Hacktivism)، وهو مزيج من كلمتي "القرصنة" و"النشاط"، والمقصود به استخدام أجهزة الحاسوب والشبكات الحاسوبية وتقنيات القرصنة لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية. و يتم خلاله الاستفادة من الأدوات الرقمية للاحتجاج أو اتخاذ إجراءات مباشرة^٥.

وغالباً ما ترتبط أهداف هذا النضال بحرية التعبير و حقوق الإنسان أو حرية المعلومات. وقد ابتكر هذا المصطلح في سنة ١٩٩٦ رجل أمريكي يسمى أوميغا، فقد استخدمه في رسالة إلكترونية وجهها إلى أعضاء إحدى منظمات القرصنة التي ينتمي إليها، وهي (Cult of the Dead Cow) (cDc)، وقد اعتبر إيريكي سكاريه أن هناك عديد التعريفات المختلفة والمتضاربة للنضال الإلكتروني إلا أن التعريف الذي اختار التركيز عليه هو القرصنة ذات الدافع السياسي والاجتماعي^٦. وهو بذلك يقصي بعض التجليات الأخرى للنشاط الإلكتروني المعتبر عند البعض نضالاً على غرار حشد الجماهير لأغراض سياسية حزبية مثلاً.

ومن مفاهيم المقاومة الإلكترونية أيضاً القوة الذكية، فقد أسس الفضاء السيبراني الذي أضحي بعد انتشار الانترنت أحد العناصر الرئيسية التي تؤثر في النظام الدولي، لمفهوم جديد من أشكال القوة، هو ما بات يُعرف بـ "القوة السيبرانية" التي تقوم على الإبداع والابتكار والاختراع وترتبط بامتلاك المعرفة التكنولوجية والقدرة على استخدامها^٧.

٣. المقاومة الإلكترونية الفلسطينية

من الصعب تحديد التواريخ الدقيقة لإنشاء مجموعات النضال الإلكتروني المختلفة في الدائرة الفلسطينية. إلا أن هذه الظاهرة برزت على الأرجح في أواخر التسعينيات. وقد كانت بداية مواجهة "إسرائيل" في ما يطلق عليه "الحرب الإلكترونية"



حماس دور كبير في معركة طوفان الأقصى، من ذلك مثلا أنها كانت تعاضد القتال المسلح فقد تزامن إطلاق حركة حماس صواريخ باتجاه البلدات والقرى "الإسرائيلية" مع تعرض القبة الحديدية لهجوم سايبير أدى إلى فشلها^{١٩}.

لقد فتح هذا الجيش الإلكتروني أبوابه أمام العقول المستعدة للمقاومة وطور أعضاؤه مهاراتهم في عدة بلدان كماليزيا وتركيا وإيران. واستشعر العدو خطر هذا الجيش المتنامي فحاول اغتيال قادته أو اختطافهم^{٢٠}.

وقد يتساءل البعض عن طبيعة العلاقة بين سايبير حماس والكتائب المسلحة لحماس هل هي علاقة يستقل فيها كل طرف بعمله وأنشطته؟ أم إنها علاقة تبعية أو تكامل؟

اعتبر بعض الباحثين أن هذه الصلة تتميز بالتبعية للكتائب المسلحة، فالمقاومون الإلكترونيون لا يخترقون من أجل الاختراق نفسه أو من أجل الشهرة ولكنهم يفعلون ذلك معاضدة للصراع المسلح مع العدو. هكذا فإن الوحدات الإلكترونية لحماس والجهاد ليست جزءا منعزلا خارج كتائبها المسلحة وإنما هي شكل من أشكال تحديث النضال المسلح الفلسطيني^{٢١}.

لكن هل تقتصر أهداف المقاومة الفلسطينية الإلكترونية لدى حماس على الحرب مع الكيان "الإسرائيلي"؟ تظهر الوقائع أن التصعيد في المجال الافتراضي الإلكتروني لم يكن يرتبط قبل ٧ أكتوبر بساحة الصراع الفلسطيني "الإسرائيلي" فحسب وإنما كان يتسع ليشمل العالم الإسلامي بأسره^{٢٢}. لكن بعد السابع من أكتوبر أصبح التركيز على العدو الصهيوني. وقد اعترف هذا العدو بأن ما عثر عليه فوق الأرض وتحته في غزة كشف له عن تطور مذهل في قدرات عناصر حماس في مجال الاستخبارات.

وقد بينت بعض التقارير أن "حماس" أقامت "قسم مخبرات عسكرية"، يضم حوالي ٢١٠٠ عنصر عملوا بأساليب وتكنولوجيا تدل على أنهم تلقوا تدريبات وحصلوا على خبرات من عدة مصادر. وقد مكّنهم هذا من اختراق العديد من كاميرات المراقبة "الإسرائيلية" التي يعترف الجيش بتقصيره حيال التعامل معها. ولعل ما يجلي بعضا من قدراتهم التجديدية الجانب التمويهي في تكتيكاتهم على غرار نصبهم كاميرات على طائرات مسيرة تبدو في الظاهر بسيطة، إلا أنه تبين بعد ذلك أنها كاميرات

لها خلال معركة حجارة السجيل ردًا على العدوان "الإسرائيلي" عام ٢٠١٢. وقد أحيط تأسيس هذه الوحدة بسرية كبيرة ذلك أن كتائب القسم لم تعلن عن تأسيس هذه الوحدة إلا بعد ١٠ سنوات وتحديدًا في شهر أكتوبر من سنة ٢٠٢٢.

والواضح أن فكرة هذه الوحدة متأصلة لدى القادة المؤسسين لحماس إذ ينقل أن الشهيد أحمد ياسين (ت ٢٠٠٤م) ذكر أنه سيستخدم أية وسيلة متاحة بما فيها شبكة الانترنت للجهاد ضد "إسرائيل"^{٢٣}. وتنسب بعض التقارير الفضل في تأسيس هذه الوحدة الإلكترونية وتطوير عملها إلى الشهيد جمعة الطحلة الذي اغتالته "إسرائيل" في معركة سيف القدس خلال شهر ماي من سنة ٢٠٢١. وأعلنت حينها أنه قائد الأمن السيبراني في حماس وأن الهدف هو ضرب قدرات المقاومة في الهجمات السيبرانية^{٢٤}.

ويبدو أن من الغايات الجوهرية لتأسيس الوحدة الإلكترونية لحماس الغاية التجسسية أو جمع المعلومات الاستخبارية قصد اختراق الحواجز الدفاعية للجيش "الإسرائيلي"^{٢٥}. وتقترن بهذه الغاية غاية أخرى تتمثل في تنفيذ عمليات هجومية لتعطيل عمل مصالح العدو "الإسرائيلي" ومؤسساته المختلفة.

وقد تواترت الهجمات الإلكترونية لسايبير حماس منذ سنة ٢٠١٢. ونجحت من خلالها في ذلك الوقت في اختراق أكثر من ٥ آلاف هاتف نقال لضباط وجنود في جيش الاحتلال، وشكل هذا "النواة الأولى" للوحدة الإلكترونية المحاطة بسرية كبيرة^{٢٦}.

ولعل الأمر الذي صدم الملاحظين والعدو الصهيوني أنه على الرغم من الحصار الخانق لقطاع غزة الذي يعاني من انقطاع في الكهرباء بصورة مزمنة، بالإضافة إلى سيطرة دولة الاحتلال على شركات الاتصالات والبنية التحتية لها في القطاع فإن أنشطة سايبير حماس كانت تتطور بشكل غير متوقع. وقد ترتبت على هذا التطور عدة عمليات موجهة لدولة الاحتلال لذلك قرر الجيش الصهيوني في شهر ماي من سنة ٢٠١٩ قصف أحد المباني التي ذكر حينها أنها تخص مقر الوحدة السيبرانية لحركة حماس. واللافت للانتباه هنا أن هذا الهجوم يمثل المرة الأولى التي تحرر خلالها جيش نظامي في عملية على الأرض ردًا على تهديدات أو هجمات سيبرانية^{٢٧}. وكان لسايبير



من عملية "طوفان الأقصى"، وهي تشترك حسب بعض المصادر مع مجموعات قرصنة إيرانية في خصائص مشتركة^{٢٧}.

وقد أعلنت مجموعة ساير طوفان الأقصى، على صفحتها في تلغرام، اختراق عدد كبير من الملفات من شركة استضافة الويب مثل "سيفنتشر آي تي" وسرقتها، وهي تعتبر من أكبر شركات الاستضافة في "إسرائيل". وكشفت المجموعة أيضاً أنها تمكنت من اختراق وزارة الدفاع "الإسرائيلية" وحصلت على ملايين البيانات عن جنود الاحتياط والجيش "الإسرائيلي". ولم تؤكد وزارة الدفاع "الإسرائيلية" حادثة اختراق الوزارة كما فعلت في حادثة اختراق شركة الاستضافة وغيرها من الشركات^{٢٨}.

وقد وصفت وسائل الإعلام "الإسرائيلية" العملية بأنها "أكبر الهجمات الإلكترونية في تاريخ إسرائيل"، في حين ذكرت ساير طوفان الأقصى أنها دمرت أكثر من ١٠٠٠ خادم واختارت ١٥٠ هدفاً "إسرائيلياً"، بما في ذلك الوكالات الحكومية والشركات.

٤. مجموعة "أشباح فلسطين"

(Ghosts of Palestine)

أعلنت مجموعة القرصنة الإلكترونية الفلسطينية

متطورة غير مألوفة، تستطيع التصوير من زوايا مائلة، وكانت تلتقط صوراً في بلدات غلاف غزة ومعسكرات الجيش "الإسرائيلي" أثناء تخليقها^{٢٩}.

٢. العاصفة ١١٣٣ (Storm-1133)

اعتبرت هذه المجموعة التي تكونت حديثاً بعد هجوم ٧ أكتوبر موالية لحماس^{٣٠}. والظاهر أن شهرتها تعود إلى تقرير أصدرته شركة مايكروسوفت رصدت من خلاله تكثيف مجموعة قرصنة مقرها غزة، تعرف باسم (Storm-1133)، جهود التجسس الإلكتروني على الشركات "الإسرائيلية" العاملة في مجالات الاتصالات والدفاع والطاقة قبل شهر من طوفان الأقصى^{٣١}.

وتعتمد هجمات هذه المجموعة عدة آليات منها الملفات الشخصية المزيفة على موقع لنكيدين (LinkedIn) والتي تنتكر في هيئة مديري موارد بشرية "إسرائيليين"، ومنسقي مشاريع، ومطوري برامج للاتصال وإرسال رسائل تصيد، وإجراء استطلاع، وتسليم برامج ضارة إلى الموظفين في المنظمات الإسرائيلية^{٣٢}.

٣. "ساير طوفان الأقصى"

تأسست هذه المجموعة يوم ١٨ نوفمبر ٢٠٢٣ لدوافع سياسية. والظاهر أن اسمها مستوحى

الأقصى وبعده، فعلى الصعيد الأول تعتبر "عملية إسرائيل" (OpIsrael) من أبرز تجليات التنسيق بين القراصنة. وهو هجوم سيبراني منسق من قبل أعداء الصهيونية يستهدف مواقع الويب الإسرائيلية^{٣٢}. ويقع هذا الهجوم سنوياً ابتداء من ٧ أبريل ٢٠١٣ أي في عشية يوم ذكرى المحرقة. أما على الصعيد الثاني فيمكن أن ننقل ما ذكرته مجموعة "تشيك بوينت سوفتوير" للأمن السيبراني التي مقرها "إسرائيل"، من أنها تتبعت أكثر من ٤٠ مجموعة مساندة للفلسطينيين شنت هجمات تسببت في تعطل أكثر من ٨٠ موقعاً إلكترونياً^{٣٣}. والملاحظ أن أنشطة مجموعات القرصنة داخل غزة لا تعني غياب الجهود الفردية. فقد لوحظ منذ سنة ٢٠١٢ على الأقل وجود بعض القراصنة الذين ينشطون بصفة فردية على غرار الهاكر الفلسطيني الذي أطلق على نفسه اسم نفسه اسم "GaZa HaCker"^{٣٤}.

ب. مجموعات "الهاكرز" أو المقاومة الإلكترونية الداعمة لفلسطين بعد ٧ أكتوبر
لما كانت المقاومة الإلكترونية غير مقتصرة على العناصر المرتبطة رسمياً بقضايا المقاومة المسلحة وعلى رأسها حماس والجهاد الإسلامي اخترنا التوقف عند دور الهاكرز أو المجموعات غير الفلسطينية من العرب أو من الأجانب. فالمشترك بينهم جميعاً اتفاقهم على دعم القضية الفلسطينية من خلال شن هجمات إلكترونية ذات هدف واحد هو الكيان الصهيوني.

نسعى في هذا السياق إلى التوقف على بعض أبرز الهجمات الإلكترونية التي اضطلعت بها هذه المجموعات ضد "إسرائيل". فمنذ فجر يوم السبت ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ أعلنت عدة مجموعات عن قيامها بهجمات على مصالح "إسرائيلية". وقدّرت مؤسسات الأبحاث الأمنية "ساير نو"، أن ٥٨ مجموعة على الأقل شنت هجماتها على الأهداف "الإسرائيلية" والفلسطينية خلال الأيام الأولى من المعركة. وكان أغلبها يؤيد المقاومة، وهي تمثل ٤٨ مجموعة في حين أن ١٠ مجموعات فحسب تدعّم الاحتلال^{٣٥}. من ذلك هجمات مجموعتين مؤيدتين للفلسطينيين هما "أنونيموس السودان" و "أنون غوست" (Anon Ghost)^{٣٦}.

١. أنونيموس (Anonymous)
أنونيموس هي مجموعة لامركزية ليس لها

"أشباح فلسطين"، عبر قناتها على "تليغرام" في الأيام الأولى التي تلت السابع من أكتوبر أنها هاجمت وزارة الخارجية "الإسرائيلية" ومطار بن غوريون وغيرهما من الأهداف. ووجهت هذه المجموعة يوم ٨ أكتوبر، عبر "تليغرام"، دعوة للقرصنة في أنحاء العالم كافة للانضمام إليها في مهاجمة الفضاء السبراني "الإسرائيلي" والأميري^{٣٧}.

Hackers around the world join us. We will attack USA and Israhell cyberspace (infrastructure gov/pvt)
© 102 10:39 AM

4:57 PM • 8 oct. 2023³⁰

وقد صرّحت هذه المجموعة بمسؤوليتها عن الهجوم الإلكتروني على الجامعات "الإسرائيلية" الذي استهدف مؤسسات تعليمية بارزة مثل معهد وايزمان للعلوم، وجامعة تل أبيب، والجامعة العربية في القدس، ومعهد "إسرائيل" للتكنولوجيا. وكانت هذه الهجمات ردّاً على حملة الإبادة الجماعية التي تشنها "إسرائيل" في غزة وأعلنت المجموعة مسؤوليتها عن أي ضرر لحق بالجامعات "الإسرائيلية"، مشيرة إلى الأضرار الجانبية في سعيها لجذب الانتباه العالمي إلى قضيتها^{٣٨}. وقد صدر بلاغها في شبكة تويتر وهذه صورة أصلية له بالإنجليزية^{٣٩}.

GHOSTS of Palestine TM
BIG ISRAELI UNIVERSITY CYBER ATTACK
We have conducted a big cyber attack on the infrastructure of ALL universities in Israel, some of those include (list not exhaustive):
Weizmann Institute of Science
Tel Aviv University
Hebrew University of Jerusalem
Technion Israel Institute of Technology
Ben Gurion University
University of Haifa
Bar Ilan University
Attacks against Israel will continue as they continue their genocidal campaign on Gaza. One of the reasons for the attack drawing attention to the dire situation in Sudan.
We therefore claim any damage to the overall health of Israeli Universities and any collateral damage.
Anonymous Sudan
© 14 oct 2023 PM

والملاحظ أن هجمات المجموعات الفلسطينية ليست في انقطاع عن مجموعات القرصنة غير الفلسطينية فالتنسيق واضح قبل طوفان

تسلسل هرمي أو قيادة. ظهرت في سنة ٢٠٠٣. وهي تعترف نفسها على موقعها على الفيسبوك بأنها "منظمة أنونيموس الدولية التي تضم مجموعة من الشباب العربي والمسلمين ذوي خبرة كبيرة ومعقدة في مجال المعلومات، وخاصة في مجال الحماية والاختراق"^{٣٨}. ومن المعروف أنها تتعامل مع مجموعة واسعة من القضايا السياسية والاجتماعية، فقد كان لها دور في هجمات سابقة استهدفت وكالة المخابرات المركزية وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق. وهي تعارض الرقابة والإشراف على الإنترنت لذلك قامت باختراق العديد من المواقع الحكومية وكذلك قرصنة أنظمة حاسوب أهم شركات الحماية.

وقد بدأت الهجمات التضامنية مع القضية الفلسطينية عامة ومع غزة خاصة منذ ٢٠١٢ على الأقل. فقد تجاوز عدد المواقع "الإسرائيلية" المخترقة في ذلك التاريخ ٤٠ موقعاً، منها ما كان تابعاً للجيش "الإسرائيلي"^{٣٩}. وقد تالتت هجمات أنونيموس وفروغها على الكيان "الإسرائيلي" بعد طوفان الأقصى، من ذلك تصريح مجموعة "أنونيموس الجزائر"^{٤٠} بأنها اخترقت عدداً من المواقع الحيوية "الإسرائيلية". وفي يوم ٩ نوفمبر ٢٠٢٣ أصدرت مجموعة قرصنة "أنونيموس غلوبال" مقطع فيديو انتشر بشكل كبير يتضمن رسالة تحذيرية إلى رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو من عواقب مواصلة العدوان "الإسرائيلي" على المدنيين في قطاع غزة^{٤١}. وأعلنت "أنونيموس" في ١٩ أبريل ٢٠٢٣ اختراق قاعدة بيانات للجيش "الإسرائيلي" وحصولها على أكثر من ٢٣٣ ألف وثيقة^{٤٢}.

٢. مجموعة "أنونيموس السودان"^{٤٣}

ظهرت هذه المجموعة في بداية عام ٢٠٢٣، ووفقاً للتقديرات "الإسرائيلية" فإن "أنونيموس السودان" تنشط من السودان وبنغلاديش، بينما ترى تقديرات الاستخبارات "الإسرائيلية" أن قاعدة مجموعة قرصنة الإنترنت ربما تكون في السودان، كما يوحي اسمها، لكنها لا تستبعد أن تكون مدعومة من إيران وتنشط من دول أوروبية وأخرى عربية وإفريقية^{٤٤}.

بدأت أولى هجمات هذه المجموعة يوم ٢٦ أبريل ٢٠٢٣ من خلال استهداف خمسة عشر موقعا إسرائيليا مهما عبر هجوم سبيري، من ذلك موقع

هيئة البث الإسرائيلية، إضافة إلى بنوك وشركات اتصالات وهيئات حكومية. وقد أتى هذا الهجوم بعد استهداف موقعي الموساد ومؤسسة التأمين الوطني^{٤٥}. وبعد يوم اخترقت هذه المجموعة عدّة مواقع إلكترونية إسرائيلية، من بينها مواقع شركة موانئ "إسرائيل" وميناء حيفا، وتسببت بتعطيلها. ويأتي هذا الهجوم السبيري في الوقت الذي تحيي فيه "إسرائيل" يوم استقلالها. وقد ترتب على هذا الهجوم حجب الخدمات عبر الإنترنت، إثر انهيار خوادم هذه المواقع^{٤٦}.

٣. مجموعة (AnonGhost)

ظلت الهوية الحقيقية لأعضاء هذه المجموعة غير معروفة خاصة أنهم يتواصلون حصرياً باستخدام أسماء مستعارة، و يبدو مع ذلك أن من بينهم بعض الأعضاء من تونس والباكستان ومن الأكراد^{٤٧}.

تعتبر هذه المجموعة الناشطة في مجال القرصنة ذات إيديولوجية إسلامية معتدلة مؤيدة للفلسطينيين^{٤٨}. ويهتمنا بشكل خاص أن المنتسبين إلى هذه المجموعة التي قد تكون ظهرت خلال سنة ٢٠١٣ كانوا يركزون على قضية واحدة محددة، هي الصراع الفلسطيني "الإسرائيلي"^{٤٩}.

وقد نجحت (AnonGhost) في اختراق تطبيق (ريد أलرت) Red Alert. ويهدف هذا الأخير، الذي تم تنزيله مليون مرة في البلاد، إلى إبلاغ السكان عن الهجمات، وخاصة الإنذارات الصاروخية، وتشجيعهم على البحث عن مأوى.

٤. مجموعة كلنات (Killnet)

اكتسبت "كيلنت" - وهي مجموعة مؤيدة لروسيا تنشط منذ جانفي ٢٠٢٢ على الأقل - سمعتها بفضل هجمات الحرمان من الخدمة "DDoS" المتواصلة التي شنتها ضد أوكرانيا وداعميها، وخاصة دول الناتو.

تعتبر هذه المجموعة من أبرز المجموعات التي ساهمت في الهجوم على "إسرائيل" بعد السابع من أكتوبر فقد كثفت هجماتها ضد المؤسسات "الإسرائيلية" ردّاً على الحرب الدائرة، واضعة لينة في معركة موازية بين الفلسطينيين وداعميهم والاحتلال تدور في الفضاء الافتراضي^{٥٠}.

ويبدو أن الخلفية الرئيسية التي تحرك مجموعات الهاكرز من غير الفلسطينيين وغير العرب ذات

في الثانية لحجب الخدمة، وفق التحقيق نفسه^{٥٥}. والظاهر أن أغلب الهجمات السيبرانية نفذها خبراء "سلاح السايبر" التابع لـ "حماس"، فهي قد أعدت نفسها قبل ذلك اليوم فأضحت تمتلك بنك معلومات يشتمل وفق صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية على "أسرار إسرائيل" ونقاط ضعفها التي جمعتها طوال فترة تخطيطها لعملية "طوفان الأقصى".

إن هذه المعطيات لا تتأتى من فراغ ولا تعتمد مصادر مقربة من حماس بل تعتمد أعداءها سواء كانوا مسؤولين في الاستخبارات أو من الجنود "الإسرائيليين" أو من ناجين من هجوم ٧ أكتوبر^{٥٦}. وقد شاركت في هذه الهجمات أيضا مجموعات القرصنة العربية والإسلامية والأجنبية، على غرار مجموعة "أنون غوست". وقد هدد الجيش السيبراني لفلسطين يوم ١٤ أكتوبر ٢٠٢٣ بحجب الخدمة عن البنية التحتية "لإسرائيل"^{٥٧}.

وقد أعلنت عدة مجموعات مسؤوليتها عن هجمات حجب الخدمة الموزعة (DDoS) في "إسرائيل" وفلسطين وغيرهما، وهي هجمات استهدفت البنية التحتية للاتصالات والمستشفيات والبنوك. وقد تصدرت NoName٠٥٧ (٠١٦) قائمة المجموعات التي تشن هجمات حجب الخدمة الموزعة (DDoS) في عام ٢٠٢٣، إذ استهدفت ٧٨٠ موقعًا إلكترونيًا في ٣٥ بلدًا^{٥٨}.

وقد نشرت شركة كلودفلير رسماً إيضاحياً يبرز تطور الهجمات الموزعة لحجب الخدمة ضد المواقع الإلكترونية "الإسرائيلية" التي تقدّم معلومات وتنبهات للمدنيين فيما يتعلق بالهجمات الصاروخية^{٥٩}.

والواضح أن مكسبين كبيرين حققتهما هجمات حجب الخدمة يتمثل أولهما في الحصول على معلومات استخباراتية ثمينة ساهمت في نجاح معركة طوفان الأقصى، أما الثاني فيتجلى من خلال إصابة المؤسسات المستهدفة بالهجوم بالشلل، وهو ما أفضى إلى منعها من التدخل السريع لمواجهة الهجمات.

ب. آلية اختراق الهواتف

عمدت المجموعات الساهرة على المقاومة الالكترونية الفلسطينية إلى استخدام آلية معروفة تتمثل في اختراق هواتف "الإسرائيليين". وقد

طبيعة أخلاقية وقانونية، وهو ما أعلنته مجموعة "كلنتات" مثلاً^{٦٠}. فهي تعتبر "إسرائيل" مسؤولة قانونياً وأخلاقياً عن الجرائم المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني.

وحرّي بنا أن نشير إلى أن المعركة السيبرانية لم تكن بين طرفين وحيدتين هما القرصنة و"إسرائيل" فحسب بل توسعت لتشمل أطرافاً أخرى، من ذلك مثلاً أن مجموعة القرصنة الهنود (Indian cyber force) لمّا وجهت هجمات إلكترونية ضد المواقع الالكترونية لحماس نظراً إلى دعم المجموعة الهندية "لإسرائيل" تبنت بعض مجموعات الهاكرز المعادين لإسرائيل هجمات ضد مواقع حكومية هندية^{٦١}.

٥. آليات المقاومة الالكترونية الفلسطينية

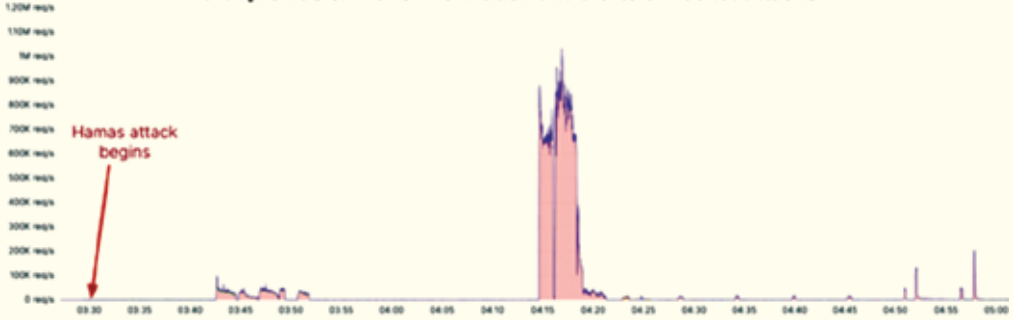
أ. آلية حجب الخدمة (DDoS)

تعدّ هجمات حجب الخدمة الموزعة اليوم أحد التهديدات الرئيسية لأمن الإنترنت. وتنهض هذه الآلية على إغراق المواقع بسيل من البيانات غير اللازمة يتم إرسالها عن طريق أجهزة مصابة ببرامج تعمل على نشر هذه الهجمات، وتمكن القرصنة الإلكترونية من مهاجمة الشبكة (الإنترنت) عن بعد من خلال إرسال مكثف لتلك البيانات ممّا يسبب ببطء الخدمات أو ازدهاماً مرورياً بهذه المواقع فيصعب وصول المستخدمين إليها بسبب ذلك.

وقد أفضى تنامي الصراعات السياسية والعسكرية في عدة مناطق من العالم إلى احتداد وتيرة الهجمات الالكترونية وخاصة منها تلك التي تعتمد آلية حجب الخدمة الموزعة، فقد بلغ عدد هذه الهجمات أكثر من ٧ ملايين (DDoS) في النصف الثاني من عام ٢٠٢٣ وفقاً لأحدث تقرير لاستخبارات التهديدات صادر عن NETSCOUT^{٦٢}.

وقد أكدت شركة "كلودفلير"^{٦٣} في تحقيق حديث نشرته يوم ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٣ وقوع هجمات سيبرانية يوم ٧ أكتوبر في تمام الساعة الثالثة والنصف بتوقيت "غرينتش" بهدف حجب الخدمة عن مواقع إلكترونية "إسرائيلية". وبلغت ذروة الهجوم الأول مائة ألف طلب في الثانية واستمر لمدة عشر دقائق، ووقع هجوم ثان أكبر بكثير استمر ٦ دقائق وبلغت ذروته مليون طلب

DDoS attacks against Israeli websites that provide civilians information and alerts on rocket attacks



يتجلى لدينا إذن أنّ اختراق هواتف "الإسرائيليين" هو أحد تجليات حرب العقول بين الفلسطينيين وأعدائهم، وهو يبرز تحقيق نجاحات ذات قيمة بفضل شباب اتجه إلى تخصصات جامعية وتقنية في غزة وفي الخارج. ولا شك في أنّ آلية اختراق الهواتف مكنت الوحدة الإلكترونية لحماس والمجموعات المشاركة معها في المقاومة السيبرانية من جمع معلومات ثمينة عن عدوها. وهذه المعلومات التي تجمعت تدريجياً عبر السنوات هي التي مكنت قوى المقاومة العسكرية من خوض معركة طوفان الأقصى بثقة في النفس وأمل في النجاح. والملاحظ أنّ آليات المقاومة السيبرانية تتجاوز ما توقعنا عليه، من ذلك مثلاً استخدام البرامج الضارة ضد العدو الصهيوني على غرار برنامج بيبي (BiBi) من قبل قراصنة مؤيدين لحماس. وهو من البرامج القادرة على التهرب من محركات مكافحة الفيروسات، وقد تم تطويرها في بداية الحرب "الإسرائيلية" على غزة في أكتوبر ٢٠٢٣.^{٦١}

٦. المجالات المستهدفة من الهجمات السيبرانية الفلسطينية

ما هي المجالات التي تستهدفها المقاومة الإلكترونية الفلسطينية، هل هي المواقع العسكرية فحسب أم إنها تشمل الميدانين المدني والعسكري؟

أ. المجال العسكري

لا شك في أنّ المجال العسكري هو أكثر المجالات الحيوية التي تستهدفها مجموعات المقاومة الفلسطينية والمجموعات الداعمة لها من

سجلت في هذا الصدد عدّة أحداث إن قبل طوفان الأقصى وإن بعدها. فعلى الصعيد الأول يمكن أن نقف على بعض المحطات، من ذلك مثلاً أنه خلال شهر أوت من سنة ٢٠١٢ كشفت شركة برجة استخباراتية "إسرائيلية"، أنّ نشاطاً من حركة حماس حاولوا اختراق هواتف العديد من الإسرائيليين.^{٦٢} وقد سجلنا في سنة ٢٠١٧ وقوع اختراق لهواتف جنود إسرائيليين "تبنته مجموعة تطلق على نفسها "جيش القدس الإلكتروني".^{٦٣} وفي شهر مارس ٢٠١٩ تضخم خطر هذا النوع من الاختراقات الإلكترونية ليطال بعض كبار القادة السياسيين "الإسرائيليين".^{٦٤} واعترفت السلطات "الإسرائيلية" خلال سنة ٢٠٢٢، بوقوع محاولات قامت بها حركة المقاومة الإسلامية "حماس" الفلسطينية لاختراق هواتف جنود إسرائيليين باستخدام حسابات مزيفة لفتيات "إسرائيليات" على شبكات التواصل الاجتماعي ومن ثم إرسال رابط لتطبيق ألعاب طوره تقنيون من حماس ليكون عبارة عن حصان طروادة يسيطر على الهواتف الذكية حال فتحه.^{٦٥}

وتواصلت محاولات الاختراق في ٢٠٢٣، فقد وقع اختراق ضخم للهواتف المحمولة لأعضاء الكنيسة. وانقطع الاتصال فيما بعد، ١٥ عضواً من حزب "ييش عتيدي"، بمن فيهم رئيس الحزب والمعارضة، ياثير لايد.^{٦٦}

وفي شهر فيفري ٢٠٢٤ أفادت بلاغات مستخدمي في "إسرائيل" بأن عطلاً أصاب إحدى شبكات الهاتف المحمول الرئيسية بسبب هجوم إلكتروني، وفقاً لموقع نيتبلوكس.^{٦٧}

خلال الأيام التي أعقبت هجوم ٧ أكتوبر، استهدفت المواقع الإلكترونية "الإسرائيلية" بالهجمات الموزعة لحجب الخدمة بشكل مكثف لأن الحرب على الأرض غالباً ما تصبح هجمات سيبرانية على المواقع الإلكترونية التي توفر معلومات مهمة للمدنيين. ويؤدي هذا إلى إرباك السكان والسير العادي للحياة في المجتمع "الإسرائيلي".

ويُعدّ مجال برمجيات الكمبيوتر القطاع الثاني الأكثر استهدافاً بالهجمات السيبرانية في "إسرائيل". ذلك أن ما يقرب من ٣٤٪ من الهجمات الموزعة لحجب الخدمة كافة استهدفت الشركات العاملة في برمجيات الكمبيوتر. ويأتي في المركز الثالث من حيث التعرض للهجمات القطاع المصرفي والخدمات المالية وشركات التأمين. أما المركز الرابع فجاءت فيه مواقع الإدارة الحكومية.^{٦٩}

ويمكننا أيضاً ملاحظة أنه قد تم استهداف المواقع الإلكترونية للصحف ووسائل الإعلام "الإسرائيلية" مباشرة بعد هجوم ٧ أكتوبر.

ج. المجال الاقتصادي

قدّرت بعض الجهات خسائر الاقتصاد "الإسرائيلي" بـ ٣ مليارات دولار بسبب الهجمات الإلكترونية بعد السابع من أكتوبر. وقد مسّت هذه الهجمات عدة قطاعات اقتصادية في "إسرائيل". من ذلك مثلاً أنه خلال شهر مارس ٢٠٢٤ تركزت الهجمات

خلال الهجمات السيبرانية، وأكبر دليل على ذلك أن تلك الهجمات السيبرانية نفذت خلال هجوم ٧ أكتوبر قبل إطلاق أول رشقة قذائف صاروخية من قطاع غزة، واستهدفت بشكل رئيسي الأنظمة التشغيلية لمنظومة الاعتراض والدفاع الصاروخية "القبة الحديدية"، ونجحت هذه الاختراقات في توقيف عملها لأكثر من خمس ساعات، وأثناء السيطرة على "القبة الحديدية" تمكنت "حماس" من إطلاق ٥ آلاف قذيفة صاروخية في ٢٠ دقيقة، سقطت كلها في الأراضي "الإسرائيلية" من دون تسجيل أية حالة اعتراض.^{٦٧} وقد أقرّت "إسرائيل" من خلال صحيفة هآرتس بأنها رصدت حوالي ثلاثة مليارات هجوم إلكتروني على أنظمة الحاسوب التابعة للجيش منذ بدء العدوان على غزة.^{٦٨}

واستهدفت الهجمات أنظمة الحوسبة السحابية التشغيلية الرئيسية، وهي تشمل برامج تستخدمها القوات على الأرض لإدارة القتال وتحديد مواقع القوات وتبادل المعلومات.

ويبدو أن الغاية الجوهرية من اختراق مؤسسات عسكرية "إسرائيلية" هي الغاية الاستخباراتية قصد جمع المعطيات الحساسة التي تعتبر كنزاً ثميناً للمقاومة الفلسطينية.

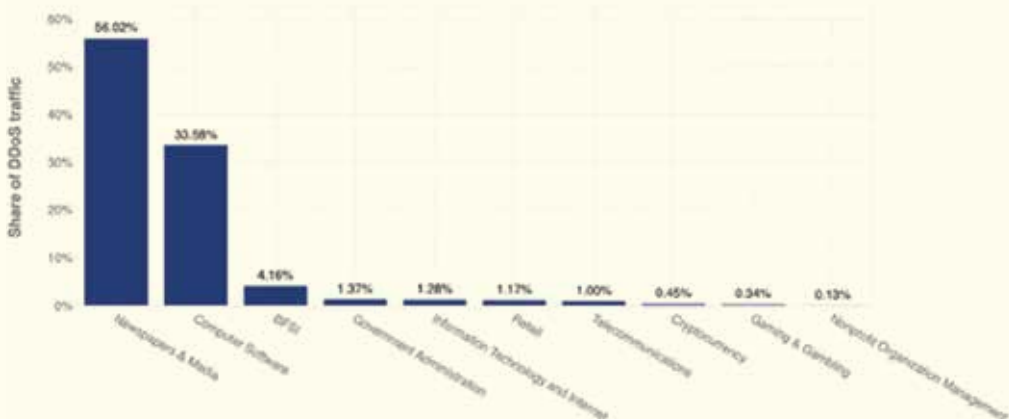
ب. المجال الإلكتروني



أهم القطاعات "الإسرائيلية" التي استهدفتها الهجمات الموزعة لحجب الخدمة باستخدام HTTP

Application-Layer DDoS Attacks targeting Israel - Distribution by industry

Divided by all DDoS traffic targeting Israel



على الشركات "الإسرائيلية" بهدف إحداث أكبر قدر ممكن من الضرر من خلال حذف وإتلاف بيانات الملفات والمعلومات وتعطيل أنظمة التشغيل، دون طلب أية فدية.^{٧٠}

د. المجال السياسي

أدى هجوم سبيراني خلال ٢٠٢٢ إلى تعطيل مواقع الوزارات والهيئات الحكومية "الإسرائيلية" عن الخدمة لفترة وجيزة. وقد أكدت صحيفة "يديعوت أحرونوت" هذا الخبر معلنة أن المواقع الحكومية انهارت بعد سقوطها ضحية لهجوم سبيراني. وذكرت الهيئة الوطنية للأمن "الإسرائيلي" السبيراني، في بيان، أنه تم رصد هجوم حجب الخدمة (DDoS) على مزود الاتصالات، ونتيجة لذلك مُنعت لفترة وجيزة الوصول إلى عدد من المواقع، بما فيها المواقع الحكومية.^{٧١}

وقد سجلت بعد ٧ أكتوبر هجمات سبرانية على مؤسسات سياسية سيادية من ذلك إعلان مجموعة "ساير طوفان الأقصى" عن تعطيل عمل العديد من المواقع "الإسرائيلية" الحكومية، دون ذكر ماهية المعلومات التي استحوذت عليها بل اكتفت بعرض عدد من المواقع قبل اختراقها وبعد الاستحواذ عليها.^{٧٢}

هكذا كانت الهجمات شاملة للأهداف العسكرية والمدنية. وقد ترتبت عليها أضرار كبيرة لا يرغب العدو الصهيوني في كثير من الأحيان في الإفصاح عنها.

٧. ما هي رسالة المقاومة الإلكترونية الفلسطينية؟

وردت رسائل مجموعات القرصنة المؤيدة لفلسطين في عدة أشكال، على غرار الرسالة المكتوبة أو الصورة أو شريط الفيديو. وقد يكون النص المكتوب موجزًا، وقد يرد مطولًا يتضمن أفكارًا متعددة. ولئن كانت مضامين هذه الرسائل متنوعة فإننا سنركز على مضمونين أساسيين لهذه الرسائل.

أ. الرسالة ذات المضمون الأخلاقي أو الحقوقي اكتسبت رسائل مجموعات المقاومة الرقمية الداعمة للقضية الفلسطينية في كثير من الأحيان طابعًا أخلاقيًا قيميًا يتجلى من خلالها رفضها للسلوك الأخلاقي السلبي للعدو الصهيوني ومعارضتها لإجراءات العدو وأعماله

غير المنسجمة مع منظومة القيم الإنسانية المشتركة.

نلفي في كثير من الرسائل نقداً أخلاقياً لادّعاء العدو الصهيوني على غرار اتهامه بازدواجية المعايير في الجانب القيمي، فهو يدّعي الديمقراطية لكنّه أبعد ما يكون عنها في الممارسة، وهو يتشدّق بادّعاء البحث عن السلام في حين أنّ ممارسته يطفئ عليها قتل الفلسطينيين. وتعتبر إحدى الرسائل التي وجهتها أنونيموس إلى الكيان الصهيوني تحليلاً واضحاً لهذه المعاني.^{٧٣}

ونلاحظ في مستوى آخر أنّ كثيراً من رسائل نشطاء المقاومة الإلكترونية تبدي تمسكاً بمنظومة حقوق الإنسان. وقد اتهمت مجموعة هاكتيفيست (hacktivist) التابعة لجماعة أنونيموس منذ سنة ٢٠١٢ الكيان الصهيوني بأنه لا يراعي حقوق الإنسان، وهو ما ورد في رسالتها التالية إليه: "لفت انتباهنا أن الحكومة "الإسرائيلية" قد تجاهلت مراراً التحذيرات العديدة حول انتهاك حقوق الإنسان، وإغلاق الانترنت في إسرائيل وإساءة معاملة مواطنيها ومواطني دول الجوار، شهر نوفمبر ٢٠١٢ سيكون شهراً تذكره قوات الدفاع "الإسرائيلية" وقوات أمن الانترنت الإسرائيلية... وإلى الحكومة "الإسرائيلية" هذا الأمر سيتحول إلى حرب إلكترونية".^{٧٤}

والملاحظ أنّ نقد مجموعات المقاومة الإلكترونية للكيان الصهيوني لم يكن يتجه إلى سلوكه مع الفلسطينيين خارج إسرائيل فحسب وإنما كان يشمل أيضاً سلوكه داخل الأراضي التي يحتلها. والطريف في هذه الرسالة أنّها تتضمن تهديداً بالحرب الإلكترونية منذ ذلك التاريخ. والظاهر أنّ الهدف منها الحرب النفسية.^{٧٥}

وقد أعلنت مجموعة أنونيموس في سنة ٢٠١٥ في فيديو ظهر بعنوان "رسالة إلى إسرائيل" أنّها ستشنّ هجوماً إلكترونياً على "إسرائيل" لارتكابها جرائم في الأراضي الفلسطينية وعدم توقفها عن ارتكاب أعمال لا نهاية لها من انتهاكات حقوق الإنسان وبناء المستوطنات غير الشرعية.^{٧٦}

يمكن أن نضرب على هذا عدّة أمثلة منها رسالة هدّدت فيها مجموعة "الأنونيموس" بأنه إذا لم يوقف نتنياهو إجراءاته القمعية فعليه أن يكون مستعدّاً "لمواجهة غضب العالم المطالب بالعدالة للفلسطينيين الذين يعانون.. وقت

لحذف التقرير، وتعديله بصحراء النقب إلى جانب تقديم اعتذارها للمتابعين^{٨٠}.

تبرز هذه الرسائل أنَّ هذا الجيش الإلكتروني يخوض بالفعل "معركة تحرير الوعي"، من خلال مواجهة الرواية "الإسرائيلية" برواية مضادة فلسطينية موثقة بالصور والأدلة.

وقد فرض طوفان الأقصى على المقاومين الحفاظ على المضمون الأساسي لرسالة المقاومة الرقمية وهو إثبات السردية الفلسطينية لكن ذلك ترافق لديهم مع الانسجام مع الواقع الجديد المتمسم بردود الفعل "الإسرائيلية" على المدنيين في غزة ومن ذلك إصدار مجموعة قراصنة رسالة للحكومة "الإسرائيلية" ورئيسها تفيد فيها أنها تراقب الأعمال الوحشية التي ارتكبتها هذه الحكومة ضد الفلسطينيين وأنها تشعر بالغضب الشديد بسبب ذلك^{٨١}.

وقد اعترفت القناة ١٢ "الإسرائيلية" خلال شهر ديسمبر ٢٠٢٣ أنَّ مجموعة من الهاكرز المؤيدين للفلسطينيين نجحوا في اختراق الموقع الإلكتروني للجيش "الإسرائيلي" ونشر علم فلسطين وبث رسالة داعمة للفلسطينيين في القطاع^{٨٢}. والملاحظ أن رسالة القراصنة لم تخل في كثير من الأحيان وخاصة في فترة ما بعد ٧ أكتوبر من الانسجام مع الخط الفكري والسياسي لحركة حماس لذلك وجدنا فكرة تحرير فلسطين من البحر إلى النهر حاضرة في بعض الرسائل، فقد ورد في بعض رسائل القراصنة: لن نقبل إلا بتحرير أرضنا فلسطين من البحر إلى النهر^{٨٣}. ومن الضروري أيضا التوقف عند صلة هذه الرسائل بالحرب النفسية ففي كثير من الأحيان تعتمد الرسائل أسلوب التهديد.

الخاتمة

لقد تبين لنا بعد فترة من الانكباب على هذا المبحث أنه أكبر من أن يدرس في مثل هذه المساحة الضيقة؛ وهو ما اضطرني إلى تقييد دراسة عدة مواضيع متصلة بمبحثنا على غرار الجهود الفردية للقراصنة المؤيدين للنضال الإلكتروني الفلسطيني.

ومهما يكن من أمر فحسبنا أننا اجتهدنا وتوصلنا إلى جملة من النتائج منها ما يتعلق بمفهوم المقاومة الإلكترونية الفلسطينية، فهو وإن مال في بعض المراحل التاريخية إلى التوسع

التغيير قد حان.. حان الوقت لك بنيامين نتنياهو وحكومتك لمواجهة عواقب عدوانك المستمر على المدنيين الأبرياء^{٧٧}.

وقد تواصلت رسائل مجموعات المقاومة الإلكترونية مركزة على القيم الأخلاقية المثلى التي تدافع عنها وتحارب من أجلها، من ذلك تأكيد مجموعة "أنونيموس الجزائر" تضامنها مع الشعب الفلسطيني ومقاتلتها معه لمواجهة الظلم والظلم ودعم توفقه إلى الحرية^{٧٨}.

ب. الرسالة الخاصة بإثبات سرديّة المقاومة إن من الرهانات الرئيسية للهجمات السيبرانية الفلسطينية رسالة تتضمن ترسيخ الرواية الفلسطينية وتفنيد رواية العدو أو سرديته. وقد برز هذا المضمون قبل ٧ أكتوبر في عدة مناسبات حاول من خلالها القراصنة التأكيد على أنَّ أرض فلسطين سرقت من الصهاينة وأنَّ للشعب الفلسطيني الحق في تحرير أرضه والعيش بسلام وأنَّ فلسطين لن تنسى.

وقد تضامن القراصنة العرب مع القراصنة الفلسطينيين لنشر هذه الرسالة من ذلك مثلا أنَّ مجموعة من القراصنة العرب أطلقت على نفسها منظمة أنونيموس الدولية وجهت رسالة موحدة إلى المواقع التي اخترقتها تقول فيها: "نحن قراصنة عرب ومسلمون نبلغكم أننا لن ننسى فلسطين إنها في قلوبنا لا ننسوا ذلك"^{٧٩}.

وتعتبر تجربة "جيش الهَيْد الإلكتروني" من التجارب المتميزة في هذا السياق، فهو نشاط إلكتروني يحمل اسمه بعدا ساخرا، وينضوي تحت لوائه شباب اختاروا كلمة "الهَيْد" باللهجة العامية، لأنها تعني معنيين، الأول هو "الكذب" والثاني هو "الضرب" لإبطال الرواية "الإسرائيلية". وقام هؤلاء الشباب بهجوم إلكتروني واسع على صفحات شخصيات عامة، ورؤساء أبرزهم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب فنشروا الآلاف من التعليقات على صفحاتهم لتكذيب الرواية "الإسرائيلية"، كما قاموا باستهداف صفحة "ناشيونال جيوغرافيك أبو ظبي"، على فيس بوك، حينما نشرت تقريرا تدعي فيه أن "تيس الجبل النوبي" موجود في "صحراء إسرائيل". فبدأ آلاف الناشطين بالتعليق على التقرير، ليخبروا إدارة الصفحة أن الصحراء هي "صحراء النقب في فلسطين"، وليست "إسرائيل"، وهو ما اضطرها

والتأثر بالجانب الديني فإنه ظلّ في المجمل مفهوماً مدنياً يركز على القضية الفلسطينية. وقد ذهبنا إلى أنّ هذا المعنى يتماهى مع المصطلح الأنجلو-إسرائيلي (Hacktivism) لأنّ المقاومة الإلكترونية نشاط ملتزم بقضية سياسية وطنية وإذن فهي مقاومة مشروعة على خلاف كثير من الغربيين الذين يعتبرونها إرهاباً.

واستخلصنا أيضاً أنّ مجموعات المقاومة الإلكترونية الفلسطينية التي تنشط من أرض غزة مثلت مفاجأة ولغزاً صدم الساسة والعسكريين والملاحظين لأنّها منذ ٢٠١٢ على الأقل كانت تمارس هجماتها على الرغم من الحصار الخانق الذي تتعرض إليه غزة، وتؤلم العدو الصهيوني وتكبّده الخسائر، ولعل هذا ما يفسر ردود الفعل العنيفة وسياسة الاغتيالات لقادة النضال الإلكتروني.

لقد كانت معركة طوفان الأقصى حدثاً تأسيسياً مركزياً ومحطة تاريخية سلّطت الأضواء الساطعة

على القيمة العظمى للحرب الإلكترونية في معاضدة الحرب التقليدية. وقد دفع هذا الحدث الكبير إلى نشأة مجموعات مقاومة إلكترونية جديدة على غرار "ساير طوفان الأقصى". ودفع أيضاً إلى تكتل جهود مجموعات المقاومة لشنّ هجمات منسقة شلّت وسائل دفاع العدو وتحصيناته.

إنّ من أهم ما توصلنا إليه أنّ مساحة التضامن مع المقاومة الإلكترونية الفلسطينية قد اتسعت بعد ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ ولم تقتصر على العرب والمسلمين بل شملت غيرهم مبرهنة بذلك على أنّ القضية الفلسطينية لم تعد قضية وطنية أو قومية أو إسلامية خاصة بالفلسطينيين والعرب والمسلمين وحدهم وإنما تجاوزتهم فأضحت قضية إنسانية يتعاطف معها كل من يؤمن بالقيم والحقوق المشتركة بين البشر. هكذا فإنّ المقاومة الفلسطينية توسعت خارج نطاق حدودها الجغرافية بما يمثل حدثاً استثنائياً واستطاعت بعد

الهacker السعيد

حمزة بندليج، الشاب الجزائري البالغ من العمر ٢٧ عاماً وخريج علوم الحاسوب، حُكم عليه في محكمة أمريكية؛ حيث يُتهم باستخدام فيروس حاسوبي لسرقة أموال من أكثر من ٢٠٠ بنك ومؤسسة مالية أمريكية. ويُقال إنه تبرّع بعد ذلك بملايين الدولارات للمؤسسات الخيرية الفلسطينية. وقد لقب حمزة بندليج بـ "الهacker السعيد" لأنه كان يبتسم بعد اعتقاله في بانكوك - المصدر: قناة الجزيرة الإنجليزية.



وأفعالها على العلم لذلك خطت ونفذت عملياتها على أسس عسكرية علمية نهضت على الاستطلاع ورصد منطقة العمليات، وتوفير المعلومات الاستخباراتية والإحداثيات الدقيقة، وتحديد الأهداف، ووضع خطة محكمة والتدريب عليها...^{٨٤}

لقد تحققت عن طريق الهجمات الإلكترونية عدة نتائج فضلا عما ذكرنا سابقا منها التذكير الدائم بالسردية الفلسطينية، وهو ما كان باهتا قبل ٧ أكتوبر بفعل جهود التطبيع مع دولة الاحتلال غير أن طوفان الأقصى وما صاحبه من اختراقات سرانية ساهم في معركة تحرير الوعي سواء أكان وعي العربي المسلم الذي كان شبه يائس من تغيير الواقع أو وعي غير العربي الذي استعمرته الدعاية والسردية الصهيونية.

إن العصر الجديد الذي نسجت خيوطه المقاومة الإلكترونية الفلسطينية ليس أمرا ندعيه ونضخمه وإنما هو اعتراف صادر عن العدو نفسه فقد أقر بعض قادته أن "حروب السابير جعلت من التهديد بالفوضى السلاح الأكثر تحقيقا لانتصارات مستقبلية؛ فأعداء "إسرائيل" لن يكونوا بحاجة لطائرات أو صواريخ، فقط باستطاعتهم حيازة إمكانيات تكنولوجية وقدرات سبرانية لمهاجمتها، كي تتسبب بإحداث شلل في كافة مجالات العمل فيها"^{٨٥}.

الهوامش:

١. ضياء عودة، "حزب الله" قبل وبعد تفجيرات البيجر واللاسلكي.. سر الاختراق الكبير، موقع قناة الحرية، ١٩-٠٩-٢٠٢٤، شوهد في ٢٤-٠٩-٢٠٢٤: <https://www.international.alhurra.com/arabic-and->
٢. رغيد أيوب، من القطرة إلى الطوفان.. التسلسل الزمني لعمليات حماس السبرانية، موقع الجزيرة نت، ٢١-١٠-٢٠٢٣، شوهد في ٢٠-٠٨-٢٠٢٤: <https://www.aljazeera.net/tech/2023/10/21/>
٣. خضر عباس، مفهوم المقاومة الفلسطينية، مدونة الدكتور خضر عباس، ٠١-٠٣-٢٠١٣، شوهد في ١٥-٠٩-٢٠٢٤: <https://drabbass.wordpress.com/2013/03/01/>

٧ أكتوبر أن تفرض على عدوها أن يكون في الجهة المنفعلة لا الفاعلة في مجال الحرب الإلكترونية. وما وقفنا عليه أيضا أن الانتماءات السياسية والإيديولوجية لمجموعات المقاومة الإلكترونية الفلسطينية أو المؤيدة لها كثيرا ما كانت باهتة لأن ما يجمع بينها هو دعم القضية الفلسطينية ومواجهة طغيان الاحتلال الصهيوني، واستخلصنا أيضا أن غايات هذه المجموعات وإن كانت في جوهرها ذات بعد داخلي يتركز على استهداف العدو داخل أراضيه المحتلة فإنها تتعدى ذلك إلى غاية خارجية مهمة جدا هي لفت انتباه العالم إلى عدالة القضية الفلسطينية ومشروعية مقاومة الاحتلال بكل الطرق المتاحة ومنها الآليات الإلكترونية.

ولئن فشلت الكثير من المنظمات الدولية في تغيير واقع الاحتلال فإن مجموعات المقاومة الإلكترونية أمت العدو وحقت كثيرا من المكاسب من خلال تعطيلها القبة الحديدية مثلا ووقوع آلاف عمليات القرصنة المؤكدة خلال عام ٢٠٢٣. وترتبت على ذلك نتيجة غير متوقعة تمثلت بانتهاء منظومة الردع "الإسرائيلي" وتحطم أسطورة الجيش الذي لا يقهر.

إن هذه المكاسب لم تتحقق بالدعوات والعنتريات وإنما تحققت من خلال فتح مجموعات المقاومة أبوابها أمام العقول المتخصصة والمبدعة سواء أكانت متكونة في جامعات غزة أو في غيرها من جامعات بلدان إسلامية عدة، فالمعركة معركة عقول وإرادات.

ولعل ما يستخلص في نهاية بحثنا أن القيادات الساهرة على المقاومة إن في جانبها السياسي وإن في جانبها الإلكتروني توصلت إلى أن شروطا عدة ينبغي أن تتوفر لإنجاح عملها على رأسها الإبداع والابتكار في طرق عملها، وقد حفزتهم معركة طوفان الأقصى على تطوير أدوات عملهم وتقنيات القرصنة وبرامجها التي يستهدفون عن طريقها عدوهم "الإسرائيلي"، وهو ما تجلى مثلا من خلال استخدام آليات حجب الخدمة وآليات اختراق الهواتف بطرق استعصت على دفاعات العدو وتطوير البرامج الضارة على غرار برنامج "بيبي-BiBi" منذ بداية الحرب "الإسرائيلية" على غزة في أكتوبر ٢٠٢٣.

أما الشرط الثاني فهو ضرورة قيام خطتها

✓
وفقاً لتقرير صحيفة يديعوت
أحرونوت الإسرائيلية،
حصلت مجموعة هاكرا
مقرها تركيا على الرقم
الشخصي لوزير الدفاع
الإسرائيلي إسراييل كاتز،
وشنت هجوماً عبر مكالمات
فيديو تم تسجيله ونشره
على وسائل التواصل
الاجتماعي.

7. Hactivism,site Imperva, <https://www.imperva.com/learn/application-security/hactivism>

8. Elinor Mills, Old-time hacktivists: Anonymous, you've crossed the line, March 30, 2012, accessed on 20-09-2024, at:

<https://www.cnet.com/news/privacy/old-time-hacktivists-anonymous-youve-crossed-the-line/>

٩. إيريك سكاريه "الجهاد الرقمي". المقاومة الفلسطينية في العصر الرقمي، ترجمه عن الانجليزية منور العمري، ط١، (إيطاليا: منشورات المتوسط، ٢٠١٨).

١٠. د. خالد وليد محمود، التحدي السيبراني.. كيف تتسابق المقاومة وإسرائيل لصناعة، موقع الجزيرة نت، ٢٠٢٤-٠٤-٠١، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١٦ في:

٤. منصور أحمد أبو كريم، تطور مفهوم المقاومة في الفكر السياسي الوطني الفلسطيني (حركة فتح نموذجاً)، رسالة ماجستير نوقشت يوم ٢٠١٦-٠٦-٠١ بكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بجامعة الأزهر بغزة، ٢٠١٦، نشرت على منصة اريد، <https://portal.arid.my/ar-LY/Publications/Details/16888>,

ص ١٦.

5. Dr. Andre Slonopas , What Is Cyber Warfare? Various Strategies for Preventing It, published 16-04-2024 , <https://www.apu.apus.edu/area-of-study/information-technology/resources/what-is-cyber-warfare/>

٦. الحسن سعد الله، الجهاد الالكتروني مفهوم حديث بصدد التبلور، موقع هسبريس، ١٧ فيفري ٢٠٠٩، شوهد في ٢٠٢٤-٠٨-٢٤ في: <https://www.hespress.com>



riskand-resilience-reports.html

١٩. حماس: أطلقنا مجددا صواريخ باتجاه إسرائيل، ٢٠٢٣-١١-٠٥، شوهد في ٢٧-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.raialyoum.com/>

20. KAWTHARZANTOUR, How Hamas Cyber Force hacked the Israeli army's secrets, Al Majalla, PUBLISHED: 05 NOV 2023, accessed on, at: [HTTPS://EN.MAJALLA.COM/NODE/303591/SCIENCE-TECHNOLOGY/HOW-HAMAS-CYBER-FORCE-HACKED-ISRAELI-ARMY%E2%80%99S-SECRETS](https://EN.MAJALLA.COM/NODE/303591/SCIENCE-TECHNOLOGY/HOW-HAMAS-CYBER-FORCE-HACKED-ISRAELI-ARMY%E2%80%99S-SECRETS)

٢١. انظر سكاريه، المرجع المذكور، ص ٩١.

٢٢. نذكر مثلا إطلاق مقاتلي القسام السابريين عملية أبابيل، و هي سلسلة من الهجمات الإلكترونية نفذت بين عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٣ ردًا على هجمات فيروس ستوكسنت ضد منشآت برنامج إيران النووي وضد الفيلم المسيء للرسول محمد (ص) "براءة المسلمين".

٢٣. قدرات "حماس" التكنولوجية صدمت إسرائيل، جريدة الشرق الأوسط، ١٤ مارس ٢٠٢٤، شوهد في: ٢٦-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://aawsat.com/>

24. NIMROD KOZLOVSKI, Israeli cyber frontlines: Inside the digital warfare of the war with Hamas - Analysis, JANUARY 10, 2024, accessed on 15-09-2024, at: <https://www.jpost.com/israel-hamas-war/article-781682>

٢٥. المرجع نفسه.

26. Ravie Lakshmanan, Gaza-Linked Cyber Threat Actor Targets Israeli Energy and Defense Sectors, published: Oct 09, 2023, accessed on 15-09-2024, at: <https://thehackernews.com/2023/10/gaza-linked-cyber-threat-actor-targets.html>

٢٧. يورونيوز، ماهي مجموعة ساير طوفان الأقصى وهل لها علاقة، نشرت في ٢٣/١١/٢٠٢٣، شوهدت في ٢٣-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://arabic.euronews.com/2023/11/23/toufan-aqsa-cy->

<https://www.aljazeera.net/opinions/2024/4/1/>

١١. يوسف م. شرقاوي، المقاومة الإلكترونية الفلسطينية: امتداد الكفاح المسلح، موقع الكرمل، ٠٩-٠١-٢٠٢٤، شوهد في ٢٥-٠٨-٢٠٢٤ في:

<https://alcarmel.net/articles/5953/>

١٢. سكاريه، الجهاد الرقمي، ص ٩١.

١٣. خبر: هاجر غزة يخترقون موقع 'الخاصية' للمطالبة بالإفراج عن الأسرى، سما الإخبارية، وكالة أنباء فلسطينية مستقلة، ٢٤ سبتمبر ٢٠١٢، شوهد في ٢٠-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://samanews.ps/ar/post/138631>

14. miriam cooke, Bruce B. Lawrence, Muslim Networks from Hajj to Hip Hop, Univ of North Carolina Press, Mar 8, 2006, P. 245.

١٥. محمد يوسف، "هاكر القبعة الخضراء".. كيف تطورت القوة السيبرانية للمقاومة الفلسطينية؟ موقع الجزيرة، ٢٥-١١-٢٠٢٣، شوهد في ١٧-٠٩-٢٠٢٤ في:

[https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/technology/2023/11/25/16. Saleh Hijazi and Hugh Lovatt, "Internal Security Force \(ISF\) - Hamas," Mapping Palestinian Politics, European Council on Foreign Relations, accessed on: 23-09-2024, at: https://ecfr.eu/special/mapping_palestinian_politics/internal_security_force/.](https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/technology/2023/11/25/16. Saleh Hijazi and Hugh Lovatt,)

١٧. رائد موسى، "حسناوات حماس" أبرز عملياتها.. تعرّف على وحدة القسام السيبرانية التي استهدفت منظومات أمنية إسرائيلية، الجزيرة نت، ١٢-١٠-٢٠٢٢، شوهد في ٢٤-٠٨-٢٠٢٤ في:

<https://www.aljazeera.net/politics/2022/10/12/>

18. Jasper Frei, Israel's National Cyber-security and Cyberdefense Posture, Policy and Organizations, zurich, September 2020, Center for Security Studies (CSS), ETH Zurich, DOI: 10.3929/ethz-b-000438397, accessed on 22-09-2024, at: css.ethz.ch/en/publications/

Launches Cyberattack on Israeli Universities in Protest,
February 29, 2024, <https://thecyberexpress.com/cyberattack-on-israeli-universities/>

٣٢. المرجع نفسه.

33. DAVID SHAMAH, As cyber-war begins, Israeli hackers hit back, The Times of Israel, 7 April 2013, <https://www.timesofisrael.com/as-cyber-war-begins-israeli-hackers-hit-back/>

٣٤. انظر المقالة التالية: رافقت طوفان الأقصى.. هجمات سيبرانية استهدفت أكثر من ٨٠ موقعًا، موقع التلفزيون العربي، ١٨ أكتوبر ٢٠٢٣، شوهد في ٢٦-٠٩-٢٠٢٤ في: <https://www.alaraby.com/news/>

٣٥. هاكر "من غزة" نشر تفاصيل ومعلومات

ber-group-israel-hacking-related-iran

28. Sofia Scozari, CYBER TOUFAN: ANALYSIS OF THE LAST PRO-PALESTINIAN EMERGED GROUP, SITE Hackmanac, available online at: <https://hackmanac.com/news/cyber-toufan-analysis-of-the-last-pro-palestinian-emerged-group>

٢٩. القرصنة يدعمون الفلسطينيين على الجبهة الرقمية، العربي الجديد، ١٣ أكتوبر ٢٠٢٣، شوهد في ٢٠-٠٩-٢٠٢٤ في: https://www.alaraby.co.uk/entertainment_media/

30. <https://x.com/FalconFeedsio/status/1711033041827828087>

31. Samiksha Jain, Ghosts of Palestine

مؤسس وحدة سلاح
القسامية
الشهيد جمعة الطحلة
مهندس أردني من أصل
فلسطيني، وأحد مقاتلي
كتائب عز الدين القسام
الجناح العسكري لحركة
(حماس) ومؤسس وحدة
سلاح (السايفر) القسامية.



Anonymous. "أنونيموس" الدولية-السودان" <https://www.facebook.com/p/44>. ثابت العمور، تداعيات هجمات "أنونيموس" السودان" على كيان الاحتلال، موقع الميادين، ٢٧ أيار ٢٠٢٣، شوهد في: <https://www.almayadeen.net/research-papers/>

٤٥. قرصنة "أنونيموس" سودان" يعطلون مواقع إلكترونية لموانئ إسرائيلية، شبكة الجرمي، ٢٦ أفريل ٢٠٢٣، شوهد في: ٢٠٢٤-٠٨-٢٠ في: <http://palestineintifada.net/spip.php?article13888&lang=ar>

٤٦. المرجع نفسه.

47. Damien Leloup et William Audureau, Qui sont les « hackers pro-islam » qui attaquent des sites français? Journal le Monde, Publié le 16 janvier 2015, https://www.lemonde.fr/pixels/article/2015/01/16/qui-sont-les-hackers-pro-islam-qui-attaquent-des-sites-francais_4557579_4408996.html

٤٨. المرجع نفسه.

49. Shropshire Fire Service website hacked by AnonGhost, BBC News, Published 8 November 2014, <https://www.bbc.com/news/uk-england-shropshire-29966897>

٥٠. نذكر مثلاً أنه في مساء يوم الأحد الثامن من أكتوبر أصبح موقع الحكومة الإسرائيلية الرسمي gov.il غير متاح للوصول على مستوى العالم، وأعلنت "كيلنت" على الفور مسؤوليتها عن الهجوم الإلكتروني عبر تطبيق تلغرام، انظر إيمان الشامخ، "الحرب على الجبهة السيبرانية"، ٣٥ فريقاً من القرصنة يحاربون لأجل فلسطين، الجزيرة نت، ١١-٢٣-٢٠٢٣، شوهد في: ٢٠٢٤-٠٩-٢٥ في: <https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/technology/2023/10/11/51>

51. Ryan Gallagher and Jordan Robertson, Cyberattacks Targeting Israel Are Rising After Hamas Assault, Bloomberg Time Magazine, October

شخصية عن آلاف الإسرائيليين، شبكة وتر الإعلامية - غزة -، ٢٠١٣، <http://www.wbn.ps/news/>

٣٦. القرصنة يدعمون الفلسطينيين على الجبهة الرقمية، المرجع المذكور.

37. Willem Gay, Des pirates utilisent une fausse application d'alerte à la bombe pour voler les données d'Israéliens, BFM, 19-10-2023, https://www.bfmtv.com/tech/cybersecurite/des-pirates-utilisent-une-fausse-application-d-alerte-a-la-bombe-pour-voler-les-donnees-d-israeliens_AV-202310190553.html. see also, Graham Cluley, Hacktivists send fake nuclear attack via Israel Red Alerta pp, Bit defender, 10 october 2022.

٣٨. أنونيموس تشن هجوماً إلكترونياً على إسرائيل، الجزيرة نت، ٠٧-٤-٢٠١٥، شوهد في: ٢٠٢٤-٠٩-٠٩ في: <https://www.aljazeera.net/news/2015/4/7/>

٣٩. أنونيموس" تخترق مواقع إلكترونية رسمية إسرائيلية تضامناً مع غزة، موقع روسيا اليوم، ١٦-١١-٢٠١٢، شوهد في: <https://arabic.rt.com/news/599885->

٤٠. قرصنة من مختلف الجنسيات تنادوا للنصرة غزة في الحرب السيبرانية، ٢٤-١٠-٢٠٢٣، <https://www.aljazeera.net/tech/2023/10/24/>

٤١. لا نسامح ولا ننسى" .. "أنونيموس" تتوعد تنبهاً هو بعواقب لعدوانه على غزة، موقع تلفزيون العربي، نشر ١٢-١١-٢٠٢٣، شوهد في: ٢٠٢٤-٠٨-٢٣ في: <https://www.alaraby.com/news/>

٤٢. قرصنة "أنونيموس" يعلنون اختراقهم قاعدة بيانات للجيش الإسرائيلي وحصولهم على أكثر من ٢٣٣ ألف وثيقة، ١٩-٤-٢٠٢٣، شوهد في: ٢٠٢٤-٠٨-١٩ في: <https://arabic.rt.com/world/1557814->

٤٣. يوجد موقع رسمي لهذه المجموعة على فايسبوك تحت عنوان "الموقع الرسمي لمنظمة

news/2604202438927

٥٤. كلاود فلير" هي شركة أميركية عالمية متخصصة أساساً في الأمن السيبراني وفي تأمين المواقع الإلكترونية وحمايتها عبر شبكة ضخمة من الخوادم موزعة على ٢٥٠ مدينة في أكثر من ١٠٠ دولة في كل القارات.

٥٥. كوثر زنتور، هكذا اخترق "سايبير حماس" أسرار الجيش الإسرائيلي، المجلة، ٠٢ نوفمبر ٢٠٢٣، شوهد في ١٩-٠٨-٢٠٢٤ في:

<https://www.majalla.com/node/303381/>

٥٦. هكذا اخترق "سايبير حماس" أسرار الجيش الإسرائيلي، المرجع المذكور.

٥٧. أعلن هذا الجيش أنه أتاح للجميع إمكانية المشاركة من أي مكان في العالم باستخدام جهاز الحاسوب، ويعمل على تيسير ذلك عبر الهواتف خلال الأيام القادمة، حتى يتسنى للجميع الأحرار

09 2023, accessed on, 18-09-2024, at: <https://www.bloomberg.com/news/articles/2023-10-09/cyberattacks-targeting-israel-are-on-the-rise-after-hamas-attack>

52. Akinobu Iwasawa, Israel-Hamas war draws Russian, Indian 'hacktivists' into shadow conflict, 27-10-2023, <https://asia.nikkei.com/Politics/Middle-East-crisis/Israel-Hamas-war-draws-Russian-Indian-hacktivists-into-shadow-conflict>

٥٣. ويستفورد، ماساتشوستس، الاضطرابات الجيوسياسية تؤدي إلى شن هجمات حجب خدمة موزعة (DDoS) ضارية، موقع 'ايتوس واير'، ٢٦ أبريل ٢٠٢٤، شوهد في ٢٤-٠٨-٢٠٢٤ في:

<https://aetoswire.com/en/>

✓
سامي أبو زهري، أحد الوجوه البارزة والناطقين باسم حركة المقاومة الإسلامية حماس، ودوره في الغالب سياسي وإعلامي.





كتاب الجهاد الرقمي:
المقاومة الفلسطينية في
العصر الرقمي

اختراق هواتف جنود إسرائيليين، موقع وكالة الأناضول للأخبار، ٥-٧-٢٠٢٢، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-٠٣.

<https://www.aa.com.tr/ar/>

وانظر أيضا مقال "هكذا اخترقت حماس هواتف عشرات الجنود الإسرائيليين"، المركز الفلسطيني للإعلام، ٣ جويلية ٢٠٢٢، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-٠٣.

<https://palinfo.com/news/2022/07/03/41931/>

٦٤. إعلام إسرائيلي: اختراق ضخم لهواتف أعضاء الكنيسة، قناة الميدان، ٩ سبتمبر ٢٠٢٣، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١٢.

<https://www.almayadeen.net/news/politics/>

٦٥. تعطل شبكة هاتف رئيسية في إسرائيل، موقع IMLebanon، ٢٢-٢٠٢٤، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١٢.

<https://www.imlebanon.org/2024/02/22/hacked/>

٦٦. موجة جديدة من الهجمات الإلكترونية على الشركات الإسرائيلية، موقع يمن إيكو، ٠٦ مارس ٢٠٢٤، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١٤.

<https://yemeneco.org/archives/77043>

٦٧. عز الدين أبو عيشة، مواجهة سيبرانية عنيفة بين "حماس" وإسرائيل بموازاة حرب الميدان، موقع قناة اندبندنت عربية، ٢٧-١٠-٢٠٢٣، شوهد في ٢٠٢٤-٠٧-١٢.

<https://www.independentarabia.com/node/511291/>

٦٨. ٣ مليارات هجوم إلكتروني ضد الجيش الإسرائيلي والكهرباء، تتأهب لحرب شاملة، موقع الجزيرة نت، ١٢/٧/٢٠٢٤، شوهد في ٢٠٢٤-٠٧-١٢.

<https://www.aljazeera.net/news/2024/7/12/3->

٦٩. الهجمات السيبرانية في الحرب الدائرة بين إسرائيل وحماس،

<https://blog.cloudflare.com/ar-ar/cyber-attacks-in-the-israel-hamas-war/>

٧٠. موجة جديدة من الهجمات الإلكترونية على الشركات الإسرائيلية، المرجع المذكور.

٧١. "الكبر على الإطلاق" .. هجوم سيبراني يعطل

في العالم المشاركة لنصرة القضية الفلسطينية حسب تعبيره، انظر رياض هاشم، جيش فلسطين السيراتي حول العالم يتوعد بحجب الخدمة عن البنية التحتية لإسرائيل، ١٤-١٠-٢٠٢٣، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١١.

<https://almidanalyemeni.net/archives/79642>

وانظر أيضا،

Zaid Osta, Crowdsourced DDoS Attacks Amid Geopolitical Events, January 16, 2024, <https://flare.io/learn/resources/crowdsourced-ddos-attacks-amid-geopolitical-events/>

58. WESTFORD, Mass, Geopolitical Unrest Generates an Onslaught of DDoS Attacks, According to the Latest NETSCOUT Threat Intelligence Report, Thursday, 25. April 2024, accessed on 20-09-2024, at: <https://aetoswire.com/en/news/2504202438914>.

59. Omer Yoachimik, Jorge Pacheco, Cyber attacks in the Israel-Hamas war, 23-10-2023, accessed on, 23-09-2024, at: <https://blog.cloudflare.com/cyber-attacks-in-the-israel-hamas-war/>

٦٠. "معاريف": حماس حاولت اختراق هواتف إسرائيليين عبر تطبيق "صفارات الإنذار"، موقع دنيا الوطن، ١٨-١٠-٢٠٢٤، شوهد في ٢٠٢٤-٠٩-١٨.

<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2018/08/10/1165187.html>

٦١. هناك فيديو يوثق هذا الاختراق عنوانه "اختراق جديد لمواقع إسرائيلية حساسة وهواتف جنود الاحتلال"، قناة الجزيرة، ١٦-١٠-٢٠١٧، شوهد في ٢٠٢٤-٠٨-١٩.

<https://www.youtube.com/watch?v=YcIxUsJP9OE>

٦٢. من يخترق هواتف السياسيين الإسرائيليين؟، موقع عرب ٤٨، ١٩-٠٣-٢٠١٩، شوهد في ٢٠٢٤-٠٨-٢٥.

<https://www.arab48.com/>

٦٣. عبد الرؤوف أرناؤوط، إسرائيل: حماس تحاول

مواقع حكومية إسرائيلية، موقع التلفزيون العربي، ١٥ مارس ٢٠٢٢، شوهد في ١٤-٠٩-٢٠٢٤ في:

[/https://www.alaraby.com/news](https://www.alaraby.com/news)

٧٢. عمر زقزوق، الحرب السيبرانية.. طوفان آخر يزعج إسرائيل، الجزيرة نت، ٢-١١-٢٠٢٣، شوهد في ١٥-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.aljazeera.net/news/2023/11/2>

٧٣. "نحن الأنونيموس: إلى الكيان الصهيوني، لفترة طويلة جدا، ونحن نتسامح مع جرائمكم ضد الإنسانية، ونغفر خطاياكم دون عقاب، من خلال إعلامكم المخادع، وسياساتكم المكاررة، ضللتكم الجميع بادعائكم الديمقراطية، ولكن في الواقع هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، هدفكم الوحيد هو تحسين حياة قلة مختارة، في حين تنتهكون بلا مبالاة حريات الآخرين.

شددت تعصبكم للصهيونية الملايين وقتل الكثير، وبينما يصرخ العالم، تضحكون بتخطيط هجومكم المقبل، ويتم كل هذا تحت ستار السلام، ولكن طالما نظامكم موجود فلن يتحقق السلام، تنعتون كل من يعارض أفكاركم ويرفض الامتثال لكم بالإرهابيين وضد السامية، وجعلتم العالم يؤمن بالمحرفة اليهودية التي لا أصل لها، ابتدعتموها أنتم وأولياؤكم ما لها من قرار، أنتم لا تستحقون الوجود، وستواجهون غضبا نحن الأنونيموس. دولتكم تفتقد الشرعية، ولا تليق أن تمارس الحياة السياسية، لن نسمح لكم بانتهاك حرمة دولة ذات سيادة مشروعة، لطالما عانت من مكركم، وستنتصر قريبا إن شاء الله"، مشعل الحميدان، "أنونيموس" تعطل إنترنت إسرائيل بـ ٤٤ مليون هجمة، موقع الاقتصادية، ٠٨ أفريل ٢٠١٣، شوهد في ٢١-٠٩-٢٠٢٤ في:

https://www.aleqt.com/2013/04/08/article_745515.html

٧٤. أنونيموس تفتح جبهة حرب إلكترونية ضد إسرائيل، موقع قناة روسيا اليوم، ١٨-١١-٢٠١٢، شوهد في ٢١-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://arabic.rt.com/news/600152/>

٧٥. انظر رسالة أنونيموس، المرجع المذكور.

٧٦. مجموعة هاركرز Anonymous تهدد إسرائيل بـ "محركة إلكترونية"، موقع قناة روسيا اليوم، ٠١-٢٠١٥، شوهد في ٢٢-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://arabic.rt.com/news/778798->

٧٧. لا نسامح ولا ننسى.. "أنونيموس" تتوعد نتنياهو بعواقب لعدوانه على غزة، المرجع المذكور.

٧٨. تقول أنونيموس الجزائر في هذه الرسالة: "أيها الفلسطينيون ابقوا أقوياء"، إنكم لستم وحدكم في هذا النضال فأنونيموس تقف إلى جانبكم وسنقاتل معاً ضد الطغيان الذي تواجهونه يومياً". ابقوا أقوياء وصامدين. العالم يشاهد، صرخاتكم للحرية ستسمع"، انظر "لا نسامح ولا ننسى.. "أنونيموس" تتوعد نتنياهو بعواقب لعدوانه على غزة، المرجع المذكور.

٧٩. انظر قراصنة يهاجمون مواقع الكترونية إسرائيلية، الجزيرة نت، ٧/٤/٢٠١٤، شوهد في ١٦-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.aljazeera.net/news/2014/4/7>

٨٠. نور أبو عيشة، جيش الهُدد الإلكتروني.. أحدث أسلحة المقاومة الفلسطينية، ٢٢-٠٥-٢٠١٩، شوهد في ١٥-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.aa.com.tr/a>

٨١. انظر "لا نسامح ولا ننسى" أنونيموس تتوعد نتنياهو، المرجع المذكور.

٨٢. انظر هاركرز يخترقون الموقع الرسمي للجيش الإسرائيلي ويبثون رسالة داعمة لغزة وفلسطين، ١٣ ديسمبر ٢٠٢٣.

<https://sarabic.ae/20231213/>

٨٣. من الأردن.. قراصنة يخترقون موقع الجيش الإسرائيلي، موقع قناة روسيا اليوم، ١٤-١٢-٢٠٢٣، شوهد في ٢٥-٠٩-٢٠٢٤ في:

https://arabic.rt.com/middle_east/1520761

٨٤. زهير حمدي، طلال مشعطي، العار الذي لحق بإسرائيل.. تفاصيل ساعات الانهيار الأولى، ١٥-١٠-٢٠٢٣، شوهد في ٢٨-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.aljazeera.net/politics/longform/2023/10/15>

٨٥. عدنان أبو عامر، هكذا تخوض إسرائيل جبهتها القتالية الجديدة عبر "الساير"، ٢٢-٠٥-٢٠٢٤، شوهد في ٢٨-٠٩-٢٠٢٤ في:

<https://www.aljazeera.net/politics/2021/5/2/>

الكوفية في شوارع أوروبا وأميركا

تمثلات الخطاب ما بعد الاستعماري في مظاهرات
نصرة القضية الفلسطينية



حسين إبراهيم شمس الدين

دكتوراه في العلوم الاجتماعية
● لبنان



المقدمة

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحليل تجليات الخطاب ما بعد الاستعماري في أشكال التضامن الغربي مع القضية الفلسطينية، ولا سيما بعد أحداث طوفان الأقصى في أكتوبر ٢٠٢٣. وتسعى إلى رصد كيفية تحول الخطاب الأكاديمي النقدي ما بعد الكولونيالي إلى ممارسة شعبية رمزية في المسيرات والمظاهرات في أوروبا والولايات المتحدة. اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، مستنداً إلى مراجعة أدبيات ما بعد الاستعمار ومقارنة الشعارات والرموز التي انتشرت في التظاهرات مع أطر هذه النظرية. وقد تم تحليل مجموعة من الظواهر، أبرزها: انتشار شعار "من النهر إلى البحر" كتعبير عن رفض التقسيم الاستعماري، واستبدال المصطلحات المحايدة بمفاهيم نقدية مثل "التطهير العرقي" و"الاستعمار الاستيطاني"، وارتداء الكوفية الفلسطينية كرمز للنضال، واستخدام موسيقى الراب لنقل الرواية الفلسطينية.

توصلت الدراسة إلى أن هذه المظاهر تشكل "انتقالاً معكوساً" للرواية الفلسطينية من الهامش إلى مركز الخطاب في الغرب، وتعكس تبنيًا واضحاً للرؤية ما بعد الاستعمارية التي تصوّر الصراع على أنه حركة تحرر من الاستعمار وليس مجرد نزاع سياسي. كما تؤكد أن هذا الانزياح الخطابي يمثل اختراقاً للباراداييم الاستعماري المهيمن وإعادة تعريف للصراع من منظور المُستعمر، مما يجعل القضية الفلسطينية رمزاً عالمياً للنضال ضد الهيمنة.

صناعة الواقع العلمي الأكاديمي في العالم لا يمكن قراءته بشكل منفصل عن الواقع المتعدد الأبعاد والمخاضات المختلفة التي تمر بها البلدان وبمعزل عن الحروب والتحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، إذ يمكننا أن ندعى بأن الواقع العلمي وإن كان يتمثل في دراسات وأبحاث ومؤلفات ذات حقل معجمي خاص، إلا أنه ينشأ ضمن سياقات اللغة العادية والواقع المعاش

ليتم تجريده في أفق الأكاديميا. فالأفكار التي نجدها حول الحرية والعدالة والأنظمة السياسية هي ثمرات تفكير المفكرين التي ما كانت لتولد إلا في سياقاتها الخاصة. وبالتالي فإن محاولة قراءة الواقع المعاش في أبعاده السياسية والاجتماعية إنما هو بوجه من الوجوه قراءة للواقع الأكاديمي العلمي، واستشراف لحقول الدراسات الآتية من ساحات الحراك الشعبي والسياسي.

لعل من أبرز الشواهد التي يمكن ذكرها حول هذه القضية هي ما يسمى حالياً بالإطار ما بعد الاستعماري لكثير من الدراسات، حيث نجد أننا أمام حقل من الدراسات التي أعادت التفكير في قضايا التحرر والقيم الاجتماعية المختلفة من زاوية رؤية الشعوب التي كانت مستعمرة، حيث أورتها الاستعمار إطاره الخاص في تحليل ذاتها فعاشت نحواً من الغتراب عن شخصيتها وخواصها فترة طويلة من الزمن، فحيث كان المستعمر يراها "الآخر" الذي لا بد من دراسته، فإنها ابتليت لوقت طويل بورائة هذا الإطار النظري لرؤية نفسها، حيث نجد الكثير من المفكرين الذين كانوا يرون شعوبهم وبلدانهم وثقافتهم الخاصة على أنها "الآخر" مقابل المركزية الأوروبية الاستعمارية، ومن هذا الواقع نشأت يقظة دراسات ما بعد الاستعمار لتعيد التحرر من هذا الإطار، وبحسب بعض الباحثين تبدو النظرية ما بعد الكولونيالية على أنها طريقة في النظر إلى القوة بين الثقافات، والتحويلات النفسية الاجتماعية التي تحدثها ديناميات الهيمنة والإخضاع المتوائمة، والانزياح الجغرافي واللغوي، وهي لا تحاول أن تفسّر كل الأشياء في هذه الدنيا، بل تقتصر على هذه الظاهرة الواحدة المهمة، السيطرة على ثقافة معينة من قبل ثقافة أخرى. (روبنسون، ٢٠٠٩، ص ٩٠).

نحاول في هذه الورقة البحثية، تسليط الضوء على امتداد الأدب والنقد ما بعد الكولونيالي إلى الحاضنة الشعبية الغربية في الفترة الممتدة بعد طوفان الأقصى في ٧ تشرين الأول\أكتوبر ٢٠٢٣ إلى عام ٢٠٢٥ حيث شهدت المناطق الأوروبية بالخصوص مسيرات ومظاهرات داعمة للقضية الفلسطينية، ورفعت خلالها شعارات تعبر عن بنية رمزية متجاوزة لإطار المفاهيم الاجتماعية والسياسية الاستعمارية والتي حاولت من خلالها الدول المستعمرة توريثها للدول المستعمرة، بل نجد نحواً





من الانتقال الخطائي والشعاري من خلال الشعارات إلى المسيرات الأوروبية، فيما يمكن تسميته هجرة ما بعد الكولونيالية للشارع الأوروبي بعد صعود القضية الفلسطينية لتأخذ مجالها هناك.

أولاً: ما بعد الكولونيالية: المفهوم والامتدادات

تعدّ دراسات ما بعد الاستعمار، وإنهاء الاستعمار، وابستمولوجيا الجنوب (ES) ثلاث مناهج رئيسية للتعامل النقدي مع عواقب الاستعمار الأوروبي في أساليب التفكير والتصرف الاجتماعية والسياسية والثقافية المعاصرة. تلتقي هذه المناهج في تسليط الضوء على التضحية غير القابلة للقياس بالحياة البشرية؛ ومصادرة الثروات الثقافية والطبيعية؛ وتدمير الثقافات غير الأوروبية وطرق المعرفة، من خلال قمعها أو إسكاتها أو حظرها أو تشويهها (de Sousa Santos, 2021).

النظرية ما بعد الاستعمارية أو بعد الكولونيالية تمثل في الحقيقة إطاراً فاهماً متجاوزاً لكونه نظرية مختصة في حقل من الحقول، بل يمكن القول بأنها منهجية قراءة وتحليل، حيث بدأت إرهاباتها عندما بدأت موجة التحرر من الاستعمار البريطاني في

النظرية ما بعد الكولونيالية تكشف أن المشروع الاستعماري يقوم في جوهره على عنف ثقافي رمزي متعدد الأساليب

لُتصوّر سيطرته على شعوب العالم الأخرى وكأنها حق طبيعي، ويجتمع النقد ما بعد الاستعماري على إجماع أخلاقي وسياسي يرفض تاريخ الاستعمار الغربي ويدين إرثه المدمر، وبالأخص الإطار النظري لفهم الذات الذي ورثته للشعوب المستعمرة بحيث لم تعد تر من نفسها إلا هامشاً على متن التفوق الحضاري الغربي (يونغ، ٢٠١٨، ص ١٧).

كما أن النقد ما بعد الكولونيالي، يمتد في الدراسات الحديثة ليشمل بالتحليل والنقد الآثار التي خلفها المستعمر في مجالات متعددة من قبيل الدين والأدب واللغة والثقافة والفكر، ولا تقتصر على الآثار السياسية، ولذا يمكن القول أن الإطار ما

خسينات القرن الماضي والتي شملت دولاً من قبيل الهند وشمال أفريقيا، حيث استتبع هذا التحرر نهضة فكرية في المستعمرات نفسها، تناهض فيها الخطابات الكولونيالية (عتيق، ٢٠١٥). ويعتبر روبرت يونغ (Robert J.C. Young) (١٩٥٠) في كتابه "ما بعد الكولونيالية" أن الاقانيم الثلاثة للنظرية ما بعد الاستعمارية هم: ادوارد سعيد والهنديين هومي بهابا و غياتري سبيفاك، وترتكز الفكرة الأساسية للنظرية ما بعد الكولونيالية على أن المشروع الاستعماري يقوم في جوهره على ممارسة عنف ثقافي رمزي متعدد الأساليب، كما يعمل على ترسيخ فكرة التفوق الحضاري للغرب،



تظاهرة دعم لفلسطين
لافتة بشعار "من النهر إلى
البحر، فلسطين ستكون
حرة".

ما نحن بصدد دراسته بشكل مجمل في هذه الدراسة، وهي التي تمثل فرضية هذا البحث، وحاصلها أن هناك انزياحاً في الشعارات والأناشيد التي تنتشر في الدول الغربية -أوروبا وأميركا- دعماً للقضية الفلسطينية بعد السابغ من أكتوبر من عام ٢٠٢٣ - طوفان الأقصى - حيث تمثل هذا الانزياح في تصوير الكيان الصهيوني على أنه كيان استعماري، وأن التحرر الفلسطيني في عمقه ليس تحرراً سياسياً عسكرياً فقط، بل يحمل في جوهره تحرراً من الاستعمار فكرياً وثقافة ورؤية، حيث يُنظر إلى الكيان الصهيوني على أنه كيان استعماري ومن ورائه التمثلات الحضارية الغربية بشكل أساسي.

بعد الكولونيالي هو مقارنة يمكن تصفحه في الشعارات والأناشيد والموسيقى والمسرح، وأنها تمثل "أثراً نصياً واستراتيجية للقراءة، وغالباً ما تعمل الممارسة النظرية لما بعد الكولونيالية على مستويين: فهي تحاول من جهة الإبانة عن حالة ما بعد الكولونيالية التي تنطوي عليها نصوص معينة، وتحاول من جهة أخرى إمالة اللثام عن أية بنيات أو مؤسسات باقية من القوة الكولونيالية" (جيلبرت وتومكينز، ٢٠٠٠، ص ٢).

ويظهر من خلال هذا الأمر، أن الإطار النظري ما بعد الكولونيالي يمثل نافذة تحليلية لسلوكيات ومظاهر ممتدة في افاق إنسانية متعددة، ومنها

وبعبارة مختصرة، تظهر التطورات الأخيرة دخول القضية الفلسطينية في مجال دراسات ما بعد الاستعمار، حيث يمكن استكشاف هذا الأمر من خلال وضوح تمثيلات الكيان الصهيوني في الشعارات التي ترفع في الدول الغربية والتي تعتبر أن النضال ضد الكيان الصهيوني هو امتداد للنضال ضد الاستعمار. (Moore-Gilbert, 2016).

ثانيًا: الشعارات الداعمة للقضية الفلسطينية في إطار ما بعد الاستعمار

إن الكتابة عن فلسطين والفلسطينيين لا تزال موضوعًا يشهد الجدل في الأوساط الأكاديمية. حتى أواخر الثمانينيات، تم تناول قضية فلسطين من خلال النظريات الاجتماعية الغربية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. وهذا منح المستوطنين والمستعمرين الأوروبيين مهمة توجيه السكان الأصليين المتخلفين في فلسطين نحو الحداثة. (Sa'di & Masalha, 2023).

إن إسرائيل هي نتاج عملية استعمارية، وبالتالي

إزالة الاستعمار عن فلسطين "و" فك الاستعمار ليس استعارة مجازية "شعارات أصبحت وجهة مركزية في المظاهرات الغربية

يجب دراستها من خلال نفس المفاهيم والنظريات التي استخدمت في دراسة جنوب إفريقيا وأستراليا وغيرها من المجتمعات الاستعمارية. وبناءً على هذا العمل، يجادل بعض الكتاب أن الاستعمار ليس فقط نظامًا سياسيًا واقتصاديًا، ولكنه أيضًا نمط حياة ووعي، له عواقب بعيدة المدى على كل من المستوطنين والسكان الأصليين، ونطاق التحليل الأساسي تمحور في بعض الكتابات حول مفاهيم من قبيل الاستعمار الاستيطاني، والتهجير، وجدار الفصل، وتقنيات المراقبة، ومنهجيات التحرر من الاستعمار، والمقاومة الشعبية. (Sa'di & Masalha, 2023).

١. ظهور التصنيف الاستعماري للكيان

قبل البدء برصد الشعارات ومحتواها، نجد أن

تصنيف الكيان الصهيوني ككيان استعماري وفق الأطر الذهنية لفكرة الاستعمار وما يتخلله من عنصرية ونظرية دونية للمستعمر حاضرة في الدراسات الأكاديمية والصحفية، حيث حاولت بعض الدراسات مؤخرًا تحليلًا نقديًا للآليات التي تدعم الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، في محاولة لتقديم تفسيرات جديدة وراء التفسيرات المادية والعسكرية تركز على إعادة إنتاج الشخصية الاستعمارية الاستيطانية في الكيان الصهيوني، بحيث يتمكن اليهود الإسرائيليون العاديين من المشاركة في النظام القمعي واستدامته، "بينما تركز الإجابات الشائعة على الدولة الإسرائيلية، فإنها تتجاهل المواطنيين الإسرائيليين. الهيمنة الاستعمارية الاستيطانية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني لا تحدث كما لو بيد خفية، إنها تؤدي، يومًا بعد يوم، بأجساد إسرائيلية من لحم ودم" (Svirsky, 2021, p. 2).

في المقابل، نجد بعض الكتاب والصحفيين مثل سيمون سباغ مونتيفوري (Simon Sebag Montefiore) (1965) يكتب محذرًا من رواج سردية ما بعد الاستعمار في النظرة إلى الصراع، حيث ذكر في بعض مقالاته بعنوان "The Decolonization - Narrative Is Dangerous and False Mon-) سردية ما بعد الاستعمار خطيرة وخاطئة" (tefiore, 2023) وذكر أن هجوم حماس في السابع من أكتوبر يذكر بالهجمات المغولية من العصور الوسطى من أجل الذبح وأخذ الغنائم البشرية، ويذكر أنه ومع ذلك، منذ السابع من أكتوبر، أنكر أكاديميون وطلاب وفنون ونشطاء غربيون الجرائم أو برروها أو حتى احتفوا بها، بشعارات أشهرها "من النهر إلى البحر فلسطين حرة" (Montefiore, 2023).

ومع الانتقال إلى ساحات المسيرات والشعارات، نجد أنه قدر تفتت شعارات تدعم قضية الاستعمار الصهيوني، بشكل كبير يعكس انزياحًا لأطر التحليل ما بعد الاستعماري للقضية الفلسطينية، ولعل أبرز الشعارات هو شعار "أزبلوا الاستعمار عن فلسطين decolonize Palestine"، كما رفعت شعارات من قبيل "فك الاستعمار ليس استعارة مجازية Decolonization is not a metaphor" أيضًا. وهذا الأمر الذي انتشر بشكل كبير وصار وجهة للمظاهرات الداعمة

النساء الإسرائيليات يرتدين ملابس مدنية ويحملن أسلحة نارية، ويُعتقد أنهن من أفراد قوات الاحتياط التابعة للجيش الصهيوني في تل أبيب. تتكسّر الصورة الطابع العسكري للمجتمع الإسرائيلي ومشاركة النساء في منظومة الأمن الصهيونية.



كالكوفية، وتحويلها إلى أيقونات تضامنية عالمية، وإعادة توظيف فنون ذات جذور تحريرية، مثل الراب، لنقل الرواية الفلسطينية بلغة ثقافية تصل للجماهير الغربية.

هذه المستويات مجتمعة تشكل اختراقاً للباراداييم الاستعماري المهيمن، وتؤسس لخطاب مضاد يعيد تعريف الصراع من منظور المُستعمر، ويجعل من القضية الفلسطينية رمزاً عالمياً للنضال ضد الاضطهاد والهيمنة.

ومن هنا تمثل الرصد على مستويات متعددة: ١. شعارات تشمل المجال المكاني الرفض لسردية المستعمر.

٢. استبدال المفاهيم الموصفة لواقع الحرب ٣. ترويح سيميائيات المستعمر من قبيل الكوفية ٤. استخدام فن الراب ذي النشأة التحريرية في سياق نصرة القضية الفلسطينية

المكان: تحدي رواية المستعمر والمستعمر

في بعض الشعارات نجد أن هناك نوعاً من استعادة مكانة المجال الجغرافي والمكان في سياق الخطاب الاستعماري، بمعنى أن الاستعمار في أبسط صورته يشمل الأرض والمكان، وبالتالي فلو راجعنا الشعارات الداعمة للقضية الفلسطينية، نجد استحضاراً واضحاً لمناخضة الكيان الصهيوني ككيان استعماري، دون الإشارة إلى نزاع طبيعي بين كيانين شرعيين، ومن هذه الشعارات التي لاقت رواجاً كبيراً: شعار "من النهر إلى البحر، فلسطين ستكون حرة، From the river to the sea، Palestine will be free".

ومن الواضح أن عبارة "من النهر إلى البحر" تؤكد على جغرافيا متخيلة حيث تحل السيادة الفلسطينية محل الدولة الإسرائيلية المزعومة، متجاوزة مع مفهوم فرانتر قانون عن اجتثاث الاستعمار كقلب كامل للهيمنة المكانية الاستعمارية (فانون، ٢٠١٥، ص ١١).

وبحسب مارك ليفين، مدير برنامج دراسات الشرق الأوسط العالمية في جامعة كاليفورنيا، فإن شعار "من النهر إلى البحر" يرفض وصف الصراع على أنه نزاع بين طرفين متساويين، بدلاً من ذلك، يقدمه على أنه صراع تحرر من الاستعمار الاستيطاني (settler colonialism)، حيث

للقضية الفلسطينية، حيث يتم تصوير الصهيونية كاستعمار استيطاني يظهر في مصطلحات مثل "مستوطن" و"اجتثاث الاستعمار" حيث تتماشى هذه الشعارات مع النقد ما بعد الاستعماري للصهيونية كمشروع استعماري أوروبي، مع إقامة أوجه تشابه مع نضالات الشعوب الأصلية في الأمريكتين وأستراليا وجنوب إفريقيا. هذا الخطاب يبني انقساماً صارماً بين المُستعمر والمُستعمر، حيث يُصوّر اليهود كمستوطنين أجانب بينما يُوضع الفلسطينيون كالسكان الأصليين.

٢. الانتقال المعكوس من فلسطين إلى ساحات أوروبا

تشكل الشعارات الداعمة للقضية الفلسطينية في الغرب تحولاً خطيباً عميقاً يعكس تنبئاً واضحاً للرؤية ما بعد الاستعمارية، فهي لا تقدم الصراع كنزاع حدودي تقليدي، بل تحوله إلى إطار تحرري

يعيد ارتداء الكوفية في هذه السياقات تملك الرمز الثقافي من قبل أنصار القضية الفلسطينية، بعد أن حاولت القوى الاستعمارية طمس الهويات الثقافية المحلية، وهو ما يظهر تجاوز التضامن العالمي مع قضايا التحرر بما يتجاوز الحدود الجغرافية، مشكلاً تحالفات ما بعد استعمارية بين شعوب لها تجارب مشتركة مع القمع

من الاستعمار الاستيطاني، مجسّدة ما يمكن أن نطلق عليه "الانتقال المعكوس" للرواية الفلسطينية من الهامش إلى مركز الخطاب في الغرب نفسه.

هذا الانزياح يتجلى عبر آليات متعددة: استعادة الجغرافيا برفض التقسيم الاستعماري عبر شعارات مثل "من النهر إلى البحر"، واستبدال المصطلحات المحايدة (كـ"النزاع") بمفاهيم نقدية حادة (كـ"التطهير العرقي" و"الاستعمار") التي تكشف طبيعة الهيمنة القائمة.

كما يبرز تبني رموز المقاومة الفلسطينية،

والعنصرية. إن استخدامه من قبل نشطاء من خلفيات مختلفة حول العالم يعكس فهمًا له كشعار تحرري عالمي وليس محليًا فقط. هذا التضامن العابر للحدود، حيث ترى فلسطين كرمز للمقاومة ضد الظلم العالمي، هو سمة مميزة للحركات المناصرة لحقوق الإنسان والتي تشارك في إطار فكري ما بعد استعماري. (المصدر نفسه).

المفاهيم المؤثرة لما يجري: ليست حربًا بل استعمارًا

كما شهدت بعض الشعارات التي رُفعت تحديًا لسرديات الاستعمار التي توصف الواقع الجاري في فلسطين، حيث رفعت شعارات من قبيل: ليست حربًا بل استعمارًا، ليس إخلاءً بل تطهيرًا عرقيًا، ليست أزمة بل احتلالًا، ليست معقدة بل إبادة وهذه القضية تعتبر من أدوات المواجهة في إطار ما بعد استعماري، حيث يتم خرق الأعراف المفاهيمية التي يضعها المستعمر لتفسير الواقع.

يمثل الفلسطينيون السكان الأصليين ويمثل المشروع الصهيوني قوة استعمارية استيطانية تسعى لاستبدالهم والسيطرة على أرضهم. هذا التصوير هو جوهر التحليل ما بعد الاستعماري، الذي يقارن الواقع في فلسطين بتجارب استعمارية أخرى في أمريكا الشمالية وأستراليا وجنوب إفريقيا. (Levine, 2023).

كما يتنا أن المشروع الاستعماري، حسب النظرية ما بعد الاستعمارية، يقوم بمصادرة الأرض والسيطرة على السردية. فإن شعار "من النهر إلى البحر" هو محاولة لاستعادة تلك السردية للاستعمارية. فهو يرفض سردية "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ويدفع نحو تصور مستقبلي تكون فيه السيادة للشعب الفلسطيني على أرضه، مما يشكل تحديًا مباشرًا للرواية الصهيونية المهيمنة. (المصدر نفسه).

كما يربط الشعار القضية الفلسطينية بحركات التحرر العالمية الأخرى المناهضة للاستعمار

هذه الصورة عبارة عن طباعة
ألبومين من عقد ١٨٧٠-١٨٨٠
تظهر مجموعة من الأوروبيين
مع الخدمة الهنود وهم على
ظهور الفيلة، وكان هذا النوع
من الصور شائعًا جدًا في فترة
الاستعمار البريطاني للهند.





كتاب "ما بعد الاستعمارية"
لروبرت يونغ

المعكوس وفق الرواية الاستعمارية. حيث تحولت الكوفية من رمز "غريب" أو "شرقي" في التمثيلات الغربية إلى رمز للتضامن العالمي مما يعكس قدرة المجتمعات المهمشة على تصدير رموز مقاومتها. هذا الاستخدام يقع في إطار مقاومة ثقافية وسياسية تعيد تعريف الرموز وتوظفها في صراع السرديات بين القوة المهيمنة والصوت المهمش.

كما يعيد ارتداء الكوفية في هذه السياقات تملك الرمز الثقافي من قبل أنصار القضية الفلسطينية، بعد أن حاولت القوى الاستعمارية طمس الهويات الثقافية المحلية، وهو ما يظهر تجاوز التضامن العالمي مع قضايا التحرر بما يتجاوز الحدود الجغرافية، مشكلاً تحالفات ما بعد استعمارية بين شعوب لها تجارب مشتركة مع القمع. (الكردي، ٢٠١٢، ص ٦).

الراب: استعادة ما بعد كولونيالية

من الأمور التي برزت في ما بعد فترة طوفان الأقصى، انتشار موسيقى وغناء الراب الداعم للقضية الفلسطينية، وعلى رأسهم سبعة اشخاص هم بحسب أسمائهم الفنية: Macklemore، Black Star، Vic Mensa، Noname، Lupe Fiasco، Immortal Technique، Redveil (2025، Ben Tarki).

وهذا يمكن وضعه ضمن سياق الفعل التحرري ما بعد الكولونيالي للقضية الفلسطينية في الغرب، ويعتبر "الراب" هو اختصار لعبارة "Rhythm and Poetr" (الإيقاع والشعر)، وهو شعر يُلقى سريعاً على إيقاع ثابت في الخلفية بقافية معينة، تسمح بالتلاعب اللفظي حتى تتماشى مع القافية دون الالتزام بلحن معين، كما تتحرر من القوالب الموسيقية المعتادة. وفي موسيقى الراب يتحدث المؤدون عادة عن أنفسهم، وعن استيائهم وغضبهم من صعوبات الحياة، بحرية أكبر، لذلك، غالباً ما يرافق أداءهم الحديث عن موضوع شائك أو قضية مشوشة (فرج، ٢٠٢٢).

ويتجذر أساس الهيب هوب في المقاومة. نشأ في سبعينيات القرن الماضي، وليد تجارب شبابية صادمة من أصول أفريقية وأفريقية-كاريبية ولايتينية، يعيشون في مجتمعات ضواحي المدن الداخلية التي تعاني من الفقر والعنصرية الممنهجة

في المقابل يتم صياغة أطر مفاهيمية أخرى خارج هذه الرؤية الحاكمة. وهذا أمر واضح في الشعارات حيث تم رفض التوصيف الغربي الاستعماري لما يجري في فلسطين بكونه أزمة أو حرباً أو ما شاكل وتم استبداله بأنه تطهير عرقي واستعمار.

يذكر إدوارد سعيد مصطلح التَّمثِيل (سعيد، ٢٠٠٥) باعتباره أحد آليات الهيمنة الاستعمارية، حيث يعتمد المستعمر إلى تصوير المستعمر كآخر وفق سرديته وآليات تأطيره للواقع السياسي الاجتماعي، وبالتالي تكمن أحد وظائف مواجهة الاستعمار في رصد وتفكيك ونقد تلك التمثيلات التي يُقدِّمها المستعمر عن المستعمر فالنظرية ما بعد الاستعمارية تتحدى، التمثيلات والسرديات التي مثلت وقولبت الآخر كمتخلف ودوني ولا عقلائي (المصدر نفسه)، وهنا تظهر العلاقة الوثيقة بين مفهوم التمثيل ونظرية ما بعد الاستعمار. فالتمثيل يُساهم في عملية صنع الآخر وتشكيله وتقييده، ومنه تذليل غقبات فرض السيطرة والهيمنة عليه ولذا يُعد مفهوماً مركزياً في نظرية ما بعد الكولونيالية.

ومن هنا يظهر كيف يكون الرض القاطع في شوارع أوروبا والولايات المتحدة للمفاهيم المؤطرة لما يجري في فلسطين أحد عناصر الخروج عن سياق الخطاب الاستعماري والدخول في السياق ما بعد الاستعماري.

رموز الشعب المستعمر: الكوفية

وأما بالنسبة لاستخدام رموز من قبيل الكوفية الفلسطينية فهي أيضاً من الأمور التي تعيد إلى الواجهة الإطار ما بعد الاستعماري للقضية الفلسطينية، فمن منظور تحليلي ما بعد استعماري، يحمل استخدام الكوفية الفلسطينية في المظاهرات الأوروبية المؤيدة لفلسطين عدة دلالات مهمة، لأن الكوفية تمثل الكوفية من رمز تقليدي إلى أيقونة للنضال ضد الاستعمار والاحتلال. تجسد تضامناً عابراً للحدود بين نشطاء الحقوق في أوروبا والقضية الفلسطينية.

كما يمثل ارتداء الكوفية في الفضاء الأوروبي تحدياً للرواية السائدة وإعادة تأطير السردية الفلسطينية، ويعيد تعريف الرموز الثقافية خارج الأطر الاستشراقية التي صُوِّر من خلالها الشرق الأوسط، ويمثل نوعاً من التواصل الثقافي

صورة من حفل بن هاجر
بالاسم الفني مكلمور
(Macklemore) / صورة
من صفحة الفنان على
إنستغرام



مفكرين مثل فانون و سعيد و بهابها وغيرهم. ولا يقتصر تأثير هذا الانزياح الخطابي على دعم القضية الفلسطينية فحسب، بل يُمثل أيضًا تحديًا للهيمنة الثقافية الغربية وإعادة نظر في الذات الغربية نفسها، حيث شارك شباب ونشطاء غربيون في استعادة رموز التحرر وإسقاطها على واقعهم، معبرين عن رفضهم لدور بلدانهم التاريخي في دعم المشاريع الاستعمارية. أخيرًا، يمكن القول إن هجرة الخطاب ما بعد الكولونيالي إلى الشارع الغربي لم تكن مجرد موجة عابرة، بل مؤشر على تحولات أعمق في الوعي السياسي والثقافي العالمي، تؤكد أن قضية التحرر الفلسطيني ليست معزولة عن سياقها الإنساني الأوسع، بل هي جزء من نضال شامل ضد كل أشكال الهيمنة والاستعمار الجديد. وهنا تكمن قوة المقاومة الرمزية وقدرتها على إعادة تشكيل الواقع، بل وإعادة كتابة تاريخ الصراع من منظور المُستعمر نفسه.

قائمة المصادر و المراجع

- عتيق، م. (٢٠١٥)، ما بعد الكولونيالية: مفهوما، أعلامها، أطروحاتها. مجلة دراسات وأبحاث، (٨)، ١٩٩-٢١٦.
- الكردي، م. خ. (٢٠١٢). الكوفية الفلسطينية زياً شعبياً ورمزاً نضالياً.
- روبنسون، د. (٢٠٠٩). الترجمة والإمبراطورية: الدراسات ما بعد الكولونيالية (ث. ديب، مترجم). المجلس الأعلى للثقافة.
- سعيد، إ. (٢٠٠٥). تغطية الإسلام (م. عناني، مترجم، ط ٨). القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع.
- جيلبيرت، ه. & تومكينز، ج. (٢٠٠٠). الدراما ما بعد الكولونيالية: النظرية والممارسة (س. فكري، مترجم). مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون.
- فرج، م. (May 13, 2022). من نيويورك إلى القاهرة: كيف نشأت موسيقى الراب. الجزيرة.
- Retrieved from www.aljazeera.net
- Bin Tarki Moujahid. (n.d.). Pro-Palestine American rappers. Dima Top Magazine. Retrieved September 15, 2025, from <https://dimatopmagazine.com/hip-hub/right-to-be/pro-pales->

وقلة الفرص. في مواجهة هذه الظروف الصعبة، لجأ الفنانون الشباب إلى الموسيقى والشعر للتعبير عن مشاعرهم واستعادة هويتهم وقد منحهم هذه الاستجابة الإبداعية شعوراً بالانتماء للمجتمع، مآخنة صوتاً قوياً لمن لم يُسمع لهم صوت. كما ان التضامن السياسي بين السود والفلسطينيين لعقود، والذي يُوصف غالباً بأنه "نضال مشترك" ضد العنصرية والاستعمار والإمبريالية. وبالنسبة للعديد من الفنانين، لا يُمثل النضال من أجل تحرير فلسطين قضية منفصلة أو غريبة، بل هو امتدادٌ منطقيٌّ وضروريٌّ لعملهم المحلي ضد العنصرية والعنف المنهجي ضد السود. (BenTarki, 2025).

الخاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة بيان كيف تجاوزت المقاومة الثقافية للقضية الفلسطينية الحدود الجغرافية والسياسية التقليدية، لتدخل بقوة في الوعي الجمعي الغربي عبر أدوات تحليلية

لقد مثلت الظواهر التي تم تحليلها - من انتشار شعارات إزالة الاستعمار، وارتداء الكوفية كرمز للنضال، إلى توظيف موسيقى الراب كوسيلة تعبوية - تحولاً جذرياً في كيفية تقديم القضية الفلسطينية في الفضاء الغربي

مستمدة من نظرية ما بعد الاستعمار. فقد نجحت الشعارات والرموز والخطابات التي رافقت مسيرات التضامن مع فلسطين في الغرب بعد عام ٢٠٢٣ في إعادة تعريف الصراع ليس كنزاع عسكري أو سياسي فحسب، بل كقضية تحرر من الاستعمار الاستيطاني، متحدية بذلك الروايات السائدة التي تروجها المركزية الغربية. لقد مثلت الظواهر التي تم تحليلها - من انتشار شعارات إزالة الاستعمار، وارتداء الكوفية كرمز للنضال، إلى توظيف موسيقى الراب كوسيلة تعبوية - تحولاً جذرياً في كيفية تقديم القضية الفلسطينية في الفضاء الغربي. هذه التحولات لم تكن عفوية، بل جاءت نتيجة تراكم وعي نقدي بميراث الاستعمار وآلياته الرمزية والمادية، كما تجلت في أعمال

archive/2023/10/decolonization-narrative-is-false/675740/

• Moore-Gilbert, B. (2016). Palestine, postcolonialism and pessoptimism: Palestine and postcolonial studies. *Interventions*, 20(1), 7–40.

• Sa'di, A. H., & Masalha, N. (Eds.). (2023). *Decolonizing the study of Palestine: Indigenous perspectives and settler colonialism after Elia Zureik*. Bloomsbury Publishing.

• Svirsky, M. (2021). The reproduction of settler colonialism in Palestine. *Journal of Perpetrator Research*, 4(1), 1–37.

• Young, R. J. C. (2003). *Postcolonialism: A very short introduction*. Oxford University Press. ◀

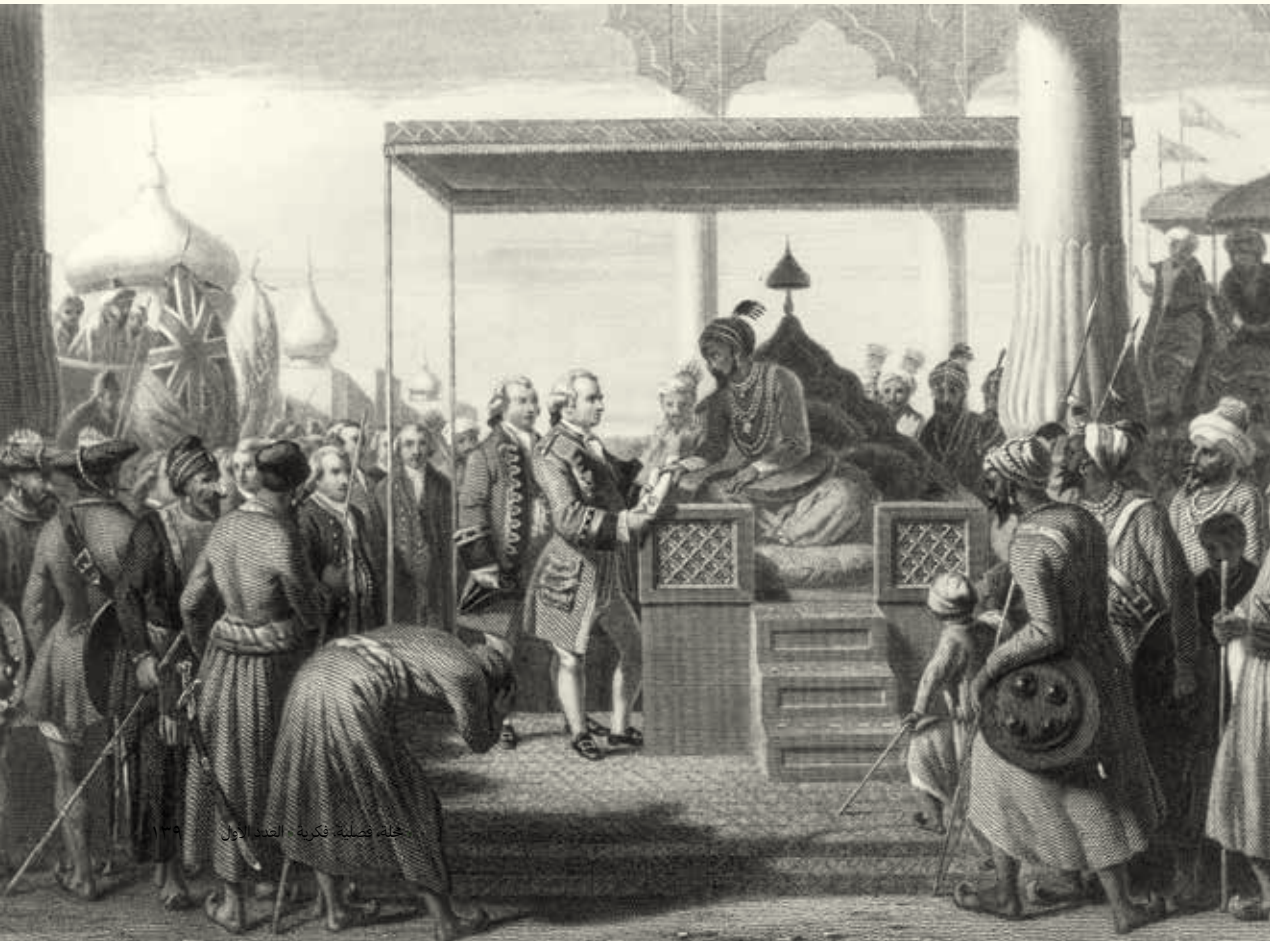
tine-american-rappers/

• de Sousa Santos, B. (2021, November 29). Postcolonialism, decoloniality, and epistemologies of the South. In *Oxford Research Encyclopedia of Literature*. Oxford University Press.

• LeVine, M. (2023, November 15). From the river to the sea and the decolonisation of our collective future. *Al Jazeera*. Retrieved from <https://www.aljazeera.com/opinions/2023/11/15/from-the-river-to-the-sea-and-the-decolonisation-of>

• Montefiore, S. S. (2023, October 27). The decolonization narrative is dangerous and false. *The Atlantic*. <https://www.theatlantic.com/ideas/>

الأمبراطور المغولي شاه عالم
الثاني يمنح روبرت كليف،
قائد جيش شركة الهند
الشرقية، حق جباية الضرائب
في البنغال.



خوسردي مس

استراتيجية لاستمرار التضامن الدولي تجاه الق



نزار كريكش

أكاديمي وباحث مدير مركز بيان
للدراستات • ليبيا



المقدمة

بينما يستمر النزاع والحرب في غزة، يكثر الحديث عن التفاعل الدولي الشيعي لنصرة جماهير غزة. منظمات ومؤسسات من كل أنحاء العالم، ودول كانت في الطليعة كجنوب إفريقيا، لمقاومة "إسرائيل" على أفعالها، وقنوات ونشطاء وصانعو محتوى من كل أصقاع الأرض يطالبون بحرية الشعب الفلسطيني، وإنهاء الحرب، وإدخال المساعدات، ويجرمون "إسرائيل" ويتهمونها بالإبادة لشعب غزة. هذا التفاعل الذي تنوعت مشاربه، وتعددت مصادره، واختلفت سياقاته، إلا أن الرواية التي جمعت كل هذه الملايين واحدة، وهي أن هناك ظلماً وجرمًا واحتلالاً يجب أن ينتهي في قطاع غزة والضفة الغربية، وأن الدولة الفلسطينية يجب أن تقوم. هذا السرد بدأ يتسرب في كثير من القنوات ويقولوه كثير من الكتاب والمؤلفين والمفكرين وطلبة الجامعات في كبرى الجامعات العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي لندن، وإسبانيا وإيطاليا ودول جنوب شرق آسيا، وأمريكا اللاتينية. ففي أوروبا وحدها وثق المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام (إيبال) أكثر من ٣٥ ألف مظاهرة وفعالية في ٢٠ دولة أوروبية فقط منذ بداية العدوان على غزة بعد أحداث السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣.

هذا التفاعل وما يصحبه من وعي وسرد يحتاج لاستراتيجيات واضحة لاستمراره أو استدامته، فلا ينتهي هذا التفاعل بالوصول لاتفاق أو نهاية الحرب في غزة، أو دخول العالم في أزمات أخرى. أهمية هذا الأمر ظاهرة، فلا بد لهذا التعاطف الدولي، والحقيقة التي اكتشفها العالم، أن تظل قائمة يمكن أن يبني عليها الفلسطينيون والعرب سياساتهم ورؤاهم لمستقبل أكثر إنصافاً لحضارتهم وثقافتهم وقضاياهم.

مصطلح السرد المستدام يعني استمرار القصة أو الرواية عبر الزمن، وتكشف بنيتها وتعزز قيمتها من أجل المزيد من الاندماج للجماهير في الوعي واللاوعي (Laurell, 2018, p338).

تدادم

ضحية الفلسطينية



العربية والدولية لوضع سياق حقيقي يتغير فيه وعي العالم نحو تلك القضية العادلة التي ظلم فيها الشعب الفلسطيني والعالم الإسلامي وأن تكون تلك السردية فيس سياقها الأوسع انتصاراً للعدالة والحق والسلام في العالم أجمع.

الخطاب والسرد من الأدب إلى الإدراك

خمسنيات القرن العشرين شهدت تحولاً كبيراً في مجال البحث والفلسفة، خاصة في العلاقة بين الإعلام والعلوم الاجتماعية وإمكانية تكوين أنماط فكرية لدى المجموع من خلال الإعلام وأجندة البحوث العلمية. وبدأ البحث عن الترابط في المفاهيم التي يمكن أن تخلق أولويات لدى المجتمعات المختلفة، وبدأ ظاهراً أن الدعاية الموجهة "البروباغندا" التي قامت بها النازية هي تجربة تستحق الوقوف عندها لأنها تمثل الكيفية التي يمكن أن تخلق بها الحقائق اجتماعياً. هنا بدأ الحديث عن العقل والتكوين العقلي

السرد المستدام قريب من سردية المحرقة (Shoah) أو ما يعرف بـ"الهولوكوست"، فهي الرواية التي بنى عليها الاحتلال سرديته. ومن خلالها استطاع كسب الولاء السياسي من كافة الدول الأوروبية الفاعلة خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. الاستراتيجيات التي يمكن أن نكتسبها من فهم هذه الاستدامة تتطلب منا أن ندرك التطور الهائل الذي شهده مفهوم السرد بعد أن دخلت علوم متداخلة مثل علوم الإدراك والأعصاب، التي استطاعت أن تعيد قراءة مفهوم السرد الذي انتشر في الأدب وعلم النفس والفلسفة. فلكي نصل إلى مستوى تتحول فيه نصرة غزاة إلى إطار حاكم (Master frame) للردود الفعل الطبيعية لصانع القرار وللناشطين والفاعلين على سواء، فإن فهم كيف للسرد والرواية أن تتحول إلى مصدر للمعنى، ومنصة للخيال، يقتضي إدراك كيف يتفاعل الناس مع القصة؟ وماهي التقنيات التي يمكن أن ترسخ تلك الروايات

تفاعل الشارع الدولي مع أحداث ٧ تشرين الأول/ أكتوبر شكّل "رواية واحدة" جامعة بأن هناك ظلماً واحتلالاً يجب أن ينتهي، وهو سرد بدأ يتسرب إلى الأروقة الأكاديمية وصناع المحتوى حول العالم

في اللاوعي والذاكرة طويلة المدى؟. لبحث هذا الأمر واقتراح الاستراتيجيات الممكنة، نحن بحاجة أولاً لفهم ما هو السرد من منظور علوم الإدراك والأعصاب في سياق المسار التاريخي لمفهوم السرد. ونحن بحاجة ثانياً لفهم كيف استطاعت الحركة الصهيونية استخدام سردية المحرقة للولوج إلى عقل صانع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا؟ بعدها يمكننا أن نعيد تفسير الأحداث في غزاة لفهم، وأخيراً، ما هو السرد الذي وصلنا إليه وماهي الاستراتيجيات والسياسات التي تضمن استدامة هذا السرد؟ بهذا المخطط، يمكننا أن نضع إطاراً عاماً للمفهوم وللتقنيات التي اتسقت بالإطار العام لفكرة السرد كوسيلة للتأثير والتغيير في الوعي. هذه الدراسة تخاطب الجميع الحاكم والمحكوم، المؤسسات



أو تحريفًا لها. المصطلح الذي جاء في سياق علاقة اللغة والخطاب بالتحكم في العقول هو "السرد". خرج مفهوم السرد من الإطار الأدبي الضيق في الحديث عن الرواية وشخصياتها وحكمتها ونهايتها وتسلسل مساراتها إلى فهم أعمق للثقافة ورمزياتها. سواء في القصص أو الفنون أو أحاديث الناس من الإعلام والأفلام والدعايات والأحاديث التي تنتشر بين الناس، إلى ما يُشكل في مجمله سردًا له رمزية ومغزى سياسي وأيديولوجيا مبطنّة. بدأ البحث عن المعنى الذي يستفاد من تسلسل الجمل أو الرموز التي تنتشر في المجتمع في صور مختلفة. ترفيحيان تيودوروف (١٩٣٩ - ٢٠١٧) أضاف لبنة أخرى في هذا التصور، وهو ما سماه "علم السرد"، وفيه بدأ البحث عن مخطط للرواية وللسرد، وهو ما عزز المدرسة البنيوية وحدد عناصر السردية من خلال التفريق بينها وبين الكتابة الوصفية - أو الخطاب - بوجود تسلسل زمني في السردية (القصة)، وكذلك تغيير في المسار

والإدراك وعلاقته بالبحوث الاجتماعية تحديدًا، فما هي المؤثرات التي قد تكون حافزًا لانتشار هذه الرواية أو غيرها؟ وكيف تنتقى السرديات ويُكتب لها السيادة والانتشار؟ في الإعلام، ظهر جليًا إمكانية توجيه الرأي العام وفق نماذج لها شبكة من العلاقات مع السلطات الحاكمة والنخب الاقتصادية التي تدعم هذه الوسائل الإعلامية. في الستينات من القرن العشرين، عرفت فرنسا مظاهرات طلابية حصلت على دعم كبير من الفلاسفة والأكاديميين. ظهر مصطلح النموذج على يد توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية"، وظهر الحديث عن علاقة السلطة بالمعرفة والخطاب المعرفي على يد ميشيل فوكو. وبدأ الحديث عن أنماط التفكير والسرديات والأساطير.

بات واضحًا في تلك الفترة أنه بالإمكان وضع إطار عام لتحريك الناس والجماهير، مهما كانت تلك النماذج والخطابات بعيدة عن الحقيقة أو اجتزاء

فيلم قائمة شندلر (١٩٩٣) من إخراج ستيفن سبيلبرغ، يروي قصة أوسكار شندلر، الناجر الألماني الذي أنقذ أكثر من ألف يهودي خلال الهولوكوست.



أو بإسقاط تلك القصص على حياتنا، أو من خلال توقعاتنا للأحداث وفقاً لتلك القصص. تشير الدراسات إلى أن شبكة من المناطق الدماغية، المعروفة باسم شبكة الوضع الافتراضي (DMN)، تعمل على مراقبة الواقع عندما لا يكون هناك تركيز محدد أو نشاط حركي معين. يشكل هذا النشاط ما يقارب ٥٠٪ من وظائف الدماغ. ويُعدُّ التأثير في المخاوف والتفكير المستقبلي عاملاً محورياً في بناء السرديات. كما يحفز السرد شبكة أخرى ترتبط بالتركيز والاندماج بين المشاعر والأفكار، وتُعرف بـ "الشبكة البارزة" (Salience Network). ويمكن لهذه الآليات تفسير مدى فاعلية السرديات في تشكيل الرؤى وتوجيه صانعي القرار. كما يظهر في حالات مثل توظيف القصة في نقل الروايات حول الأحداث الجارية والتأثير على السياسات الدولية.

دراسات كثيرة تبين أيضاً أن الثقافة المجتمعية تبني الذاكرة اليومية التي يخزنها الفص الأمامي من الدماغ، وترتبط بالخيال والعاطفة، وهكذا يُصنع التعاطف المجتمعي. لقد أثبتت الدراسات أن ذلك ينتقل عبر الأجيال والجينات حتى من أولئك الذين لم يعاصروا القصص والأساطير التي نقلت إليهم عبر الآباء. وربما أقرب مثال لذلك هو الأسطورة الصهيونية وأرض الميعاد التي يتناقلها الكيان منذ الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا (Calabrese, ٢٠٢٣).

سرديات الحركة الصهيونية

رغم أن الحركة الصهيونية سبقت الحرب العالمية الثانية بكثير، إلا أن القمع والسلطوية النازية والمعسكرات والمحرق التي تعرض لها من خالفوا سرديّة الرايخ العظيم والجنس الآري الأرقى من البشر، ومن ضمنهم اليهود، كانت بداية حقيقية لبناء سرديّة متماسكة جعلت الحركة الصهيونية قادرة على فرض أجندتها على اليهود في العالم وكذلك الأنظمة والدول التي تلتأت في البداية في قبول فكرة تكوين دولة وطنية لليهود في فلسطين.

١. سرديّة المحرقة

القصة تمثل نموذجاً واضحاً للسرد المستدام، وتقول إن المحرقة (Shoah) يجب ألا تتكرر وأن لا نلجأ لليهود من مثل هذه الفظائع إلا بوجود دولة تحميهم وتمنع عنهم مثل هذه الاخطار. هذا هو

الكلبي للنص "عادة ما يلعب البطل في القصة دوراً في هذا المسار". لذا، بدأ البحث عن مخطط - كما فعلت المدرسة الروسية - ينتقل فيه السرد من الاضطراب إلى التوازن داخل القصة أو الرواية. هناك تفصيل أكثر في التمييز بين السرد التخيلي الذي يشمل الرواية، وضرورة وجود بطل فيها، وعالم آخر في لوحة من الأحداث صنعه الكاتب وينقل إليه القارئ، لكن في مجالات أخرى - ليس فيها راو - يمكن أن نعدّها مصدرًا لتسلسل الأحداث والرواية، لأنها تصنع قصة عن كل شيء. وهنا يجب أن يتغير منظور البحث في مجال السرد ليشمل كافة المجالات.

هذا الأمر لم يعد خافياً في علوم الأعصاب، فإن مناطق محددة في الفص الصدغي للدماغ قد تجتمع

التفاعل الشعبي العالمي يحتاج إلى "استراتيجيات واضحة" لضمان استدامته: فالسرديات المضادة للإسرائيليين والمؤيدة للعادلة الفلسطينية مهددة بالزوال، ما لم يتم تأطيرها وحمائتها

فيها الكثير من المدخلات، ويرتبط بعضها ببعض لتشكل مزيجاً جديداً يعمل كنموذج يظهر في حدث من الأحداث. فيه زمن - ماضٍ، وحاضر، ومستقبل أي فعل - وفيه خلفية (حوادث وأسماء تعمل كخلفية ثابتة للقصة). وهكذا يتغير فيها الزمن والأدوار، وتمارس اللغة بمجازاتها القدرة على نقل كل المشاعر والأفكار التي قد تكون هي العالم الذي ننقل له عبر الرواية أو القصة "ربما نزن أن رواية الحكايات هي قدرة خاصة عند بعضنا وليست نشاطاً ذهنياً ثابتاً. رواية القصص هي نشاط جوهري للتفكير البشري. القصص التي هي أساسية للإنسان تلك التي تنشأ عنها الخبرات وهي كامنّة، لكننا نادراً ما نلاحظ تلك القصص أو نعرف كيف تعمل لأنها دائماً جزءٌ منا" (Turner, 1996).

مراقبة هذه القصص صار أصبح ممكناً تماماً تتبعه من خلال الرنين المغناطيسي الوظيفي وغيره. لذا يمكن القول إن القصص هي نشاط عقلي لفهم الحياة، سواء في الحكمة والعبرة والعظة،

جادل "كون" ليطرح نموذج "وقائع" أو "حوادث" قاطعت استمرارية الفكر والمفاهيم في "العلم العادي" بفترات من "الثورات العلمية"





هو ماضي الشتات والوجود كأقلية في أوروبا، ومستقبل لن تتكرر فيه المحرقة. هذا خلق ترابطاً واضحاً بين المخاوف عند اليهود والصور المرعبة لأحداث المحرقة التي خلقتها شبكة من الكتاب والمفكرين والممثلين والعلماء والساسة ورجال الأعمال، بين هذه المخاوف وبين النجاة من كل ذلك عبر سرعة التوجه نحو "إسرائيل"، الدولة التي ستحمي اليهود، كل اليهود، من المحرقة أو من أي هتلر جديد. كل هذه الروابط في اللاوعي ليس هناك الكثير من التعقل، بل البناء على المخاوف والنماذج التي يرسمها العقل باستمرار حول المستقبل.

٣. عقيدة الدولة

مالم يكن لليهود في العالم دولة تحميهم، فإن المحرقة ستستمر بصور وأشكال مختلفة. هذه السردية التي انتشرت عبر الحركة الصهيونية، لذا كان عليهم أن يتحركوا في اتجاهين: الأول هو المناداة بالقومية اليهودية وتبنيها من خلال الثقافة اليهودية وهنا اختلفت الحركة وزعمائها

جوهر السرد، وعليه بنيت كل النماذج المعرفية التي كانت تبعا له، وداعما لفكرة الاضطهاد العالمي لليهود. وقراءة تاريخ اليهود على أنه مقاومة لنقائه من قبل شعوب وحكام مستبدين.

استطاع اليهود تكوين قصة واضحة، وربط هذه القصة بهويته الدينية. بل عاد الخطاب الديني بقوة برموزه وذكرياته لينتشر حتى بين أولئك الذين لم يقتنعوا يوماً بالحركة الصهيونية. بالطبع، يمكن أن تتكرر المحرقة على يد أي مستبد أو هجمي قريب من هتلر ونازيته. من هنا، كان لابد من ربط العرب بالبربرية والهمجية. وقد تعزز ذلك بدعم الملك فاروق وبعض الدول العربية، منهم الشيخ أمين الحسيني، للألمان في الحرب العالمية الثانية حين انتشرت بينهم إمكانية انتصار المحور، وأنه أقرب للعرب من غيرهم.

٢. طريق النجاة

استطاعت الحركة الصهيونية أن تخلق ترابطاً بين نجاة اليهود والدولة القومية لهم في أرض الميعاد، بين جرح الماضي ومخاوف المستقبل. الماضي

في أعين مواطنيها، مضطهدة في أعين الأوروبيين والأمريكيين، بدأ تسريب المحرقة كتاريخ مشرف لليهود، وكقضية لا ينبغي أن تعود بأي شكل من الأشكال. فأعيد تشكيل الذاكرة بشكل ممنهج داخل المجتمع اليهودي، وفي ستينات القرن العشرين، بعد أن اشتد النزاع بين دولة الاحتلال والدول العربية، وبدأ التيار القومي في الانتشار بين أبناء المنطقة من العرب، كان لابد من إعادة أحياء المحرقة، وإظهار العرب كهتلر جديد، شيطان يريد أن يفتك بالضحية عبر محرقة جديدة. اندرياس موسوف (٢٠١٦) يبين كيف استخدم العرب و"الإسرائيليون" مجاز المحرقة باعتبار كل طرف ضحية للنازيين، كما حدث في النكبة عام ١٩٤٨، حيث اعتبرت "إسرائيل" هي النازية. ومع حرب ١٩٦٧ والتهديد باجتثاث "إسرائيل"، بدأ استخدام نفس المجاز، حيث تم اعتبار جمال عبد الناصر وباسر عرفات يماثلون هتلر الذي حرق اليهود، وذلك حسب السردية التي أخذت تنتشر في جميع مجالات الحياة في دولة "إسرائيل"، في الإعلام والمناهج التعليمية وداخل المؤسسات، أهمها المؤسسة العسكرية.

وهنا يجب أن نفرق بين المجاز والمقارنة التاريخية، فالمسألة هنا لا تتعلق بقياس حدث تاريخي على آخر، بل بمجاز كامن في الذهن ويتعلق بالضحية والشيطان والمخاوف من الموت والاجتثاث، وربط الخوف المرتبط بالرغبة في الحياة وكل ردود الفعل الطبيعية للنجاة والهرب من الرعب، ربط كل ذلك بالتاريخ القديم والحديث كشعب يعاني من الاضطهاد الدائم، ويُعاد تشكيل ذلك بنفس الصورة لبيان أن الدولة هي الفارس الذي سينقذ الفريسة من المفترس، في هذا الإطار توضع كل الأحداث، وهكذا يصبح التصنيف والتشقيق جوهر السرد المستدام الذي حكم أدبيات الحركة الصهيونية.

الأصالة والمعاصرة

الحركة الصهيونية استخدمت التاريخ اليهودي بكل حيثياته، وجاءت النازية لتعطيها السردية التي مكنتها من إقناع المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بمشروعها بإنشاء دولة لليهود في فلسطين بكل رمزياتها الدينية وسياقاتها التاريخية. لكن هناك تناقض عاتق هذه الحركة

بين الحديث عن التحديث والليبرالية ليكونوا جزءًا من العالم الغربي الذي لم يقبل باليهود حتى بعد الحرب العالمية الثانية، وبين الحديث عن الدولة القومية التي كانت سببًا من أسباب المحرقة نفسها. هذا التناقض سيحل بعقيدة الدولة التي نادى بها بن غوريون، أول رئيس وزراء في دولة "إسرائيل"، هذه الدولة ستعمل على إنقاذ اليهود من كل اضطهاد وستضمن لكل اليهود خاصة في أوروبا الحياة الكريمة.

اليهود الذين شهدوا المحرقة لم يكونوا مكرمين، وينظر إليهم على أنهم مقاتلون، بل كانوا صورة عن الجبن والضعف الذي لن ينتهي إلا بالهجرة إلى فلسطين. والأغرب من ذلك أن المحرقة لم تكن جزءًا من السردية داخل الدولة الصهيونية، وهذا ليس بتناقض لأن هناك سرديّة يُراد لها أن تنتشر بأن اليهود خارج الدولة هم جبناء وضعاف وأنهم لا يملكون الحقوق التي سيمتلكونها في "إسرائيل". المناهج التاريخية ففي الأربعينات

يجب على أصحاب القضية تبني "سرد مستدام" يرتكز على مفاهيم "الإنسانية والعدالة" بدلاً من "القومية والإثنية"، ليتناسب مع التغيرات السريعة في الفضاء الرقمي وتوقعات الجمهور العالمي

عملت الحكومات على تأجيل بناء أي مؤسسة مدعومة من الحكومة لتخليد ذكرى المحرقة. كما أن من نجوا أو قتلوا في المحرقة لم يكونوا مقاومين، بل ذهبوا طوعاً نحو الموت، وأن اليهود أنفسهم قد ساعدوا النازيين في قمع إخوانهم كما ذكرت حنا أرندت في كتاباتها. هكذا تصبح الحقيقة مجرد إطار عام يمكن أن يُستخدم بصور مختلفة من أجل هدف واحد، وهو الهدف الذي كانت الحركة الصهيونية تريد تأكيده، وهو عقيدة الدولة الحامية لليهود (Calabrese, ٢٠٠٠).

عام ١٩٥٣ كان التخليد الرسمي للمحرقة، لكن كانت هناك إجراءات ومحاولات لمعرفة من ساعد النازيين، ومن بقي في فلسطين ولم يساعدوا اليهود في معاناتهم في بولندا. بعد إعادة قراءة المحرقة بما يناسب دولة يُراد لها أن تكون قوية

خلال تاريخها. فالحركة القومية ارتبطت بتاريخ اليهود الذي عمق خصوصيتهم واغترابهم بين الحضارات من جانب، كما أنها حركة تسعى لأن تكون حركة تنويرية حديثة قادرة على تجاوز القوميات من خلال الدعوة إلى الليبرالية والرأسمالية وحقوق الإنسان، وتجاوز كل تمييز على أساس الدين أو الجنس أو اللغة، وذلك لتعزيز الاندماج في المجتمع الأوروبي.

الخلاف كبير بين المنظرين حول أصول النظرية القومية هل هي تطويرية أم ثورية وهذا يعني هل ترجع القومية للثورات التي اجتاحت أوروبا في القرن الثامن عشر (Gellner، ١٩٨٣)، أم أنها نتاج لثقافات قديمة يحييها كل مجتمع ليبي بها سرديته القومية وبدا هي تطويرية (Smith، ١٩٨٦)، دون أن ندخل في تفاصيل هذا الخلاف، إلا أن الحركة الصهيونية شهدت منذ البداية هذه الازدواجية، واستطاعت أن تضمن التاريخ والتراث اليهودي في بناء سرديّة حديثة قومية تضمن لليهود البقاء

والموازنة بين الصورة الذهنية عنهم كتنويريين وحدائيين، وفي نفس الوقت شرعنة قوميتهم وضمان استمرار هوية خاصة بهم، وهذا ما يمكن أن ندركه عندما نقرأ تلك الأدبيات في القرن التاسع عشر، خاصة في روسيا وشرق أوروبا.

يختصر أحاد هام أحد المنظرين للصهيونية الثقافية وفكرها الأيديولوجي عام ١٨٩٠ حين يقول "تاريخ إسرائيل" في المنفى، بشكل عام، وخاصة في السنوات الأخيرة، يعلمنا أنه ليس لدينا أمل في العيش بين الأمم الأجنبية كأفراد وأمة فريدة: أن نشارك في جميع جوانب الحياة كمواطنين في الأرض بينما نظل أمة متميزة في معتقداتنا ومتفوقة في فضائلنا. وويل لنا في الأيام السيئة وويل لنا في الأيام الجيدة" (المرجع نفسه).

هذا الفكر سيختلف تماماً مع تيودور هيرتزل الذي ينادي بتكوين دولة علمانية تبعد اليهود عن خطر عداء السامية وتتفق مع الليبرالية الأوروبية (الصهيونية السياسية)، يترك كومفورت منظر بارز

بمناسبة يوم إحياء ذكرى ضحايا النازية، وضع ممثلو الهيئات الدستورية للكونفدرالية ورئيس الكنيسة الإسرائيلي أكابيل من الزهور في ساحة شواهد النصب التذكاري لليهود القتلى في أوروبا/ برلين.



مشروع الصهيونية كما هو شائع، بل كيف استطاعوا التوغل في عقول ومشاعر أوروبا حتى كانوا جزءاً من هويتها. هنا يمكننا مراجعة عملين أساسيين: الأول يشرح كيف تحولت أوروبا إلى السردية الصهيونية، والثاني يبين كيف استطاعت شبكة اليهود في جميع أنحاء العالم أن تدعم الدولة الصهيونية.

أدبيات المحرقة والخيال التأملي

بينما تبدو المواقف الأمريكية والغربية بصفة عامة، واضحة وتقف بجانب "إسرائيل" لسنوات طويلة من عمر القضية الفلسطينية منذ الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨، إلا أن السؤال الذي يتعلق بسياق بحثنا هو كيف استطاعت الصهيونية غرس سردية في مدراك ومشاعر الأوروبيين؟ هذا السؤال لصيق بمفهوم السردية المستدامة، فالمحرقة لم تعد مجرد سرد توثيقي لجريمة حدثت في القرن العشرين، بل تعدى ذلك ليكون نمط من التفكير والمشارع والخيال الذي تشكل رويداً رويداً عبر سرد متناهي ودقيق وخيالي ومستقبلي ومحتمل يمكن أن يتلاعب بإدراك كل من يتعرض لتلك الشبكة من الروايات والشهادات والمتاحف والأفلام والقصص القصيرة التي استطاعت تخطي كل الحواجز ليكون السرد الصهيوني جزءاً من تفكير كثير من المثقفين وصناع القرار في الغرب.

ليس في هذا مبالغة، فقط كتب مورجان جلين كتابه "تخيل ما لا يتخيل" (Imagining the Unimaginable) ليشرح بالتفصيل كيف استخدمت الرواية الصهيونية تقنيات الخيال العلمي و التاريخ البديل والديستوبيا في الإدراك الغربي لتصوير المحرقة كاستثناء من أي أبادة، ومعاداة السامية كشيء شاذ عن أي عداء للأقليات التي شهدها العالم. كما أنهم قد أنقذوا العالم من شر النازية ومستقبل مظلم ينتظر البشرية من خلال التاريخ البديل: فماذا لو انتصر هتلر في حربه؟ وماذا لو اندثر اليهود من الوجود وهكذا. مراجعة تلك الأدبيات سنجد أنها تتعالى عن الواقع والحقيقة لصناعة خيال يمكن دجه بمفاهيم صهيونية عن الإنسانية والفلسفة والاجتماع، إعادة تأطير وتخيل الأحداث بما يجعلها صالحة لكل سياق ويمكن استخدامها عبر الزمن. عرض الكتاب الكثير من هذه الأعمال، ليرهن

للمحرقة. راجع تلك الأدبيات بالتفصيل، لأن فكرة التماثل مع الآخر الأوروبي لم تكن سهلة حتى بعد المحرقة. رفضت كثير من الدول استقبال اليهود، وكان هناك نفس الرفض النازي في دول كأمریکا والمملكة المتحدة لذا فإن الخلاف بين المنادين بالثقافة اليهودية، والتيار الحدائي التنويري العلماني، هو خلاف يتعلق بطبيعة الهوية الوطنية للدولة الصهيونية، التي في نهاية الأمر هي الشبكة التي من خلالها تجمع اليهود من شرق أوروبا وغربها بناء على سردية تشكلت عبر الزمن بضرورة وجود الدولة التي تمنع عنهم ظلم الآخرين أو بحسهم حقهم.

هذه الخلفية تبين كيف أن السردية الصهيونية رغم معاناتها من تشققات في داخلها لاتزال آثارها ظاهرة

استطاع اليهود تكوين قصة واضحة، وربط هذه القصة بهويتهم الدينية. بل عاد الخطاب الديني بقوة برموزه وذكرياته لينتشر حتى بين أولئك الذين لم يقنعوا يوماً بالحركة الصهيونية

إلى اليوم في المجتمع الإسرائيلي، إلا أنها تبين كيف استطاعوا تنويع السردية لتناسب الأطراف التي تتعامل معها الحركة الصهيونية. فاختلقت السردية وفقاً للسياق، وصوّر الإسرائيليون أنفسهم للعالم كواحة ديمقراطية وسط غابة من المستبدين والمتخلفين. وقد نجحوا في ذلك إلى أن اختلف الأمر تماماً بعد عملية طوفان الأقصى التي نفذتها المقاومة في السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣.

الشبكة الصهيونية وسردية المحرقة

استطاع اليهود بناء سردية من خلال استغلال المحرقة، والتي تحولت إلى إعمال أدبية وفنية وجمعيات ومتاحف ومنظمات تعمل لبناء المخيلة السياسية حول المحرقة، لكن كيف استطاعوا بالضبط السيطرة على صانع القرار في دول أوروبا خاصة أن الانطباع حتى بعد المحرقة لم يكن جيداً حول اليهود. الحديث هنا لا يتعلق بشكاات المال والديون التي استطاعت الصهيونية أن تنسجها لإرغام الساسة الأوروبيين على نصره

المتحف الوطني لذكرى الهولوكوست في الولايات المتحدة/ يشجع هذا المتحف المواطنين والقادة في جميع أنحاء العالم على ضمان أهمية الهولوكوست للأجيال الجديدة من خلال الدعم المالي.



كيف انتشر هذا السرد في اللاوعي حتى صار جزءاً منه. أول ما يمكن رصده في ذلك السبب هو مفهوم الصمت (Silence). فالمحرقة لا يمكن أن توصف، أولاً لأن كثيراً ممن شهدوا تلك الفظائع لم يعودوا من أفران الحرق النازية. لذا فإن عمل إيلي فيزيل الحاصل على جائزة نوبل في الآداب، وعمله الليلية (The night) يصف المحرقة بأنها فوق الوصف والأدب. يقول مورجان أن الأعمال (من رواية "ليلة الصليب المعقوف" النبوية لكاثارين بوردكين (١٩٣٧) إلى رواية "رجل يرقد ويحلم" الثورية للاف في تيدهار (٢٠١٤)، هذه الاستجابات غير الواقعية لاضطهاد ألمانيا النازية ومحاولتها إبادة اليهود حاضرة باستمرار مثل أي عمل روائي واقعي أو مقال تاريخي). (Morgan, 2020)

يضيء عليها معاني فلسفية جديدة. لذا يصف مورجان هذه الأعمال بأنها أقرب للخيال التأملي (Speculative Fiction) وذلك يشمل التاريخ المغاير أو الديستوبيا. وفيهما يتصور الكاتب تاريخاً مغايراً (ماذا لو لم تكن هناك المحرقة؟) أو الديستوبيا (ماذا لو انتصر هتلر وسيطر على العالم؟).

بدل أن يفرق الرواة والكتاب في تفاصيل التوثيق التاريخي، أو الحرص على الصدق في نقل الأحداث. فإن السرد يختلف تماماً، فالمقصود منه هو بناء فكري وذاكرة يمكن من خلالها زرع مدارك محددة عن الواقع. علوم الإدراك هنا ترتبط بنظرية واضحة وهي نظرية الاغتراب المعرفي لفيلكتور شيلوفيسكي حيث تعمل السرديات الأدبية على تجاوز المؤلف. والتأثير عبر الجدة (Novum)، من خلال الخيال والتاريخ البديل وزرع المخاوف من المستقبل. وقد دلت الدراسات في هذا المجال على أنها تسهم بثلاث وظائف

هذا الغياب وهذه الخصوصية جعلت من الروايات التي استعرضها الكتاب أشبه بالخيال العلمي SF لكنه تغيب للحقيقة ورسمها بصورة مغايرة للتوقعات ووضعتها في تسلسل منطقي

حدث في طوفان الأقصى كعمل إرهابي يشابه تماماً ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر، وسرعان ما حاولت تلك القنوات تبرير ذلك بالحديث عن قطع لرؤوس الأطفال وهذا ما رددته الرئيس الأمريكي بادين قبل أن يتراجع البيت الأبيض بعد ذلك لثبوت أن الخبر غير صحيح، لكن ذلك لم يغير من السرد شيئاً.

لمعرفة العلاقة بين السرد الغربي والسرد الذي انتشر في قنوات عربية كقناة الجزيرة وقناة العربي قناة الميادين وغيرها، وتشير دراسة للكاتب من قبل أن هذه السرديات تختلف في قناتي الجزيرة والسي إن إن.

قناة الجزيرة

ركز سرد الجزيرة على ديناميكيات القوة والتجارب الحياتية للمتأثرين بسياسات الدولة. يضع السرد الصراع ضمن سياق أوسع من المظالم التاريخية والقمع المستمر، مع التركيز على أطر مثل الإبادة الجماعية والتطهير العرقي. يسلط الضوء على المقاومة الفلسطينية و مرجعية الضحية أو الفريسة (الفلسطينية)، ليس فقط كمعلومات، بل كوسيلة لتحفيز الرأي العام تجاه عدوان الدولة الإسرائيلية.

هذا ارتبط بقنوات مختلفة، وانتشرت مواضيع مثل العدوان الإسرائيلي وعنف المستوطنين وهي تكشف عن تفسيرات متعددة الأبعاد للأحداث، حيث تدمج الأفعال ضمن نظام أوسع من الظلم المُتصوّر إدراج عناصر مثل وقف إطلاق النار وتبادل الأسرى يعكس جهود حل النزاع، ويبرز القضايا الإنسانية التي غالباً ما يتم تهميشها في سرديات أخرى.

قناة السي إن إن

تتميز تغطية شبكة CNN لأحداث ٧ أكتوبر ببنية سردية تركز على سياق لحظي طارئ وعنيف للحدث، وتقدم "إسرائيل" في إطار الدفاع عن النفس، مع التركيز على عدد من الأطر ذات التأثير العالي، وبناءً على تحليلات سابقة للمحتوى، تم تحديد العقد الرئيسية التالية في شبكة السرد الخاصة بـCNN:

• هجمات ٧ أكتوبر: تمثل نقطة البداية في السرد، وتستخدم لتأطير التسلسل الزمني للأحداث.

• الهوية السردية: تخلق مرجعيات ذاتية يعيد بها الإنسان قراءة ذاكرته الشخصية، وبذا فإن إعادة تأطير المحرقة في سياق تاريخ إنساني وأوروبي (بين الخوف من الاستبداد وعقدة الذنب الخ).

• التضامن الجماعي، حيث تعمل هذه الشبكة على ما يعرف بنظرية الذهن أو العقل وهي النظرية التي تبحث في كيفية تعاطف الناس وتقليد بعضهم بعض، ويدخل هذا ضمن علم الأعصاب الاجتماعي، فمن خلال ذكر التاريخ المغاير من أمريكا أو ألمانيا أو بريطانيا وربط ذلك التاريخ بأحداث في هذه الدول يمكن أن يكون هناك شعور واندماج مع المحرقة وذكرياتها.

• التسلسل الفكري والسياسي، تعمل هذه الشبكة كذلك على تكامل تذكر الحقائق والمعارف (Semantic memory)، وهذا ما يجعل المنطق والمعرفة تضمن داخل هذه السرديات التي تثير هذه الشبكة (المرجع نفسه). باختصار يمكن القول بأن هذا الفهم لطبيعة

استطاعت الحركة الصهيونية أن تخلق ترابطاً بين نجا
اليهود والدولة القومية لهم في أرض الميعاد، بين
جرح الماضي ومخاوف المستقبل

السرديات (من خلال مراجعة الأدبيات المختلفة للمحرقة) تؤكد هذا السياق، وهو ضرورة أن يصل السرد للخيال وأن يكو جديداً ومؤثراً في عمق الإنسان ومداركه (المرجع السابق). "لقد تم خدمة العالم اليهودي من خلال شبكة صحافة واسعة على مدار القرن الماضي. تم نشر الآلاف من الدوريات في كل مكان توجد فيه أو كانت توجد فيه جماعة يهودية منظمة. داخل صفحات هذه المنشورات، تم الإبلاغ عن القضايا الرئيسية التي تؤثر على اليهودية. ومناقشتها، أو اقترحها (Edelheit, 2018)."

صراع السرديات

يوم بدأت عملية طوفان الأقصى اندلعت حرب أخرى هي حرب السرديات، نشرت الصحف العالمية والقنوات أخبار طوفان الأقصى لكن السرد كان مختلفاً، أبرز تلك السرديات هي تصوير ما

ونزع إنسانيتهم، أو من خلال التركيز على الإرهاب، فقد أكدت رئيس الوزراء الإسرائيلي أن حربنا هي ضد إرهابي حماس، والأخطر من ذلك أن وجود "إسرائيل" مرتبط بهذه المعركة وأنه بدون الهمينة على الشرق الأوسط فإن "إسرائيل" ستكون في خطر، كما في اللقاء الشهير لرئيس وزراء نتنياهو لقناة 124 والتي صرح فيها بأنه مرتبط جداً برؤية أرض الميعاد و"إسرائيل" الكبرى.

السرد المستدام: العالم بعد غزة

السرد المستدام كما يمكن أن نفهم من العرض السابق، هو ذاك السرد الذي يؤثر في طرق النظر للعالم للمتلقي، فيستطيع التأثير في كيفية رؤيته للحدث ليرى فيها نفسه، بل إنها تكون جزءاً من هويته، وعاطفته وتفاعلاته وذاكراته. الجزيرة وأخواتها من المنصات والقنوات والقوى العالمية أعطت لهذا السرد القوة الكافية ليؤثر في شبكات الكيان الصهيوني، لكن يمكن لهذا السرد أن يخفت

- الضحايا الإسرائيليون: التركيز على الخسائر والمعاناة التي تعرض لها الإسرائيليون.
- إرهاب حماس: يُصوّر كالفعل العنيف المُحفّز الذي يُشكّل أساس السرد.
- حق "إسرائيل" في الدفاع: عقدة تبريرية تربط بين فعل الإرهاب والإجراءات الدفاعية.
- العمليات العسكرية الإسرائيلية: تبرز الردود التي توصف بأنها عمليات استراتيجية عسكرية.
- الرهائن: تسليط الضوء على حالات الاحتجاز كعنصر إضافي يعمّق الأزمة.

هذا الإطار لكلا القناتين سرعان ما تغير بعد أن استمرت "إسرائيل" في العدوان والقتل والتفجير، ورغم المحاولات لاستبقاء السرد الغربي إلا أنه كان من الواضح غير قادرة على تقديم تفسير واضح للأحداث، وإدماج المشاهد في تفسيره، والتأثير عليه عاطفياً، لذا سرعان ما حاولت "إسرائيل" أن تبرز أعمالها بمبررات تتعلق بوحشية الفلسطينيين

✓
لوحة من معسكرات النازية
بما في ذلك أوشفيتز / ليو
هاس (1901-1983)، رسام
تشيكوي.



صحيفة نيويورك تايمز لأول مرة بعدد يتضمن تقريراً واحداً فقط وهو تقرير جون هيرسي. تشير الدراسة التي أعدها الباحثة إيزابيل والصادرة في كتاب بعنوان (الدماغ تحت تأثير الأخبار) إلى أن التفاصيل الدقيقة والسياقات المتنوعة وأشكال المعاناة المختلفة إضافة إلى تجارب النجاة اليومية، تؤثر جميعها بشكل كبير على الأفراد. يستعرض الكتاب أثر نوعي الصحافة على القارئ كما ورد في مقدمة هذه الورقة، وهذا يبين كذلك تأثير السرد الصهيوني من خلال توظيف الخيال في التأثير الإعلامي؛ وقد توصلت الباحثة إلى نتائج مماثلة تؤكد هذا التأثير ضمن السياق الصحفي. تحتّم الباحثة دراستها بقولها:

“إن استحضار المهمة المدنية للصحافة، يجدر بنا أن نورد هنا الإشارة حكمة هيراقليطس عندما يقول لنا إن تغييراً طفيفاً في موازين القوى لديه القدرة على تغيير كل شيء. إذا كان “الأمل في تغيير العالم دائماً صائباً” بالفعل فلن تموت الصحافة أبداً. وبالأخص الصحافة المتعمقة (بتصرف) (Nery, 2024).”

منصات السرد والتشبيك

السرد الذي يبقى هو السرد الذي يمكن أن تتنوع مصادره سواء من حيث الراوي وصفته وأيديولوجيته وانتمائه، أو من حيث طبيعة المنصة التي تنشر ذلك السرد، سواء كانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة. وكذلك الجهة التي يصدر عنها سواء كان حكومي أو من تيارات سياسية أو مجتمع مدني. تنوع المصادر في القضايا التي تشغل الرأي العام وتمثل تضامناً مشتركاً، هي التي يمكن مع الوقت أن تكون سرداً مستداماً. هذا ما رأيناه في تطور مثلاً فكرة دعم دولة الكيان، من خلال مجموعة من المنظمات والمجلات والروايات التي خلقت حياة متداخلة السرد يعزز شبكات الدعم، ودعم الشبكات يعزز قوة السرد.

هذا المجال يدخل فيما يعرف بدنيامية الشبكات، وأبرز من درس هذا الأمر بعناية هو دانيال سينتولا (Damon Centola) حين بين في كتبه وأبحاثه كيف يمكن لسرد ما أن ينتشر في وسائل التواصل الاجتماعي، فمن خلال وجود هذه الوسائل إذا توافرت هذه الشروط قد يصل السرد لعتبة التأثير. وهي النقطة التي يتحول يشيع فيها السرد وينتشر بين المجموع (Centola, 2021). هذا الانتشار

مع الزمن إذا لم تكن أدواته أكثر استدامة. هذا ما سنختم به هذه الورقة لذا سنضع ذلك في مخطط واضح يشمل مفاهيم وأدوات يمكن استخدامها لاستدامة هذا السرد وهي

١. الصحفي الأديب
٢. منصات السرد والتشبيك.
٣. كلمات مفتاحية قابلة للانتشار (العدوى).

الصحفي الأديب

الصحافة الأدبية والصحفي الأديب جزء من قصة السرد الذي يمكن أن يكون مؤثراً في العقل والقلب والمشاعر والذاكرة، والذي يمكن أن يستمر وينتشر بين المجتمعات، ودون أن نلج في قائمة

الحركة الصهيونية استخدمت التاريخ اليهودي بكل حيثياته، وجاءت النازية لتعطيها السردية التي مكنتها من إقناع المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بمشروعها بإنشاء دولة لليهود في فلسطين بكل رمزياتها الدينية وسياقاتها التاريخية

طويلة من التعريفات إلا أننا يمكن أن نتصور الصحافة الأدبية على أنها تلك التي تمتاز بخصائص واضحة، فهي لا تتجنب الحقيقة لكنها تعطي لنفسها الحق في وضع قصص من واقع الناس، فهي تعطي للقارئ القدرة على تتبع الحكاية والتعاطف مع أحداثها، فتير انتباهه وعواطفه وحكمته. الصحافة التي تهدف إلى إحداث تغيير في المجتمع تبرز من خلال قصصها التي تعكس سياقات أوسع وأعمق. يمكن لبعض القصص الصغيرة أن تقدم معلومات واضحة دون الاعتماد على الأساليب التقليدية كالهرم المقلوب. مثال على ذلك ما حدث بعد إسقاط القنبلة الذرية على مدينة هوريشيما في اليابان. تشير دراسة للباحثة إيزابيل نيري إلى اختلاف تأثير الصحافة التقليدية، التي تعتمد على سرد الزمان والمكان والسياق، مقارنة بالصحافة الأدبية. تناولت الدراسة مقالاً لجون هيرسي (١٩٩٣-١٩٩٣) حيث روى فيه قصص ستة ناجين من الكارثة: رجل دين، خياط، أرملة، جراح في الصليب الأحمر، ومالك عيادة خاصة. صدرت



العادي وهكذا يصبح سرداً مستداماً.

الرموز والمصطلحات

كل حواس الإنسان ترتبط بمشاعره وخياله وذاكرته، هذا ظاهر في كافة الدراسات الإدراكية المتعلقة بالسرد والذاكرة. لذا فإن المصطلحات المشبعة بالأحداث والمشاعر قد تكون أقدر على الانتشار، مثلاً كما رأينا في الحركة الصهيونية كانت المحرقة (Shoah) جزءاً أساسياً في السرد الصهيوني، مصطلحات كثيرة كالشر الأوسط مثلاً هو مصطلح يبعد هذه المنطقة عن مركزيتها رغم أنها كانت تمثل دائماً مركز العالم، لكن المصطلح نفسه يوحي بأنها شرق لمركز ما، في هذه الحرب كانت المصطلحات كما رأينا جزءاً من صراع السرديات، لكن كان هناك رموز وأحداث ارتبطت بأحداث غزة، صورة القيادي في حركة حماس يحيى السنوار وهو يقاوم ويجلس على كرسيه وسط ركام من الدمار حققت انتشاراً واسعاً، كما أن المنشورات على مختلف المنصات سرعان

للسرد ليس بالأمر السهل، فإن وجود سرديات أخرى بالتأكيد ستسعى لها الحركة الصهيونية، مع ضعف إمكانات الداعمين للقضية الفلسطينية سيكون أمراً صعباً.

أولاً سيسعى الكيان للبحث عن سردية جديدة، منها أن انتصار "إسرائيل" على حماس حاسم وأن هناك مرحلة جديدة في الشرق الأوسط الحالي من الإرهاب، هذه السردية قد تلقى أذاناً صاغية في العالم وفي المنطقة، وعندها يمارس الصهاينة نوع "النسيان" القسري للذاكرة العالمية، ليس بالضرورة بمنع النشر أو التضييق على الكتاب والرواة والمفكرين والقنوات والصحفيين وحسب، بل من خلال بناء سردية جديدة، وهذا له أمثلة حدثت بعد الربيع العربي فيما عرف بالثورة المضادة، وكذلك في الصين مع الإيفور.

استمرار شبكات السرد في تحويله لجزء من المدارك الطبيعية بين الناس، أو ما يعرف بالنقل الشفهي (Mouth's word)، يضمن تداخله مع الأدبيات والمقالات والأفكار وحديث الناس

2. Calabrese, S. (2023). Neuro-narratology: The neural secrets of narration. Peter Lang.
3. Conforti, Y. (2021). Zionist Utopias: Between Building a Future and Shaping a Past. *Australian Journal of Jewish Studies* Vol 34 (December 21), 34, 69-104.
4. Conforti, Y. (2024). Zionism and Jewish culture: A study in the origins of a national movement (J. Setbon, Trans.). Academic Studies Press.
5. Edelheit, A. J., & Edelheit, H. (2018). *History of Zionism: A handbook and dictionary*. Routledge.
6. Ernest Gellner, *Nations and Nationalism* (Oxford: Blackwell, 1983); John Breuilly, *Nationalism and the State* (Manchester: Manchester University Press, 1982); Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (London: Verso, 1998); Eric J. Hobsbawm and Terence Ranger, eds., *The Invention of Tradition* (New York: Cambridge University Press, 1983).
7. Fleisch, E. (2024). *Checkbook Zionism: Philanthropy and power in the Israel-Diaspora relationship*. Rutgers University Press, pp. 87.
8. Freedman Lawrence (2013), *History of Strategy*, Oxford.
9. Jones, M. D., McBeth, M. K., & Shanan, E. A. (2014). *The science of stories: Applications of the Narrative Policy Framework in public policy analysis*. Palgrave Macmillan.
10. Kindt, Tom. (Spring 1983) what is narratology? Müller, Hans Harald.
11. Laurell, C., & Söderman, S. (2018). Sports, storytelling, and social media: a review and conceptualisation. *International Journal of Sports Marketing*

ما استعادت مشهد إعدام المقاوم الليبي عمر المختار. وكيف أعدم وسقطت نظارته في فيلم من إخراج عباس العقاد.

مشهد الشيخ خالد نيهان وهو يحمل حفيدته ريم ويقول (هذه روح الروح) تناقل الملايين عبر العالم المشهد بكل شجون وتعاطف، ورغم القول أن مجلة التايم قد اختارته كرجل لشخصية العام ٢٠٢٣ إلا أن ذلك غير صحيح. صحيات الحرية لفلسطين انتشرت بشكل كبير في كثير من المظاهرات التي غمرت المعمورة، ونشرت صحيفة العربي حقت قصيدة "غزة غزة" انتشارا واسعا على مواقع التواصل الاجتماعي، وسط تفاعل كبير، خاصة وأنها تعكس جانباً من المأساة الإنسانية التي يواجهها الفلسطينيون في قطاع غزة.

هكذا نجد صور ومشاهد كثيرة ارتبطت في أذهان الملايين من الناس، كلها يمكن أن تكون جزءاً من مجاز تمثيلي لما يحدث في غزة. لذا فإن اختيار سردية خاصة ومميزة لما يحدث سيضمن لها الانتشار.

يجب تبني "لغة عالمية بسيطة ومباشرة" وتركيز على الإنسان "في السرد، مع الاستفادة من الممارسات الناجحة التي حققت تعاطفاً عالمياً تاريخياً

أولاً من ناحية إدراكية كل ما هو جديد قد يثير روابط عصبية جديدة، ثانياً كما رأينا مع الحركة الصهيونية أن ذلك يعطي لتلك المشاهد خصوصيتها التي ترتبط بالسرد عن القضية الفلسطينية وحدها دون غيرها. ثالثاً هو أن الخوارزميات التي تعمل بها وسائل التواصل الاجتماعي ستجعل هذه الكلمات المفتاحية جزءاً من البيانات التي تتكرر داخل المنظمات المختلفة للأترنت والذكاء الاصطناعي وهذا يضمن أتاحتها لكثير من المستخدمين عبر العالم وعلى مدى الزمان.

قائمة المصادر والمراجع

1. Ataria, Y. (2021). Levi's suicide as a scandal: In Primo Levi and Ka-Tzetnik (pp. 93-102). Springer.

of the psychedelic ayahuasca on the salience and default mode networks. *Journal of Psychopharmacology*, 34(6), 623-635.

١٩. رأفت، ر. (٢٠٢٠). النازيون العرب. دار الرواق للنشر والتوزيع.

20. Roth, P. (2004). *The plot against America*. Houghton Mifflin.

21. Schmid, Wolf. "Narratology." *Duet Greuyter, Narratology DuGreuyter*;2010.

22. Turner, Mark. **Literary Mind**. Oxford Univ.;1996.

23. Weder, F., Lemke, S., & Tungalat, A. (2019). (Re)storying Sustainability: The Use of Story Cubes in Narrative Inquiries to Understand Individual Perceptions of Sustainability. *Sustainability*, 11(19), 5264. ◀

and Sponsorship, 19(3), 338-349.

12. Lentin, R. (2000). *Israel and the daughters of the Shoah: Reoccupying the territories of silence*. Berghahn Books.

13. Mishra, P. (2025). *The world after Gaza: A history*. Penguin Group, pp.116.

14. Morgan, G. (2020). *Imagining the unimaginable: Speculative fiction and the Holocaust*. Bloomsbury Academic.

15. Musolff, A. (2016). *The Holocaust in the twenty first century*. Routledge.

16. Onega, Susana, Angel Jose, and Garcia Landa (1996) *Narratology: Introduction*. Routledge.

17. Owen Miller, (Spring 1983) Vol. 17, No. 2, *Narratology*, pp. 294-297.

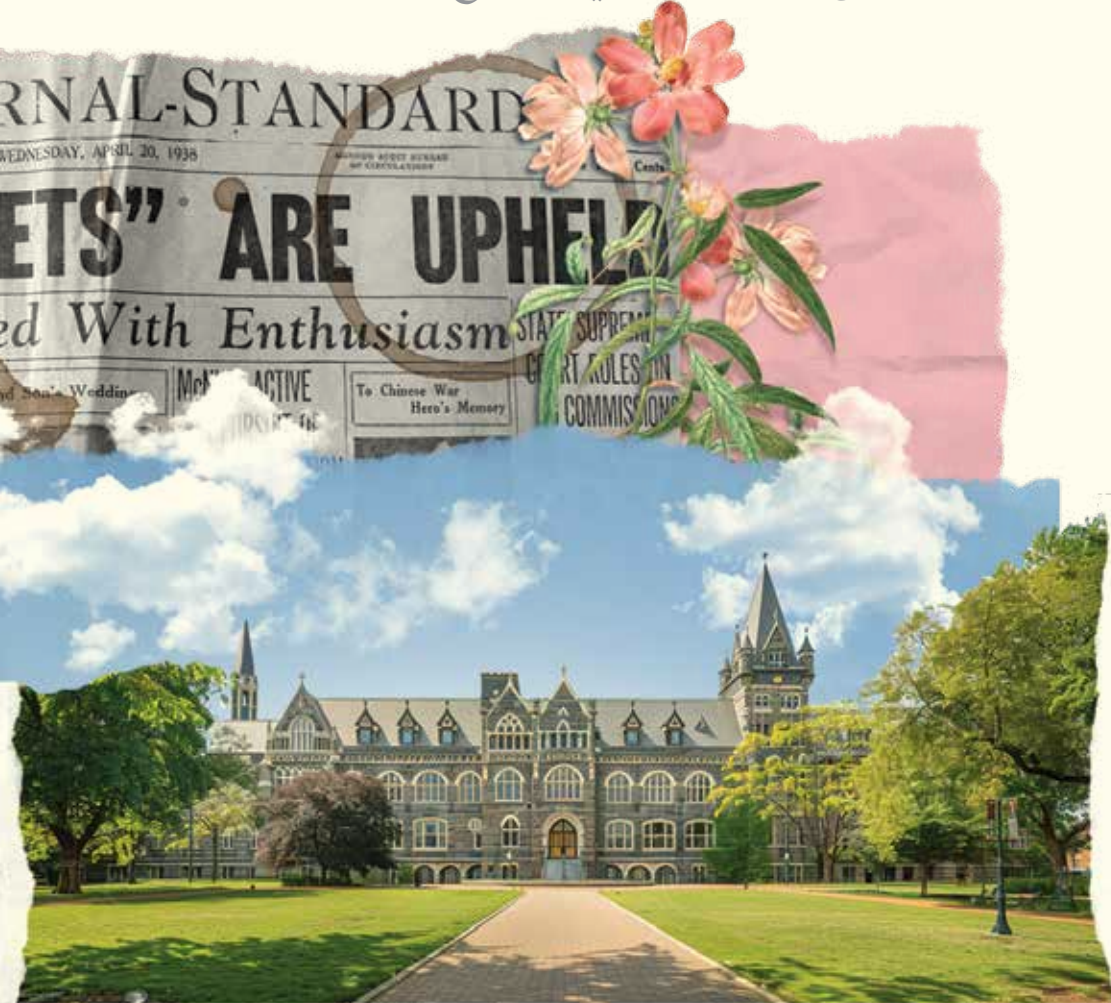
18. Pasquini, L., Araujo, D. B., & Palhano-Fontes, F. (2020). Subacute effects

✓
الشهيد خالد نبهان اشتهر في وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام بالصورة الشهيرة التي يحتضن فيها جثمان حفيده الشهيدة "ريم" ويخاطبها بجملة مؤثرة "روح الروح".



غزة تكشف زييف الحضارة الغربية

ما يحدث في غزة إبادة جماعية وصوت الفلسطينيين
سيبقى حتى يتحقق النصر: في حوار مع جون إسبوزيتو



المقدمة

يُقدم هذا الحوار نظرة تحليلية عميقة في واحدة من أعقد قضايا العصر، وهو الصراع "الإسرائيلي-الفلسطيني"، من منظور أكاديمي وفكري متميز. يستضيف الحوار البروفيسور جون إسبوزيتو، الأكاديمي البارز والمؤسس والمدير الفخري لمركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورجتاون الأمريكية. يُعرف البروفيسور إسبوزيتو بخبرته الواسعة في دراسات

الإسلام والعالم الإسلامي، ويُعد من الأصوات الرائدة التي تقدم تحليلات نقدية وموضوعية للقضايا الجيوسياسية والدينية في الشرق الأوسط. في هذا الجزء من الحوار، يتناول إسبوزيتو الأحداث الأخيرة المتعلقة بحرب غزة وما تلاها من تداعيات، ويقدم تقييمًا نقديًا للسياسات الغربية ودور الإعلام في تشكيل الرأي العام. تم إجراء هذا الحوار بإدارة وتقديم هادي اللواتي وهو باحث في الدراسات الإسلامية ومدير قناة حيرة.

الرؤى: حضرة الأستاذ أود أن أسألك عن الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني الذي مضى عليه ٧٥ سنة، سيما الآن حيث إننا نشاهد كل هذه القنابل التي ترمي بها "إسرائيل" على غزة، وكل هؤلاء الأبرياء الذين يموتون، وما شاكل. إذاً، بشكل عام كيف تحلل أو تنظر إلى هذا الصراع بين فلسطين و"إسرائيل"؟ لأن هذا له علاقة بالإعلام أيضًا. فهناك حالة من الرعب المهول والمأساة الشديدة، حيث تستخدم "إسرائيل" كل هذه التكنولوجيا والأسلحة، وتقصف هذه المجتمعات البشرية والأبنية، وتعمل على محو ذكرياتها وثقافتها وتاريخها. كأستاذ وشخص على اطلاع على العالم العربي والإسلامي، ما هو رأيك بما يجري؟ وماذا يمكنك أن تقول بشأن ذلك؟

ج. إسبوزيتو: نعم، أولاً هذا مهم وربما سوف أتحدث عن هذا الموضوع أكثر مما سنحت لي الفرصة لذلك في السابق. إن قتل المدنيين، أي من يقوم بمثل هذا الفعل، هو قطعاً على خطأ. فإذا كنا نتحدث عما حدث في السابع من تشرين الأول، وبالطبع بعض ما حدث هو خطأ تمامًا، وينبغي تسليط الضوء عليه. ولكن القضية هي أنك حين تتحدث عن الفلسطينيين، لديك أهل النكبة الذين تم إخراجهم من قراهم الخ.. لديك الاحتلال مبدئيًا وإيجاد دولة توسعية حين تذهب من الضفة الغربية إلى غزة. ولكن بنحو أو بآخر لسنا قادرين على تصور المسألة بما يكفي. الرئيس بايدن وبلينكن، أولاً الرئيس بايدن وبلينكن، لقد صوتت للرئيس بايدن، ولكن بايدن وبلينكن كانا فظيعان حين يأتي الأمر إلى السياسة العامة وإلى التعامل مع الشرق الأوسط. ولكن بالطبع، أولاً..



هناك عدد من تصريحاته، وهو ما كان ينبغي الالتفات إليه من الأساس. هو أنه من لم يكن يتحدث عن الفلسطينيين؛ لديك عدد معين من "الإسرائيليين" الذين إما تم قتلهم أو أسرهم، وفي المقابل لديك عدد هائل من الناس. ما يقارب الـ ١٥٠٠٠، وربما ما يقارب الـ ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ من الأطفال الذين تم ذبحهم دون وجود أي مبرر لذلك. فهذا ما نسميه بالإبادة الجماعية، وهذا شيء شجبهته الأمم المتحدة. وما حصل هو من نوع المشاكل المزمنة. الإنسان العادي يعلم القليل جداً عن الشرق الأوسط، ويعلم القليل جداً عن الإسلام، ولكن بالنسبة للكثير من الأمريكيين فإنهم يعلمون حول المسيحية واليهودية.

لديك عدد هائل من الناس، ما يقارب الـ ١٥٠٠٠، وربما ما يقارب الـ ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ من الأطفال الذين تم ذبحهم دون وجود أي مبرر لذلك. فهذا ما نسميه بالإبادة الجماعية، وهذا شيء شجبهته الأمم المتحدة

هذا كان يحصل دائماً في تجربتي. ليس لديهم أدنى فكرة عن التاريخ. من هم الفلسطينيون؟ خصوصاً الآن، هذه التصريحات التي سوف أستشهد بها، لقد تم التصريح بها سابقاً، ولكن يتم التصريح بها الآن بنحو أكبر، حيث يتحدث الناس وكأن هذه المساحة كلها التي يحكمها "الإسرائيليون" هم سكانها الحقيقيون الوحيدون، ولديهم الحق بهذه المنطقة. ونرى كيف أن الأمر قد وصل إلى أن يقوم المستوطنون بمهاجمة المسلمين ومحاولة الاستيلاء على منازلهم أو أرضهم. فنحن نعلم بأن تنبأه وحزب اليمين المتشدد الموجود في حكومته لديهم النية والاستعداد للاستمرار في هذا النهج، حيث يرون أنفسهم قادرين على القيام بعملية الإبادة هذه، وأثناء القيام بعملية القضاء على حماس، ستكون النتيجة قصف المستشفيات والمساجد والكنائس، وقتل آلاف الناس الذين أُنحِت عنهم. إذاً هناك تباين لا يُصدق بين أسر "الإسرائيليين" إلخ، ومرة أخرى، كما تعلمون، فأني نوع من العنف والقتل فهو مستبعد. يوجد تباين لا يصدق بين ذلك وبين العدد الهائل من آلاف

الأشخاص الذين لم يُقتلوا فحسب، بل هُجروا من منازلهم، للمرة الثانية وربما للمرة الثالثة في هذا الجيل، والذهاب إلى أين؟ كما نرى على البعض منهم أن يسيروا مئات الأميال، ويوجد الكثير من المسائل التي ترتبط بالطعام والشراب، ولكن للأسف ما تقوم به وسائل الإعلام، يوجد هناك قصص حول ما يجري هناك، ولكن إذا نظرت إلى النسبة، فإن النسبة ما زالت تأخذك في اتجاه واحد، فأنت لا ترى حتى أناساً مسؤولين، رؤساء جامعات إلخ.. البعض يمكن أن يتحدثوا، ولكن البعض الآخر حين يتحدثون فإنهم يتحدثون عن معاداة السامية، ولكن ليس عن الإسلاموفوبيا. وما الذي يعنيه ذلك فيما يتعلق بتجاهل الناس لذلك الدمار الذي يحدث في غزة؟ وينسون بالتأكيد أنه ربما كان ذلك عام ٢٠٠٦ وما إلى ذلك، أنه كان لديك انتخابات حيث فاز الحزب السياسي لحماس، وإدارة بوش على سبيل المثال، وقبل أن تقول إذا كانت ستوافق على النتيجة إذا ما فازت حماس فإنها لم توافق.. والبريطانيون أيضاً لم يوافقوا. واستمر الأمر في زمن حكم ترامب، حتى إن ترامب صنع منها مشكلة كبرى، بنقله للسفارة، وقوله بأنه سوف يوقف هجرة المسلمين، وتنفيذه لذلك محاولاً إقفالها، وتصريحاته بأنه سيقوم بذلك مرة أخرى، وقيامه بأشياء أخرى مماثلة. وإذا نظرت إلى أعضاء حكومته، كل هذه الأمور تثير هذه الأشياء التي نراها تحدث اليوم، وأعتقد أنه في نهاية المطاف، وللأسف، سيكون هناك المزيد من الأشخاص الذين سيُقتلون. ولكن أرى الأمر، بحسب توقعاتي وما أراه من خلال التقارير، أعتقد أن الناس ينسون أنه بالفعل يوجد الكثير من الفلسطينيين الذين يدعمون حماس كحركة سياسية، ويرونها بأنها الحركة الوحيدة التي تسير نحو الأمام. وأعتقد أن ما قام به بعض عناصر حماس، بعض ما قاموا به تم فهمه بشكل خاطئ، وأعتقد أن ما أرادوا أن يفعلوه، فيما يخص الطريقة التي نفذوا بها ما كانوا يقومون به، الشيء الذي استطاعوا أن يُنجزوه برأيي هو بشكل أساسي جعل العالم ملتفتاً أكثر.. ولذلك نحن نرى قادة في المجتمع الدولي، من الذي يعلم ما الذي سيفعلونه في النهاية؟ ولكنهم أصبحوا واعين، العديد منهم، لمسألة أنه عليهم أن يرفضوا الاحتلال، كان عليهم أن يقرّوا بأنه يجب أن يكون هناك دولة فلسطينية ولكن الوضع مأساوي.



تجمعت حشود كبيرة في
موقع استشهاد السيد حسن
نصرالله، تأكيداً للوفاء لنهج
المقاومة واستمرار مسيرتها
في مواجهة الاحتلال.

أن يكون منصفًا، بمجرد رؤيته لما يحدث، لا يستطيع القول بأن كلا الطرفين **مخطئين**. يوجد شيء فظيع يحدث في هذا الجانب، بينما الجانب المقابل لا يقوم بالشيء نفسه تجاهه... **ج. اسبوزيتو:** المسألة هي أنه لا يمكنك أن تبرر المذبحة التي تحصل والتي سوف تستمر، فإن حجم ذلك ومسألة أن معظم الذين قتلوا لم يكونوا أعضاء في حركة حماس. فالأغلبية الساحقة من الناس هم مجرد مواطنين أبرياء. أعتقد أن الشيء الوحيد الذي سأقوله، وكنت قد ذكرته سابقًا، لقد أشرت إلى أنه من ذا الذي يعلم ما الذي ستقوم به هذه الدول؟ إن عدد البلدان التي استنكرت هذا العنف المفرط الذي يحدث قد شكل ظاهرة. كما تعلم هناك مجموعة من البلدان قد سحبت سفاراتها أو قامت بتصريحات قوية تدعو بشكل أساسي إلى إيقاف إطلاق النار. هذه الدرجة من الانتقاد موجودة. ولكن السؤال هنا، حين نذهب إلى ما بعد هذه الفترة، كيف سيقاربون قضية الشرق الأوسط؟ هل سيكون لديهم تصور وإدراك قوي وحاجة للتحرك ودعم فكرة دولة فلسطينية؟

الرؤى: البعض قد يحللون ويقولون إذا قمت بالمقارنة، يقولون بأن ما حدث وما فرضته "إسرائيل" على غزة يساوي ضعف ما أحدثته القنابل النووية في هيروشيما وناكازاكي، فتخيل ما حدث! فكل هذه المأساة العظيمة التي تحدث، وكل هذه البلدان الأساسية في العالم الغربي وغيره من البلدان تراهم غارقين في صمت تام. ولكن أيضًا هم يدعمون الجانب "الإسرائيلي"، بمعظمهم. والنقطة الثانية هي أنه لا يوجد أي فرصة أخرى أمام الفلسطينيين للمطالبة بحقوقهم، أو بالحد الأدنى للمطالبة حتى بأبسط الحقوق التي يتطلعون إليها، بدل الاكتفاء بالصراخ وإراءة العالم شيئًا. لأنك حين تتحدث عن حماس بأنها قتلت ألف "إسرائيلي" أو ما شاكل، حين تقارن ذلك بما قامت به "إسرائيل" على مدى هذه العقود، وكل هذا الظلم وهؤلاء المساجين في "إسرائيل" وكل الأمور الأخرى، وأرضهم قد سلبت، فكل ذلك لا يشكل حتى ١٪ مما تقوم به "إسرائيل". فإذا أراد الشخص

أم أننا سنعود إلى الحالة حيث تتمتع "إسرائيل" بمكانة بارزة كما يُقال، حين يأتي الأمر إلى سياسة العديد من الدول تجاه الشرق الأوسط، بما في ذلك الولايات المتحدة. الولايات المتحدة حتمًا ولكن أيضًا بريطانيا وفرنسا وألمانيا...

الرؤى: إذاً إلى أين يتجه العالم بخصوص هذه القضية؟ لأن الفلسطينيين سيتعرضون لهذا النوع من الظلم والاضطهاد في كل مرة، وبعدها سوف نواجه حربًا مماثلة. أو حتى في وسائل الإعلام، لماذا حتى الإعلام الغربي لا يمكنه تغطية هذا الحدث من دون أي تحيز؟ كل هذا العالم الغربي الذي ينادي بالحرية وحرية التعبير وشرح الحقائق للناس، وحتى وسائل الإعلام الأكثر احترافية، لماذا حين يأتي الأمر إلى الأشياء التي تشبه ما يحدث في غزة، فإن جميعهم يقومون بإخفاء الحقيقة، ويصبحون داعمين لـ "الإسرائيليين"؟ فوسائل الإعلام أضحت وسائل إعلام سياسية، حيث

أثناء القيام بعملية القضاء على حماس، ستكون النتيجة قصف المستشفيات والمساجد والكنائس، وقتل آلاف الناس

تفرض سياسات الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على كل الناس، ومن الواضح أن وسائل التواصل الاجتماعي لا تخفي أي شيء، ولكن لماذا وسائل الإعلام الرسمية تتحيز لجانب واحد؟ لم يعد الأمر أنها تقوم بإخبار الناس بما يحدث، بل المسألة تدور أكثر حول إبلاغ الناس بالأشياء التي نريدها نحن أن تصل إليهم، حتى لو كانت محض كذب وأشياء من هذا القبيل. فلماذا نحن نواجه كل هذه المسائل؟ وهل من أمل في أن تتحسن الأمور على مستوى الصراع "الإسرائيلي" الفلسطيني أم لا؟ لأننا نلاحظ في كل مرة يحاول الفلسطيني أن يطالب بحقوقه، كان ذلك بطريقة إنسانية أو عن طريق المقاومة واستخدام السلاح وما شاكل، تقوم "إسرائيل"

بزيادة عملياتها ويحصل كما يحصل الآن، أو لا، هناك ثمة أمل حيث الناس والمجتمعات بدأت تعي أكثر ما يحدث، وربما في العقود القادمة سوف تتحسن الأوضاع إلى الأفضل، لأنه في عصر وسائل التواصل الاجتماعي لا يتم إخفاء شيء، والمجتمعات بدأت تتغير، وكما ذكرت هناك المزيد من المسلمين الذين يعيشون اليوم في الغرب بسبب أمثال هذه الأوضاع، فهل نأمل بأن يتحسن الوضع أم لا؟

ج. اسبوزيتو: بالطبع وسائل الإعلام من وجهة نظري كانت وما زالت متحيزة في مقارباتها، ويوجد دراسات حول ذلك، فيما يخص تغطية أحداث الشرق الأوسط، ولنقل فيما يتعلق بالإسلام بشكل خاص. بالنسبة لوسائل الإعلام وهي ليست مجرد وسائل إعلام، ولكن مفهوم: if it bleeds it leads (بمعنى أنه إذا كان هناك نقل لأخبار مروعة فإنها تجلب انتباه الناس)، وعلى المستوى العالمي، هذه هي الطريقة التي تعمل بها وسائل الإعلام. كانوا يتحدثون عن فلسطين و"إسرائيل"، أو عن الكوارث التي تقع هنا وهناك. نعم بإمكانني أن أقول أن وسائل الإعلام يمكن أن تكون متطرفة في نقل الخبر. ولكن يوجد عدد من وسائل الإعلام والقصص التي تتفلقها وسائل الإعلام، تتعامل مع الوقائع والحقائق. وأقصد بذلك أنها لا تقوم فقط بالتركيز على القتل وما شاكل، بل تكتب من الذي يقف وراء هذه الأحداث. المواقف التي يتم اتخاذها، والعودة إلى سياسة "إسرائيل" فيما يخص المناطق التي احتلتها، ومؤخرًا على سبيل المثال، الدرجة التي قامت فيها "إسرائيل" بفتح الضفة الغربية أمام الاستيطان، فأنا أعتقد أن كل هذا يتم تداوله الآن. لكنني أعتقد، وكما ذكرت سابقًا، أن هناك العديد من الدول التي تحدثت، ولأي سبب كان، ضد أعمال العنف المفرطة. كما تعلم يريد الناس دائمًا أن يقولوا: لا يمكنك أن تصدق دائمًا الشيء الذي تقوله حماس، إلخ... حسناً، بشكل عام أكثر فأكثر حين يأتي الحديث عن إحصاءات القتلى و... كان على بايدين أن يتراجع، والأمم المتحدة وغيرهم قالوا بشكل عام، إن نقاهم للأخبار دقيق. أعتقد أننا سوف نستمر في رؤية مثل هذه الأمور، إنه من غير الواضح كم ستتمادى "إسرائيل" في هذا الأمر، بالحد الأدنى بالنسبة لكل هذه التصريحات التي يطلقونها،

ومن ثم كانوا يستقيلون، إنهم أشبه بالطبيب الذي عمل على علاج لمرض. لكنه لم يستطع أبداً أن يجد ذلك العلاج. ولكنني كنت أعلم دائماً في حياتي بأن هذا سوف يتغير، وأذكر أنني كنت أتحدث إلى أحدهم، والذي كان عضواً مهماً في الإدارة الأمريكية السابقة قال أنه لديه الموقف نفسه، وهو كان دبلوماسياً دولياً. أنا الآن أقول لنفسني انظر إلى كل هذه السنوات التي مرت، في التسعينات بدا وكأن هناك شيئاً ما سوف يحصل، الآن تنظر إلى هذه الكارثة التي لا تصدق، فأنا لا أعلم. كنت قد ألقيت كلمة مؤخراً في إحدى المؤسسات، وكنت أنا من ألقى الكلمة الرئيسية فيها عند تأسيسها، لقد تم إنشاء هذه المؤسسة قبل ٢٠ سنة. إذاً ألقيت كلمة ولم أكن بالضرورة أركز على الشرق الأوسط، ولكن في نهاية الكلمة أثرت قضية فلسطين و"إسرائيل"، وقلت بالضبط ما قلته لك الآن. قلت لهم أنا على يقين أنه لو قمتم بدعوتي مرة أخرى بعد ٢٠ سنة من الآن، في الذكرى الـ ٤٠ لتأسيس المؤسسة، سيكون الأمر قد انتهى، سوف يكون عمري عندها ١٠٣

وكذلك بالنسبة لتتباهاو نفسه، عليه أن يستجيب لأعضاء حكومته، جناح اليمين، وإلا لن يتم انتخابه مرة أخرى، وأعتقد هذا ما سيحصل، أما بالنسبة له فهو سيقوم بما يريدون، وهو يحلم بأنه سيتمكن من أن يقلب الدفة تماماً فيما لو ظهر بمظهر البطل الذي استطاع القضاء على حماس وهذا ما يفسر الطريقة التي يتم فيها قصف المستشفيات إلخ، وعدد الضحايا. هناك روايات تنتشر تتحدث عن حصار غزة ينسأها الناس. أقصد أننا نحن أصبحنا في العقد الثاني، فما هي تداعيات هذا الحصار؟ فيما يتعلق بالأمراض، فيما يتعلق بالفقر إلخ؟ أعتقد أنه سيكون هناك تغطية أكبر ووعي أكثر، ولكن لا أعلم النتائج، يمكنني أن أقول لك ذلك... كنت أذكر هذا الأمر في محاضراتي العامة على مدى السنوات، حين حصلت على إجازتي، لم أكن مهتماً بالإسلام، ولكن حين حصلت على إجازتي، وحين جئت إلى قضية فلسطين و"إسرائيل"، موقفي كان أنني شعرت بالأسى تجاه خبراء الشرق الأوسط، الذين كانوا يعملون على قضية فلسطين و"إسرائيل" لعقود

✓
أحد أنصار ترامب يحمل
صليباً خلال التجمع الذي
أقيم في مبنى الكابيتول في
السادس من يناير عام ٢٠٢١.





سنوات! ولكن سوف أكون ما زلت على قيد الحياة، حتى أتأكد من أن هذا قد حصل. هذا هو وضع قضية فلسطين و"إسرائيل" وتاريخها. أعتقد أنه شبه مستحيل للشخص الذي يأتي إلى هذه القضية منذ البداية، ويكون قادرًا على تقدير ما هي الحقائق التي كانت موجودة في ذاك التاريخ.

أما من ناحية السياسة المعتمدة إلخ... وهذه التغطية المتطرفة. هناك الآلاف من الفلسطينيين قُتلوا، ومع ذلك حين تأتي تقارير وسائل الإعلام، تأتي لتتنقل هذه النسبة بأن هناك ٢٥، ٥٠ ويمكن أن تزيد ذلك قليلًا، من "الإسرائيليين" الذين ماتوا بطريقة مروعة في هذه المواجهة، ولكن في المقابل، حين ننظر ما الذي حدث في فلسطين، وأنواع القصف وكل ما حدث خلال هذه الفترة، نجد أن النسبة بعيدة جدًا عن المنطق ويبدو أن هناك نوعًا من عدم التوازن. يوجد شيء حول التاريخ الماضي وكيف يؤثر في مواقف الناس. أعتقد أن الأشياء بدأت تتغير في أمريكا، ولكن ما زال هناك بعض المشاكل. أذكر أنني تحدثت مرة مع عضو في الكونغرس، وقال أنه يجب أن نتحدث علنًا وعلى الملأ كثيرًا. وأحيانًا كان هناك أشخاص في مجلس الشيوخ، وكان لديهم سجلات مثبتة، جعلتهم يعتمدون سياسة معينة تجاه "إسرائيل"، لم تعجب البعض، وخسروا منصبهم. ولكن يمكن لشخص أن يصرح بشيء ما، ويدخل إلى المصعد هو وزملاؤه، وما إن يُغلق باب المصعد، حتى يقول العديد من بينهم: أتمنى لو أستطيع أن أصرح بذلك، ولكن

من المشروع القول بأن "إسرائيل" هي دولة
عنصرية، ومن المشروع القول بأن "إسرائيل" اليوم
تقوم بعملية إبادة جماعية

✓ جلس وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن أمام لجنة
في الكونغرس، حيث واجه انتقادات من الجمهوريين
والديمقراطيين حول سياسة واشنطن تجاه إسرائيل والإبادة
في غزة، بينما قاطعه محتجون غاضبون باتهامات حادة.



لو فعلت ربما لن تتم إعادة انتخابي. إذا المسألة متجذرة جداً في مجتمعتنا. وهذا الجهل المعرفي على ما أعتقد، قد بدأ يتغير بشكل ملحوظ، لأنه يوجد لدينا الآن، ومرة أخرى بخلاف الوقت الذي دخلت فيه هذا المجال، حيث لم يكن هناك عدد كبير من الناس، حصلوا على تدريب أو كانوا على اطلاع على الشرق الأوسط في تعليمهم، أو حتى آنذاك على مستوى الإعلام، وبعدها حين دخلت وسائل الإعلام على الخط، خذ على سبيل المثال النيويورك تايمز، حيث كان هناك حادثة مؤخراً، حيث قامت إحدى الكاتبات التي حصلت على جائزة بوليتزر بالكتابة لهم، وقبلت الجائزة، لتقول بعدها بأنها لن تكتب لهم مرة ثانية، وضمن الأشياء التي كتبتها، ذكرت إلى أي مدى أحياناً هم يساوون بين صحفييهم العرب والآخرين، فهذا أمر متجذر وعميق. وبالنسبة للسياسيين في العديد من الدول، فإن هذا الأمر يعد عميقاً ومتجذراً.

حين يتحدث الناس عن "الاستعمار الجديد"، يتضح أنه ليس مجرد حديث عن الماضي، بل عن استمرار الذهنية الاستعمارية ذاتها سياسياً واقتصادياً حتى الآن

الرؤى: مفيد جداً. حضرة البروفسور ما الذي تتمناه أنت شخصياً فيما يخص شعب فلسطين وغزة؟ كيف تتمنى أن يكون مستقبلهم؟

ج. اسبوزيتو: يمكن أن أقول هو أن أحلم حلمًا مستحيلًا، وهو أن أرى ما أتمنى أن أراه في وقت قريب، يمكن للمرء أن يحلم بأن يكون ممكنًا، خصوصًا إذا ما توقف "الإسرائيليون" عن القيام بما يقومون به، وما يقومون به هو أمر فظيع. ولكن إذا عادوا إلى القصف إلخ.. سوف يكون هناك وضع حيث سيكون هناك رد فعل أكبر، على المستويين العالمي والمحلي. نحن نرى ذلك على صعيد المنظمات الكبرى، لا المنظمات الإنسانية فحسب، ولكن كما ذكرت آنفًا، فإن الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات يعلنون

ذلك، ولكن أيضًا يوجد تظاهرات في بعض العواصم، يمكنك أن تنظر إلى التظاهرات التي حدثت في لندن وواشنطن إلخ.. وأعداد الناس التي شاركت كانت مذهلة. عامل آخر له تأثير في الولايات المتحدة، لديك مجموعة مثل "أصوات اليهود الداعية للسلام"، وهؤلاء يهود ملتزمون برأي أن يكون هناك دولة "إسرائيلية"، ولكنهم أيضًا ملتزمون تجاه حقوق الفلسطينيين، تجاه أن يكون هناك دولة فلسطينية، أو تجاه إعطاء الفلسطينيين كامل حقوقهم إلخ.. وهم يعلنون عن موقفهم ويتم نقدهم، من قبل مؤسسات ومنظمات يهودية أمريكية. ويوجد هناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي يتم القيام بها، بحيث إن هناك الكثير من اليهود الأمريكيين من الجيل الشاب، العديد منهم، حين تأتي المسألة إلى قضية "إسرائيل" وفلسطين، فإنهم ينادون أكثر فأكثر بأنفسهم ليس فقط عن السياسات ولكن يوجد متحدث جماهيري مميز وهو بيتر بينارتر، والذي تطور عبر السنوات إلى أن وصل إلى هذه النقطة، حيث أصبح جريئاً في نقد واستنكار السياسة "الإسرائيلية" حتى قبل هذا الوقت. كما يوجد عدد لا بأس به من استطلاعات الرأي للأمريكيين اليهود، الذين ليسوا ملتزمين بشكل استثنائي تجاه "إسرائيل" ويوجد عدد مهم منهم، وهناك كثيرون قلقون بشأن ذلك. وهذا ما يجعل بعض المجموعات اليهودية الأمريكية تتهم أشخاصاً مثل "أصوات اليهود الداعين للسلام" وحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)، بأنهم يهود غير صالحين، وبأنهم انحرفوا إلخ.. لذا، فأنا أعتقد أنه سيكون هناك حركة، ولكن كم سيكون حجم هذه الحركة من الصعب التكهّن، ولكنني على يقين بأنه سيكون مثل هذه الحركة. الآن لا أعتقد أنها ستكون مماثلة، ولكن إذا أخذت حالة مماثلة وهي ما حصل في جنوب إفريقيا، فكر بكل تلك السنوات التي قضاها منديلا في السجن، فكر بكل أولئك الناس الذين قتلوا، وفي مرحلة من المراحل حصل شيء ما وبدأت تلك الحركة، وأعتقد أن ما يحصل هو ما دون الصفر. إنه وضع فظيع جداً، ولكن أعتقد أنه سيخرج من هذا الوضع الفظيع عدد يُعتد به من الناس، كانوا أناس في الحكومة أو مواطنين إلخ، وسيُدركون أكثر فأكثر ما الذي ينبغي أن يحصل وما الذي يحصل.

مصادقية وصراحة. لقد شاركت هنا في عدد من الحوارات لصحافيين "إسرائيليين"، أو إذا أردت صحافيين يهود، والذين كان موقفهم تجاه "إسرائيل" وتجاه ما يحدث حالياً، ولكن أيضاً تجاه ما يحدث على المدى الطويل بشأن دولة فلسطين، وبشأن الحقوق السياسية والمدنية للفلسطينيين إلخ.. يوجد عدد يُعتد به قد أدرك وأقر بأن هذا يجب أن يحصل، وأنه من المشروع القول بأن "إسرائيل" هي دولة عنصرية، ومن المشروع القول بأن "إسرائيل" اليوم تقوم بعملية إبادة جماعية، هذه هي الحقيقة، فهذا يوصف الواقع.

الرؤى: نلاحظ أنه في الخمس أو الست سنوات الأخيرة أن هناك العديد من "الإسرائيليين" بدأوا يوجهون هجمات مباشرة على العلماء الإيرانيين، فعلى سبيل المثال يوجد ٣ متخصصين في البرنامج النووي تم قتلهم على يد "إسرائيل"، وكان هناك عالم فيزياء على ما أظن وكان يُدعى فخري زاده.

منظر عام للمفاعل الرئيسية
في محطة بوشهر النووية، على
بعد ١٢٠٠ كيلومتر جنوب
طهران، في ٢١ أغسطس ٢٠١٠ /
رويترز

الرؤى: من الواضح أن كل المعارضين الذين كانت لهم أهداف واضحة والذين أصروا على أن يصبروا ويصلوا إلى أهدافهم، ولحقوا أهدافهم وطموحاتهم بشكل جدي وعملوا على تحقيق أهدافهم، فإنهم عاجلاً أم آجلاً سيصلون إلى حقوقهم، حتى لو تطلب الأمر عقداً كاملاً كما ذكرت في إفريقيا أو غيرها من البلاد كجنوب لبنان، حيث يمكننا أن نرى أيضاً أن اللبنانيين استطاعوا أن يحرروا أرضهم من الاحتلال "الإسرائيلي". إذا، نأمل أن يسعوا وراء تحقيق أهدافهم ويحققوها عاجلاً أم آجلاً.

ج. اسبوزيتو: أعتقد ذلك، وأعتقد أن كل "الإسرائيليين" سيكونون يقيماً مهتمين بما حصل في "إسرائيل"، فهناك عدد كبير من "الإسرائيليين" ينتقدون ما يجري، ينتقدون الحكومة، ونحن نراهم. أقصد نرى بعض الصحافيين الذين يتمتعون بحس المسؤولية يكتبون ولديهم ردات فعل سلبية وقوية تجاه ما يجري، ولكنهم يكتبون بكل



وبعدها... إذا فإننا نرى كل مدة أن "إسرائيل" من خلال القيام بحرق أممي محترف فإنها تقوم بالقضاء على أحد العلماء الإيرانيين في مختلف المجالات، ولكن لا نرى هذا الشيء نفسه يحدث من جهة الإيرانيين، لذا فإن "إسرائيل" تشعر بأن إيران تشكل تهديداً كبيراً لوجودها أيضاً، وهذا ما يفاقم المشكلة لأنه حين يأتي الأمر لذلك فإنها تأخذ جانب اليمين المتطرف.

ج. اسبوزيتو: نعم، أنا أعتقد أن الحكومة الإسرائيلية تلعب هذه الورقة، وكذلك فإن جميع الحكومات المتعاقبة قامت بذلك، ولكن بشكل خاص حكومة نتانياهيو. فهذا مسبوق بتاريخ بحيث

نشأت دول كثيرة يلتزم معظم افراد شعوبها بالدين، لكن سياسات حكوماتها كانت بعيدة عن القيم الدينية. والسؤال الاساس هنا هو: الى اي مدى يمكن ان تلعب حقوق الانسان دورا في السياسة؟

أصبح الحديث بهذا الشكل مقبولا، أترى؟ ولكن فكر في "إسرائيل"... حين ترى إلى أي مدى وصلت هذه الفكرة برمتها، فكرة جمع عدد من الحكومات العربية والمسلمة و"إسرائيل" تحت اتفاق أبراهام، على المرء أن ينظر إلى هذه المسألة عن كثب. فأعتقد أن هناك أجندة سياسية واضحة جداً، إنها أجندة سياسية استغلها "الإسرائيليون" واستفادوا منها، وأعتقد أنه في الولايات المتحدة أيضاً... إنها أجندة سياسية كانت واضحة جداً في إدارة ترامب، ورؤية سياسية وللأسف شوهدت أيضاً بقوة في إدارة بايدن - بلينكن، سواء كانت هذه هي طريقة السياسة التي يتعاملون بها مع إيران. ولكن أيضاً وبشكل عام فإن الطريقة التي يقاربون بها قضية الشرق الأوسط، ونوع التحالفات الموجودة لديهم، الطريقة التي يقاربون بها قضية "إسرائيل". أعتقد أنه مر زمن طويل حتى أدرك بايدن سياسياً، إذا لم يكن لسبب آخر، أن عليه أن يبدأ بالحديث عن الفلسطينيين. وكما تعلم لأن هذا لم يكن يحدث، وبعدها وفي أغلب الأحيان حين كانوا يريدون قول أي شيء، فإنهم كانوا دائماً يعطون الامتياز

لـ"الإسرائيليين" وليس للفلسطينيين. إذاً كما كنت قد ذكرت فإنه في تصريحاته الأولى لم يكن يأتي أبداً على ذكر الفلسطينيين، وحين ألقى كلمة مطولة بشأن عدد الناس الذين قتلوا في "إسرائيل" على أيدي حركة حماس إلخ.. لم يكن ليتحدث عما يجري للفلسطينيين. ولكن لدينا المشكلة نفسها في الولايات المتحدة أيضاً، إذا تابعتم أخبار الولايات المتحدة الآن في العديد من الجامعات، لديك هناك رداً فعل في الحرم الجامعي من قبل الشباب، المهتمين بما يجري في فلسطين و"إسرائيل"، ولكن لديك حالات حيث إن هناك رؤساء حتى الجامعات المرموقة، يقومون بحظر بعض الفلسطينيين، لنقل المجموعة الشابة المتواجدة في حرم الجامعة. إذا هذه مشكلة، نحن نحضر تاريخنا إلى هذه القضية بشكل كبير، إذاً، على سبيل المثال يمكنك أن تأخذ مجموعة يمكن أن تمثل الأمريكيين ويمكن أن تجد أناساً يعارضوني مئة بالمئة، إلى درجة تدهشك أحياناً، أنواع الرسائل الإلكترونية التي كانت تصلني وما زالت من الناس بطرق متنوعة، أنواع الأسئلة التي يطرحونها، أو أحياناً أنواع التهديدات التي يعبرون عنها، ليس فقط لي، بل للكثير من الأشخاص الآخرين. لقد أصبحت الآن فلسطين و"إسرائيل"، قضية صعبة جداً ومسيسة، تصل إلى حكومات الدول، وكيف يتحدث قادة الحكومات، ولنقل رؤساء الدول، وكذلك كيف تستجيب مجالسهم التشريعية، أو الكونغرس لدينا في نهاية المطاف. ومرة أخرى، فإنك ترى ذلك في مجتمعنا، من خلال الأعداد الكبيرة المشاركة، التي حتى حين يحاولون منعها، فإنك تجد نفسك أمام هذه الأعداد الهائلة من الناس، الذين يخرجون إلى الشوارع من أجل التنديد بـ"إسرائيل" والدعوة إلى السلام، وليس هذا فحسب، بل الدعوة إلى إقامة دولة فلسطينية في نهاية المطاف. لذا فإنني أعتقد أنه يوجد هناك نوع من الحركة، وهذا الوضع المروع، الذي هو بالنسبة لـ"الإسرائيليين" كان مروّعاً، ولعدد هائل من الفلسطينيين كان مروّعاً، أكره أن أعبر عن ذلك بهذا النحو، ولكن يمكن أن يكون ذلك قد خلق تياراً جديداً من الناس الذين ينظرون إلى قضية "إسرائيل" وفلسطين بمنظار آخر، لقد أصبحوا واعين حقيقة إلى الدمار الحاصل، ولكيفية تفسير ذلك، حين يقول "الإسرائيليون" نحن حذرون جداً أين نقصف، وقد قمتم بقتل ١٥٠٠٠ شخصاً،



تظاهرات الطلاب في
ساحة الجامعة للدفاع
عن فلسطين/ جامعة
هارفارد

إلى شجرة عائلتهم، فإنها المرة الثانية أو الثالثة التي يتم إخراجهم فيها من مناطقهم، وكان عليهم أن يبدأوا من نقطة الصفر من جديد. هل سيقوم المجتمع الدولي بالاستجابة لهذا بشكل واسع على المستوى الاقتصادي؟ أشك في ذلك. أعتقد أنه سيكون هناك استجابة، وأعتقد أنه يوجد هناك أناس بدأوا يتحركون في هذا المجال، ولكن حجم هذه الاستجابة... على سبيل المثال جنوب إفريقيا لم تكن تتمتع بهذا الوعي تجاه الغرب، لقد وجدت دولة الفصل العنصري على امتداد جزء كبير من تاريخ الولايات المتحدة وأوروبا، ولاحقاً فقط، في الحقيقة، وإذا كنت أذكر ذلك بشكل صحيح، بعد أن تم تحرير مانديلا من السجن، ولاحقاً بعد أن تم انتخاب مانديلا رئيساً للجمهورية، كان عليهم من جهتنا، في الولايات المتحدة أن يتحركوا بسرعة، لأنه كان على لائحة الإرهاب، ويوجد لديك عملية كاملة وطويلة لتزيل اسمه عن تلك اللائحة، إذا أعتقد أنه سيكون هناك نور في نهاية هذا النفق، ولكن في المقابل، في هذا النفق، يمكن أن يكون هناك قطار يتجه صوبنا مرة أخرى.

فما الذين تعنيه كلمة حذرون هنا؟ ولقد قاموا على سبيل المثال ومن الواضح بقتل عدد من الشخصيات البارزة، ولكنني أذكر أن كان هناك وقت آخر، حيث كان قد حدث هذا النوع من الصراع في الماضي، كان هناك عالم أو صحافي علق قائلاً: يجب أن تكون حماس منظمة مؤلفة من أناس يجب أن يكونوا على رأس المنظمة، بمعنى آخر، أنه في كل مرة كان يتم قتل شخص ما، قائد آخر من قادة حماس كان يُقتل، لا عضو في حركة حماس كان يُقتل، بل قائد من قادتها. ولكن أعتقد أنه سينبثق مما يجري، أعتقد أنه سينبثق شيئاً جيداً، ولكن هذا الشيء الجيد لن يصيب العديد من الفلسطينيين، إن كان بلحاظ ما مروا به أو ما عليهم أن يمروا به في المستقبل، وما قام به "الإسرائيليون"... ولكن إذا ما كانوا قد حققوا هدفهم أو متى سيقربون بأنهم فعلوا، وكيف سينتهون في معاملة هذه المنطقة والفلسطينيين، فهذا لن يمكنك من تصحيح أو دفع ثمن ما فعلوه بالفلسطينيين. هذا لو تناسينا أنه بالنسبة للكثيرين الموجودين في غزة، فهذا الآن.. إذا نظرت

كتابه. وكان كتابه بعنوان ما الخطأ الذي حصل؟ بينما كان كتابي التهديد الإسلامي. قلت لاحقاً في مقابلة تلفزيونية إن "الخطأ الحقيقي" هو فكر برنارد لويس نفسه، لا ما قاله الآخرون. أذكر أنه قال آنذاك إنه إذا لم نجد أسلحة دمار شامل في العراق، فيمكننا أن نتدخل هناك باسم "نشر الديمقراطية". وهذه الفكرة سرعان ما وجدت طريقها إلى إدارة بوش، وتأثر بها نائب الرئيس تشيني.

برأيي، علينا أن نتجاوز هذه العقليات، وأن نكون أكثر واقعية في فهم ما جرى من أخطاء. فعندما نصل إلى "الربيع العربي"، نرى أن بعض الحكومات العربية دعمت انقلابات ضد حكومات منتخبة ديمقراطياً، فقط لأنها "إسلامية". ومهما كانت أخطاء الرئيس مرسي أو سياساته، لا يمكن تبرير ما جرى بعد ذلك؛ عشرات الآلاف في السجون، وأحكام بالإعدام، وآلاف في المنفى بلا جنسية.

نحن ما زلنا نعيش آثار تلك السياسات حتى اليوم. وفي الأوساط الأكاديمية، حين يتحدث الناس عن "الاستعمار الجديد"، يتضح أنه ليس مجرد حديث عن الماضي، بل عن استمرار الذهنية الاستعمارية ذاتها سياسياً واقتصادياً حتى الآن.

الرؤى: فلا يوجد شيء اسمه إنسانية، أو أخلاق، أو فضائل أو قانون دولي حين يأتي الأمر إلى الحداثة وإلى سياسات الغرب، الذين يتحكمون بالشرق الأوسط. ومن المؤسف جداً أيضاً أن أغلب الحكومات العربية، ليسمو مستقلين في قراراتهم على صعيد السياسة، لا يستطيعون فعل أي شيء، تشعر بأنهم مجرد سفراء للولايات المتحدة الأمريكية في بلادهم، حيث لا يمكنهم فعل أي شيء، كما لا يمكنهم قول أي شيء فيما يخص قضية فلسطين، أو غيرها من القضايا الاستراتيجية. ج. اسبوزيتو: نعم، أعتقد أننا أغفلنا مسألة مهمة، وهي أنه في العديد من الدول، تبدو ظاهرياً دولاً حديثة ومتقدمة، إلخ... ولكن إذا نظرنا بعمق، نرى أن ما يفتقده الناس فعلياً هو الحقوق السياسية. عدم وجود حقوق سياسية يعني أنك تعمل وتعيش في بلد يسير فيه كل شيء على ما يرام ما دمت لا تواجه مشكلات، ولكن، إذا حصل - لأي سبب من الأسباب - أن هناك شخصاً لا يحبك، فسيكون مصيرك أن ترمى خارجاً.

الرؤى: إنه وضع مؤسف للغاية بالنسبة لشعب فلسطين. هذا مثير للاهتمام جداً. ولكن اسمح لي فقط أن أطرح عدة مسائل هنا. لأننا نحن معك اليوم ولن تكون لدينا هذه الفرصة كل يوم. كيف نظرت إلى حادثة اغتيال سليمان التي وقعت منذ ثلاث سنوات؟ كانت هذه قضية كبرى بالنسبة للإيرانيين أنفسهم، ولكن كان لها تداعيات أيضاً في العالم العربي والعالم الإسلامي، على أناس كانوا أو شعروا بأن هذا كان قراراً خاطئاً جداً من قبل ترامب، التسرع في اتخاذ القرار تجاه هذه القضية.

ج. اسبوزيتو: أعتقد أن القرار كان سطحيًا وعبثيًا. فيفض النظر عن شخصية سليمان وما فعله، فإن "الإسرائيليين" استخدموا هذا الأسلوب مراراً، أي الاغتيال كوسيلة في دول أخرى. لكن هذا النوع من الأفعال لا يحقق شيئاً فعلياً. الناس - سواء كانوا إيرانيين أم لا، مؤيدين لدولتهم أم لا - سيفهمون الرسالة على النحو التالي: في كل مرة تشعر فيها "إسرائيل" بالحاجة إلى التحرك، ترسل من ينفذ

قد قرأت وثيقة كتبها أحد المؤيدين قال فيها في مطلعها: "نعلم أن لدى دونالد ترامب مشاكل كثيرة في حياته الشخصية... لكن الله يعمل بطرق غامضة، ونحن نؤمن بأن مواقفه من بعض القضايا هي مكمل لإرادة الله، ولذلك ندعمه"

عملية اغتيال كهذه. وهذا يذكرنا بالمشكلة نفسها في السياسة الأمريكية، حين نحاول تبرير غزو العراق والبقاء فيه طويلاً. عندما تلجأ إلى مثل هذه السياسات التي تنتهي بقتل الناس، ماذا تتوقع؟ الجهة المقابلة ستزد، ثم يُوسم ردها دولياً بالإرهاب. لكن هل يُعد قتل الإرهابيين عملاً غير إرهابي بالضرورة؟ هنا تكمن المفارقة. من المدهش أنه في هذا العصر الحديث، ما زالت دول تفعل ما تشاء بلا محاسبة؛ فإذا ارتكبت "إسرائيل" هذه الأفعال لا توصف بأنها "دولة شريرة"، أما إذا فعلت ذلك دولة أخرى تُدان فوراً.

أذكر أنني شاركت في منتدى عام مع برنارد لويس في نيويورك. كان من المفترض أن يتحدث كل منا عن

يتجاهلون تلك الحقائق. يتم قبول كل شيء كما هو، من دون تدقيق أو مساءلة. لكن لو نظرنا عن كثب، لوجدنا أنَّ في بعض هذه الدول لا تزال هناك مشكلة حقيقية: فلا يمكنك أن تُنشئ حزبًا سياسيًا، وفي بعضها لا يُسمح إطلاقًا بوجود حزب سياسي إسلامي، أو حتى بتقديم خدمات اجتماعية تُدار من قِبَل منظمة إسلامية.

الرؤى: حضرة البروفيسور، فلسفيًا، هل تعتقد أن لهذا الأمر علاقة بفلسفة الحداثة التي تؤمن في القضاء على أو بغياب الأخلاق والمعنويات والفضائل أو بعض القيم المقدسة التي تحكم.. أو هي موجودة في الحياة أو المجتمعات الإنسانية؟ حيث نجد أن كل هذه الحكومات رأسمالية، والفلسفة التي يؤمنون بها والتي يتحكمون على أساسها بالشرق الأوسط ناشئة من فلسفة الحداثة تلك التي تهمل دور الأخلاق والقيم والمعنويات وما نشاهده في الشرق الأوسط بشكل واضح.

أذكر أحد طلابي السابقين من جامعة أخرى، والذي تمَّ ضمُّه إلى وزارة الداخلية في إحدى الحكومات العربية. في الولايات المتحدة، وزارة الداخلية تعني الجهة المسؤولة عن الشؤون الداخلية للبلاد، مثل حماية البيئة والغابات وما إلى ذلك. لكن عندما هبطنا في بلده، وبينما كنا نمزَّ بأحد الأمكن، قال لي مشيرًا: "وهذه وزارتنا الداخلية"، ثم صمت قليلًا وأضاف: "وسأكون متوترًا جدًا إن لم تتم دعوتي إلى هناك". كانت ردَّة فعله الأولى أن أفكر بعقلية أمريكية: ماذا يقصد بـ "الداخلية"؟ وما الذي يجعله متوترًا؟ وأعتقد أنَّ هذا ما زال أمرًا لا يُلفت إليه في كثير من الدول التي تبدو حديثة جدًا من الخارج، لكنها حين يتعلق الأمر بالسياسات الداخلية، تكشف أن الحداثة شكلية. يمكن أن تتمتع هذه الدول بمظاهر الحداثة في التكنولوجيا والعمران، ولكن لا يمكنك أن تُسأل السلطة، ولا أي شخص يقع ضمن سلسلة السلطة. وأرى أن هذا غالبًا ما يمرُّ دون أن يُلاحظ، لأنَّ العلاقات الطويلة الأمد بين الدول تجعل كثيرين

متظاهرة ترفع الشعارات
خلال تجمع بمناسبة ذكرى
حرب غزة خارج السفارة
الأمريكية في جاكارتا.
١٧ أكتوبر ٢٠٢٥
● المصور: أحمد إبراهيم



من الانجيليين مثلاً يدعمون شخصاً كدونالد ترامب، رغم تناقضاته الاخلاقية الواضحة. هنا يقول البعض، وأنا منهم: ليس هذا هو الدور الصحيح للدين، فقد تم استخدامه بطريقة خاطئة. فإذا نظرت إلى بعض المسؤولين في إدارة ترامب، وكيف كانت مواقفهم من الشرق الأوسط والإسلام، تدرك أن الدين استخدم لتبرير سياسات محددة، لا لإرساء قيم أخلاقية أو إنسانية. ورغم حياة ترامب العامة المثيرة للجدل، وما ارتكبه من مخالفات مالية وشخصية، نجد كثيرين مستعدين للتصويت له لأنه يتبنى رؤيتهم الفكرية. وقد قرأت وثيقة كتبها أحد المؤيدين قال فيها في مطلعها:

"نعلم أن لدى دونالد ترامب مشاكل كثيرة في حياته الشخصية... لكن الله يعمل بطرق غامضة، ونحن نؤمن بأن مواقفه من بعض القضايا هي مكمل لإرادة الله، ولذلك ندعمه".

وهنا تكمن المشكلة الحقيقية: حين يتحول الإيمان إلى أداة لتبرير السياسة، بدل أن يكون مرجعاً أخلاقياً يوجهها.

الرؤى: استغلال الدين، دفع المال للمنظمات الدينية، فإن مصالحهم سوف تصبح معك، إذا مهما فعلت، فطالما أنني أنا أحصل على حقوق، وأستطيع أن أصلي في معبدي أو في كنيسة، وأموري ستكون على ما يرام، فلا يوجد لدي مشكلة معك، أنت جيد بالنسبة لي، فلا تهمني الأمور الأخرى، فالقضية تدول حول الديانة الشخصية، حول الحصول على حق...

ج. اسبوزيتو: حين يقول الناس ذلك، فإن معظم الناس يظهرون غير مهتمين بالآخرين، سواء كان الأمر داخلياً في بلدنا فيما يتعلق بالفقر، أو حتى على المستوى العالمي. ولكن بالنسبة للكثير من الناس، ما نقوم به كبشر، سواء كأفراد أو جماعات، غالباً يتم داخل المساجد أو الكنائس أو الكنائس اليهودية، حيث يعتمد فهم المبادئ على هوية القائد الديني، وقد يؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى اتخاذ المواقف الخاطئة.

على سبيل المثال، حين ترى البابا فرانسيس في تصريحه الذي أدلى به، يتضح أنه يرسل رسالة إلى رئيس جمهورية "إسرائيل" تتحدثاً معيئاً بوضوح.

ج. اسبوزيتو: نعم، أعتقد أن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. فالمشكلة في مسألة التحديث والتنمية. كما أشار أحد العلماء البارزين في كتابه، إن المسلمين في الشرق الأوسط وضعوا أمام خيارين: مكة أم المكننة، أي بين الدين والتحديث. فنظرية التحديث تقول بشكل عام: يمكن أن يبقى الدين موجوداً، ولكن فقط في الحياة الشخصية، أما في السياسة والمجتمع، فعليه أن يكون غير مرئي. ونتيجة لذلك، نشأت دول كثيرة يلتزم معظم أفراد شعوبها بالدين، لكن سياسات حكوماتها كانت بعيدة عن القيم الدينية. والسؤال الأساس هنا هو: إلى أي مدى يمكن أن تلعب حقوق الإنسان دوراً في السياسة؟

في عهد جيمي كارتر مثلاً، كانت حقوق الإنسان

الشباب يواجهون تحديات: التعبير عن آرائهم في الجامعة أو المظاهرات قد يثير ردود فعل مستقبلية على حياتهم المهنية

جزءاً أساسياً من كل ما فعله كرئيس. أما في إدارات أخرى، فلم يكن الأمر أنهم تجاهلوا حقوق الإنسان، ولكن أولويات السياسة والاستقرار والتقدم كانت تتقدم دائماً على هذه الحقوق. وهذه المقاربة لا تغفل البعد الديني فحسب، بل تتجاهل أيضاً البعد الأخلاقي.

إذا تأملت في حياة هنري كيسنجر — الرجل الذكي الذي عاش مئة عام وتولى مناصب كثيرة — تجد أن مقاربتة السياسية كانت عقلانية وواقعية، لكنها خلت من البعد الأخلاقي. وفي الولايات المتحدة يقال دائماً: "لا تخط الدين بالسياسة". لكن المشكلة ليست في الدمج ذاته، بل في الكيفية. فإذا تحدثنا عن القيم وحقوق الإنسان، فسواء أكانت دينية أم غير دينية، فالمهم هو الالتزام بها عملياً. غير أن الواقع يظهر أن حقوق الإنسان غالباً ما تخضع للمصالح السياسية والإقتصادية، وهذا هو جوهر المشكلة.

أما اليوم، في أوروبا وأمريكا — وخصوصاً في الولايات المتحدة — فقد أصبحت الحقوق الدينية جزءاً من خطاب اليمين المتطرف. كثير



هذه الحركة. وهناك العديد من الجامعات الأخرى التي يشارك طلابها وأساتذتها في قضايا مشابهة. كما يمكن للمرء أن يزور الكنائس، أو الكنيس اليهودية، أو المساجد، ليدرك أن هناك أشخاصا يعتبرون أنفسهم متدينين جداً، لكن مواقفهم قد تخلق أحياناً مشكلات.

على سبيل المثال، كنت في أحد الأعراس الإسلامية وجلست بجانب شخص أخبرني كيف أن والده، حين جاء من العالم الإسلامي، أسس مسجداً، وأصبح هذا عادة عائلية، لكنه شعر أنه مضطر إلى ترك هذا المجتمع لبناء مسجد آخر. فسألته عن السبب، فأجاب: حين يكون لديك ولدان في بداية العشرينات ويأتون ويقولون: أبي، لا أستطيع أن أذهب إلى ذاك المسجد، ولا أستطيع أن أستمع إلى أنواع الخطب التي يلقيها الإمام، بمعنى آخر، موقفه الديني خلق تحديات للعائلة. وهذا الانقسام يظهر في كل الأديان. حول قضايا الحرب والسلام، القضايا الجنسية، قضايا الإجهاض، وغيرها. التنوع والتعددية أمر جيد، والحرية أمر أساسي. المشكلة تظهر حين لا توجد آليات حكومية تمثل هذه

ولكن، بشكل عام، ما نقوم به كبشر بطريقة صحيحة قد يخلق مشاكل أخرى، إذ أننا غالباً نحاول أن نستنتج معتقداتنا النهائية دون اطلاع كامل على القضايا المهمة.

مثلاً، تجد أناساً يصوتون لمرشح حول قضايا مصيرية، لكنهم يتأثرون فقط بطريقة عرض الأفكار وليس بتداعياتها الفعلية. هناك من يقول إنه لا يهتم بالدين، ولا يقصد ما يريده الله، ولكن هناك أيضاً من يؤمن بالله ويعتق التراث الديني بقوة، لكنه قد ينتهي به الأمر إلى إيجاد مبررات لأفعال أشخاص متطرفين، مثل بن لادن، أو داعش، أو في الولايات المتحدة لمن يعارضون السامية أو لديهم مواقف إسلاموفوبية. وهذا جزء من التركيبة البشرية المعقدة.

أعتقد أن ما نحتاج إليه هو التحدث علناً أكثر فأكثر. على سبيل المثال، في العديد من الجامعات اليوم، يشارك الطلاب وأعضاء الهيئة التعليمية -وليس الجميع- بتصريحات قوية حول فلسطين و"إسرائيل"، ويشهدون مظاهرات داخل الحرم الجامعي وخارجه. جامعة جورج تاون مثال على

الاختلافات بشكل فعال، بما يضمن مشاركة واسعة للناس في الحقوق السياسية والانتخابية.

ليس فيما يخص هذه القضية.

الرؤى: سوف أنهي بهاتين الحكمتين التي كتبتها في بريدك الإلكتروني. الأولى: أؤمن أنه إذا بقينا محايدين في مواقف اللادعالة، نكون قد اتخذنا جانب الظالم، ينبغي للعالم أن يتعلم الاحترام والاستماع والمساحمة. والثانية: الحياة تتمدد أو تنقلص بمقدار الشجاعة التي يمتلكها المرء. لماذا اخترت هاتين الحكمتين؟ وما هو تعليقك عليهما؟ هل تمثل أفضل عبارتين بالنسبة لك؟

ج. اسبوزيتو: الحكمة الأولى ترجع إلى ديزموند توتو من جنوب إفريقيا، وقد تعرفت عليه منذ عدة سنوات، وزارة الخارجية كانت قد أنشأت مجموعة ما يمكن أن نسمة، ليس لكبار السن بل لمجموعة من الناس من دول مختلفة، مجموعة صغيرة، وكانت الشبيخة موزة عضوًا فيها، وكذلك كان ديزموند توتو وغيرهم. وهكذا تعرفت عليه قليلًا، في الحقيقة، حصل أنه كان غالبًا ما يجلس بجاني، وقد كان لديه حس فكاهي كبير. ذات مرة داخل إلى أحد الاجتماعات وكان قد تأخر قليلًا، ولم يكن هناك سوى مقعد واحد وكان ذلك بجاني، فقال، هل عليّ أن أجلس بجانب هذا الشخص؟ لست متأكدًا من ذلك! ولكنني قدرت هذه العبارة التي قرأتها للتو، لأنني أعتقد أن هذا هو هدف الحياة. ومن ثم العبارة الثانية، هل يمكنك قراءتها ثانية؟

الرؤى: نعم من الواضح أن المثلية هي من القضايا المهمة جدًا في الولايات المتحدة، وأعتقد أنها مفروضة على الناس وعلى الطلاب وعلى المدارس، حتى لو كان ذلك خلاف ما يعتقدونه أو يؤمنون به، فهذه قضية كبيرة جدًا اليوم في الولايات المتحدة. **ج. اسبوزيتو:** نعم، ومن بين هؤلاء الناس يوجد أناس، هم أصدقاء جيدون لي من جميع النواحي، وهم تقدميون جدًا ويهتمون بالفقراء، وهم أنفسهم لا يتمتعون بالثراء، ولكنهم يتعاطفون بشكل كبير على سبيل المثال، تجاه حقوق المثليين، ولكن لا يريدون أن يتم تدريس هذا الموضوع في المدارس. الآن قد يقول البعض لا يريدون أن يتم تدريس ذلك في المراحل الابتدائية الأولى، بمعنى آخر، إذا ما وصلوا إلى المراحل الثانوية أو الجامعية، فإن الأمر سيختلف، إذا لدينا هذا.. في الحقيقة لدينا

مواجهة الإسلاموفوبيا تتطلب جهودًا عالمية، من خلال برامج تعليمية، مؤتمرات، ومبادرات لدعم التعددية وحماية المسلمين من التمييز

الرؤى: الحياة تتمدد وتنقلص بمقدار الشجاعة التي يمتلكها المرء.

ج. اسبوزيتو: نعم، هذا شيء أعتقد أنني أؤمن به، ولكنه أيضًا موقف أحب أن أفكر بأنني أوافق عليه تمامًا. وأني أواجهه بطريقة أو بأخرى، كما يواجهه الجميع. كما تعلم، الحديث عن الأمور علنًا أو القيام ببعض الأعمال أحيانًا يكون له ثمن بنحو أو بآخر. في مجتمعاتنا، يمكننا على سبيل المثال الحديث عن الطبقة الغنية في الغرب وكذلك في العالم الإسلامي، ونلاحظ أن العديد منهم قد يكون مهتمًا بالقضايا العامة، ولكن العديد الآخر ليس مهتمًا على الإطلاق. ويقتصر اهتمامهم على تناقل المال والسلطة من خلال عوائلهم أو أحزابهم السياسية. وبالتأكيد، في عالم اليوم هناك قضايا ساخنة أكثر فأكثر، ومن المهم جدًا معرفة أين ينتخب الناس

مشكلة أكبر من ذلك في بلدنا، وهي موجودة في الكثير من الأنظمة السلطوية. ولكن هنا يوجد لديك مشكلة كبرى، حيث يوجد لديك حكام يقومون بتعيين أشخاص، يحاولون إعادة تعريف طبيعة التربية والتعليم، وما يمكن أن يُعلم وما لا يمكن أن يُعلم، ويقومون في بعض المقاطعات بإعداد لوائح كتب، ينبغي إخراجها من المكتبات، كتب كان طلاب الثانوية والجامعات قد قرأوها في الماضي. إذا، هذا.. لو حصل هذا في بعض.. لنقل في بعض الدول الإسلامية، وهو حاصل فعلاً، فإن بعض الناس هنا يقولون ذلك في سياق آخر: لا يوجد هنا حرية حقيقية، انظر، ما أقصده هو أنهم يحاولون تعريف ما هو أحر وما هو ليس بأحر. ولكن الآن حين تصبح قضية ما قضية ساخنة، الكثير من الناس يقولون نحن نؤمن بالديمقراطية المطلقة ولكن

أو بروفيسورًا أو رجل أعمال، حاملًا أفكار العدالة الاجتماعية، ويملك القدرة على تحصيل المال، يواجه معضلة: هل يتحدث الآن رغم المخاطر؟ قد يخسر عمله، أو قد لا يُؤخذ اسمه في الاعتبار عند الترقيات، وقد يظل هذا تأثيره ملازمًا له طيلة حياته. لهذا السبب، أقدر جدًا العبارات التي تتناول هذه المعضلات، وأحب وسائل الإعلام الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك الأشخاص الذين يمثلون شريحة كبيرة من الناس، وخاصة أولئك الذين لديهم ثراء فاحش وألزموا أنفسهم بأنهم لن يخزنوا أموالهم فحسب، بل سيستخدمونها لدعم القضايا العامة.

مثل بيل غيتس وغيرهم ممن خصصوا جزءًا كبيرًا من أموالهم للأعمال الخيرية، وكذلك السياسيون مثل جيمي كارتر، الذي دعم هذا النوع من القضايا، وحتى بعد خروجه من رئاسة الجمهورية، كرس جزءًا من أمواله لمعالجة الأمراض في إفريقيا، وبناء برامج لدعم النساء في مجتمعاتهن المضطهدة، وغيرها من المسائل الاجتماعية المهمة.

وأن يشاركوا في التصويت. ومع ذلك، هناك أشخاص لا يقومون بالانتخاب أو التصويت. من المهم أن يتحدث الناس علنًا، وأن لا يقتصر الأمر على الكلام فقط، بل أن يضعوا أموالهم حيث يضعون أقوالهم، سواء لدعم مشروع للأيتام، أو مرشح سياسي، أو أي قضية أخرى. أعتقد أن هذا يمثل تحديًا يواجهه الكثيرون في حياتهم.

وبشكل خاص، هذا الأمر يحدث على مراحل مختلفة. الشباب ينخرطون ويصبحون أكثر وعيًا بالقضايا الاجتماعية، بينما البعض الآخر لا يهتم أبدًا، وهناك من ينتظر اللحظة المناسبة للتحدث. في حال تحدث الآن في حرم الجامعة، أو في الصف، أو شاركت في مظاهرة، هل سيؤدي ذلك إلى تفاقم المشكلة في المستقبل؟

هذا الاعتقاد يتجذر أحيانًا من خلال ملاحظة بعض رؤساء الجامعات المشهورة الذين يحظرون مجموعات فلسطينية، أو يمنعون من يخرج عن المسار المحدد، مما يخلق إحساسًا بالخطر أو الرقابة. وعندما يكبر الشخص، ويصبح شيخًا

جون إسبوزيتو وهو أستاذ جامعي في الأديان والشئون الدولية والدراسات الإسلامية بجامعة جورج تاون



إذاً، هذا المشروع قائم على الأفق المهني والتفكير في السلام، خصوصاً أنني أريد رؤية السلام في فلسطين وأعمل جاهداً من أجل ذلك.

كما أنني قمت بالكثير من العمل في المركز الذي أسس عام ١٩٩٣، ومنذ حوالي ثماني سنوات أسسنا "مبادرة الجسر لحماية التعددية ومحاربة الإسلاموفوبيا"، لأننا شعرنا بأهمية ذلك. لدينا حوالي ١,١ مليون متابع على فيسبوك وأشكال أخرى من المتابعين، ونقدم برامج متنوعة. إذا زار الناس موقعنا على الرابط www.bridge.georgetown.edu يمكنهم العثور على كل أنواع المقالات التي تعكس قضايا الإسلاموفوبيا في الدين والسياسة والمجتمع. نحن ندرس الوضع في جميع البلدان، إلى أقصى حد ممكن، وهذا مشروع ضخم جداً بالنسبة لي.

لقد كتبت حول الإسلاموفوبيا قبل نشر كتابي، ولكن سيكون لي قريباً كتاب جديد أعدته مع الأستاذة سحر عزيز، بمشاركة مجموعة من العلماء من بلدان مختلفة، ويتناول موضوع عولمة الإسلاموفوبيا.

في السنة الماضية، كان لدي شرف المشاركة في برنامج مع البروفيسور عماد شاهين في الدوحة، في الذكرى الأولى للأسم المتحدة لمحاربة الإسلاموفوبيا، مع بارونس واري، المرأة الأولى التي انضمت إلى مجلس اللوردات، وكارين أرمسترونغ، وغيرهم. ومن المهم الإشارة إلى أننا لا نتحدث عن الإسلاموفوبيا في دولة واحدة فقط، بل على مستوى عالمي، ما يجعل المهمة أكثر تعقيداً وصعوبة.

على سبيل المثال، إذا نظرت إلى موقعنا، سترى ما حدث في النمسا من اعتقالات لمسلمين، واستغرق الأمر سنتين ونصف حتى صدر حكم يؤكد أن الحكومة لم يكن لها الحق في القيام بذلك. بعد اقتحام البيوت في منتصف الليل من قبل الشرطة والجيش. ونفس الشيء جرى في فرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة. نحن نعتبر أنفسنا دولاً متقدمة ومنفتحة، ولكن الواقع يختلف، فقد أصدرت المحكمة الأوروبية حديثاً حكماً يسمح للدولة بمنع المرأة التي ترتدي الحجاب من العمل في وظيفة معينة، وهو ما فتح الباب أمام دول مثل فرنسا لتطبيق سياسات مشابهة.

هذا المجال يحتاج إلى استمرار العمل عليه، ومركزنا

لذا، أنا أحب هذه العبارات وأقدرها، فهي ترتبط بما أؤمن به حول حقوقك السياسية وحقوق أخرى أساسية، وتذكرنا بأهمية الالتزام بالقيم والعمل على تطبيقها في المجتمع.

الرؤى: حكمتان عظيمتان لهما ارتباط بقضية العدالة ومحاربة الظلم وما تحدثنا بشأن فلسطين. قبل أن نترك حضرة البروفيسور، بعد كل تجربة السفر هذه ودراسة ونشر الكتب، وكل هذه الرؤى التي لديك، إذا سألتك عن الشيء الذي ما زلت ترغب في إنجازه في الحياة، في حال توفر الوقت وتوفرت لديك الفرصة، ربما العمل على أشياء نظرية ككتابة فكرة معينة أو كتاب، أو حتى الاغتراف في المجتمع،

الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة استغلت الأجندة السياسية الأمريكية والعربية، واتفاقات أبراهام كانت أوضح تجسيد لذلك.

أو ربما أيضاً شيء له علاقة بالسفر أو ما إلى ذلك، شيء لم تعطك الحياة الفرصة حتى الآن لتتجره، وأنت تنتظر مثل هذه الفرصة.

ج. اسبورتو: يوجد لدي بعض المشاريع. لقد أبرمت عقداً مع مطبعة جامعة أو كسفورد لكتابة كتاب تحت عنوان مؤقت "مصادفة الإسلام والمسلمين"، ولكن قد أحتاج لتغيير العنوان في مرحلة ما، إذ كان هناك كتاب سابق مكتوب بهذا العنوان، وكتبه قد توفي، لذلك لا أعلم إذا كان بإمكانني استخدام هذا العنوان، أو ربما أعتمد عنواناً آخر مثل "بين المؤمنين".

هذا المشروع يمكن أن يعكس مسيرتي المهنية منذ ما قبل الثورة الإيرانية وحتى اليوم، حيث أبحث عن الظواهر التي حدثت، ولكن إلى أي مدى كنت منخرط فيها؟ بمعنى آخر، مدى تورطي أو اغترافي مع شخصيات معينة أو رؤساء دول.

حين وقعت حادثة ١١ سبتمبر، كان الرئيس بايدن قد دعاني مع رامي خوري للحضور واختصار الكلام له، ولم يدعني خوفاً من أي مراسلة، وكان السؤال: لماذا لا تتواصل مع الرئيس بايدن لتغيير الموقف؟



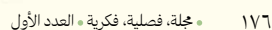
عاطفيين مثلي حين يأتي الأمر إلى هذه القضايا، ولكن كان لي الشرف أن أدخل في مجال حيث كان زملائي يقولون لي دائماً، والذين كانوا أصدقاء جيبين، وكانوا أيضاً أساتذة في الكهنوت الكاثوليكي، حيث كنت ما زلت في البدايات، قالوا لي إنك لن تجد عملاً أبداً، لماذا تدخل في هذا المجال كهذا الذي يشبه الدخول في التنجيم؟ وأيضاً لم أذكر هذا الأمر، في ذلك الوقت، لم يكن حتى منتصف الثمانينات ربما حتى سنة ٨٤ أو ٨٦، حتى أدخل معهد الخدمات الخارجية برامج تتناول الدين، وبالأخص الإسلام في جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط، فديبلوماسية الذين كانوا يذهبون إلى تلك المناطق طوال الوقت، وحين حدثت الثورة، لم يكن هناك أي تواصل بين الدبلوماسيين وأي من رجال دين في البلد بأي نحو مهم، أي من هذا لم يكن يحصل. وفي الحقيقة كنت محظوظاً جداً، كان من الممكن أن أصرف... فيما لو لم يكن هناك ثورة إيرانية لكنك مسروراً وراضياً بتدريس مجموعة صغيرة من الطلاب أينما كانوا، ولما كنت حظيت بتلك الفرص التي حظيت بها. ▶

سقيم عدة مؤتمرات، بمعدل مؤتمر في كل سنة، حول عولمة الإسلاموفوبيا. بالإضافة إلى ذلك، نقوم بالكثير من العمل الحالي، بما في ذلك برنامج المقابلات مع أشخاص كتبوا كتباً ومقالات أو هم ناشطون في هذا المجال.

الرؤى: من المثير جداً للاهتمام أن تكون غير مسلم، ولكن لديك كل هذا الحماس وتبذل كل هذه الجهود، والعمل والشرح والوصف وتقديم الإسلام، والدفاع عن حقوق الناس المسلمين في مجتمعات مختلفة، كل هذا الحماس والإخلاص، هذا مثير جداً للاهتمام أنكم مستمرون في هذا الشيء، هذا أمر مدهش بالنسبة لشخص مثلي موجود في إحدى زوايا العالم العربي الإسلامي، وهو يرى مثل هذه الجهود تبذل من أشخاص هم من ديانة ومجتمع مختلف تماماً.

ج. اسبوزيتو: أهدى ثواب هذا العمل لوالدي ولأستاذي فروخي، هذا تعبري عن حيي لكم، أنا نموذج الإيطالي العاطفي، ليس كل الإيطاليين

المقاومة الثقافية والمعرفية: الشعر، الأدب، الفن، واللغة، كأدوات لإعادة تعريف الذات ومواجهة محو الهوية



نسيب محمد حطيط العاملي

باحث وأستاذ محاضر في معهد
الفنون الجميلة • لبنان



مستوى الجغرافيا "الوطن" أو الكيان الرسمي
"الدولة" من نافذة مبادئ ومفاهيم "الفلسفة
الوجودية".

استطاعت "إسرائيل"، أن تحقق الغلبة والنصر في
أكثر حروبها ضد العرب والفلسطينيين والتعادل
السليبي في حرب تشرين عام ١٩٧٣ مع هزيمه
واحدة، ألحقها المقاومة في لبنان عام ٢٠٠٠
عندما أجبرت قوات الاحتلال "الإسرائيلي" على
الفرار والانسحاب من لبنان دون مفاوضات سلام
ودون شروط ودون تفاوض وكانت أول هزيمة في
تاريخ "إسرائيل" ولا يزال "الإسرائيليون" يحاولون
شطبها من الذاكرة وأخفائها عن منظومة الوعي
الجماعي للشعب "الإسرائيلي" وهذا ما عبر عنه
أبا يابان رئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن في
الكنيست "الإسرائيلي" "علينا أن نتخلص من
حرب لبنان ونزيلها من أذهاننا ونطردها من وعينا،
إنها المشروع الأقل نجاحاً في التاريخ اليهودي
الحديث، لذا يجب تصفية كل ما يذكرنا بها بأسرع
وقت ممكن" ويقول الحاخام دافيد هارترمانا
"إن التجربة اللبنانية تسجل نهاية مرحلة سياسية
في "إسرائيل" بدأت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ التي
خلقت صورة "إسرائيل" المستقرة وقال إن الشعور
بالعظمة الذي بدأ عام ١٩٦٧ قد تلاشى في لبنان".

تعريف المقاومة

إن المقاومة، بمفهومها العام هي كل فعل طبيعي
أو إنساني، لمواجهة فعل ضاغط وسلي والتخلص
منه، ويعتمد بشكل خاص على قوة التحمل
والصمود قبل الكسر أو الإنهيار، فكما تقاوم أعمده
البناء من الحرسنة المسلحة الأثقال لمنع الإنهيار
وكما يقاوم الحشب المنشار أو الفأس أو جدار
السد وضغط المياه، كذلك فإن المستضعفين
الذين يحتل أرضهم الغزاة والمحتلون والأولظمة
الظالمة، يبادرون لمقاومة ما يتعرضون له من
قمع وإذلال ومصادرة الحقوق بشكل فردي أو
جماعي منظم أو تلقائي. إنفعالي، لمحاولة النجاة
من المعتدين أو المتجاوزين للحدود وأول أهداف
المقاومة، الدفاع عن النفس بالمعطى الفردي
ثم الجماعي ثم الوطني ثم الإنساني، وتتفرع
المقاومة على محاور متعددة، فتبادر للمقاومة
المسلحة، لمقاومة الإعتداء المادي على الجسد
والأرزاق والعمران إلى محور المقاومة الثقافية،

المقدمة

تشكل القضية الفلسطينية، عنصراً أساسياً في
الصراع السياسي والعسكري والديني والثقافي
لمنطقة الشرق الأوسط وقد أصابت، بشظاياها
المؤسسات الدولية والسياسات العالمية، وبقيت
القضية الوحيدة المشتعلة بعد الحرب العالمية
الثانية دون حل وعلى نار ساخنة، لم يتم إطفاء
نارها، بل بقيت ساحة حروب متتقلة ودورية،
إما على جبهة واحدة أو جبهات متعددة وحروب
أهلية داخلية، بالتلازم مع المعركة الدائمة داخل
فلسطين المحتلة بين الشعب الفلسطيني وسلطات
الاحتلال وفق قدرات وإمكانيات الفلسطينيين،
فتارة يكون الصراع عسكرياً وتارة، بمعارك ثقافية
ودينية وإعلامية وفنية وصراع على التاريخ،
لتثبيت وإظهار الحق الفلسطيني، ومواجهة
العدوان التاريخي للصهيونية العالمية ومفرداتها
الجزئية "إسرائيل" كمنتج سياسي في الفكر التوراتي-
التلمودي، وكمرجعية دينية سياسية، لبناء الدولة
وواجب يتحمله اليهود، لتحقيق النبوءة المزعومة
إعادة بناء "هيكل سليمان" وتحقيق شعار ومخطط
"إسرائيل" من النيل إلى الفرات... وإحياء لمملكة
اليهود التي هدمها نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق.م.
تميزت القضية الفلسطينية، بأنها ساحة لصراع،
متعدد المحاور الجغرافية والعسكرية والسياسية
والقانونية والدينية والثقافية والتاريخ والأسطورة،
حيث حشد الصهاينة اليهود كل إمكانياتهم،
لتحويل الإدعاءات المزورة إلى حقائق تاريخية،
يستندون إليها لتثبيت إحتلالهم لفلسطين
وطرد الشعب الفلسطيني وتغيير المصطلح من
"إحتلال" إلى "إستعادة الوطن" وتغيير هويتها
الفلسطينية العربية الإسلامية والمسيحية إلى
دولة قومية لليهود لا يشترك في إدارتها وقرارها
أحد ويمكن أن تبقى على بعض الفلسطينيين،
كمواطنين، كأي أجنبي يُمنح الجنسية "الإسرائيلية"،
حيث أن دور المقاومة الثقافية، المساهمة، بحل
إشكالية الوجود للشعب الفلسطيني التاريخي،
بالتلازم مع غياب الاعتراف الدولي بحقوقه على

حي رأس العامود

دوتل
ط البكى

HA-K

حي الطور

يسهل ويسرع القضاء على أي حركة مقاومة قبل ولادتها، بناء على تغيير المفاهيم والمصطلحات، فيصبح الإستعمار والإستعباد، نعمةً وتكريماً وتصبح مقاومة المحتل إرهاباً وخسارةً وعملاً عبثياً ومغامرةً ويصبح الذل، مطلباً عاماً وتتحول العزة والكرامة، عملاً انتحارياً يجب منع الناس من إعتناقه أو السعي إليه!

تعريف الثقافة

تتعدد التعريفات، لمفهوم ومصطلح الثقافة للاحية شمولية عناصرها ومستوياتها وإختصاصاتها وأهدافها ووسائلها وفي اللغة فإن تعريف الثقافة (إن كلمة الثقافة تحمل عدداً من المعاني لغةً، فيقال ثقف الشيء إذا حدقه ومنه يقال هذا رجل ثقف أو امرأة ثقفة، وتأتي الثقافة بمعنى الذكاء والفطنة، ومن المعاني التي تحملها هي الضبط والسّعة في التّعلم، فيقال عن الرجل ثقف إذا كان قائماً بعلمه وضابطاً له، ومن معاني كلمة الثقافة لغةً الظفر بالشيء والغلبة عليه، ومن هنا قال القرطبي في تفسير "ثقف" في الآية القرآنية الآتية: "فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ" (الانفال: ٥٤) أي هي أسر العدو والغلبة عليه، ومن المعاني التي يدل عليها مصطلح الثقافة أيضاً تقويم الشيء والعمل على تهذيبه، أما للاحية مضمون وعناصر الثقافة، فهي منظومة المعارف، والمعتقدات، والعادات، والقيم، والتقاليد، والفنون، واللغة، والأنظمة السلوكية الاجتماعية لمجتمع متجانس، التي تحكم وتحدد العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة وتشمل الثقافة:

- الجوانب المادية مثل الفنون، والعمارة، والملابس، والطعام....
- الجوانب غير المادية مثل القيم، والمعتقدات، والعادات الاجتماعية، واللغة، والتقاليد، والأعراف....

المقاومة الثقافية في المنهج الإلهي والنبي

اعتمد المنهج الإلهي، المقاومة الثقافية، لمواجهة الكفر والإلحاد والمنافقين وبمراجعة تحليلية وتاريخية، لمسيرة الأنبياء والرسل، نرى غياب المقاومة المسلحة، إلا عند خاتم الانبياء والرسل الرسول الاكرم محمد بن عبد الله (ص)، كمرحلة

لمقاومة التغريب والإعتداء على الثقافة والدين والحضارة لحفظ الحقوق التي شرّعها الدين برسالاته السماوية وحفظتها كل قوانين حقوق الإنسان والمؤسسات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة والمؤسسات المتفرعة منها واعتبرتها حقاً إنسانياً، للفرد والجماعة والأمم ولا يمكن سلب أحدٍ هذا الحق بالقوة والترهيب والترغيب.

لقد صادرت المقاومة المسلحة، مصطلح المقاومة المجردة من أي صفة إضافية، حيث إن فهم الجمهور العام للمقاومة، بأنها المقاومة المسلحة، لإعتبارها العنصر الرئيسي في مقاومة الاحتلال أو الغزو أو الأنظمة أو حتى الجماعات الإرهابية وباعتبار أن السلاح هو الأداة الأساسية، للدفاع عن النفس ومنع القتل والعدوان ويستلزم الحديث أو الإلتفات، لبقية محاور المقاومة، وجوب إضافة الصفة والإختصاص بالمقاومة، فنقول المقاومة السياسية أو المقاومة الثقافية والمقاومة الاقتصادية أو المقاومة الإعلامية أو المقاومة النفسية ولا يمكن إنتصار أي حركة تحرّر أو مقاومة، بالإعتماد على المقاومة المسلحة فقط، بل إعتماد المقاومة الشاملة التي تضم كل

إن المقاومة، بمفهومها العام هي كل فعل طبيعي أو إنساني، لمواجهة فعل ضاغط وسلي والتخلص منه، ويعتمد بشكل خاص على قوة التحمل والصمود قبل الكسر أو الإنهيار

محاور المقاومة وفق النص القرآني "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ" (الانفال: ٦٠) حيث خصص القوة العسكرية "رباط الخيل" وتحدث عن كل محاور القوة المطلوبة لتحقيق الإنتصار وتشكل المقاومة الثقافية، أحد المحاور الرئيسية للمقاومة والهدف الرئيس، لأي احتلال أو غزو بمحو الهوية الثقافية والدينية والحضارية لأي شعب أو أمة وإحتلال العقل وقطع التواصل مع الجذور والتاريخ، لصناعة شعب أو أمة جديده بيد المحتل أو المتغلب بالقوة ويمكن ان يسبق غزو العقول وإحتلالها، أي إحتلال للأرض لأنه

قومه ألفا الا خمسين عاما وهو يدعوهم الى عبادة الله الواحد "وَلَقَدْ ارْسَلْنَا نوحًا اِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ اَلْفَ سَنَةٍ اِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ" (العنكبوت: ١٤) يخوض المقاومة الثقافية والدعوة الى الله سبحانه ولم يستعمل المقاومة المسلحة "كنبي" بل كانت المقاومة المسلحة "فعلاً إلهياً" وهو الطوفان "حتى إذا جاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا اجْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (هود: ٤٠)

• النموذج الثالث: كان الأمر الإلهي، للنبي موسى^(ع) وأخيه هارون^(ع) بإتباع المقاومة الثقافية "إذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه: ٤٢-٤٤) وكانت المقاومة المسلحة بفعل إلهي غير نبوي، إلا كمقدمة بضرب البحر بالعصا وتم إغراق فرعون "فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِذَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء: ١٠٣)

• النموذج الرابع: مع السيد المسيح^(ع) الذي أكمل دعوته كلها، بالمقاومة الثقافية والمعرفية والدعوة الى الله سبحانه بالكلمة وهو كلمة الله

دفاعية متأخرة عن المقاومة الثقافية والبقاء في مرحله المقاومة الدفاعية المسلحة، دون تجاوز مفهوم الدفاع حتى في بعض الغزوات التي كان هجومية من موقع الدفاع وليس من موقع الغزو ويجب الفصل بين المنهج النبوي والعهد النبوي في القتال وبين مرحلة الفتوحات الإسلامية التي لم يحسم النقاش حولها شرعيتها خاصة وأنها حدثت في أغلبها في عهد الدولة الأموية والعباسية وغيرها التي انتحلت صفة "ولي الأمر الإسلامي" بينما مارست سلطة الملك، بعنوان الخليفة. ويمكن إعطاء بعض النماذج النبوية للمقاومة الثقافية:

• النموذج الأول: للمقاومة الثقافية هو الحوار الذي جرى بين النبي إبراهيم^(ع) وأبيه والكافرين، حيث اعتمد الحوار والجدال لإقناع الكفار عقليا وبالذليل، خطأ وعبثية عبادتهم، لأصنام لا تنفع ولا تضر و اعتمد المقاومة المسلحة الفردية بتحطيم الأصنام وترك واحد منها، لإستكمال الدليل على صوابية حجته ومنطقه وموقفه ويمكن اعتبار موقف النبي إبراهيم، أول فعل للمقاومة الثقافية بمواجهة الكفر المتغلب.

• النموذج الثاني: مقاومة النبي نوح^(ع) الذي لبث في

رسم هيكل أورشليم/
كريستيان غ. هوفمان (١٧٣٥ - ١٦٩٢)



”إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رُسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ“ (النساء: ١٧١).

• **النموذج الخامس:** وهو النموذج الأساس والجوهري للمقاومة الثقافية، التي إتبعها وعمل بها كان مع رسول الله الأكرم (ص) والتي بدأها في مكة والطائف ومع أنه تعرّض للحصار في شعاب مكة وللمطاردة في شوارعها وازقتها وصبر على العدوان والإستهزاء، لكنه بقي على مقاومته الثقافية والمعرفية، لمواجهة ثقافة الكفر والجهل والخرافة والأسطورة وقد انتصرت مقاومته الثقافية واستطاع تحرير العقل العربي الجاهلي من قيود الكفر والجهل وعبادة الأصنام والإنفلتات السلوكي والاخلاقي وتغيير القواعد الحاكمة في المجتمع العربي في الجزيرة العربية، دون الحاجة، لإستعمال للقوة المسلحة، إلا في محطات الدفاع عن النفس وبمواجهة غزوات الكفار وكانت أسلحته المضادة للغزو المسلح أو الحرب الثقافية ”اذْعُ إِلَيَّ سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ“ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

أحد المحاور الرئيسية للمقاومة والهدف الرئيس، لأي احتلال أو غزو بمحو الهوية الثقافية والدينية والحضارية لأي شعب أو أمة وإحتلال العقل وقطع التواصل مع الجذور والتاريخ، لصناعة شعب أو أمة جديده بيد المحتل أو المتغلب بالقوة

هِيَ أَحْسَنُ“ (النحل: ١٢٥) أو ”قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا“ (آل عمران: ٦٤). تعالوا الى كلمه سواء وكانت أعلى مراتب المقاومة الثقافية مع المسيحيين بمجادته المباهلة ”فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ“ (آل عمران: ٦١).

دور المقاومة المسلحة والمقاومة الثقافية، لحماية الهوية

تتمايز المقاومة المسلحة عن المقاومة الثقافية، لجهة حماية الهوية، حيث أن دور المقاومة

المسلحة، تحرير الأرض والجغرافيا من الإحتلال وحماية حرية الجماعة في تقرير مصيرها أما المقاومة الثقافية فإنها تبني منظومة ثقافية، لحفظ اللغة والذاكرة والحضارة وأنشاء المؤسسات العلمية والمعرفية والثقافية والدينية، لبناء حضارتها وثقافتها المستقلة المرتبطة بجذورها الثقافية المغاضنة وذاكرتها الجمعية لحفظ هويتها الثقافية والحضارية، حيث يرى بول ريكور (١٩١٣_٢٠٠٥): ”إن الذاكرة هي أساس الهوية، حيث تلعب دورًا حيويًا في كيفية تشكيل الهوية الذاتية. الهوية السردية، التي تتناول كيفية تشكيل الهوية الذاتية، تتعلق بالقدرة على التعبير عن الذات من خلال القصص والسرديات وأن الهوية تتأثر بالذاكرة، وأن التعبير عن الذات يتطلب من الشخص أن يحكي عن حياته ويعبر عن نفسه من خلال القصص والسرديات“ (عبدالله السيد، ٢٠١٤). لتكون المقاومة المسلحة حارساً للمقاومة الثقافية دون أن تتدخل فيها أو في طريقه صناعتها، إلا إذا تجاوزت حدود مهمتها، بمقاومة المحتلين والغزاة وتحرير الأرض والإنسان، لتتحول الى أداة قمعية، لإقامة النظام أو سلطة تفرض ثقافتها وعقيدتها.

ترتبط المقاومة الثقافية، بجذورها الثقافية الأصلية، لبناء منظومة ثقافية، تشكل خط الدفاع عن التغريب أو الغربة عن الماضي، دون بناء جدران وأسوار تقطع علاقتها بالثقافات الأخرى، بل تخضعها للرقابة، لمنع الضرر والإستفادة مما أنجزه الآخرون وما خاوضه من تجارب والمقاومة الثقافية، هي مقاومة مُستدامة أثناء الإحتلال والمقاومة وبعد التحرير، لترميم التخریب الثقافي والعقدي والأخلاقي والإجتماعي واللغوي الذي أحدثه الإحتلال أو لتطویر وتحسين الثقافة الجمعية والهوية وبناء ”المثقف المقاوم“ والمجتمع المثقف المقاوم، حيث أن المثقف المقاوم، يلعب دور الضابط المقاوم المحترف والمتخصص مع مسؤولية أكبر وأشمل لتلقيح العقل الفردي والجماعي بالثقافة المقاومة والأصيلة.

إعتمدت المقاومة الثقافية في العهد النبوي، المباهلة والحوار والجدال الحسن وبدأت بالدائرة الأولى ”النفس الفردية“ بما عرفه الرسول الأكرم ص ”بالجهاد الأكبر“ جهاد النفس لأنه لايمكن احداث التغيير الشامل والمجتمعي العام

ص ١٤٣) ويمكن الإشارة الى قصيده الشاعر الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين (ع) بمواجهة الامير الأموي هشام بن عبد الملك في مكة المكرمة والتي استطاع من خلالها هزيمة الدعاية الأموية والحرب الثقافية والدينية والإعلامية ضد الإمام السجاد

هَذَا الَّذِي تُعْرِفُ الْبُطْحَاءُ وَطَائِفُهُ...وَالْبَيْتُ يُعْرِفُهُ
وَالْحُلُ وَالْحَرَمُ

ولا تزال هذه القصيدة صالحة لكل زمان ومكان في التعريف عن الإمام زين العابدين (ع)، لتثبت أن الكلمة، دائمة الحضور، أكثر من الرصاصة أو ضربة السيف ولا يمكن للسيف ان يقطع رأس الكلمة حتى لو قطع رأس قائلها، ويمكن ان يمنحها من النطق لكنها ستعود الى فضاء السماع، عندما ينهزم السيف او يعود الى غمده ويمكن إحراق الكتب والمكتبات، لكن لا يمكن إحراق الفكرة والكلمات ويمكن قتل المفكر والفيلسوف والمثقف وتبقى أفكاره دليلاً وقائداً للناس في عصره وبعد موته.

إلا بتغيير النفس وفق النص القرآني "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (الرعد: ١١) وقد واجه الرسول الأكرم ص الحرب الثقافية والدعائية، للكفار بنفس الأسلحة المناسبة والمماثلة مع الالتزام بالأدب الإسلامية والأخلاق النبوية، حيث كانت وسيلة التخاطب للصراع الثقافي في ذلك الوقت "الشعر" فطلب من انصاره تعلم الشعر، لمقاومة الحرب الثقافية للمشركين، فكان له ثلاثة شعراء من الأنصار حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحه وقد ارشدهم لتعلم لغة قريش الأدبية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، للأنصار (ما يمنع القوم الذين نصرنا الله، بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم؟)

فقال حسان بن ثابت "أنا يا رسول الله، وأخذ بطرف لسانه فقال: والله ما يسُرُّني به مَقُول بين بصرى وصنعاء، فقال له رسول الله (ص): "وكيف تهجّوهم وأنا منهم... قال: إني أسُلك منهم كما تُسَل الشعرة من العجين" (العسكري، ١٩٩٤، ج ٢

✓
أعضاء فلسطينيون من
الجناح العسكري لحماس/
● المصور: محمود حمس،
وكالة فرنسا للأنباء



الحروب والإبادة الثقافية

تتعرض الأمم والشعوب، للحروب والإبادة الثقافية والحضارية والدينية، كما تتعرض للإبادة البشرية عبر إستحداث مرجعيات دينية وقانونية وثقافية وإعلامية، لتنظم العلاقات بين السكان وربطها بالقوانين والقيم والعادات والتقاليد للمحتل أو المتغلب بالقوة وفرض لغته، بديلاً عن لغة الناس الأصلية وإذا كانت البندقية والمقاومة المسلحة، تقاوم الإبادة البشرية، فإن مسؤولية "المقاومين الثقافيين"، مقاومة الإبادة الثقافية والحضارية من خلال حفظ التراث الثقافي والديني والاجتماعي من التزوير أو التدجين أو التهجين أو محوه نهائياً، بهدف محو الهوية الحضارية والثقافية للشعوب وتغيير الهوية للكيان أو الدولة بتغيير الإسم السياسي، للجغرافيا على مستوى الدولة أو تغيير الجغرافيا بأسماء المدن والقرى والمواقع وهدم الرموز الدينية من الكنائس والمساجد والمعابد، وتغيير المرجعيات الدينية والقانونية، كما يحصل الآن بالترويج للديانة الإبراهيمية أو إلزام الدول بالتوقيع على اتفاقية "سيداو" بالنسبة للمرأة والتي تتعارض مع التشريعات الدينية والقوانين والمصالح الوطنية التي تحكم وتنظم العلاقات بين السكان بشطب مرجعياتهم وقوانينهم وربطهم بالقوانين الجديدة للمحتل وصولاً إلى منع لغتهم الأصلية واستبدالها بلغة المستعمر والمحتل، كما حدث في الجزائر حيث فرض الإستعمار الفرنسي اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية والتي لا زالت تحكم المجتمع الجزائري بعد أكثر من ٦٠ عاماً من التحرر والاستقلال أو كما فعل كمال أتاتورك لتغيير هوية تركيا، باستبداله الحرف العربي للغة التركية بالحرف اللاتيني عام ١٩٢٨م أو كما يحدث الآن وبشكل عفوي مع خطورة استمراره، بما يعرف بلغة الكمبيوتر ومحادثات التواصل الاجتماعي، بكتابة لغة عبارة عن خليط من الأرقام والأحرف العربية، لكن بحرف لاتيني والتي يمكن أن تحل محل اللغة العربية بعد جيل أو جيلين.

الفلسطينيون والمقاومة الثقافية

خاض الفلسطينيون، ميدان المقاومة الثقافية، لمواجهة محاولات محو الهوية الفلسطينية وشطب الدولة الفلسطينية بكل رموزها وعناصرها السياسية والجغرافية والثقافية والحضارية والدينية



✓
أراد إميل أشراوي من خلال توثيق
هذه اللافتات في الشوارع أن يُظهر
كيف قامت سلطات الاحتلال
الإسرائيلي بتشويه اللغة العربية
عن قصد.



لا تقلان أهمية عن المقاومة المسلحة وأن القلم والريشة والمحبرة، مخازن للكلمات المقاومة التي تخوض معركة الدفاع عن الهوية والحقوق بمواجهه المحتلين ومن هنا كان الحديث النبوي: "وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم" (تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٩٣)

مؤسسات المقاومة الثقافية الفلسطينية

خاض الفلسطينيون معركة الدفاع عن الهوية الفلسطينية من خلال المقاومة الثقافية المتعددة المحاور الشعبية والنخبوية الفنية والأكاديمية والبحثية، فباتلزام مع المبادرات الفردية للشعراء والكتاب والادباء والفنانين، فقد تم تأسيس عده مراكز ومؤسسات تابعة لمنظمته التحرير الفلسطينية التي أصدرت الكثير من الدراسات والكتب والدوريات وارشفة وتوثيق التاريخ الفلسطيني.

مركز أبحاث منظمة التحرير

بدأ الفلسطينيون بالمقاومة الثقافية، بمواجهة الاحتلال، بتأسيس مركز أبحاث المنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ وكان وليد الخالدي يرى وجوب ان يكون، لكل حركة تحرر وطني، مركز أبحاث وقد سرق الجيش "الإسرائيلي" عند اجتياحه لبيروت موجودات المركز ونقلها الى "إسرائيل" وقد تم إستعادة جزء كبير منه مع آلاف الأسرى عند مبادلة الجنود الإسرائيليين الستة في صفقة التبادل ومن ثم عاد فضاء جزء كبير منه ويقول البروفيسور مصطفى كبا (١٩٦٢)، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في الجامعة المفتوحة في "إسرائيل" "توجد في هذه الأرض طبقات مختلفة من تاريخ الشعوب المختلفة. هناك محاولة لإخفاء طبقات الذاكرة الفلسطينية ومحوها، لكن لن تنجح أي محاولة. ستستمر طبقة الذاكرة في الظهور من تحت كل سجادة" (ابوحسان، ٢٠٢١).

وقد أصدر مركز الأبحاث سبعة كتب لتعريف القارئ الفلسطيني والعربي بالأسس والقواعد التي يرتكز عليها العدو "الإسرائيلي" فيما سلوكه ومفاهيمه العقائدية والسياسية والاستيطانية الكتب هي:

• "الإستيطان الصهيوني في فلسطين" (١٩٦٥) لفايز الصايغ.

مع قلة الإمكانيات والحصار والشتات واستطاعوا "عولمة" بعض الرموز الوطنية الفلسطينية كالكوفية الفلسطينية او المفتاح الفلسطيني او شخصية حنظلة الكاريكاتورية الفلسطينية وامتشقوا سلاح الشعر والأدب والقصة والأغنية والأناشيد، بمبادرات فردية، لمتقنين فلسطينيين استطاعوا حفظ الذاكرة والدفاع عن الهوية الفلسطينية على مستوى الساحة العالمية، حيث لا تستطيع المقاومة المسلحة ان توصل رسالتها، لإظهار مظلومية الشعب الفلسطيني وحقه في العودة والوطن، فتسللت القصيدة واللوحه الفنية والأغنية الى كل دول العالم، بما فيها المعادية للقضية الفلسطينية والمؤيدة ل"إسرائيل".

بادر بعض المفكرين والشعراء والرسامين لقيادة هذه المقاومة الثقافية، بشكل عفوي وغير منسق او منظم وكان لهم الأثر الكبير في حفظ القضية الفلسطينية والهوية الفلسطينية ويمكن ذكر بعض الأسماء الرائدة الشاعر محمود درويش

المقاومة الثقافية فإنها تبني منظومة ثقافية، لحفظ اللغة والذاكرة والحضارة وإنشاء المؤسسات العلمية والمعرفية، لبناء حضارتها وثقافتها المستقلة المرتبطة بجذورها الثقافية المغاضنة وذاكرتها الجمعية لحفظ هويتها الثقافية والحضارية

والأديب غسان كنفاني ورسام الكاريكاتير ناجي العلي والشعراء إبراهيم طوقان و عبد الرحيم محمود وأبو سلمى و كمال ناصر هو من مؤسسي الإعلام الفلسطيني ورئيس تحرير مجلة "فلسطين الثورة"، الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية والذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في بيروت ووقد ساهم في المقاومة الثقافية الفلسطينية عدد كبير من الفنانين الذين حفظوا الأغنية الشعبية الفلسطينية.

لقد تعرض بعضهم للإغتيال - غسان كنفاني ١٩٧٢ وناجي العلي ١٩٨٧ وكمال ناصر - لإخماد صوتهم الذي كان في بعض الميادين أكثر تأثيرا من البندقية والرصاص وأكثر انتشارا وتعريفا بالقضية الفلسطينية والتأكيد ان الكلمة والصورة

العربي _ الفلسطيني ومن ميزاتنا انها ضمت شخصيات فلسطينية ولبنانية من كل الطوائف وأصدرت عدة مجلات ودوريات باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وهي:

- Journal of Palestine Studies: (1971 - ...)
- فصلية تصدر عن مكتب المؤسسة في واشنطن، وتنشرها وتوزعها مطبعة جامعة كاليفورنيا (University of California Press).
- Revue d'études palestiniennes: (1981 - 2008)

أصدرتها المؤسسة من باريس.

- مجلة الدراسات الفلسطينية: (... - 1990) فصلية تصدر عن مكتبي بيروت والقدس، وتوزع في البلاد العربية والعالم.

- Jerusalem Quarterly: (1998 - ...)
- فصلية تصدر عن مكتب المؤسسة في القدس، متخصصة بشؤون المدينة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

- "الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية" (١٩٧٠) لأنيس الصايغ،
- "التلمود والصهيونية" (١٩٧٠) لأسعد رزوق،
- "دليل القضية الفلسطينية" (١٩٦٩) لإبراهيم العبد،
- "المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة" (١٩٦٨) لأديب قعوار
- "يهود الدول العربية" (١٩٧١) لعلي إبراهيم عبدو وخيرية قاسمية،
- "دور الإرهاب الصهيوني في نشوء "إسرائيل"" (١٩٦٩) لبسام بشوتي ونشره المركز بالإنكليزية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

سبقت تأسيس مركز الأبحاث الفلسطيني عام ١٩٦٣ على يد قسطنطين زريق ووليد الخالدي وبرهان دجاني وتأسست كجمعية لبنانية بترخيص صادر عن السلطات اللبنانية وكانت اول هيئة علمية عربية تختص بالقضية الفلسطينية والصراع

منظمة التحرير الفلسطينية
في سبعينيات القرن العشرين
(من اليسار) كمال ناصر،
الناطق باسم منظمة التحرير
الفلسطينية (PLO)، وياسر
عرفات، رئيس المنظمة،
يتحدثان في مؤتمر صحفي في
عمّان، الأردن، عام ١٩٧٠.



حركة التحرير الفلسطينية (فتح)، تأسست عام ١٩٧٩، لرعاية أبناء الشهداء، وتضم عدداً من مشاغل الحياطة والتطريز وغيرها وخاصة الأزياء الفلسطينية، ثم طوّرت نشاطها، ضمن المقاومة الثقافية وحفظ الهوية والتراث الفلسطيني وأصدرت العديد الإصدارات التوثيقية وأسست الفرق الفنية ومنها:

- أصدرت سنة ١٩٧٧ بإصدار كتاب بعنوان "فلسطين تاريخ وحضارة" من إعداد إسماعيل شموط، تضمن مجموعة نادرة من الرسوم واللوحات لفنانين رحالة أجانب زاروا الكثير من المدن والقرى الفلسطينية منذ أكثر من مائة عام.
- أسست وحدة للإنتاج السينمائي في سنة ١٩٧٦، وأنتجت فيلم "المفتاح" و"يوم الأرض" إخراج غالب شعث.
- أنتجت أغنية أحمد العربي، قصيدة الشاعر محمود درويش و غناء مارسيل خليفة.
- أسست فرقة الكوفية للفولكلور الشعبي الفلسطيني.
- أقامت معارض دولية للتعريف بالتراث الفلسطيني وجمعت الأزياء الفلسطينية التراثية.



• حوليات القدس - (2003-2014) دورية تصدر عن مكتب المؤسسة في القدس، وتعنى بتاريخ مدينة القدس ومجتمعها وثقافتها. يمكن وصف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بأنها مؤسسة تتوجه لطلاب النخبة وخاصة خارج العالم العربي (إصداراتها، بالفرنسية والإنكليزية والعربية بينما يتوجه مركز الأبحاث، للجمهور في العالم العربي).

المتحف الفلسطيني

يحاول الفلسطينيون، بصعوبة حفظ رموزهم الثقافية الاجتماعية من التغييب أو المصادرة حتى لو على مستوى المتاحف والأرشيف ورسائل التواصل الاجتماعي واللوحات الفنية التراثية حيث يقول عامر شوملي المدير العام للمتحف الفلسطيني: "يشكل الأرشيف الرقمي مرجعاً يمكن من خلاله قراءة محطات مهمة في تاريخ فلسطين، وذاكرة رقمية تحفظه للأجيال القادمة.

فإن مسؤولية "المقاومين الثقافيين"، مقاومة الإبادة الثقافية والحضارية من خلال حفظ التراث الثقافي والديني والاجتماعي من التزوير أو التدمير أو التهجين أو محوه نهائياً

رواد المقاومة الثقافية الفلسطينية

- غسان كنفاني: روائي وأديب وإعلامي فلسطيني اغتالته "إسرائيل" عام ١٩٧٢ في لبنان ويحدد كنفاني دور الأدب المقاوم كأحد روافد المقاومة الثقافية "إن أدب المقاومة ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو محاولة لتغييره"، ولذلك فهو لا يكتفي بتصوير المأساة، بل يسعى إلى تجاوزها، ولا يقتصر على توثيق الهزيمة، بل يحلم بالنصر، ولا يفرق في البكاء، بل يصبر على الأمل" (الخطيب، ٢٠٢٥).
- إدوارد سعيد: يقول الناقد والمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد: "إن الأدب يلعب دوراً مركزياً في تشكيل الهوية الفلسطينية، وفي مقاومة المشروع الصهيوني الذي يسعى إلى محو هذه الهوية وإلغائها". فالأدب ليس ترفاً، بل هو ضرورة وجودية للشعب الفلسطيني، يعمل على توثيق الماضي وتسجيل الحاضر واستشراف المستقبل، ويساهم في تعزيز الانتماء والصمود في وجه محاولات الطمس والتهويد".
- أنيس الصايغ: رئيس مركز الأبحاث الفلسطيني

لطالما كانت حياتنا نحن الفلسطينيين، وكل ما يحيط بنا من أماكن ومبان ومعالم وأشخاص، عرضة للصف أو النهب أو السرقة أو الإغتيال، في كل لحظة. في وقت أصبحت فيه كل مقومات وجودنا عرضة للإبادة، تتضاعف أهمية الأرشيف الرقمي بوصفه أداة حماية هويتنا وذاكرتنا الجماعية. لذلك، فإن كل وثيقة وصورة وفيديو نوثقه ونحتفظ به قد يتحول إلى وثيقة تاريخية مهمة شاهدة على وجودنا. حتى وإن لم ندرك أهميتها لحظة أرشفتها". بات الموقع يضم اليوم أكثر من ٣٦٩,٦٠٠ مادة أرشيفية تُضيء على جوانب متعددة من التاريخ الاجتماعي الفلسطيني^{٧٣}.

مؤسسة صامد

مؤسسة إجتماعية إنتاجية فلسطينية، تتبع

السابق في كتابه "١٣ أيلول" فلماذا نكتب لمن لا يقرأ، وإذا قرأ لا يفهم، وإذا فهم لا يتجاوب؟ ثم يجيب عن هذا السؤال، لنفسه ولغيره: "فعندما تتحول قيادات سياسية إلى سماسرة على الأرض والشعب والتراث والقضية، يتحمل الكاتب، صاحب الضمير مسؤولية رسولية لا يكون نفسه إذا تخلّى عنها" (الصايغ، ١٩٩٤، ص ١٠) ولا يجوز أن تلتقط ذاكرة أبنائنا وأحفادنا هذه الموجة الكاسحة من أدبيات الإنهزام ومقولات الإنهزام ومقولات الاستسلام ولا تأخذ في الاعتبار وقوف جماعة من المثقفين، مهما كانوا أقلية، في وجه الموجة يحاولون إفشال عمليات غسل الدماغ وفضحها ودحضها يوضح رؤيته^٨، وبكلام آخر مارسنا التطبيع، وشجعناه، وفلسفناه، وعقلناه، حتى قبل أن تنتهي الحرب، والتطبيع كما نعرف كارثة يفوق خطرها كارثة إنهاء الحرب والإعتراف المتبادل ومقايسة الأرض بالسلا، فالتطبيع إعصار يدوم ويتسع، ووباء لا ينحصر في مكان ولا في زمان، يلف

الثقافة والحضارة والمنافع الاقتصادية، والخيرات الطبيعية، ومعنويات الناس وأخلاقهم ومثلهم وطموحاتهم. وهو سلاح في يد "إسرائيل" أقوى من سلاح الحرب الساخنة، إنه يحقق لها مكاسب أوسع بنفقات وخسائر ومخاطر أقل^٩.

● **محمود درويش:** (١٩٤١-٢٠٠٨) شاعر فلسطيني، إرتبط شعره بالثورة والوطن ومن أبرز الشعراء الذين طوّروا الشعر العربي الحديث، بإدخال الرمزية فيه وقد شارك بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني في الجزائر وهو عضو المجلس الوطني الفلسطيني، إنتسب للحزب الشيوعي "الإسرائيلي" وعمل في صحافته وبعد خروجه من فلسطين تم إنتخابه رئيساً، للإتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين ورئيس تحرير مجلة "الكرمل" ثم رئيساً لتحرير مجلة شؤون فلسطينية ومديراً لمركز أبحاث منظمته التحرير الفلسطينية قبل العام ١٩٨١ ويقول الشاعر الفلسطيني محمود درويش موقفه من الأدب والثقافة المقاومة في قصيدته

غرافيتي يصور ناجي العلي في رام الله، عام ٢٠١٢



وخريطة المسجد الاقصى _ حنظلة _ الثياب الفلسطينية التراثية.... وشجرة الزيتون والمقلاع والحجر.
العلم الفلسطيني.

الكوفية الفلسطينية

شكّلت الكوفية الفلسطينية عنصراً رمزياً أساسياً في المقاومة الثقافية للفلسطينيين ويمكن اعتبارها السلاح الاستراتيجي، للمقاومين الثقافيين واستطاعت الفلسطينيون عولمة الكوفية الفلسطينية حيث احتلت الصدارة في الرموز المتداولة عالمياً وفي كل الدول دون الحاجة الى ترجمة إسم فلسطين الى لغات العالم، فيكفي رسم الكوفية الفلسطينية او وضعها على الرأس والاكتاف، للدلالة على التضامن مع فلسطين وصارت الكوفية اللغة الرسمية والعالمية، للقضية الفلسطينية، يفهما كل مشاهد دون الحاجة للترجمة وقد تم إدراج الكوفية على قائمة التراث الثقافي غير مادي التابع لمنظمة العالم الاسلامي للتربية والعلوم والثقافة.

تعرّضت "الكوفية" لهجمات الدعاية الإسرائيلية، بهدف إهانتها وتشويه رمزيها الوطنية المقاومة، قامت مصممة الأزياء الإسرائيلية دوريت بارور بتصميم وعرض فساتين، مستوحاة من الكوفية الفلسطينية ونشرت على موقع مواقع الإنترنت، صور عارضات أزياء، يرتدين التصاميم الجديدة من الكوفية الفلسطينية في أوضاع إباحية مثيرة.

حنظلة

الرسم الكاريكاتوري الثابت للطفل الفلسطيني عند ناجي العلي والذي يقول عنه: "أنجيت حنظلة في العاشرة من عمره وسيظل دائماً في العاشرة من عمره، ففي تلك السن غادر فلسطين وحين يعود حنظلة إلى فلسطين سيكون بعد في العاشرة ثم يبدأ في الكبر، فقوانين الطبيعة لا تنطبق عليه لأنه استثناء، كما فقدان الوطن استثناء". كتفته بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن المنطقة كانت تشهد عملية تطويع وتطبيع شاملة، وهنا كان تكتيف الطفل دلالة على رفضه المشاركة في حلول



جدارية: هزمتك يا موت.. الأغاني في بلاد الرافدين هزمتك يا موت.. الأغاني في بلاد الرافدين مسلة المصري، مقبرة الفراعنة، النقوش على حجارة معبد

هزمتك وانتصرت وأفلت من كمائنك الخلود. ليؤكد على دور الفنون والأغاني والتراث في المعركة والمقاومة الثقافية لإحقاق الهزيمة "بالموت". ويعني موت الهوية والحضارة والذاكرة.

• ناجي العلي: يمكن وصف الرسام الكاريكاتيري ناجي العلي أحد أعمدة المقاومة الثقافية الفلسطينية من بوابه الرسم الكاريكاتوري الذي كانت تنشره الصحافة خاصة جريدة السفير اللبنانية وقد رسم حوالي ٤٠ ألف رسم "كاريكاتيري" تحكي القضية الفلسطينية وتوجهات الشارع العربي مع نقل لاذع، للحكام العرب حيث يعتمد رسمه الثابت الذي أسماه "حنظلة" الذي يمثل الطفل الفلسطينية الذي ولد في سن العاشرة عام ١٩٦٩ والذي لن يكبر أو يدير وجهه، إلا عندما

شكّلت الكوفية الفلسطينية عنصراً رمزياً أساسياً في المقاومة الثقافية للفلسطينيين ويمكن اعتبارها السلاح الاستراتيجي، للمقاومين الثقافيين

يحين إسترداد الكرامة العربية، كما قال عنه ناجي العلي نفسه، حيث كان حنظلة، رمزاً للطفولة الفلسطينية والمراقب الصامت، الشاهد على جرائم العدو وخذلان العرب للفلسطينيين، حيث استطاع ناجي العلي إيصال القضية الفلسطينية عبر اللغة العالمية المتمثلة بالرسم والمشاهدة البصرية، لرسم رواية معاناة الشعب الفلسطيني واستطاع تجاوز حواجز اللغة والرقابة في مقاومته الثقافية.

رموز المقاومة الثقافية الفلسطينية

تعددت الرموز الثقافية الوطنية في الذاكرة الوطنية والشعبية للفلسطينيين، و يمكن ذكر الرموز الرئيسية المادية المتفق عليها دون تصنيفها سياسياً أو فصائلياً، وهي العلم الفلسطيني _ الكوفية الفلسطينية _ المفتاح الفلسطيني _ القدس

التسوية الأمريكية في المنطقة، فهو ناثر وليس مطيع وعندما سُئل ناجي العلي عن موعد رؤية وجه حنظلة أجاب: "عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة، وعندما يسترد الإنسان العربي شعوره بحريته وإنسانيته"^{١١}

• اللباس التراثي الفلسطيني احد رموز المقاومة الثقافية، لكنه يعاني من التصحر والإنقراض على مستوى الشعب الفلسطيني، بسبب عولمة اللباس الغربي، نتيجة إقبال المصانع الوطنية بسبب قيود الإحتلال والأوضاع الاقتصادية الصعبة مع تطور تجارة الألبسة الخارجية، نظراً لرخص أسعارها، بالتزامن مع الكلفة العالية للإنتاج الوطني، حيث كان الشعب الفلسطيني ضحية هذه العولمة، كما بقية شعوب العالم خاصة، ما تم تسميته بدول العالم الثالث او الدول النامية والفقيرة التي ربطت إقتصادها بالخارج وإقتصر ارتداء الثياب التراثية في بعض المناسبات الإجتماعية كالأعراس او الفعاليات الفنية على

المسارح او في المراكز الثقافية ولوحات الرسم، مما أفقده دوره، كعنصر شعبي في حفظ الهوية بالشعب الفلسطيني وإذا كان الزي، أحد عناصر الهوية، لأي فرد أو جماعة عرقية، حيث يتم التعرف على هويته من لباسه، حتى صارت الحطة والعقال والدشداشة، بطاقة تعريفية للعري والقبعة على الرأس مع البدلة وربطة العنق للأوروبي الغربي الخواجة والقلنسوة على مؤخرة الرأس "يهودي" لكن الوقائع الحالية، أفقدت الشعب الفلسطيني هويته من ناحية "اللباس" وأتحذ باللباس مع شعوب العالم الغربية والشرقية.

المسجد الأقصى، الصراع الديني المقدس

ان الوقائع التاريخية تثبت ان من لا يستطيع حماية الماضي يمكن ان يخسر الحاضر والمستقبل وعليه حماية التراث العمراني والديني والثقافة كعنصر، لهويته الثقافية والحضارية ولتثبيت قيده

متحف فلسطين
الذي افتتح في ١٨ أيار/مايو
٢٠١٦ بالقرب من رام الله /
الصور من موقع متحف
فلسطين



التاريخي في الجغرافيا المُتنازع عليها.

شكّلت الأماكن الدينية المقدسة، ساحة صراع مركزية بين المتحاربين عبر التاريخ وتعرض، إما للهدم المتبادل أو للسيطرة وتحويل وظيفتها ومحو هويتها ضمن الحرب الثقافية والدينية المتبادلة واستحوذ الصراع الديني في فلسطين على جزء كبير من الحرب الثقافية المتبادلة، تمثل في بعض النقاط المقدسة حرباً مستمرة^(١)، لحسم الصراع الديني والثقافي وإستثماره سياسياً حول حق اليهود بالعودة الى فلسطين، مقابل تمسك الفلسطينيين بهذه الجغرافيا المقدسة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والحرم الابراهيمي في الخليل، لتثبيت حقهم ووجودهم فيها، بما يتجاوز في حده الأدنى الألف عام منذ بداية المبعث النبوي وظهور الإسلام، كدين وقبله المسيحية قبل ٢٠٠٠ عام مع السيد المسيح(ع) في كنيسة المهد وكنيسة القيامة. يقابله الإدعاء اليهودي الكاذب بوجود هيكل النبي سليمان(ع) تحت المسجد الأقصى

وعندما سُئل ناجي العلي عن موعد رؤية وجه حنظلة أجاب: "عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة، وعندما يسترد الإنسان العربي شعوره بحريته وإنسانيته"

والحق اليهودي، بإعادة بنائه لتثبيت هوية الدولة والحق اليهودي في الإحتلال بمعنى العودة اليها ومحو هويتها الإسلامية، المرتبطة بالمسجد الأقصى وهويتها المسيحية المرتبطة بكنيسة القيامة وكنيسة المهد في بيت لحم ويشكل هذا الموضوع "أس" الصراع والذي يعتبر نقطة حاسمة، لترجيح كفة أي طرف اذا استطاع إثبات هوية المدينة المقدسة، فإذا استطاع الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون، إثبات حقهم وكذب الإدعاء اليهودي سقطت نظرية الوطن القومي اليهودي والحق بالعودة الذي بُنيت الإحتلال والإستييطان والهجرة العمدية عن سابق تصوّر وتصميم وإسقاط كل المرتكزات الدينية المقدسة للدولة اليهودية "إسرائيل"، وإذا إستطاعت "إسرائيل" الإنتصار وتثبيت كذبتها "هيكل سليمان" اعطت

زخماً، لعدوانها وربحت وفق القانون الذي تسيطر عليه أميركا و"إسرائيل" وحلفاؤها، زعزعة الموقف الفلسطيني والإسلامي والمسيحي والإنتصار في معركة ثقافية دينية كبرى ولا زالت "إسرائيل" تحشد كل إمكانياتها ومؤرخيها وعلماء الآثار ورواياتها التلمودية، لتدعيم وجهة نظرها بينما يعاني الطرف الفلسطيني من الضعف والوحدة وقلة الإمكانيات للمواجهة وخوض هذه الحرب الثقافية الدينية، بالتلازم مع تنصل العرب والمسلمين وأغلب العرب والمسلمين من المشاركة بهذه الحرب الدينية التي لا تتعلق بالفلسطينيين فقط وإنما بكل العرب والمسلمين وللحقائق التاريخية الإنسانية أيضاً مع مسند إلهي قرآني "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ، هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الإسراء: ١)

يقول الباحث النرويجي في علم الآثار والأنثروبولوجيا الثقافية تيري أوستيفارد (Terje Oestigaard): "تحوّلت المنطقة فلسطين، إلى ساحة معركة أيديولوجية تُستغل فيها المكتشفات الأثرية لدعم روايات قومية ودينية متعارضة. في "إسرائيل"، جرى استخدام الحفريات الأثرية لتعزيز الارتباط بالكتاب المقدس وإضفاء الشرعية على المطالب السياسية، بينما سعت الروايات الفلسطينية إلى إبراز التراث العربي الإسلامي لتأكيد جذورها في الأرض"^(٢). يناقش المؤلف كيف ارتبط علم الآثار تاريخياً بالعرق والهوية القومية، مشيراً إلى نماذج مثل غوستاف كوسينا (Gustaf Kossinna) (١٨٥٨-١٩٣١) في ألمانيا النازية الذي ربط اللقى الأثرية بالهوية العرقية. حيث أسس كوسينا، "العلم الآثار الإستيطاني" بالإعتماد على ثنائية "العرق والأثار" لتأييد الأيديولوجية النازية وحققها باسترجاع أوروبا التي كانت تحت سيطرة العرق الجرمانى حيث ربط بين ("السيراميك والعرق" لأنه يعتقد أن الفخار كان في الغالب نتيجة للتطورات الثقافية الأصلية بدلا من التجارة. بإستخدام تعاليم علماء الآثار الإستيطاني، فقام برسم خرائط توضح "الحدود الثقافية" المفترضة للثقافة "الإسكندنافية - الجرمانية"، والتي امتدت في جميع أنحاء أوروبا تقريباً، استناداً إلى أدلة نصية وأصولية وبهذه الطريقة، لعب كوسينا دوراً أساسياً في خلق "الطبوغرافيا العرقية" التي أصبحت،

لمقام النبي شمعون في بلدة شمع في الجنوب اللبناني حيث اشتهر هذا المؤرخ بتزوير التاريخ عبر تزوير الحقائق التاريخية والمكتشفات الأثرية وهذا ما يؤكد ان العدو "الإسرائيلي" يشن حربه الثقافية بالتكامل والتزامن مع حربه العسكرية.

الخاتمة

إن عدم توازن القوى العسكرية والمالية والإعلامية بين الشعب الفلسطيني والإحتلال "الإسرائيلي" المدعوم من أميركا والغرب وأغلبية العرب والمسلمين، يستوجب تطوير وتوسعة عناصر "المقاومة الثقافية" وحشد كل الطاقات الثقافية والفكرية والفنية، للشعب الفلسطيني بكل أفراده من العامة والمتقنين والنخب واهل الأدب والفن في الداخل الفلسطيني وفي الشتات الخارجي، لحفظ الهوية والتاريخ الفلسطيني، لمقاومة حروب التغيب والتزوير والتنازلات، ولحفظ الذاكرة والجغرافيا والتاريخ وإبقاء القضية حيّة ومنع

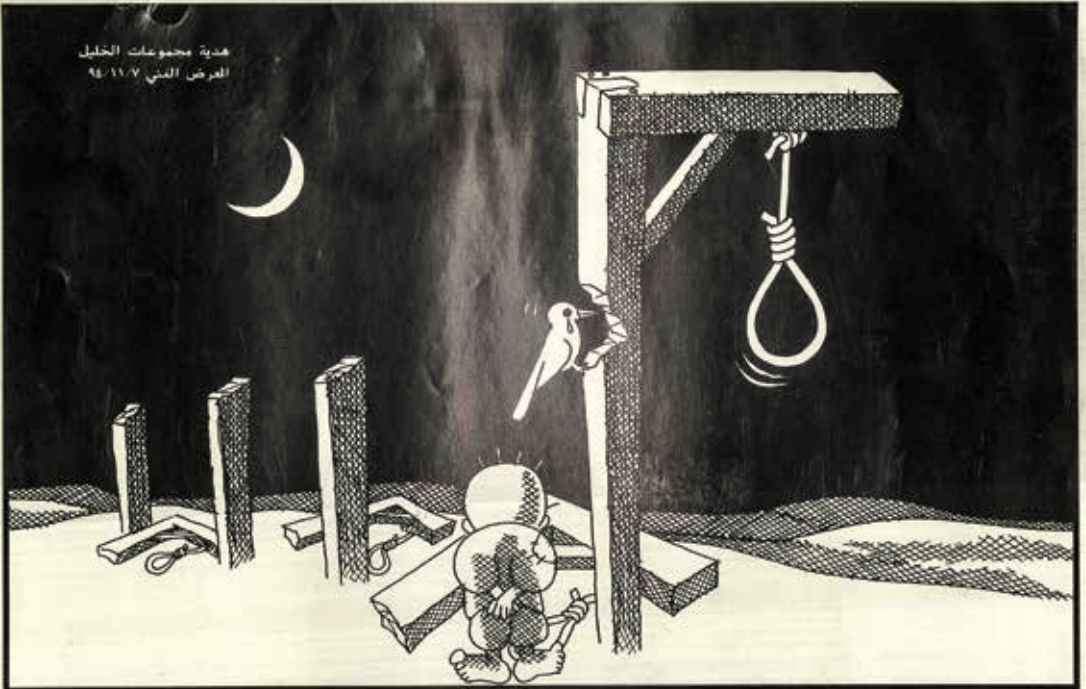
الخريطة النازية لأوروبا. ويتّبع الكيان "الإسرائيلي"، نفس المنهج وتوظيف مناهج مثل "علم الآثار الاستيطاني" لإثبات الاستمرارية السكانية والثقافية، مما يربط الأرض بجماعة بعينها ويمنحها شرعية سياسية. المواقع الأثرية والصراع ويذكر تيري أوستيفارد دراسات لأهم المواقع الخلافية، مثل:

- مدينة داود سلوان: حيث تروّج الحفريات "الإسرائيلية" لرواية متصلة بالملك داود، ما يثير توترات مع السكان الفلسطينيين.
- حاصور: كمثال على ربط المكتشفات بالقصص التوراتية.

- جبل الهيكل الحرم الشريف: أبرز بؤرة الصراع، حيث تتداخل المزايم اليهودية والإسلامية، ما يجعل الحفريات هناك قضية سياسية بامتياز.

وفي لبنان ومن ضمن الحرب الثقافية التي تشنها "إسرائيل" للتزوير التاريخ، فقد استطاعت المقاومة اللبنانية قتل المؤرخ "الإسرائيلي" زئيف ارليخ^{١٥} عند إقتحامه مع الجيش "الإسرائيلي"

✓
حنظلة ومشايق، ملصق
صادر عن المعرض الفني، ٧
تشرين الثاني ١٩٩٤



رسم كاريكاتيري للفنان الراحل ناجي العلي، اهدته أسرته لمنظمة العفو الدولية.

ناجي العلي (فلسطين) 1928 - 2019 من أبرز رسامي الكاريكاتير السياسي العربي □ عمل في جريدة المنظمة الكويتية، وجريدة الخليج، ومؤسسة القدس □ أول رئيس لرابطة رسامي الكاريكاتير العرب □ استشهد في 30 أغسطس/آب 1987.

الفلسطينيين باستخدام الرسم كسلاح للمقاومة الثقافية والتثقيف السياسي، أغتيل في لندن عام ١٩٨٧.

١١. www.jomhouria.com موقع _تاريخ النشر ١٩ اب ٢٠١٩- عنوان المقر الاجتماعي: ١٤ نهج ابن الجزار تونس ١٠٠٢---الهاتف: ٧١٧٩٧٠٥٥ ١٢. الصراع حول الحرم الإبراهيمي في الخليل والمجزرة التي ارتكبتها المستوطن "باروخ غولدشتاين في ٢٥ شباط ١٩٩٤ "شهر رمضان" التي أدت إلى تقسيم الحرم الإبراهيمي بين المسلمين واليهود.

13. Political Archaeology and Holy Nationalism: Archaeological Battles over the Bible and Land in Israel and Palestine from 1967-2000

كتاب علم الآثار السياسي والنزعة القومية المقدسة "المعارك الأثرية على الكتاب والأرض في إسرائيل وفلسطين (1967-2000). تأليف: تيري أوستيفارد، ترجمة: محمود الصباغ، الناشر صفحات للدراسات والنشر، تاريخ النشر بالانكليزية 2007 بالعربية 2024.

١٤. كريس هيرست- Chris Hurst صحفي أميركي و مذيع اخبار و سياسى <https://eferrit.com>

١٥. إيرليتش أيضا، مستكشف وباحث عن "أرض إسرائيل" التي كتب عنها دراسات عدة في ملحق تصدره كل سبت صحيفة Makor Rishon الإسرائيلية، وهو معروف بأنه اشتغل مدرسا في معهد Lander Institute بالقدس، كمتخصص بالضفة الغربية التي اشتهر بتوثيقه مواقع قديمة بالقرى العربية فيها، إضافة لعمله كمحاضر في "كلية يعقوب للتراث".

قائمة المصادر والمراجع

- أبو حسان، ع. (٢٠٢١، ٩ كانون الأول). [مقال]. تدوين الحدث. <https://tadween.alhadath.ps/article/١٤٨٧٦٤>
- أبو شاوور، ر. (٢٠٢٣، ١١ أيلول). [مقال]. الميادين نت. <https://www.almayadeen.net/arts-culture/>
- أوستيفارد، ت. (٢٠٠٧). Political

إقفالها حتى تقوم الأجيال القادمة، بمواصلة الكفاح والجهاد لإسترداد فلسطين، فإذا كانت الظروف الحالية تعطي الغلبة والأرجحية للإحتلال وحلفائه، فإن الوعد الإلهي يعطي الأمل والبشري، لعباده "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء: ١٠٥) ولن يكون هؤلاء المحتلون المتوحشون من عباد الله الصالحين، مما يعني أنهم لن يستقروا ولن يبقوا في فلسطين وستعود إلى أهلها وتاريخها وسيعود المسجد الأقصى أولى القبلتين وكنيسه القيامة والمهد في المعركة الأخيرة بين الحق والباطل، بظهور الإمام المهدي (عج) والسيد المسيح^(٤).

الهوامش

١. جريدة السفير ١٩٨٥\٧\٢.
٢. حاخام ومؤلف يهودي وفيلسوف إسرائيلي، أسس معهد شالوم هارتمان كان قائداً أمريكياً إسرائيلياً وفيلسوفاً لليهودية المعاصرة، ومؤسس معهد شالوم هارتمان في القدس، (١٩٣١-٢٠١٣ م).
٣. (جريدة السفير ١٩٨٥\١١\٢٢).
٤. نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، صفحة ١٣-١٤.
٥. اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو "سيداو" (Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination Against Women واختصاراً CEDAW: هي معاهدة دولية اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٩، وتتعارض في بعض بنودها مع أحكام الشريعة الإسلامية بالنسبة للمرأة والزواج والمثلية.
٦. ديمة شريف التلفزيون العربي تاريخ ٨ أكتوبر ٢٠٢٤ _ <https://www.alaraby.co.uk/culture>
٨. رشاد أبو شاوور _المصدر "الميادين نت" ١١ أيلول ٢٠٢٣ _ https://www.almayadeen.net/arts-culture_
٩. نفس المصدر _الصفحة ٢١.
١٠. ناجي سليم حسين العلي (١٩٣٧-١٩٨٧) رسام كاريكاتوري فلسطيني، من أهم الفنانين

• جريدة السفير. (١٩٨٥، ٢٢ كانون الثاني). [مقالة بدون عنوان]. السفير.

• الخطيب، ي. (٢٠٢٥، ١٦ نيسان). [مقال]. كتابة إبداع.

<https://ketabaibda.com/2025/04/16/https-wp-me-pg-aor-jj>

• الشريف، د. (٢٠٢٤، ٨ تشرين الأول). [تقرير]. التلفزيون العربي.

<https://www.alaraby.co.uk/culture>

• الريشهري، م. (بدون تاريخ). ميزان الحكمة: العلم والحكمة في الكتاب والسنة. [ناشر نامشخص].

• Hurst, C. (n.d.). Profile. Retrieved from <https://eferit.com/>

• United Nations. (1979). Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination Against Women (CEDAW). New York: United Nations General Assembly. ◀

Archaeology and Holy Nationalism: Archaeological Battles over the Bible ١٩٦٧-2000 (م. الصباغ، مترجم، ترجمه عربى ٢٠٢٤). دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

• الصايغ، أ. (١٩٩٤). ١٣ أيلول. بيروت: مكتبة بيسان.

• العسكري، م. (١٩٩٤). أحاديث أم المؤمنين عائشة. بيروت: دار التوحيد للنشر.

• العمري، ن. ش. (بدون تاريخ). أضواء على الثقافة الإسلامية (صص ١٣-١٤). [ناشر نامشخص].

• الجزيرة نت. (٢٠٢٢، ١٥ أيار). [تقرير]. <https://doc.aljazeera.net/reports/2022/5/15/>

• الجمهورية. (٢٠١٩، ١٩ آب). [صفحة تعريفية]. <http://www.jomhouria.com>

• جريدة السفير. (١٩٨٥، ٢ تموز). [مقالة بدون عنوان]. السفير.

✓
صورة ملونة. تظهر فيها
مجموعة من النساء يرتدين
الثوب الفلسطيني أثناء
المشاركة في احتفال يوم
المرأة العالمي: ٨ آذار ١٩٨٦



استع الص مشهد الطفل الفلسطيني



هاني نسيرة

كاتب وأكاديمي • مصر



المقدمة

يصف البعض هذا العصر، بأنه عصر الصورة، فقد غلبت فيه الصورة وما تخلقه من تصورات، وصار الصراع عليها كما هو الصراع على الحق والحقيقة، يسعى إليه الجميع، وفق أدواته وقدراته، ولكن عمق المأساة وتكرارها واستمرارها يفضح الجرائم والعدوان رغم محاولاته وحلفائه تشويها، وتزييف حقائقها وصورها.

ولكن رغم وضوح الحق، ونساعة الحقيقة في المشهد المأساوي الراهن، في غزة الفلسطينية، وسائر أبعاد القضية، حيث تتحرك ماكينة اليمين الإسرائيلي وتتقدم من نبوءات الكتاب المقدس، وتؤبيلات لها، بإبادة شعوب المنطقة نحو إسرائيل الكبرى، إلا أنها بينما تخاطف جنودها واحتياطيينها بلغة النبوءة والإصرار على الاستشهاد في سبيلها، تخاطب العالم بلغة ملتوية تحاول تزييف الحقيقة، مما يجعل عصر الصورة يحمل سلبياته كما يحمل إيجابياته دائماً^١.

فخطورة الصورة أنها تشكل التصورات والمواقف والدعم المعنوي للقضية، والذاكرة للمستقبل، وهي في السياق الفلسطيني بالخصوص تمثل مركزية خاصة، ليس فقط منذ الطوفان الغاضب الثائر في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وتداعياته العنيفة والمرة من العدوان "الإسرائيلي"، لكن قبلها بأكثر من عقدين، من حلقات الحصار والتجويب والهجمات المتقطعة.

ربما نجحت "إسرائيل" في البداية في ترويج وتوظيف صور هجمات السابع من أكتوبر غير المسبوقة، وحشد التعاطف الدولي معها، ولكن على مدار ما يقرب من عامين، كانت صور وحشيتها أقوى من الإنكار أو التجاهل.

وفي السياق الفلسطيني، برزت صورة الطفل بوصفها إحدى أكثر الصور تداولاً ورمزية في الإعلام الدولي، حيث تتجاوز حدود التوثيق البصري إلى فضاءات الصراع على المعنى، وإعادة إنتاج علاقات القوة بين المستعمر، حيث لا تعكس الواقع فقط، بل تعيد ترتيبه، وفق منظورات الرؤية المختلفة.

مارورة والإعلام الدولي



وعند تناول مشهد صورة الطفل الفلسطيني في طوفان السابع من أكتوبر، بعيدا عن موقفنا من تقييم هذا الحدث المهم، وتقدير تضحياته، نشير لعدد من محطاته، والملاحم لمشهده، ولكن نطرح أيضا العديد من الأسئلة التي تدور معه وحول جدله عالميا وإنسانيا، من قبيل علاقة الإعلام بالسياسة والهيمنة، وأزمة ازدواجية المكايل الدولية في التعامل مع قضايا المنطقة، وحدود الأخلاقيات المهنية في تغطية النزاعات المسلحة، وتأثيرها الواسع مما جعل استهداف الإعلاميين والمصورين وسيلة مع تادة لقوى العدوان والاحتلال الإسرائيلي.

محمد الدرة.. حياة صورة لا تموت

تتحول الصور أيقونات في ذاكرة ووعي الشعوب، وقد خلدت صورة قتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة، على يد قوات الجيش "الإسرائيلي" بقطاع غزة، في ٣٠ سبتمبر عام ٢٠٠٠، أيقونة من هذا النوع، وشارة استمرار الانتفاضة الفلسطينية الثانية وتوجهها حينها، وكان من أبرز أسباب التعاطف العربي والدولي، هوبث وسائل الإعلام لمشهد اغتيال طفل في حضن أبيه، الذي استغاث لوقف إطلاق الرصاص عليه، ملوحًا بيده للتأكيد على أنه أعزل.

التحقيق الصحفي المصور حول ظروف مقتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة في غزة، تناقلته وسائل الإعلام ليصبح في فترة قصيرة من الزمن رمزا لأهمية الصورة أمام عيون الملايين من العرب والأجانب حيث قتل الطفل محمد الدرة البالغ من العمر اثني عشر عاما، بين ذراعي والده جمال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد إصابته في تبادل لإطلاق النار بين الجيش "الإسرائيلي" وناشطين فلسطينيين، أمام عدسات الكاميرا.

هذه اللقطات التاريخية، وبعد أكثر من عقدين من الزمن، وبعد سنوات على انتهاء الانتفاضة، بقيت محفورة في أذهان الملايين، كما يبقى هذا التحقيق الصحفي رمزا مهما للوحشية "الإسرائيلية" والمظلومية والعدالة في القضية الفلسطينية. ولكن ظلت "إسرائيل" تشكك فيه وتعتبره عنصرا رئيسيا في الحرب الإعلامية التي تشنها ضد القضية الفلسطينية. ولكن رغم عادة وحالة الانكار "الإسرائيلية" للجرائم، ظل حادث مقتل محمد الدرة في الذاكرة الفلسطينية والإنسانية صورة حية بريئة لمدى التوحش العدواني لإسرائيل، ولطالما أقر واعترف

الإنسانية التي ترى مأساتها، أو المحايدة التي تراه رمزا للمقاومة والمظلومية، أو اليمينية النازية الجديدة التي قد ترى في تضحياته غير ذلك.

من هنا، تتبع أهمية دراسة استعمار الصورة، أي الكيفية التي يعاد من خلالها إنتاج الهيمنة عبر التمثيلات البصرية. خصوصاً حين يتعلق الأمر بأكثر الفئات براءة ومعاناة في المجتمعات، وهي الأطفال. الصورة هي كشف الحقيقة ونشرها، ودليها الثابت الذي قد يصعب الشك فيه متى صحت ولم يتم تزيفها، ولا اختزلها، كما تفعل بعض وسائل الإعلام فبينما تبرز بعض وسائل الإعلام الغربية، التي تحاول تجسيد استعمار الصورة، ومركزيتها الغربية، حين تقدم صورا محدودة الإطار، ومحدودة الدلالة والقدرة على كشف الحقيقة والواقع المر. حاولت، وتحاول، بعض وسائل الهيمنة الجديدة، تبريد وتقييب العواطف، ووضع صورة الطفل الفلسطيني في خانة الضحية المجردة أو الغائب عن السردية، ولكنها لم تنجح في ذلك إلا جزئيا.

تُظهر البيانات الحقوقية والإنسانية حجما غير مسبوق من الانتهاكات ضد الأطفال في غزة خلال عام ٢٠٢٤، حيث قُتل أكثر من ١٩,٠٠٠ طفل منذ اندلاع الحرب، ما جعل الأرض الفلسطينية المحتلة توصف بأنها أخطر مكان في العالم ليكون فيه المرء طفلا

حيث نجحت الأصوات الإنسانية، والحقوقية والمقاومة في المنطقة والعالم، في توصيل حجم المأساة، وهو ما أيدته تقارير المنظمات الدولية في أحيان كثيرة، عبر إبراز معاناة الأطفال الفلسطينيين كمدخل للتضامن العالمي مع قضيتهم العادلة. ليس أعمق من صورة الطفل الفلسطيني ومأساه، من بين صور الإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني وغزة بالخصوص، منذ عقود، فهي تجسيد للبراءة في وجه التوحش، واللاعنف في وجه العنف والعدوان المنتهك لكل اتفاقات جنيف ومبادئ القانون الدولي الإنساني، كما أنه من أهم أدوات القوة الناعمة لكشف الوجه الحقيقي لهذا العدوان، آخر احتلال استيطاني مستمر في العالم، رغم انتهاء عصر الاستعمار.

اعتبر مراقبون إسرائيليون أن هذا الحدث وما تلاه مثل فاصلا مؤثرا على صورة إسرائيل في الخارج وأنه منذ اندلاع الانتفاضة الثانية، توجد بين إسرائيل والجانب الفلسطيني حرب إعلامية على الساحة العالمية. معتبرين أن موضوع محمد الدرة و"خلفية قتله كان بمثابة سلاح بأيدي الجانب الفلسطيني". وأن "إسرائيل" تدفع الثمن حتى الآن، في محاولات لإقناع العالم بأن الصورة الحقيقية "لإسرائيل" ليست الصورة التي يحاول الجانب الفلسطيني أن يقنع العالم بها^٣. وهو ما تثبت الحوادث التالية حتى مأساة غزة الراهنة أنه غير حقيقية، وتثور في وجهه المظاهرات المليونية في مختلف أنحاء العالم منددة به.

أزمة إنسانية غير مسبوقة

ارتقت مأساة الطفل الفلسطيني الحالي إلى مستويات غير مسبوقة، وهذا ما تعبر عنه التقارير الدولية بوضوح، حيث أفادت منظمة

أنقذوا الأطفال (Save the Children)، ومقرها المملكة المتحدة، في بيان صادر بتاريخ ٧ يناير ٢٠٢٤، بأن ما يزيد عن عشرة أطفال في المتوسط يفقدون إحدى ساقهم أو كليهما يوميًا في قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، مشيرة إلى أن جزءًا كبيرًا من هذه العمليات الجراحية يتم إجراؤه في ظل غياب التخدير الطبي اللازم، وعظم الألم وتماومه، وهو ما تجسده الصورة وينتقل يفرع ضمير العالم أجمع.

فقد صرّح جيسون لي، المدير الإقليمي لفرع هذه المنظمة في الأراضي الفلسطينية، بأن حجم المعاناة التي يتعرض لها الأطفال في هذا النزاع "لا يمكن تصوّره"، مؤكّدًا أنها معاناة "غير ضرورية وكان بالإمكان تجنبها". كما شدّد على أن قتل الأطفال وتشويههم يُعد جريمة جسيمة تستوجب المساءلة القانونية ومحاسبة مرتكبيها. كما أضاف جيسون لي أن مشاهد الأطفال (الصورة)، وهم يتألّمون نتيجة التشوهات والإصابات البالغة،

✓
الصور التي التقطها طلال
أبورحمة تظهر جمال الدرة
وهو يحاول حماية ابنه محمد
في ٣٠ أيلول، سبتمبر ٢٠٠٠ في
غزة/ صورة من وكالة فرنسا
للأنباء.



خلال العام الأول من الحرب، عبر عشرات التقارير ومقالات الرأي، فإن مستوى التغطية شهد تراجعاً ملحوظاً بعد مرور أكثر من ثمانية عشر شهراً على انطلاق عملية طوفان الأقصى في أكتوبر ٢٠٢٣. ويُعزى هذا التراجع إلى ما يمكن وصفه بـ "القصور البنيوي" في التغطية: إذ يكتفي معظم الصحفيين الأميركيين بالعمل من داخل "إسرائيل" أو عبر وسطاء محليين في غزة، دون تواجد مباشر في الميدان. وإلى جانب ذلك، تخضع وسائل الإعلام الأميركية لضغوط سياسية وإيديولوجية، سواء بفعل تأثير جماعات الضغط المؤيدة "لإسرائيل" أو بفعل حساسية العلاقات بين البيت الأبيض والحكومة الإسرائيلية". هذا الإطار جعل معاناة المدنيين، وعلى رأسهم الأطفال، هامشية في المشهد الإعلامي الأميركي، رغم جسامته الكارثة الإنسانية.

وفي ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٤، نشرت صحيفة نيويورك تايمز على صفحتها الأولى تقريراً مصوراً عن ١٦ طفلاً من قطاع غزة فقدوا أطرافهم جراء الحرب، ونقلوا للعلاج في الخارج بجهود منظمات إنسانية دولية. وقد امتد التقرير على أكثر من صفحتين تضمنتا صوراً ملونة للأطفال أثناء عمليات الإجلاء، إلى جانب عرض تفاصيل دقيقة عن معاناتهم الصحية وعمليات البتر التي خضع لها بعضهم لإنقاذ حياتهم، فضلاً عن آثار الندوب الجسدية التي ستلازم الكثير منهم مدى الحياة. وقد أشار التقرير أيضاً إلى أن هذه الرحلات الطبية جاءت بعد مفاوضات شاقة بين منظمات الإغاثة وعدة حكومات، من بينها إسرائيل ومصر وإيطاليا.

إلا أن نشر هذه المادة الصحفية أثار موجة غضب من منظمات يهودية صهيونية. اتهمت الصحيفة بعدم صياغة الرواية ضمن "الإطار الصحيح"، عبر تحميل حركة حماس المسؤولية الكاملة عما تعرض له هؤلاء الأطفال، وهكذا برزت أهمية هذا التقرير كحالة استثنائية: إذ إن الإعلام الأميركي عموماً لم يعط الشهداء الفلسطينيين، وبخاصة الأطفال، الاهتمام المماثل الذي يمنحه للضحايا الإسرائيليين من باب تبرير العدوان والتأييد الأميركي للتوحش "الإسرائيلي" في غزة العز.

وصية طفل غزاوي على هاتفه

ثمة، الكثير من المشاهدات والصور التي تنقل لنا المأساة التي يعيشها الطفل الفلسطيني دون الحاجة

في ظل نقص حاد في المعدات والأدوية، تترك أثراً نفسياً عميقاً حتى على الكوادر الطبية الأكثر خبرة، موضحاً أن "مشاهد وأصوات الأطفال الصغار الذين شوّهوا بفعل القصف لا يمكن التغاضي عنها حتى في سياق مناطق النزاع".

وفي الإطار ذاته، نقل البيان تصريحات المتحدث باسم منظمة اليونيسف، جيمس إيدي، عقب زيارته إلى غزة في ١٩ ديسمبر ٢٠٢٣، حيث أوضح أن نحو ألف طفل فقدوا إحدى ساقيهما أو كليتيهما منذ اندلاع التصعيد العسكري في ٧ أكتوبر من نفس العام. وأضاف أن المستشفيات في القطاع تشهد اكتظاظاً شديداً بالأطفال وذويهم، الذين يحملون جميعاً "تدوب الحرب المروعة".

تُظهر البيانات الحقوقية والإنسانية حجماً غير مسبوق من الانتهاكات ضد الأطفال في غزة خلال عام ٢٠٢٤، حيث قتل أكثر من ١٩,٠٠٠ طفل منذ اندلاع الحرب، ما جعل الأرض الفلسطينية المحتلة توصف بأنها أخطر مكان في العالم ليكون فيه المرء

وصية عزمي لم تكن مجرد كلمات بريئة لطفل صغير، بل صورة رسمها بالكلمات، سجل فيها مشاهد يومية رآها من مسلسل مأساة غزة، من أطفال يُقتلون، نساء يُسحقن تحت الركام، ومنازل تتحول إلى مقابر لسكانها

طفلاً، وفي غضون أربعة أشهر فقط، ارتفعت حالات سوء التغذية الحاد بين الأطفال دون سن الخامسة في عيادات منظمة أنقذوا الأطفال بما يزيد على عشرة أضعاف، وهو مؤشر بالغ الخطورة على انهيار الأمن الغذائي. وتشير التقديرات إلى أن ما يقارب ٩٣٠,٠٠٠ طفل - أي ما يعادل جميع أطفال غزة تقريباً - يواجهون خطر المجاعة، نتيجة الحصار وسياسات التجويع الممنهجة، وإزاء هذا الواقع، تتحول الطفولة الفلسطينية إلى شاهد إنساني على مأساة عميقة ومركبة، حيث يختزل حق الحياة والنجاة في أرقام صادمة تجسد أثر الاستعمار العنيف على الجسد الطفولي.

ورغم أن العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة شكل محورا رئيسياً في توجهات وأجندة الإعلام الأميركي

التاسع عشر من مارس ٢٠٢٤، وكان نصها كما يلي:
 "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذا نمت وذهب
 النون (إذا مت) فسأحوي أُمي وأبي وأخواتي نعيمة
 وشهد ومريم ومحمود."
 ثم أضاف بلغة تحمل نبوءة موجهة: "أنا عزوز...
 حاسس حالي مش مطول."
 كتب عزمي إلى والدته أن تعني بأخيه محمود،
 واعتذر لشقيقاته نعيمة وشهد ومريم عن أي
 إزعاج سببه لهم، مؤكداً أنه أحبهم جميعاً، كما لم
 ينس جدته وجدته وأعمامه وعماته، وطلب من
 الجميع أن يسأحوه.
 اليوم، لم تعد وصية عزمي مجرد كلمات، بل تحولت
 إلى شهادة دامية على حجم المأساة الإنسانية
 في غزة. فقد وثق المكتب الإعلامي الحكومي في
 القطاع استشهاد أكثر من ١٧ ألفاً و٨٦١ طفلاً خلال
 الحرب، فيما لجأ كثير من الصغار إلى كتابة أسمائهم
 على أذرعهم وأجسادهم، خشية أن يصبحوا جثثاً
 مجهولة تحت الأنقاض.^٧

إلى الوصف بألف الكلمات. فلا يستطيع أحد أن
 ينسى الطفل عزمي أبو الشعر، الذي مثل مشهداً
 مؤلماً يفوق الدراما السينمائية في واقعتها، وفي قلب
 الركام والدمار، لم يجد هذا الطفل البالغ من العمر
 عشرة أعوام، سوى مذكرة هاتفه المحمول ليُدون
 عليها وصيته الأخيرة. كان ذلك قبل أن يرتقي شهيداً
 في قصف استهدف منزل عائلته، خلال حملة الإبادة
 الجماعية والتجويع التي شنتها إسرائيل على قطاع
 غزة والتي مازالت مستمرة حتى كتابة هذه الكلمات.
 وصية عزمي لم تكن مجرد كلمات بريئة لطفل
 صغير، بل صورة رسمها بالكلمات، سجل فيها
 مشاهد يومية رآها من مسلسل مأساة غزة، من
 أطفال يُقتلون، نساء يُسخنن تحت الركام، ومنازل
 تتحول إلى مقابر لسكانها. تلك التجارب المبكرة
 سرقت من قلبه الطمأنينة، وغرست داخله
 إحساساً بأن الحياة قد تنتهي في أي لحظة، كتب
 رسالته القصيرة إلى المجتمعين الدولي والإنساني،
 ببيكائه وسط أصوات القصف العنيف، بتاريخ

غزال بكر في ممزج مجمع
 الشقق السكنية في الدوحة
 حيث تعيش الآن/ سمر أبو
 العوف، مجلة النيويورك



توظيف الصورة: وتصاعد النقد الغربي "لإسرائيل"

وثقت التقارير الدولية، الواقع المرير الذي يعيشه الطفل الفلسطيني ورصدت حالته ومعاناته. فقد أفاد مكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، في بيان صدر في ٨ نوفمبر ٢٠٢٤، بأن ما يقرب من ٧٠٪ من الضحايا الذين تمكن من توثيق مقتلهم في الحرب على غزة هم من النساء والأطفال، معتبراً ذلك مؤشراً على وقوع "انتهاك منهجي للمبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني" الذي يستهدف حماية المدنيين أثناء الحرب^٨. ووفقاً للتقرير الأممي، فقد بلغ عدد الضحايا الذين جرى التحقق من مقتلهم ٨١١٩ شخصاً - في حينه، وهو رقم أقل بكثير من الإحصائية المعلنة من قبل السلطات الصحية الفلسطينية التي تشير إلى مقتل أكثر من ٢٣,٠٠٠ شخص على مدار ثلاثة عشر شهراً في السابع من أكتوبر سنة ٢٠٢٤. ويرجع هذا التفاوت في الأرقام والحصر، إلى

فقد وثق المكتب الإعلامي الحكومي في القطاع استشهاد أكثر من ١٧ ألفاً و٨٦١ طفلاً خلال الحرب، فيما لجأ كثير من الصغار إلى كتابة أسمائهم على أذرعهم وأجسادهم، خشية أن يصبحوا جثثاً مجهولة تحت الأنقاض

آلية التحقق الأممية، التي تشترط التأكد من المعلومات عبر ثلاثة مصادر مستقلة قبل إدراجها في الحسيلة الرسمية، ومع ذلك، فإن التصنيف العمري والجندري للضحايا الذين تم التحقق من أعدادهم يتوافق مع ما تؤكد المصادر الفلسطينية بشأن أن النساء والأطفال يشكلون النسبة الأكبر من الخسائر البشرية. وأشار التقرير المكون من ٣٢ صفحة إلى أن هذه النتائج "تعكس انتهاكاً منهجياً للمبادئ القانون الدولي الإنساني، بما في ذلك مبدأ التمييز بين المقاتلين والمدنيين، ومبدأ التناسب في استخدام القوة". من جانبه، شدد المفوض السامي لحقوق الإنسان، فولكر تورك، على "ضرورة تحقيق المساءلة إزاء الانتهاكات الجسيمة المزعومة للقانون الدولي، من

خلال هيئات قضائية ذات مصداقية وحيادية"، مؤكداً في الوقت نفسه على أهمية "جمع المعلومات والأدلة ذات الصلة وحفظها" حين إحالة القضايا إلى جهات التحقيق الدولية المختصة.

منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، عقب عملية "طوفان الأقصى"، تحولت الصورة إلى ساحة مواجهة مركزية بين الفصائل الفلسطينية من جهة، والاحتلال والعدوان "الإسرائيلي" من جهة أخرى. إذ سعت إسرائيل منذ اللحظة الأولى للحرب إلى بناء سرديّة إعلامية تركز على "شيطنة" الفصائل الفلسطينية، مستغلة حالة الدعم الغربي الواسع لها في البداية، غير أن المقاربة الإعلامية للفصائل الفلسطينية نجحت إلى حد بعيد في تحقيق أهداف متعددة، شملت تنفيذ الرواية "الإسرائيلية"، وشن حرب نفسية على الداخل "الإسرائيلي"، بالإضافة إلى إحداث تحول ملحوظ في بعض المواقف الغربية على المستويين الرسمي والشعبي.

وقد استندت الرواية "الإسرائيلية" منذ بداية الأحداث إلى مزاعم تتعلق بـ "قتل الأطفال وقطع رؤوسهم" خلال عمليات ٧ أكتوبر، وقد روجت الآلة الإعلامية "الإسرائيلية" لهذه الادعاءات على نطاق واسع لإلصاق تهم "البربرية" و"الإرهاب" بالفصائل الفلسطينية، ومن ثم إضفاء شرعية زائفة على عدوانها على غزة. وقد بلغ الأمر حد نشر مكتب رئيس الوزراء "الإسرائيلي" مزاعم بشأن "قطع رؤوس أطفال إسرائيليّين وحرقت جثثهم على أيدي حماس"، وتكرار وسائل الإعلام الإسرائيلية تقارير تزعم مقتل ما لا يقل عن ٤٠ طفلاً بطرق وحشية على يد المقاومة.

في المقابل، نفت حركة حماس هذه الادعاءات في بيان رسمي بتاريخ ١١ أكتوبر، مؤكدة أن عملياتها العسكرية استهدفت المنظومة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية دون المدنيين. الالفت أن "إسرائيل" نفسها اضطرت لاحقاً إلى التراجع عن هذه المزاعم، حيث كشف تحقيق أجرته صحيفة "هآرتس" "الإسرائيلية" عدم صحتها، موضحاً أن بيانات مؤسسة التأمين الوطني والإفادات الميدانية من الشرطة وقادة المستوطنات لا تدعم هذه الرواية. وعلى النقيض، وثقت وسائل الإعلام العالمية شهادات دامغة على الجرائم "الإسرائيلية" في غزة. فقد نقلت شبكة "سي إن إن" شهادة أحد الناجين من قصف مخيم جباليا في نوفمبر ٢٠٢٣، قائلاً:

“كان الأطفال يحملون أطفالاً مصابين آخرين ويركضون، وكان الغبار يملأ الهواء، وكانت الحشث معلقة على الأنفاس، ولم يتم التعرف على كثير منها. وكان مئات الأشخاص ينزفون والبعض الآخر محترقاً”. وقد جاءت هذه المشاهد ضمن عشرات التقارير التي أبرزت حجم الكارثة الإنسانية التي تسببت بها “إسرائيل”، والتي أسفرت حتى اللحظة عن مقتل آلاف الأطفال والنساء الفلسطينيين^٩. هذا الواقع شكل بدوره مدخلا لتغير نسبي في مواقف بعض الدول الغربية، وهو ما تجسد في تصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في ١٠ نوفمبر ٢٠٢٣، حين اتهم “إسرائيل” صراحة بقتل النساء والأطفال في غزة، وطالب بوقف إطلاق النار. وقد أثار التقرير الذي نشرته صحيفة “نيويورك تايمز” في ٩ أكتوبر ٢٠٢٤ بشأن أوضاع الأطفال في غزة تفاعلاً واسعاً على منصات التواصل الاجتماعي، وفي المقابل أثار حق الإعلام “الإسرائيلي” الذي سارع إلى مهاجمة الصحيفة

الأميركية. فقد عرض التقرير شهادات موثقة لعاملين في القطاع الطبي في غزة خلال الفترة بين ٢٥ مارس و ٨ أبريل ٢٠٢٤، وصفوا فيها ما شهدوه داخل المستشفيات من مشاهد “مفجعة ومرعبة”. وقد أجمع الأطباء والممرضون على أن أطفالاً دون سن المراهقة أصيبوا بطلقات نارية مباشرة في الرأس أو الصدر، وفارقوا الحياة على الفور، كما أشاروا إلى انتشار واسع لحالات سوء التغذية الحاد والأزمات النفسية بين الأطفال، إلى حد أن بعضهم فكر في الانتحار أو تمنى الموت^{١٠}. ورغم أن الجيش “الإسرائيلي” اكتفى بالرد بأن قواته “ملتزمة بتخفيف الضرر على المدنيين” وجميع الالتزامات القانونية الدولية، فإن نشر التقرير فجر موجة انتقادات “إسرائيلية” حادة، حيث زعمت صحيفة “إسرائيل اليوم” أن محتواه لا يستند إلى أدلة طبية كافية. في المقابل، أكدت “نيويورك تايمز” أن تقريرها خضع لمراجعة صارمة وأن جميع الشهادات الواردة فيه قد تم التحقق منها.

✓
الأطفال الفلسطينيون
يحملون القدور وهم يقفون
في طابور لتسلم الطعام
المطبوخ من قبل مطبخ
خيري، في وقت يستمر فيه
النقص في المواد الغذائية مع
تواصل الصراع بين إسرائيل
وحماس، رفح، جنوب قطاع
غزة، ١٤ كانون الأول، ديسمبر
٢٠٢٣ / رويترز، صالح سالم



الانتهاكات الممنهجة ضد المدنيين. تحت عنوان لافت: "تغطية الحرب على غزة حتى لا يقول أحد: لم تكن نعلم ذلك"، وضعت صحيفة إنفورماسيون الدنماركية نفسها في مواجهة مباشرة مع تقاليد الإعلام المحلي، مؤكدة أن التغطية لا يجوز أن تكون ملطفة أو مزيفة لواقع الحرب "الإسرائيلية" على غزة.

فعلى الرغم من انشغال الإعلام الأوروبي عموماً بملفات سياسية أخرى مثل الحرب "الإسرائيلية" - الإيرانية، أصرت الصحيفة على إبقاء غزة في صدارة اهتمامها، عبر نشر تقارير وصور تهمز الضمير الإنساني. ففي عددها الصادر بتاريخ ١٢ يونيو ٢٠٢٥، خصصت الصفحة الأولى بالكامل لصور أطفال فلسطينيين قتلوا خلال العدوان، وكتبت بخط عريض: "لا تفصوا الطرف/لا تنظروا بعيداً". كانت تلك الصور، كما أوضحت الصحيفة، قد التقطت خلال الشهرين الأخيرين، لتذكر القارئ بأن أكثر من ١٦ ألف طفل فلسطيني فقدوا حياتهم تحت قصف الاحتلال^١.

بهذا الاختيار، كسرت "إنفورماسيون" تقليداً راسخاً في الصحافة الدنماركية يتجنب نشر صور الأطفال الضحايا، لكنها في الوقت نفسه خلقت صدمة إيجابية دار حولها النقاش السياسي والشعبي حول مأساة غزة والطفل الفلسطيني بالخصوص، فقد أعادت رئيسة التحرير، رونا لوكبيرغ، التأكيد في افتتاحية العدد الأخير في ذلك الشهر على أن "إظهار معاناة المدنيين ضرورة أخلاقية"، فيما نشر الموقع الإلكتروني للصحيفة الصور ذاتها تحت عنوان: "هذه هي الصور التي تعكس حقيقة ما يجري في غزة".

لم يقتصر التأثير على القارئ العادي، فقد جالت كاميرا "إنفورماسيون" داخل البرلمان في كوبنهاغن، عارضة الصور على سياسيين من أحزاب مختلفة، المثير أن ممثلي الحزب الحاكم (الاجتماعي الديمقراطي) وحزب الشعب اليميني المتطرف رفضوا حتى النظر إليها، بينما بدا التأثير واضحاً على سياسيين آخرين مثل وزير الخارجية الأسبق مارتن ليدغورد وزعيمة حزب الشعب الاشتراكي بيا أولسن.

أكاديمياً، اعتبرت أستاذة دراسات الشرق الأوسط بجامعة كوبنهاغن، كريستن كرون، أن الصور التي نشرتها الصحيفة "أقل قسوة مما تنشره وسائل

وتزداد خطورة المعطيات التي كشفها التقرير حين تقارنها بالأرقام الموثقة من منظمات دولية. فبحسب بيانات منظمة أوكسفام، قتل جيش الاحتلال خلال عام واحد في غزة أكثر من ١١ ألف طفل، وهو عدد يتجاوز حصيلة جميع الأطفال الذين قتلوا في النزاعات الأخرى مجتمعة خلال العقدين الماضيين، دون احتساب المفقودين أو من لا يزالون تحت الأنقاض، وقد هذه الأرقام مصداقية ما عرضه التقرير، وأظهرت حجم الكارثة الإنسانية المستمرة.

وقد انعكس ذلك في تفاعل الناشطين على المنصات الرقمية آنذاك، إذ اعتبر بعضهم أن نشر التقرير يمثل تحولاً لافتاً في خطاب الصحافة الأميركية تجاه الرواية "الإسرائيلية"، قائلين إن حتى الصحف الغربية "ملت من الأكاذيب ولم تعد قادرة على تبرير حجم الإجرام". بينما رأى آخرون أن التقرير قد يشكل "شهادة من الداخل الأميركي" قد تدفع إدارة بايدن إلى إعادة النظر في موقفها، في حين لفت نشطاء إلى

وفقاً للتقرير الأممي، فقد بلغ عدد الضحايا الذين جرى التحقق من مقتلهم ٨١١٩ شخصاً - في حينه، وهو رقم أقل بكثير من الإحصائية المعلنة من قبل السلطات الصحية الفلسطينية التي تشير إلى مقتل أكثر من ٤٣,٠٠٠ شخص على مدار ثلاثة عشر شهراً في السابع من أكتوبر سنة ٢٠٢٤

تناقض الموقف "الإسرائيلي" الذي يرحب بتقارير "نيويورك تايمز" حين تخدمه، لكنه يهاجمها فور أن تدين سياسات الاحتلال.

ولا تقتصر الهجمة "الإسرائيلية" على هذا التقرير بعينه، إذ درجت السلطات ووسائل الإعلام "الإسرائيلية" على رفض معظم التقارير الدولية التي تدين ممارسات الجيش "الإسرائيلي". ومن أبرز ما كشفته تقارير إعلامية أخرى، استخدام ما لا يقل عن ١١ فريقاً من الجنود وعناصر الاستخبارات "الإسرائيلية" لمدنيين فلسطينيين معتقلين كـ "دروع بشرية" خلال عمليات استطلاعية في خمس مدن بغزة، وهو ما يضاعف من حجم

استعمار الصورة أو الخيـاز السردية في حرب غزة

يرى مراقبون أنه على امتداد عام كامل من الحرب في غزة، أثبتت التغطية الغربية - وفي مقدمتها الأميركية والبريطانية - عجزها عن الالتزام بالمبادئ المهنية التي طالما رفعتها كشعارات، مثل الحياد والاستقلالية والموضوعية، خصوصاً عندما تصبح إسرائيل طرفاً متهماً في المعادلة، فشعارات حقوق الإنسان تراجعت أمام اعتبارات "أمن تل أبيب"، وتحولت التغطية إلى سلسلة متصلة من الخيـاز للرواية "الإسرائيلية"، منذ بداية الحرب، بدءاً من خطابات الرئيس الأميركي جو بايدن، مروراً بوسائل إعلام كبرى كـ "سي إن إن"، وصولاً إلى كبريات الصحف مثل "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست".

في أكتوبر ٢٠٢٣، قال بايدن إن "إرهابيين قطعوا رؤوس أطفال" في غزة، مستنداً إلى مزاعم "إسرائيلية" لم يتم التحقق منها، لكن البيت الأبيض اضطر

الإعلام العربية، مؤكدة أن الواقع في غزة أشدّ بؤساً مما يُعرض للجمهور الدنماركي. لكنها شددت في الوقت نفسه على أن مجرد نشر هذه الصور يفتح الباب أمام نقاش حيوي حول خيارات الإعلام المحلي في تغطية الحرب.

وتكشف دراسة أعدتها كرون مع الباحث ماغنوس بورلوم دام، شملت عينتها ست صحف دنماركية منذ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى ربيع ٢٠٢٤، أن أغلب هذه الوسائل سعت إلى تقديم "تغطية متوازنة"، وهو ما انعكس في استبعاد الصور الأكثر إيلاّماً مثل مشاهد الآباء وهم يحملون جثث أطفالهم، بذريعة أنها "قد تكون مدبرة".

في المحصلة، ما قامت به إنفورماسيون ليس مجرد مبادرة صحفية، بل خطوة جريئة لانتزاع الرواية الإنسانية من قلب الركام. فحين تتكلم الصور عن ١٦ ألف طفل شهيد، يصبح الصمت تواطؤاً، وتتحول التغطية "الحيادية" إلى شكل آخر من أشكال التواطؤ الإعلامي.

ظاهرة كتابة الأسماء على
الأجساد للتعريف على
الشهداء بدأت من مستشفى
كمال عدوان في بيت لاهيا
شمال غزة/ إندبندنت
عربية، مريم أبو دقة



تجاهلت القصف نفسه، ونشرت قبل يومين من المجزرة تقريراً يروي بأن حماس تبني أنفاقاً تحت المستشفيات والمدارس.

وتؤكد الأدلة الرقمية حجم التحيز، فقد رصد موقع "إنترسبت" أكثر من ١٠٠٠ مقال نشرتها "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" و"لوس أنجلوس تايمز" خلال ثلاثة أشهر من الحرب، وخلص إلى أن هذه الصحف منحت الوفيات "الإسرائيلية" تغطية موسعة ولغة عاطفية، مقابل تهميش الضحايا الفلسطينيين، بل كشفت مذكرة مسربة من "نيويورك تايمز" أنها طلبت من صحفيها تجنب استخدام مصطلحات مثل "إبادة جماعية"، و"تطهير عرقي"، و"أرض محتلة"، وعدم الإشارة إلى "مخيمات اللاجئين" إلا نادراً، مع تقييد استخدام كلمة "فلسطين"، وهو ما وصفه موظفون في الصحيفة بأنه احترام والتزام فاج بالرواية "الإسرائيلية".^١

هناك معضلة في التغطية الإخبارية الدولية تقع فيها الدول إما عن قصد أو بدون قصد، وهي التمييز والتحيز للعدوان ضد ثورة الطوفان، وإن شئت قل تأييد العنصرية "الإسرائيلية"، في آخر احتلال استيطاني في العالم، وذلك في تداول الصورة والتغطية الأخبارية لموضوعات بعينها، إما بإسقاطها تماماً من التغطية أو انتهاج خط تحرييري ناعم لا ينقل الواقع كما هو، ومحاولة تجاهل فداحة وقسوة الحدث في الحالات غير الاعتيادية للحروب والكوارث الإنسانية. فتتخذ بعض المؤسسات الصحفية والإعلامية الغربية الكبرى من مسألة تزييف الصور معضلة في التعطيم على القضايا والصراعات السياسية التي قد تتعارض مع سياسات تلك البلاد. وهناك العديد من التقارير الصحفية التي تنتهج هذا النمط التحرييري وبنفس الذريعة، فتشير شبكة DW الألمانية إلى نفس المقصد في تقرير سابق لها منذ سنوات^٢.

التحيز والتزييف المحتمل. بين الهيمنة والتزييف

ولكن مع ثورة الإعلام الجديد، والمواقع التواصلية، باتت الحقيقة تطير متجاوزة معترضاتها وممانعها ومخفيها، حيث أصبحت مثلاً ودليلاً على ذلك الحرب "الإسرائيلية" على غزة، ولكنها متاحة للطرفين، ويمكن تزييفها كذلك، فقد غدت

لاحقاً للتراجع عبر تصريحات نقلتها "سي إن إن"، أكد فيها مسؤولون أن الإدارة لم تر الصور ولم تتحقق من صحتها. المزاعم نفسها أعادت مراسلة الشبكة، سارة سيدنر، ترويجه قبل أن تعتذر لاحقاً، فيما حاول المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأميركي جون كيري التغطية على الفضيحة بالقول إن "لا سبب للشك في الرواية الإسرائيلية".

التزييف لم يقف عند حدود التصريحات، بل امتد إلى المشاهد المصورة. ففي مقطع مسرب من غرفة أخبار "سي إن إن"، ظهر مخرج يطلب من مراسلة "إظهار الذعر" من صواريخ المقاومة، رغم أن المشهد على الأرض كان هادئاً. وفي السياق ذاته، نشر مكتب رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو ثلاث صور زعم أنها لجثث أطفال قتلوا على يد المقاومة. لكن الصحفي الأميركي جاكسون هينكل كشف - عبر أدوات الذكاء الاصطناعي - أن إحداها تعود في الأصل إلى كلب داخل عيادة بيطرية.

قد أجمع الأطباء والممرضون على أن أطفالاً دون سن المراهقة أصيبوا بطلقات نارية مباشرة في الرأس أو الصدر، وفارقوا الحياة على الفور، كما أشاروا إلى انتشار واسع لحالات سوء التغذية الحاد والأزمات النفسية بين الأطفال، إلى حد أن بعضهم فكر في الانتحار أو تمنى الموت

أما المجزرة التي ارتكبتها الجيش "الإسرائيلي" في مستشفى المعمداني، وراح ضحيتها الكثير من الأطفال، فتعاملت معها كبريات الصحف الأميركية بعبارات مراوغة مثل: "موت المئات في تفجير بمستشفى في غزة"، متجنبين ذكر الأطفال والمدنيين والمريض، وتحميل إسرائيل المسؤولية المباشرة عن هذه الجريمة البشعة.

في حين ذهبت "وول ستريت جورنال" إلى اعتماد الرواية "الإسرائيلية" في تبرير المجزرة بالحديث عن "أنفاق حماس تحت المستشفيات"، فيما اكتفت "واشنطن بوست" بعرض تبادل الاتهامات بين الطرفين. أما شبكة "بي بي سي"، فقد

وسيلة في يد كل طرف، وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي ساحة رئيسية لتداول الصور والمقاطع البصرية المرتبطة بالأطفال، غير أن جزءاً كبيراً من هذه المواد - حسب زعم الشبكة - انتُج لاحقاً أنه إما مزيف أو مستخدم خارج سياقها الأصلي، بما يخدم أغراضاً دعائية تسعى الأطراف المتصارعة من خلالها إلى استدراج التعاطف الدولي وحشد الدعم لقضاياها، خاصة مع بقاء القوى المهيمنة والرسمية، في العالم في صف العدوان "الإسرائيلي" وتحالفه الأمريكي، في ظل الحقبة التراكمية وانفراد الولايات المتحدة بإدارة النظام العالمي الراهن، وسيطرة المال اليهودي على الإعلام الدولي ومنصات السوشيال ميديا.

وهكذا، تتعدد أنماط هذا التلاعب، فقد يتم استخدام صور لأطفال يُقال إنهم قُتلوا أو أصيبوا في هجوم ما، ليتبين لاحقاً أنها التقطت في مكان آخر أو في زمن مغاير تماماً. ففي إحدى الحالات، انتشرت صورة لطفلة قُدمت على أنها ضحية غارة

"إسرائيلية" في غزة، ولم يصح ذلك، كما تكشف بعض الحالات عن إشكالية الصور الحقيقية التي تقدّم في إطار زائف. فقد جرى تداول مقطع مصور يظهر أطفالاً فلسطينيين يتعرضون لعمليات تجملية بالمكياج، باعتباره "دليلاً" على فكرة الإصابات جراء الغارات "الإسرائيلية" في العام ٢٠٢١. غير أن التحقيق أثبت أن الفيديو يعود لعام ٢٠١٧، ويوثق مشروعاً فنياً لصالح منظمة "أطباء العالم" الفرنسية، لا علاقة له بأي عملية تضليل. ورغم ذلك، استُخدم المقطع نفسه مراراً في سياقات مختلفة، بما في ذلك أثناء الحرب السورية. وترى المؤسسة حسب تصورها أن هناك معضلة مضاعفة: فمن جهة، يستخدم الفلسطينيون و"الإسرائيليون" صور الأطفال في إطار حرب دعائية متبادلة، ومن جهة أخرى، يعزز الانتشار السريع عبر المنصات الرقمية من إعادة تدوير هذه المواد بصيغ يصعب التحقق منها. والنتيجة النهائية هي تضخيم خطاب الكراهية وإعادة إنتاج صور

نصب تذكاري هولندي
لتكريم الأطفال الفلسطينيين
الذين قتلوا في غزة وضعت
آلاف الأحذية في مدينة
الميرة الهولندية لتكون تذكراً
للأطفال الفلسطينيين الذين
استشهدوا في غزة.



الغذائي. ويتوقع التقرير أيضاً أن يحتاج عدد مثير للقلق يبلغ ٧١,٠٠٠ طفل وأكثر من ١٧,٠٠٠ أم لعلاج مستعجل من سوء التغذية الشديد. وكانت المنظمات قد قدرتا في بداية عام ٢٠٢٥ أن ٦٠,٠٠٠ طفل سيحتاجون إلى العلاج.

وقالت المديرة التنفيذية لبرنامج الأغذية العالمي، السيدة سيدي مكين، "تتضور الأسر جوعاً في غزة بينما يقبع ما تحتاجه من أغذية خارج الحدود. ولا يمكننا إيصال الأغذية إلى هذه الأسر بسبب النزاع المتجدد والحظر التام على إدخال المساعدات الإنسانية الذي فرض في بداية مارس. من الضروري أن يتصرف المجتمع الدولي بسرعة لإتاحة تدفق المساعدات إلى غزة من جديد. وإذا انتظرنا إلى أن يتأكد حدوث المجاعة، فسيكون الأمر متأخراً للعديد من الناس."

وبواجه الغالبية العظمى من الأطفال في غزة حرماناً شديداً من الغذاء حسبما أكدت ١٧ منظمة غير حكومية ووكالة تابعة للأمم المتحدة في تقرير "مبادرة التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي". وإذ يترافق هذا الوضع مع نقص شديد في إمكانية الوصول إلى الخدمات الصحية ونقص في المياه النظيفة وخدمات الصرف الصحي من المتوقع حدوث زيادات متسارعة في سوء التغذية الشديد في شمال غزة وفي محافظتي غزة ورفح.

الخاتمة

أدركنا بوضوح أن مأساة الطفل الفلسطيني في الإعلام الدولي تشير إلى خلل عميق في المنظومة الأخلاقية لعدد من المؤسسات الإعلامية الدولية، التي يفترض أن تتسم بالحياد والمهنية ونزاهة العمل الصحفي. فبدلاً من أن يكون الإعلام أداة لإنصاف الضحايا وكشف الحقيقة، كثيراً ما تحول إلى وسيلة لإعادة إنتاج السرديات المنحازة. وإخفاء حجم الجرائم التي تمارسها الطفولة في غزة وفلسطين عموماً. إن هذا الانحياز لا يقتصر على انتقاء الأخبار أو صياغة العناوين، بل يمتد إلى طريقة تصوير الفلسطينيين بين ضحية مهمشة أو متهم بلا دليل. وبذلك، يسلب الطفل الفلسطيني ليس فقط حقه في الحياة، بل أيضاً حقه في أن يُرى ويُسمع بصفته إنساناً كاملاً إنسانياً.

إن خطورة هذا التواطؤ الإعلامي تكمن في أنه يشجع استمرار الانتهاكات ويُضعف الجهود

تسهم - عن قصد أو دون قصد - في تأجيج العنف بدل الحد منه.

المجاعة تحصد أرواح بريئة بلا هوادة

بعد شهور من الحصار وقطع كل روافد الحياة عن غزة من قبل الجانب "الإسرائيلي" تم الإعلان الرسمي من قبل الأمم المتحدة اليوم ٢٣ أغسطس باعتبار غزة "منطقة مجاعة" وهو الإعلان الأممي الأول من نوعه في الشرق الأوسط، وأعلن وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية توم فليتشير أن المجاعة في غزة ينبغي أن "تؤرقنا جميعاً"، وكان من الممكن تفاديها بالكامل لو لم تمنع الأمم المتحدة "بشكل ممنهج" من إدخال المساعدات الغذائية^{١٤}.

حسب بيانات منظمة أوكسفام، قتل جيش الاحتلال خلال عام واحد في غزة أكثر من ١١ ألف طفل، وهو عدد يتجاوز حصيلة جميع الأطفال الذين قتلوا في النزاعات الأخرى مجتمعة خلال العقدين الماضيين، دون احتساب المفقودين أو من لا يزالون تحت الأنقاض، وقد هذه الأرقام مصدقية ما عرضه التقرير، وأظهرت حجم الكارثة الإنسانية المستمرة

تُهدد المجاعة السكان في جميع أنحاء قطاع غزة مع استمرار القتال. واستمرار إغلاق المعابر، والنقص الخطير في مخزونات الأغذية. وقد تزايد الجوع وسوء التغذية بشدة منذ منع إدخال جميع المساعدات إلى القطاع في ٢ مارس ٢٠٢٥ بقرار من الحكومة "الإسرائيلية"، مما أدى إلى تراجع المكاسب الإنسانية الواضحة التي تحققت أثناء وقف إطلاق النار في فترة مبكرة من هذا العام. ووفقاً للمحة عامة أصدرتها "مبادرة التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي" التابعة لليونسيف في ١٢ مايو ٢٠٢٥، يواجه ٤٧٠,٠٠٠ شخص في غزة جوعاً كارثياً (المرحلة ٥ وفق التصنيف المتكامل لمراحل الأمن الغذائي)، كما يواجه جميع السكان انعداماً شديداً في الأمن

الدولية للمساءلة. لذلك، يصبح من الضروري إعادة النظر في أخلاقيات التغطية الصحفية والإعلامية عامة، والدفع نحو تبني سرديات عادلة تُبرز المأساة كما هي، بعيداً عن الانتقائية والازدواجية. فالإعلام، حين ينحاز للحقائق، يمكن أن يكون جسراً نحو العدالة؛ وحين يخضع للتسييس، يتحول إلى أداة لإدامة الظلم. ومن هنا، فإن إنصاف الطفل الفلسطيني يبدأ من الاعتراف بإنسانيته، وإعادة صوته إلى واجهة السرديات العالمية.

الهوامش

١. ريجيس دوبريه، حياة الصورة وموتها، ترجمة د. فريد الزاهي، دار إفريقيا الشرق سنة ٢٠٠٢.
٢. انظر حول تفاصيل ذلك، د. شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، السلبات والإيجابيات، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣١١، يناير سنة ٢٠٠٥، المقدمة.
٣. حرب إعلامية فلسطينية إسرائيلية حول قضية مقتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة، مونت كارلو الدولية بتاريخ ٢٩ فبراير ٢٠١٢ على الرابط التالي: <https://www.mc-doualiya.com/articles/20120229-israel-palestine-charles-enderlin-news-report-death-palestinian-child-muhammad-al-durrah-french-justice>
٤. كيف يعيش أطفال غزة الذين أفقدهم الحرب أطرافهم؟، تقرير بي بي سي بتاريخ ٩ يناير ٢٠٢٤ على الرابط التالي:

<https://www.bbc.com/arabic/interactivity-67925340>

5. CHILDREN ARE PAYING THE HEAVIEST PRICE OF THIS WAR, Save The Children:

<https://www.savethechildren.net/what-we-do/emergencies/war-gaza>

٦. لماذا تغيب معاناة أطفال غزة عن الإعلام الأميري؟، الجزيرة نت، بتاريخ ٢ مايو ٢٠٢٥ على

الرابط التالي:

<https://n9.cl/stt1t>

٧. وصية طفل فلسطيني قبل استشهاده تجسد مأساة أطفال غزة، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠٢٥ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/g688i>

8. Emma Farge, Gaza women, children are nearly 70% of verified war dead, UN rights office says, Reuters, November 8, 2024:

<https://www.reuters.com/world/middle-east/nearly-70-gaza-war-dead-women-children-un-rights-office-says-2024-11-08/>

٩. محمد فوزي، كيف تم توظيف الصورة كسلاح في حرب غزة؟، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٠ يناير ٢٠٢٤، على الرابط التالي:

<https://acpss.ahram.org.eg/News/21093.aspx>

١٠. أطفال غزة يشعلون أزمة بين "نيويورك تايمز" وصحيفة إسرائيلية والمنصات تتفاعل، الجزيرة نت، بتاريخ ١٧ أكتوبر ٢٠٢٤ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/wwfwo>

١١. صحيفة دنماركية تنشر صور أطفال غزة: "كي لا يقال لم نكن نعلم"، العربي الجديد بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٢٥ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/1m89m>

١٢. نهال أبو السعود، من الأطفال مقطوعى الرأس إلى مجزرة المصمدماني.. الإعلام الغربي يفشل في اختبار الحياد والنزاهة.. صفح أمريكا تعاطفت مع خسائر إسرائيل على حساب "إبادة فلسطين".. والسياسات التحريرية في بريطانيا تنحاز لـ"شابلوك الحاضر"، اليوم السابع بتاريخ ٧ أكتوبر ٢٠٢٤ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/hnqfsn>

١٣. كيف أصبح الأطفال "أداة دعابة" في التصعيد بين إسرائيل وغزة؟، تقرير شبكة DW، بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٢١ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/nnvh6>

١٤. أنظر الخبر المنشور على الموقع الرسمي للأمم المتحدة على الرابط التالي:

<https://news.un.org/ar/story/2025/08/1143233>

١٥. تقرير جديد يقول إنَّ خطر المجاعة يتهدد الأطفال في جميع أنحاء غزة، تقرير لليونسيف بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٥ على الرابط التالي:

<https://n9.cl/kuf0o> ◀



الكتابات الحائطية و قراءة في أشكال المقاومة

والسياسية، تعبر هذه السياقات عن ما يفكر فيه الفاعل تجاه القضايا ذات الاهتمام المشترك ليشكل من خلالها رأيا عاما محليا أو قوميا أو دوليا. من بين القضايا المؤلمة والصادقة ما يتعرض له الفلسطينيون من تهجير وقتل وتجويع يضرب كل القيم الإنسانية الغربية التي أسس لها هيئات دولية تضم صوتها للبرنامج الصهيوني وأمام هذا الوضع غير المتوازن من حيث القوى والوسائل والدعم تجد الشعوب التي تتقاسم مع دولة فلسطين التاريخ والدين أمام عجز في الفعل لكنها تتبنى آلية دفاعية كبديل.

بوحلوان
عبد الغني

أستاذ في جامعة مصطفى
اسطنبولي معسكر • الجزائر



المقدمة

ينتج الفاعلون الاجتماعيون مجموعة من الممارسات الاجتماعية لتحقيق ذواتهم وإثبات وجودهم داخل الفضاءات العمومية وأداء مجموعة من الأدوار والوظائف لتحقيق أيضا مكانة ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية



القضية الفلسطينية عند المجتمع الجزائري

حائطية تحمل دلالات ومعاني سنحاول تقديم قراءة تخص المعنى والفعل ورد الفعل.

• **منهجية البحث:** تقتضي الدراسات العلمية منهجا علميا للحصول على معطيات مجتمع البحث من خلال تقديم أدوات لاشتغال المنهج المتبع وبهذه الورقة البحثية سنتبنى المنهج الكيفي الذي يقصد به.

• **أداة اشتغال المنهج:** نتبنى في مسار الورقة البحثية التي نحن بصدد عرضها أداة تحليل المحتوى يعرف بأنه أداة أو وسيلة لجمع البيانات تهدف إلى وصف محتوى مادة من المواد، وتحليل مضمونها للتعرف

يتبنى الفاعل الاجتماعي في المجتمع الجزائري الكتابات الحائطية كنموذج للتعبير على مساندته للقضية العادلة التي تتمثل في حق التاريخ الفلسطيني بأحقية الفلسطيني في استرداد أرضه ومقوماته من التعدي الإسرائيلي الصهيوني كمشروع تهجير وانتهاك الحق الفلسطيني، تعرف الكتابات الحائطية بحملها لرموز وبناء تأويلي حول مختلف القضايا التي تشغل المجتمعات حسب ترتيب الأولويات ومما لا شك فيه أن القضية الفلسطينية هي محور اهتمامات المجتمع الجزائري وحاول مساندتها في رسومات وكتابات

مقاومة أي قام له وعارضه ومنه مقاومة الأهواء أي مغالبتها ومقاومة الجسم أي مناعته ومقاومة الظواهر الطبيعية للفرضية العلمية: أي معارضتها لها. ويطلق لفظ المقاومة على إحدى الكيفيات الحسية التي تتميز بها المادة عند إدراكها باللمس، أو بالجهد العضلي. مقاومة في العلوم العسكرية: مواجهة الخطر أو العدو والثبات وعدم الاستسلام له، رغم قوته وسيطرته الجزئية أو الكلية في ميدان القتال ومنه المقاومة الفلسطينية التي تتعد مظاهرها للتصدي للعدو الصهيوني.

كرونولوجيا الكتابات الحائطية في المجتمعات الإنسانية

تعتبر الكتابات الحائطية من أقدم الممارسات التعبيرية التي تبناها الفاعل الاجتماعي للتعبير عن مختلف القضايا المشتركة في محور أجدته واهتماماته بحيث ارتبط تاريخها في البداية بتوثيق التجارب والتعبير عن الواقع المعاش من خلال الرموز، ومع مرور الوقت تطورت هذه الظاهرة لتصبح وسيلة يعبر من خلالها الأفراد عن ما يفكر به بخصوص الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتي تعكس طبيعة الحال مركب الوعي الجمعي. "يعود تاريخ الكتابة على الجدران عصور ما قبل الميلاد، حيث كان الإنسان يدون كل ما يتعلق بحياته على جدران الكهوف والصخور ليكشف عن لفته. ويبرع عن يومياته في شكل حروف ونقوش يسرد بها حكاية المكان وكيفية العيش فيه. فالإنسان مارس الكتابة على الجدران منذ قديم الزمان ومنه معرفته للكتابة. هذه الأخيرة التي تمكن من إثبات وجوده بها عن طريق آثار مروءه". (مصطفى بحر محمد، زيان محمد، ٢٠٢٣، ص ٦٨٥) علاقة الإنسان باللغة علاقة احتياجية لكشف ذاته والتعبير عن ما يحيط به من علاقته مع الطبيعة موظفا جدران الأماكن لتحقيق غاية التواصل وتحقيق الذات كما وقد أكدت الكشوفات الأثرية ذلك، فالنجوم الثلاثة المرسومة على جدران كهوف "لاسكو" في فرنسا تعود إلى ما يقارب ١٦.٥٠٠ عام؛ وكذلك الأمر بالنسبة لكهوف تاسيلي في الجزائر، التي اكتشفها الرحالة بريان بينما كان يجتاز الحدود الجزائرية-الليبية في عام ١٩٣٨. وقد وجدت في هذه الأخيرة نقوش ورسوم عجيبة يعود تاريخها إلى ٢٠.٠٠٠ عام، تصور مخلوقات

على الاتجاهات البارزة في محتواها. وعليه فهو أداة ميدانية تمكن الباحث من جمع المعطيات والبيانات الميدانية المتعلقة بالظاهرة المراد البحث عنها أو دراستها". (نعيم بوعموشة، ٢٠٢٢، ص ٦٥).

مدخل مفاهيمي

١. الكتابات الحائطية:

• التعريف اللغوي

الكتابات الحائطية مشتقة من الكلمة اللاتينية "graphire" التي تعني الكتابة، وهي مرتبطة مباشرة بالكلمة الإيطالية "Graffito" التي تعني النقش أو التصميم، الاسم يعني حرفيا الخدش. يعرف قاموس أكسفورد (٢٠١٣): الكتابات الحائطية بأنها كتابات، أو رسومات مكتوبة، أو مخدوشة أو مرشوشة على نحو غير قانوني على الجدار أو سطح آخر في مكان عام. (White Ashanti, 2018-03).

يُمكن قراءة هذا الفعل التعبيري كإثباتٍ للذات ووجودها داخل الفضاءات العمومية، وهو محاولة لأداء أدوار ووظائف اجتماعية وسياسية تتقاطع مع السياقات الثقافية والدينية المشتركة

• التعريف الاصطلاحي

يعرفها طيبي غماري على أنها تلك الكتابات والرسومات الموجودة على مختلف الدعائم الموجودة في الفضاءات العمومية والحاملة لدلالات ثقافية وسوسولوجية تساعد على وعي الحالة الاجتماعية للمجتمع (مصطفى بحر محمد، زيان محمد، ٢٠٢٣، ص ٦٨٤).

٢. القضية الفلسطينية:

قضية عادلة مقاومة شعب يتجذر تاريخيا في المنطقة ترفض الاحتلال الإسرائيلي والمشروع الصهيوني داخل فلسطين.

٣. المقاومة:

مصدر مقاوم فهي تعني صوبة تواجهها قوة معينة: مقاومة الريح، مقاومة التجربة: المعارضة ورفض الخضوع لإرادة الغير. مقاومة الهواء هي القوة التي يصادفها جسم متحرك في الهواء مقاومة: قاومه

وطرق الحصول عليه وهذا ما أثبتته جل الكتابات الحائطية التي ذكرت في الاقتباس سالف الذكر. كما وقد بدأ الاهتمام بظاهرة الكتابة على الجدران حديثاً من قبل العلماء والسلطات المحلية. بعد أن لوحظ وجود خريشات على الجدران المراحض العامة ظهرت في بدايات القرن الماضي، وأول من اهتم بهذه الظاهرة وحللها لغوياً واجتماعياً عام ١٩٢٨ الباحث اللغوي الأمريكي "ريد" من خلال دراسته حيث عرفت أحياء مدينة نيويورك في منتصف السبعينيات حركة شبابية سعت إلى الكتابة على الجدران على سبيل الهزل والمزاح. إذ عبرت عن ذواتها وأحاسيسها هذا وارتبطت الكتابة بالأنفاق والقطارات وقد مارس هذه الكتابة على وجه الخصوص الأمريكيون من أصل إفريقي أو إسباني، وكانوا غالباً من الطبقات الفقيرة والمهمشة، إذ طور هؤلاء أدواتهم وأساليبهم من أجل إبداع اتجاه جديد في الكتابة والرسم. وارتبطت هذه الكتابة بحركة "هيب - هوب"

بشرية تطير في السماء ورجالاً ونساء يرتدون ثياباً حديثة كالتى نرتديها في زمننا الحالي. وأكدت الكشوفات الأثرية أن فن الجداريات ظهر أول مرة في بلاد الرافدين ومصر قبل الميلاد بحوالي ٣,٠٠٠ سنة، قبل أن ينتقل إلى أوروبا خلال العهدين اليوناني والروماني. ومن الجدير بالذكر أن المصدر الوحيد لما نعرفه عن الصفاثية - وهي إحدى اللهجات العربية السابقة للعربية التي نتكلمها (أو بالأحرى نقرأها ونكتبها) اليوم - هو نقوش صخرية اكتشفت في الصحراء السورية-الأردنية-السعودية ويُعتقد أنها تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد. وسميت بالنقوش الصفاثية نسبة إلى منطقة الصفاء جنوب شرقي سوريا، حيث اكتشفت أول مرة عام ١٨٥٧. (مهند جعفر حسين، ٢٠٠٨) وثق الإنسان علاقته مع ناصر الطبيعة على جدران الكهوف والصخور معبراً على مدى حاجته إلى إسقاط ما يفكر به في بشأن مواضيع يلامسها الموت والحياة والخطر والداء والدواء والأكل

صورة لأحد رموز الثورة الجزائرية، مرسومة على خلفية علم الجزائر، مع عبارات تعبر عن روح المقاومة والنضحية في سبيل الوطن. يُجسد العمل الفني روح النضال ضد الاستعمار الفرنسي ويمثل تكريماً لأبطال الثورة.



إضافةً إلى الـ"راب" و"دي جي" ورقص الـ"بريك"، وكانت العصابات الأمريكية طوال عقد الستينات تستخدم الجدران من أجل تحديد مناطق نفوذها. (د. غزلان هاشمي، ٢٠٢٤، ص ٠٩)، ترتبط الكتابات الحائطية بشكل وثيق مع من يهيمن على الفضاء العام المدني واثبات الجماعات وجودها وتحقيق تصوراتها الاجتماعية والثقافية. .. الخ كما يتم طرح فكرة المجال العمومي الهامشي غير المرئي والمهمته به بشكل واضح سنلاحظ في الفقرات الموالية كيف عبر الفاعل الاجزائري عن قضية قومية تتعلق بتعدي صارخ وغير مقبول من طرف كيان اسرائيلي على الدولة الفلسطينية؟.

تُعدّ الكتابات الحائطية أحد أبرز الآليات الدفاعية البديلة التي يتبناها الفاعل الاجتماعي للتعبير عن مساندته للقضية الفلسطينية، خاصة في ظل العجز عن الفعل المباشر في مواجهة القوى غير المتوازنة

تتفق جل التعريفات التي كتبت حول الغرافيتي أنها تتعلق باليومي المعيش للفاعل الاجتماعي فهي "ممارسة يومية غزت مختلف التضاريس المجتمعية، قام بتوظيفها الفرد والجماعة للتعبير عن أمنياته ومكباته وأحلامه وآلامه لتعكس خصائص المجتمعات، مما جعلها تتباين من حيث الشكل والمضمون والفضاء الذي انبجحت فيه. ومنه حسب القيم الثقافية لممارسيها، وكذا نوعية الفراغات العامة، وفضاءات تواجد حاملها. بل يعتقد بعضهم بأنها سبقت الكتابة نفسها، حيث تزامن الفعل الغرافيتي مع الإنسان الأول الذي لم يتمكن من مقاومة ربة تخليد أثر، والتالي هويته الشخصية والاجتماعية". (مصطفى بحر محمد، زيان محمد، ص ٢٠٢٣، ٦٨٥)، ونستخلص من خلال هذه الفقرة أن جذور التاريخية للكتابات الجدارية إلى عصور ما قبل التاريخ، بحيث مارسها الفاعل الاجتماعي كوسيلة لتدوين حياته اليومية وتعبير عن وجوده بواسطة النقش رموز مثل ما اتضح من وجود الرسومات في كهوف مثل لاسكو بفرنسا وطاسيلي بالجزائر وكذلك في المنطقة العربية الصفاء.

أعمال ينكسي على الجدران في أوروبا تعكس
رسائل إنسانية قوية، تنتقد الحرب والعنف
وتدعو للسلام والحرية، مستخدماً الرموز
البصرية الساخرة والرمزية لإيصال أفكاره.



الأوروبيين بهزائمهم، وحين بدأت الأحزاب الوطنية الجزائرية تشارك في الانتخابات البرلمانية المحلية التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال، غدت الكتابة وسيلة تعبئة شعبية إما للمشاركة في العملية الانتخابية أو لمقاطعتها، وبعدها برزت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السياسي وحتمية تغيير التعامل مع الفرنسيين. وتزامناً مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ انتشرت الكتابات في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا عنها. وكذلك طابعا إعلاميا عن انطلاقها، فظهرت هذه الكتابات بعبارات عديدة منها "اسم جبهة التحرير الوطني" و "كذلك الجزائر مسلمة" كرد فعل على عبارة "الجزائر فرنسية". مع انتهاء الثورة للكتابات الجدارية وسيلة إثبات وتحد أصبح الفرنسيون بدورهم يكتبون موافقهم المعارضة لسياسة الجنرال "شارل ديغول" "حيال الجزائر والتي كانت تتجه نحو التفاوض مع الثوار، فانشرت الكتابات الجدارية المعارضة للمفاوضات واستفتاء تقرير المصير، ثم برزت كتابات "نعم" و "لا" على الجدران لإعلام للمواطنين الذين كان معظمهم أميين، فجاءت لتسهيل عملية الانتخاب باختيار كلمة "نعم" للتصويت على استفتاء تقرير المصير. " (نورة عامر، ٢٠٢٠، ٨٧ / ٨٨).

حضور المرادفات في الكتابات الحائطية: الشكل والدلالة

تتنوع أشكال الكتابة الجدارية وتباين دلالاتها وفقا للمرادفات المستخدمة في وصفها، بحيث ليست مجرد كتابات ورسومات عابرة أو عشوائية. وقد ساهم هذا التعدد إلى حضور مرادفات متعددة مما يعكس تنوع الأساليب المستعملة في الكتابات الحائطية والكشف عن أبعادها.

• ترذيد (graffiti spraying): نسبة إلى كلمة الرذاذ أو المضخة (spray) هي قارورات دهن أو طلاء، ويُعتقد أن هذا المصطلح قديم نوعا ما وفي طريقه إلى الزوال، ويقصد به التدوين الذي يمارس بنوع من العنف، وعادة ما يستعمل لمهاجمة شخصية اجتماعية أو سياسية.

• التاق (Le tag): وتستعمل هذه الكلمة في نطاق جد ضيق، ويقصد بها التدوين البسيط للإمضاءات وتتميز بتكرار أو تغيير في بعض أجزاء تلك الإمضاءات، كاتبا هذا الإمضاءات يحددون

وانقلبت هذه الممارسة إلى أوروبا في أوائل القرن العشرين حيث تحولت هذه الممارسة إلى ظاهرة الاجتماعية ارتبطت بثقافة الهيب - الهوب وكانوا مستخدموها من الطبقات التي تعاني من الفقر والتهميش من أجل التعبير عن هويتهم. ويرى الباحثون أن الممارسة الغرافيتي ليست بظاهرة حديثة أي قام الفرد والجماعة تعبير عن هويتهم لتعكس ثقافات المجتمعات لكن تختلف من الشكل والمضمون والفضاء الذي كتبت فيه. يمكن اعتبار "القرن العشرين وبالضبط تاريخ ١٩٢٨ تحول نوعي في الكتابة الجدارية نقلتها إلى الدراسة على يد الباحث اللغوي الأمريكي ألان ولكر ريد (Allen Walker Read) الذي قام بتحليل المفردات اللغوية الإنجليزية المرسومة على جدران المراحيض بغرب الولايات، قائلا: تكشف لي بعد العديد من الزيارات التي قمت بها للأماكن العامة أن هذه المفردات والكتابات تشكل شكلا من أشكال العلوم الفلكلورية، يجب

تحمل الكتابات الحائطية في المجتمع الجزائري دلالة عميقة في تثبيت حق الفلسطينيين التاريخي في استرداد أرضه، وتشكل رأياً عاماً وطنياً وقومياً مناهضاً للمشروع الصهيوني ومنتهكيه

أن تكون موضوعا جيدا مبحث من قبل علماء البحث اللغوي نعتبرها مصادر لغوية لهجية تعكس استخدام الفرد البسيط لتراثه المحلي وتوظيف اللهجة العامة للتعبير عن مفردات أقواله الخاصة، إذ أصبحت مصادر فلكلورية جديدة بالدراسة" (سناء عبد اللي، ٢٠١٨، ص ١٢٣).

كانت بداية الكتابة الحائطية في الجزائر خلال فترة الاستعمار، إذ اتخذت في ذلك الوقت طابعا رياضيا تبعا للتنافس بين الأنصار في الشوارع والأحياء. وقد فسر المؤرخون ذلك التصرف على أنه فعل وطني كان يعبر مع التمييز والاعتزاز بالذات وبالقدرة على القهر من استعمار البلاد لمدة عقود وحكمها بالحديد والنار وأذل أهلها وسلب خيراتها، كما كانت أسماء الملاكمين الجزائريين الذين تفوقوا على الأوروبيين تملأ الجدران والأماكن العمومية لتذكير

حضارات الشعوب الأخرى إلا أنه كان جلياً لدى الأندلسيين الذين طوروه بشكل كبير، وقد انتشر في أوروبا ولاقى رواجا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي وسمي هذا الفن الزخرفي الإسلامي باسم "Arabesque" بالفرنسية وبالإسبانية "Atirique" أي التوريق، للدلالة على حرية اللعب بالحروف - كما يود بعض الكتاب الجداريين قول ذلك -، ويقصد به الحرية المطلقة في تمديد خطوط الكتابة، وقد كان هذا النمط الزخرفي يرمي في معناه الأصلي إلى أولى أنواع الخطوط الكتابية العريقة لكن غيرت أبعاده وأصبحت أهدافه منحصرة في إرضاء رغبات الكتاب الجداريين ومحاولة إيصال رسائل معينة، من خلال النماذج رقم ٢/١ - (أنظر إلى الملاحق) (التي اخترناها تتضمن خطاب حائطي يتعلق بالقضية الفلسطينية نلاحظ التركيز على استعمال اللغة العربية الفصحى للتعبير على المساندة والموقف المجتمعي العام لينتج لنا

جيذا الحيز المكاني كما ينتقون وبدقة نوع الخط الذي يودون الكتابة به تبعا لنوعية السطح الذي ستدون عليه تلك الإمضاءات - سواء كان إسمنتيا، زجاجيا، أملسا أو غير ذلك...-، ويمتاز نمط "التاق" بخلوه من الأخطاء الإملائية أو من إضافة أي خريشات أخرى، فيشمل الإمضاء فقط. "نورة عامر، ٢٠٢٠، ص ٨٥).

العريسة (Arabesque):

لفويا يمكن القول إن النمط هو استلهام عربي أصيل للكلمة "عريسة"، ويعني به فن الزخرفة العربي العريق وهو "التوريق" أو "الرقش"، وقد أخذت الكلمة من الأصل العربي "عريسة" وهي مجموعة خطوط متعرجة ومتداخلة تمثل أشكالاً هندسية وزهورا وأوراقا وثمارا تصاغ في قالب فن لزخرفة المساجد والقصور والقباب، وقد ظهر هذا الفن نتيجة امتزاج الحضارة العربية وتطويعها في العصر الإسلامي الذهبي مع

✓
جدار خراب في غزة رسم عليه
بنكسي رسمة لفطة صغيرة /
الصورة: محمد عابد



<

جدول رقم ٠١:
تصنيف الكتابات الحائطية
حسب اللغة مستعملة:

اللغة واللهجة
اللغة العربية
اللغة الفرنسية
اللغة العربية بالحروف الفرنسية

● **جدارية (fresco):** تأخذ معنى التصوير الجداري الذي يتم بالدهن أو الطلاء لكن بمضامين لغوية، يعتمد هذا النوع على الاستعمال الدقيق والموسع للألوان ويفضل تجسيده على الواجهات الملساء ويسمى هذا النوع بالإيطالية (fresco) وهو المصطلح الأنسب من حيث استعماله للدلالة على تدوينات كتابه بواسطة الدهن سواء على الواجهات الجدارية أو الزجاجية . (نورة عامر، نفس ٢٠٢٤، ص ٨٦).

الشكل	الفئة
صغير	حجم الخط
متوسط	
كبير/ ضخم	
عفوي/ فضوي	نوع الخط
فني/ مزخرف	
بخاخ رش	أداة الكتابة
طلاء	
قلم/ طباشير	
واضح	وضوح الخط
باهت	
ممسوح جزئيا	علامات أو رموز
علامات تعجب أو استفهام	
رموز بصريّة	
لا شيء	

بالنسبة للرسم والخط في الصورة رقم ٠١ ذات أبعاد كبيرة وضخمة وذلك لتحقيق هدف الانتشار والانتباه كما تتميز هذه الصورة بألوان ضوئية سنتطرق لها لاحقا تجذب الانتباه، أما

حسا مشتركا كآلية مقاومة رمزية ترتبط على خلفية دينية فمثلا الصورة رقم ٠١ رسوم تتعلق بالقدس لرمزيته في السياق الديني لدى المجتمع الجزائري المسلم واقتناعهم بأن القدس رمزية دينية تاريخية تجمعهم مع الفلسطينيين وحلقة وصل في المنطقة الإسلامية لها مكانتها ودورها في المخيال الديني كما يمتزج الرسم الحائطي بقوة في الحيز اسم "غزة" المنتشرة جماهيريا في المجتمع الجزائري كرمز للمقاومة والنضال وارتباطها أيضا بأولويات المعالجة الإعلامية بالإضافة إلى معاني الخط المتداخل والمزخرف لبارات تتكرر مثل: "القدس لنا، فلسطين عربية، الحرية لفلسطين، تحيا فلسطين" مطلب الحرية والتحرر واسترجاع ما كان يوما مشتركا في المنطقة العربية والإسلامية ضرورة تقتضي التوضيح، بالإضافة إلى ما تحمله الصورة رقم ٠٢ من توصيف واضح وتوافقي بين الموقف الرسمي للدولة الجزائرية والمجتمع والتي تتمثل

إنّ رسائل الكتابات الجدارية ليست عشوائية، بل تحمل رموزاً وبناءً تأويلياً حول القضايا التي تشغل المجتمعات، وتُصنّف القضية الفلسطينية كمحور الاهتمامات العليا للمجتمع الجزائري

<

جدول رقم ٢:
يوضح كيفية كتابة العبارات
الجدارية (ضبط الشكل):

في عبارة "موقفنا ثابت" وكتابة عبارة "فلسطين"، في هذا السياق المهم ثبوت الموقف المجتمعي مرتبط بكتابة اسم دولة فلسطين يعبر على دعم المقاومة ضد الكيان الصهيوني ودعم فكرة لا تنازل عن الأراضي الفلسطينية. نلاحظ في الصورة رقم ٠٢ فقط أين تظهر كتابة لأسماء موقع الكتابة الحائطية بحروف فرنسية وهذا ما يربط بدلالات أن القضية هي قضية ترتبط بالهوية العربية لذلك فتحتاج لتعبير بلغة عربية وفق المخيال الذي يملكه الفاعل الاجتماعي، أيضا نجد في الصورة اسم الفريق الرياضي الذي يحمل توجهات متابعيه ومساندتهم الرمزية للقضية الفلسطينية أما بالنسبة للصورة رقم ٠٣ أنظر للملاحق كانت عبارة على نداء للضمير الجمعي والتذكير بمصير غزة بلغة عربية بالدارجة.

القضية الفلسطينية في الكتابات الحائطية على الفضاء المديني

ترتبط الكتابات الحائطية بسياقات رمزية دلالية ووجودية تكون أكثر إثارة وتأثير من خلال بعدها الاختياري للأماكن التي تتجسد فيها هذه الرسومات حيث أن أهم أماكن الكتابات الحائطية، فقد بينت العديد من الدراسات والأبحاث العلاقة بين الكتابات العامة والأماكن التي تكتب فيها، فيقدر ما تكون الكتابة عامة غير متطرفة للمعاني الممنوعة أي خلو الرسالة من المضامين الجنسية، بقدر ما تكون قريبة من الإطار الجغرافي للحي أو المدينة أو المؤسسات التعليمية التي يعيش فيها الكاتب وبقدر احتوائها على المضمون السابق بقدر ما يبتعد عن الحي أو المدينة، على حد تعبير روبرت رسنر. فالكتاب الجداريون يختارون الفضاءات المناسبة بدقة.

• الشوارع والأحياء: عادة ما تظهر من خلال رسومات عشوائية، وكتابات متداخلة، وذات

بخصوص الصورة رقم ٠٢. فهي تتميز بحجم خط متوسط يظهر من خلال عبارة التي تحمل اسم فريق كرة القدم والشعار بخلاف عبارة فلسطين التي تتميز بنوع خط كبير الحجم وظاهر بشكل واضح من خلال سمك وطول الكتابة. الصورة رقم ٠٣ تتميز كذلك بحجم خط متوسط على العموم، تمظهرات الكتابة الحائطية من خلال حجم الخط يعكس قوة حضور الفكرة المدونة وعامل الاثارة أي أن الفاعل الجرافيتي يحاول إثارة وعي ولا وعي الفاعل المشاهد من المارة في الفضاء المديني.

مواصلتا لوصف شكل الخط نرى بشكل فيسفاسي في الصورة رقم ٠١ أن نوع الخط يتميز بزخرفة في الكتابة والفنية في تصوير الإرث الديني المرتبط بالقدس كما أن الخط المدون في الجدارية قريب إلى الخط الحر الذي يجمع بين الجرافيتي والخط العربي التقليدي يتجلى في الصورة رقم ٠٢.

لوحه كهفية من جبال
تاسيلي نايجر



الموجودة في البلدان الشرقية فإنه غالباً ما تنتشر الكتابات الحائطية السياسية-المضادة للحكومة، أما المراحض الغربية تكتب عليها كلمات نابية وهي تعبر عن نوع من الثقافة المنتشرة لدى بعض الناس. والملاحظة أن أغلب المراحض سواء كانت داخل المؤسسات التعليمية وحتى الجامعية وفي المحطات والطرق العمومية، فهي تمتلئ بالعبارات الجنسية والرسومات البديئة وأرقام الهواتف، حيث تكشف الحياة المكبوتة والسرية في مجتمعاتنا الذي يتعلق بالقضايا المسكوت عنها، كأنها مساحة حرية يتخلص فيها الفرد من رقابة القيم والآخرين، ليعبر في هذا المكان عن مكبوتات وأحلامه كما تكثر فيها الشتائم وأحياناً نجد عبارات النصح والاستنكار التي تدعو إلى ترك هذه الأمور وهنا نحضرنا رواية رقابة الأخ الأكبر وكأن المرتادين لهذه الفضاءات يتخلصون ظرفياً من هذه لرقابة في مكان يقرب فيه الفاعل الاجتماعي من طقس انفرادي ذي خصائص نوعية. لاحظنا غياب الكتابات الحائطية ذات مضامين تعبر عن القضية الفلسطينية في هذه الفضاءات لاعتبارات قدسية ورمزية تاريخية ودينية يرفض الفاعل الاجتماعي وجودها وتبني فعل الكتابة الحائطية بشأنها في هذا الحيز.

المؤسسات التعليمية

فلاحظ أن أكثر العبارات المكتوبة في المدارس الابتدائية والمتوسطة، على الجدران أو على المقاعد تخص أسماء الطلاب المكتوبة بخط كبير جعلوها كذكرى، وقد يتخذها البعض وسيلة للشتم، الألفاظ النابية. إذا انتقلت إلى المدارس الثانوية ترى عبارات الحب والغزل ومقاطع من الأشعار وكلمات أغنيات تملأ الجدران والمقاعد ولا تختلف جدران الجامعة أو مقاعدها عن هذا الشيء. (عثمان أحمد، عمراfi أحمد، ٢٠٢٤، ص ٥٤) الاهتمام بالكتابات الحائطية على مستوى المؤسسات التعليمية يتعلق بشغف الفاعل الاجتماعي المدون لهذه الكتابات وملأمة حجم الجدار من طول وارتفاع في تجسيد المتخيل الكتابي.

- غرف الشباب: هو نوع خاص وربما لا يكون منتشرًا، حيث تظهر رسوم الغرافيتي على جدران غرف الشباب المنخرطة في الثقافة الهيب الهوب وهي رسوم تعكس انتماء هؤلاء الشباب لهذه

مستوى رديء، تعبر غالباً عن لغة وثقافة أحياءها الشعبية، وبنوعية محيطها الحضري، بأبعادها الجماعية والهندسية. (عثمان أحمد، عمراfi أحمد، ٢٠٢٤، ص ٥٣)، يهتم علم الاجتماع معرفياً بالمتغيرات التي ينتجها الفاعل الاجتماعي في الحيز المادي الذي ينتمي إليه وهذا ما نجده في دراسات علم الاجتماع الحضري على سبيل المثال. الصور التي اشتغلنا عليها رقم ١٠٢، تشغل حيزاً كبيراً وواضحاً في شارع رئيسي وممتدة على كامل الجدار وتهيمن على دلالتها ونمطها لوحدها في غياب الكتابات لا تنتمي إلى نفس السياق المحدد والمعلن عنه. على عكس الصورة رقم ٠٣ التي تشغل حيزاً صغيراً باعتبارها كتابة بالحروف بسيطة، الجدول الموالي يحدد فئة المساحة لعينة الدراسة

المساحة
كبير (تشغل حيزاً واضحاً)
متوسطة (بارزة لكن غير ممتدة)
صغيرة (محدودة الحجم)
ممتدة على كامل الجدران
زاوية الجدار فقط
دون كتابة حولها
محاطة بالكتابات أخرى

المراحض العمومية

تقول إحدى الجمعيات والتي تدعى جمعية المراحض البريطانية أنه يمكن معرفة الوجه الحقيقي لكل بلد من خلال الكتابات الموجودة

تُجسّد الكتابات الحائطية شكلاً من أشكال المقاومة الرمزية، حيث لا تقتصر على مجرد التعبير اللفظي، بل تمثل ذاكرة جماعية حية تحفظ القضية وتضمن أمام محاولات النسيان

على الجدران المراحض العمومية، فهي تعبر عما يختلج في نفوس الكثير من الناس يخافون من قولها خارجاً، فلو تطرقنا للكتابات الحائطية



جدول رقم ٣:
توزيع العينة حسب فئة
المساحة



جدارية في فلسطين - الفنان: بانكسي (بنكسي)، فنان شارع بريطاني مجهول. مشهور برسوماته الغرافيتية التي تنتقد القضايا الاجتماعية والسياسية في العالم وخاصة في فلسطين.

المعلومات أو الأفكار أو الآراء أو المعاني إلى الآخر.

- **مرسل إليه (Receiver):** وهو مستقبل الرسالة "الخطاب"، إليه يتجه الخطاب ومقاصد المرسل، يقوم بتفكيك أجزاء الخطاب وتأييله، كما يؤدي دوراً في توجيه المرسل عند اختيار أدواته، وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني". وعليه يكون المرسل إليه صنفان:

١. **مرسل إليه مباشر:** ويكون مقصوداً بالخطاب الشفهي أثناء حضوره مع المرسل في المكان والزمان.
٢. **مرسل إليه غير مباشر:** وهو مستقبل الخطاب المكتوب (النص) وقارؤه، وهو موجود في كل مكان وفي كل زمان، وهو في الكتابات الحائطية حاضر بذهن المرسل، إذ له اعتبارات خاصة، فهو لمقصود بها في إطار النظام أو التمرّد عليه. (شفيقة بن الشارف، صفة طربي، ٢٠٢٤، ص ٨١)

- **السنن (Code):** ويتمثل في النظام اللغوي أو غير اللغوي المشترك بين طرفي التواصل، الذي يكفل نجاحه وبلوغ مقاصده المباشرة وغير المباشرة، التي تحددها السياقات التخاطبية والعناصر المشتركة بين المرسل والمرسل إليه.

- **السياق (Context):** ويقصد به الإطار المعرفي والثقافي والايديولوجي الذي أجّر الخطاب في ضوئه ووجهه. "إنه المقام الذي أنتجت فيه الكتابة الحائطية، وهو يمثل البيئة المادية والمعنوية للمتخاطبين، كما يشمل الظروف المختلفة التي تحيط بإنتاجها وتأييلها. (المرجع نفسه)

خلال معاينة الصور الحائطية نجد عناصر مشكلة لفعل المقاومة من خلال تعبيرات مساندة للقضية الفلسطينية بعبارات راسخة مثل مازنا ثابتين على موقفنا وفي بعض الأحيان محتوى غاضب فيه من المعاتبة والنداء (أنظر الصورة رقم ٠٣).

أما الصورة رقم ٠١ تتضمن أحقية المقاومة والشرعية التاريخية والدينية للأمة الفلسطينية في استرجاع عناصر كيوتيتها السياسية والوجودية والثقافية... الخ.

مضمون الكتابة
محتوى مساندة
محتوى غاضب
محتوى شرعية تاريخية
محتوى الواجب

الثقافة، وتمثل عادة علامة مميزة لمجموعة معينة أو لشخصية معينة ويجسد الشباب هذه الرسوم والتي يستوحونها من أعمال فنية عالمية مشهورة، عادة ما يطلعون عليها من مواقع الواب الخاصة على شبكات الإنترنت، أو المجلات المختصة في هذا النوع من الفنون. ("عثمان أحمد، عمراني أحمد، ٢٠٢٤، ص ٥٥).

زمن الكتابة
القصف الصهيوني
التجويع الصهيوني
تلبية نداء المساعدات

كما هو مبين في الصورة رقم ٠٣. نجد أن ارتباطات الكتابة الحائطية بالوضعية العامة المزرية التي تمر بها فلسطين والمرتبطة بالمخيل الجمعي بما

تُجسّد الكتابات الحائطية شكلاً من أشكال المقاومة الرمزية، حيث لا تقتصر على مجرد التعبير اللفظي، بل تمثل ذاكرة جماعية حية تحفظ القضية وتصمد أمام محاولات النسيان

تمر به غزاة من تجويع وقصف ممنهج يهدف إلى إرغام الفلسطينيين على ترك أراضيهم وهذا الذي لن يحدث ولا زالت أشكال المقاومة موجودة.

البنية الاتصالية المشكلة لفعل المقاومة: القضية الفلسطينية حاضرة في اليومي المعيش الجزائري

- **المرسل (ender S):** الفاعل الاجتماعي يعد عنصر هام في العملية التواصلية في الكتابات الحائطية، وهو ركن أساس فيها، لأنه طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني، ليكمل دائرة العملية التخاطبية بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه، ولذلك فهو يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه، بما يراعيه عند إعداد خطابه وفق ما يقتضيه موقعه كما يتوخى اختيار ما يتناسب مع الموقف العام، حتى يوفق "بنقل

<

جدول رقم ٤:
جدول يوضح توزيع العينة حسب زمن الكتابة

<

جدول رقم ٥:
توزيع عينة الدراسة حسب مضمون الكتابات

اللون وكذا الإضاءة. لذا عرف المجال مصطلحات والمفاهيم تبرز خصائص الألوان وتعبّر عن المطلوب وابرز هذه المصطلحات ومفاهيم تبرز خصائص الألوان وتعبّر عن المطلوب وابرز هذه المصطلحات نجد:

أ. **صفة اللون:** وتسمى أيضا كنة اللون فعلى سبيل مثال عند قولنا لون اخضر والآخر أزرق يعني أطلقنا صفة لونية تجعله يتميز عن باقي الألوان، وهناك العديد من الطرائق تسهم في تمييز الألوان منها ما هو على أساس طول الموجات فنجد أن كل لون من الألوان له موجة ضوئية بطول معلوم (سبتي سهام، ٢٠٢٤، ص ٩١٨). الكتابات الحائطية المتمثلة في الرسوم التي تم الاستناد عليها في ورقتنا البحثية تنتج لنا سياق فيسيفسائي واضح المعالم يتضمن رمزية دينية عالية الحضور من خلال رسوم مسجد الأقصى.

ب. **قيمة اللون:** ويقصد بها الدرجات اللونية التي يتسم بها اللون بمعنى درجات إشراقه وغمقه

• **القناة (Chanel):** وتستخدم في الكتابة الحائطية مختلف أدوات الكتابة التقليدية والمعاصرة: كالفحم، والطباشير، والألوان، والأقلام، وأنواع الرذاذ للتعبير عن الفكرة (الرسالة).

• **الرسالة (Message) أو (Graff):** وهي ثمرة اجتماع العناصر السابقة، وتشكّل من "الرموز- لغوية، لفظية، أو غير لغوية، أو غير لفظية، التي تعبّر عن المعلومات أو الافكار أو الاراء أو المعاني" التي يريد المرسل نقلها إلى المرسل إليه. (المرجع السابق)

الدلالات الرمزية للألوان للمشكلة للكتابات الحائطية

تمثل الألوان في الكتابات الحائطية لغةً بصرية تعكس الحالات النفسية والاجتماعية للفاعلين، حيث يتحول كل لون إلى رسالة رمزية تنقل مشاعر الغضب، التمرد، أو حتى الانتماء. "إن الوصف الألوان يتطلب إلى اللغة يفهمها المختصين في مجال

جدارية على جدران
فلسطين/ محمد معتز



الجدارية كبديل للمقاومة والمساندة.

قائمة المصادر والمراجع

- بوعموشة نعيم، (٢٠٢٢): تقنية تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية، مجلة دراسات في علم الاجتماع المنظمات، المجلد ١٠، العدد ٠١، صص ٦٤-٧٥.
- جعفر مهند حسين، (٢٠٠٨): الكتابة بين الفن والسياسة المحور: الادب والفن، الحوار المتمدن العدد ٢٤٣٦.
- سبتي سهام، (٢٠٢٤): دلالات الألوان في الاشهارات التلفزية، مجلة قيس الدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، المجلد ٠٨، العدد ٠٢، صص ٩١٣ - ٩٣٢.
- شفيقة بن الشارف، صفية طيني، (٢٠٢٤): الأبعاد التواصلية للكتابات الحائطية لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط، مجلة لفة - كلام، جامعة غليزان، الجزائر، المجلد ١٠، العدد ٠١، صص ٧٥-٩٠.
- عامر نورة، (٢٠٢٠): الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة أم البواقي، الجزائر، العدد ١٠٨، صص ٨٠-٩٤.
- عثمان أحمد، عمرياني أحمد، (٢٠٢٤): التمثلات الاجتماعية عند الطالب الجامعي للكتابات الحائطية، طبعة سعاد، جامعة جلفة، الجزائر.
- غزلان هاشمي، (٢٠٢٤): الكتابة الجدارية، مطبوعة بيداغوجية، جامعة سوق هراس، الجزائر.
- المحيسي، محمد عثمان علي، (٢٠١٥): الألوان ودلالاتها النفسية والاجتماعية، كلية التربية، جامعة نجران، مجلة الوادي الجديد، العدد ١٨، صص ٣٤٩-٣٨٣.
- مصطفى بحر محمد، زيان محمد، (٢٠٢٣): "سوسيولوجيا الكتابات الحائطية فيا لفضاء الجامعي (دراسة ميدانية بجامعة حسية بن بو علي، الشلف"، مجلة افاق فكرية، الجزائر، المجلد ١١، العدد ٠١، صص ٦٧٦-٦٩٣.
- white.ashanti,(2018) from primitive to integral :the evolution of graffiti art, journalof consicours evolution volume11.issue11.california institute of intergral studies.◀

فاللون المضيء هو الذي يعكس الأشعة بنسب كبيرة عكس اللون الغامق الذي يمتص الأشعة بنسب كبيرة ويعكس القليل منها، نلاحظ بشكل جدي الصورة رقم ٠١ التي تعبر عن الهوية الوطنية والقومية للقضية الفلسطينية ومعان تتعلق بالشهادة كمقاومة مادية والصمود والأرض المقدسة اعتبارا لوجود رسم المسجد الأقصى كما تعبر الألوان الأحمر والأخضر رمزيا الى رمزية الشهادة والتضحية والعزيمة.

ج. درجة التشبع: وتعني الصفة التي يمكننا من التمييز بين الألوان الممزوجة والألوان النقية ويطلق عليها أيضا درجة الشدة أو الكروما فنجد أن الألوان النقية تحتوي على اللون الأبيض ويطلق عليه لونا باهتا وعند إضافة اللون الأسود إلى اللون النقية فإنه سيفضي شيئا من الظلال عليها ويدعى لونا مظللا. (المرجع نفسه)

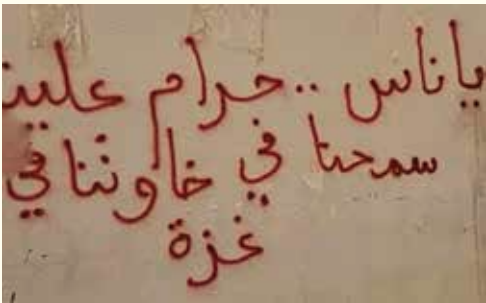
"ترتبط الألوان بمعان راسخة في عقلنا الباطن، نتيجة لخبرات بعضها موروث في الجنس البشري وأخرى مكتسبة من الحياة. فنجد أن للألوان دلالات معينة وارتباطا بالظروف التي مررنا فيها. وفي هذا تفسير للأسباب التي تجعل البعض يملون إلى ألوان دون أخرى. والألوان بصفتها خبرة مرئية تزيد ثباتا ودواما في عقولنا عن أي خبرات مكتسبة عن طريق الحواس الأخرى. فمن الأسهل أن نذكر شكلا أو لونا رأيناه. وقد أثبتت الدراسات السيكولوجية التي أجريت على مجموعة أفراد يختلفون في ثقافتهم وميولهم أن هناك دلالات عامة تكاد تشترك فيها الغالبية العظمى من الناس." (المحيسي، محمد عمان علي، ٢٠١٥، ص ٣٣٥)، يرى جون بودريار الباحث الفلسفي والاجتماعي الذي ينتمي إلى مدرسة فراكفورت أن الصورة تهيمن على العالم والواقع من خلال خلفيتها وعناصر بنائها.

الخاتمة

يرتبط موضوع الكتابات الحائطية بالمتغيرات المفكر فيها والتي تكون متخيلا فرديا ينتشر ليتحول ويكتسب صفة الجمعية في القضايا ذات الحس المشترك وكما تقدم سابقا من قراءة مضامين الصور التي شيدت من طرف فاعلين اجتماعيين للتعبير عن أفكارهم واتجاهاتهم بخصوص القضية الفلسطينية واستعمال الكتابات



• الصورة رقم ١:



• الصورة رقم ٣:



• الصورة رقم ٢:



التدافعية في زمن الإستعمارية

٧ أكتوبر وحدود الفعل



فهمه في إطار الحالة الاستعمارية/الاستعمارية (Coloniality) وما تتضمنه من مصفوفة/ ماتريكس (Matrix) من بني السلطة وعلاقات القوة التي تسيطر دول المركز عبرها على دول الهامش، وتستديم حالة الضعف والبؤس والذلة. تسعى هذه الورقة إلى التقاط لحظة السابع من أكتوبر باعتبارها تاريخية بالغة الأهمية، ووضعها في إطار تحليلي يتجاوز اللحظة الحديثة لي طرح سؤالاً أعمق: ما حدود الفعل السياسي/المقاوم في سياق عالمي محكوم بالاستعمارية المستمرة؟ ويسعى

عبد الرحمن حسام

باحث مهتم بالتغيير والدراسات
الاستعمارية • تركيا



المقدمة

لم يكن السابع من أكتوبر مجرد حدث هائل. ولا يمكن فهم السابع من أكتوبر كمجرد حدث، وإنما لابد من تسكينه في سياقه التاريخي الممتد، وقراءته في الجيو-بوليتيكس المعقدة المتعلقة به، والأهم

احتفاظ "إسرائيل" بحرية العمل العسكري وورقة الرهائن. ومع ذلك، ولدت تداعيات معيارية وقانونية غير مسبوقه ضد السياسات "الإسرائيلية"، لكنها لم تتحول—حتى الآن—إلى ترتيبات سياسية أو أمنية قابلة للحياة لصالح الفلسطينيين.

وهذا التحليل لا يلغي الفكرة البطولية ولا حق المقاومة والبذل ولا يقلل من دور العجز العربي والانساني الكلي امام المأساة، كما أنه لا يتغافل عن البيئة الدولية المساندة لـ "إسرائيل" والتي قدمت لها دعماً غير مشروط ووقفت بكل ثبات أمام أية محاولة لحلحلة القضية ووقف الإبادة. ولكن هذا التحليل يطمح إلى أن يقدم المحصلة الاستراتيجية في التكلفة والعائد وفي القصور العام عن النقاط للحظة بسلبياتها وإيجابياتها وتحويلها إلى مكسب سياسي ولو محدود. والاستراتيجي أقصد به هنا كل ما يؤثر على بنية الصراع على المدى الطويل، وما سوى ذلك هو تكتيكي.

وفي النهاية تقدم الورقة نقدا للنقد، وفيه مناقشة نقدية للتقييم السابق في إطار السياقات الأوسع. وهذا القسم حيوي وضروري. فهو يمنع القراءة من أن تكون حاسمة وجازمة بشكل مفرط. وتطرح أسئلة مثل "هل كانت المقاومة تملك ترف الخيار؟"، وانتقاد تقييم المعركة من الزاوية المادية فقط، وبهذا نوازن الحجة الأساسية ونذكر القارئ بأن الصورة أكثر تعقيداً من مجرد حساب التكلفة والعائد.

إطار نظري: الاستعمارية^١

كان عام ١٤٩٢ حاسماً في تاريخ الإنسانية. انطلقت عمليات غزو المجتمعات والثقافات التي كانت تعيش في أمريكا (اللاتينية)، وبدأ نظام عالمي في التشكل وانتهى بعد مرور خمسمئة عام إلى قوة عالمية تحكم السيطرة على الكوكب بأسره (مصنوفة التحكم الاستعمارية). وفي خضم هذا التوسع الهائل جرت عمليات تركيز وحشي لموارد العالم وإخضاعها لسيطرة واستفادة أقلية أوروبية ضئيلة من البشر. وخاصة طبقاتها المهيمنة. وعلى الرغم من أن هذه السيطرة كانت تراجيحاً أمام انتفاضات المقهورين، إلا أنها لم تتوقف منذ ذلك الحين. وبمرور الأيام، وخلال الأزمات المتتالية والراهنة، يُعاد إنتاج هذا التركيز وتتجدد هذه السيطرة بزخم جديد، وبأسلوب أكثر عنفاً وعلى نطاق عالمي أوسع. ولا يزال الغربيون - بالمفهوم

هذا الجمع بين الراهن/الحدث والمفاهيم النظرية والتحليلية (التدافعية، الاستعمارية) إلى تقديم مقارنة تفسيرية مغايرة ومختلفة عن الطروحات الإعلامية أو التحليلية السطحية. بكلمات أخرى، تجاوز أزمة السطح إلى كشف طبقات جذور الأزمة وصولاً إلى العمق المنشئ لكل أزمات السطح.

تقدم "الاستعمارية" إطاراً يسمح بربط ما جرى بـ "الزمن الممتد" (Longue durée) للاستعمار المستمر (الهيمنة المعرفية، العسكرية، الاقتصادية، السياسية)، وبالتالي يعطي بعداً تفسيرياً أعمق يتجاوز "السياسة اليومية" إلى بنية النظام الدولي نفسه. ومن جهة أخرى، تقدم "التدافعية" (Conflictability) من خلال تركيزها على العلاقة بين البنية (Structure) والذات الفاعلة (Human Agency) سياقاً يسمح بفهم هذه البنية وذاك الفاعل في تفاعلهما معاً. في هذه الورقة لا أتناول تفاصيل ودقائق ما يتعلق بالسابع من أكتوبر (يوميات الإبادة، المفاوضات... إلخ)،

لا يمكن فهم السابع من أكتوبر كمجرد حدث عابر، بل يجب تسكيكه في سياقه التاريخي الممتد، وفي إطار الحالة الاستعمارية المستمرة (Coloniality) التي تديم الضعف والبؤس

وإنما السياقات الكبرى التي يمكن ويجب فهمه في إطارها الكلي. وتسعى هذه الدراسة إلى بناء موقف نقدي من السابع من أكتوبر يتجاوز الكتابات الاحتفالية/الاحتفائية.

الأطروحة الأساسية هنا أن السابع من أكتوبر كان اختراقاً تكتيكياً ضخماً تجاوز به مخطوطه الخيال السياسي القديم للمقاومة وسعوا لكسر حدود وحواجز الواقع داخل بيئة بنوية تقيّد بشدة إمكان تحويل التكتيك إلى مكسب استراتيجي. ومن ثم تحول إلى خطأ استراتيجياً قاتل. إذ أخطأ مخطوط السابع من أكتوبر في تقدير لعبة القوة إذ تجاوزا حدود هيكل الفرص المرسومة دولياً. وبحساب النتيجة الصافية على قوة المجتمع وقدرة المقاومة على الاستدامة، تبدو الحصيلة سلبية جداً: خسائر بشرية ومادية هائلة ومجاعة مُعلنة، مع استمرار

الأوسع للغرب - المستفيدين الرئيسيين، خصوصًا طبقاتهم المهيمنة. أما المستغلون والمقهورون في أمريكا اللاتينية وإفريقيا، فهم الضحايا الأساسيون. ومن جهة أخرى، جرى إرساء علاقة هيمنة مباشرة - سياسية واجتماعية وثقافية - للأوروبيين على الشعوب المغلوبة في جميع القارات، هذه الهيمنة عُرفت باسم الاستعمار. وعلى المستوى السياسي، وبالأخص بالمعنى الشكلي والصريح، فقد هُزم الاستعمار في الغالبية العظمى من الحالات، كانت أمريكا أول مسرح لهذه الهزيمة، وتبعها لاحقًا، منذ الحرب العالمية الثانية، كل من إفريقيا وآسيا. وهكذا بدأ أن الاستعمار، باعتباره نظامًا للهيمنة السياسية الرسمية لمجتمعات على أخرى، أصبح شأنًا من الماضي. أما خليفته، أي الإمبريالية، فهو أشبه بتحالف للمصالح الاجتماعية بين المجموعات المهيمنة (طبقات اجتماعية و/أو "أعراق") في بلدان مختلفة المواقع داخل بنية السلطة، أكثر منه فرضًا مباشرًا من الخارج.

وأفرزت البنية الاستعمارية للسلطة أشكالًا من التمييز الاجتماعي جرى لاحقًا ترميزها كتمييزات "عرقية" أو "إثنية" أو "أنثروبولوجية" أو "قومية"، وذلك تبعًا للسياقات، والفاعلين، والجماعات المعنية. كانت هذه البنى المتخيلة المشتركة نتاجًا للهيمنة الاستعمارية الأوروبية، والأهم أنه جرى التعامل معها باعتبارها فئات ذات ادعاء "علمي" و"موضوعي" تحمل معنى لا-تاريخي، أي كأنها ظواهر طبيعية وليست نتاجًا لتاريخ السلطة وممارستها.

وعلى الرغم من أن الاستعمار السياسي قد أزيل، فإن العلاقة بين الثقافة الغربية، وبين الثقافات الأخرى، مازالت علاقة هيمنة استعمارية. المسألة ليست مجرد خضوع الثقافات الأخرى للأوروبية في علاقة خارجية، بل هي استعمار لخيال المقهورين أنفسهم. أي أن هذا الاستعمار يعمل في أعماق ذلك الخيال ويشكل جزءًا منه. كان ذلك منذ بداياته نتاج قمع منهجي طال

✎
الجناح المسلح لحماس،
كنايب عز الدين القسام،
يتدربون باستخدام المظلات
الشراعية أثناء استعدادهم
لهجوم جوي مسلح، في
لقطة شاشة مأخوذة من
فيديو على وسائل التواصل
الاجتماعي نشرته كنايب عز
الدين القسام في ٧ أكتوبر.
(رويترز)



موجه لكل تطور ثقافي، وخاصة على المستويين الفكري والفني. وهكذا أصبحت تلك العلاقة جزءاً مكوناً من شروط إعادة إنتاج تلك المجتمعات والثقافات، ودُفعت نحو التغرب كلياً أو جزئياً. أما في إفريقيا، فقد كان التدمير الثقافي بلا شك أعمق بكثير مما حدث في آسيا. لكنه كان أقل من أمريكا. فالأوروبيون لم ينجحوا هناك أيضاً في القضاء التام على أنماط التعبير، خاصة تلك المتعلقة بالتجسيد والتشكيل البصري. لكنهم جردوها من الشرعية ومن الاعتراف داخل النظام الثقافي العالمي الذي تهيمن عليه الأنماط الأوروبية. وبالتالي، تظل الاستعمارية حتى اليوم الشكل الأكثر عمومية للهيمنة في العالم المعاصر، بعد أن تم القضاء على الاستعمار بوصفه نظاماً سياسياً صريحاً. وهي لا تستنفذ بالطبع كل الشروط ولا كل أنماط الاستغلال والهيمنة القائمة بين الناس، لكنها لم تكف منذ خمسمئة عام عن أن تكون إطارها الرئيسي. وفي الفترة نفسها التي كانت تتوطد فيها الهيمنة الاستعمارية الأوروبية، كان يتكون المركب الثقافي المعروف بالعقلانية/الحداثة الغربية، والذي جرى تثبيته باعتباره النموذج المعرفي الكوني والعلاقة المعيارية بين الإنسان وبقية العالم. الاستعمارية إذاً مصطلح يشير إلى البنية الدائمة للهيمنة المستمرة بعد زوال الاستعمار الرسمي، والتي تعمل عبر مصفوفة كاملة للتحكم تتضمن بنى سلطوية وعلاقات قوة تستديم حالة الضعف والذل لدول الهامش وتعمل في كافة مجالات الحياة الإنسانية (السياسية، الاقتصادية، الثقافية، العسكرية). ولا تزال الاستعمارية هي الإطار الناظم لتوزيع السلطة والمعرفة والموارد عالمياً. وقد بدأت هذه الحالة الاستعمارية منذ مطلع الحداثة الأوروبية التي تشكلت داخل علاقة استعمارية جعلت أوروبا "ذاتاً" عارفة والعالم "موضوعاً" للهيمنة. وقد تشكلت الحداثة والرأسمالية العالميّتين في إطار استعماري جعل "العرق" معياراً مؤسساً للسلطة والمعرفة في إطار تفوق العرق الأبيض (white supremacy). إذ لا يمكن فصل الحالة الاستعمارية عن المركزية الأوروبية، والعرق، والرأسمالية العالمية، والدولة القومية الحديثة. وتقوم مصفوفة الهيمنة على: (١) الوطنية الأليفة (التي تتأسس في شكل حزب سياسي)، (٢) والكمبرادورية الاقتصادية (التي تتمثل

المعتقدات والأفكار والصور والرموز، بل مسّ أيضاً طرائق المعرفة ذاتها، والأنماط الخاصة بإنتاج المعرفة والمعاني، كما طال موارد وأدوات التعبير. وتم توظيف كل ذلك لعرقلة الإنتاج الثقافي للمقهورين، وحلت وسائل ناجعة للغاية للسيطرة الاجتماعية والثقافية محل القمع المباشر الذي لم مستمراً بصورة منهجية ودائمة. وأصبحت الأداة الرئيسية لكل سلطة هي الإغواء. وأصبح التفرغيب الثقافي طموحاً قائماً، وبات وسيلة للمشاركة في السلطة الاستعمارية ثم الإمبريالية. لقد تحوّلت الثقافة الغربية إلى نموذج ثقافي عالمي. وصار الخيال داخل الثقافات غير الأوروبية اليوم بالكاد قادراً على الوجود - والأهم على إعادة إنتاج نفسه - خارج إطار تلك العلاقات. واختلفت أشكال ونتائج تلك الاستعمارية الثقافية

بحساب النتيجة الصافية على قوة المجتمع وقدرة المقاومة على الاستدامة. تبدو الحصيلة سلبية جداً: خسائر بشرية ومادية هائلة ومجاعة مُعلنة.

بحسب الأزمنة والظروف. ففي أمريكا (اللاتينية)، رافق القمع الثقافي واستعمار الخيال عملية إبادة جماعية واسعة وضخمة للسكان الأصليين، والسبب الرئيس لذلك كان استخدامهم كيد عاملة قابلة للاستغناء عنها، إلى جانب عنف الغزو وانتشار الأمراض. وكان حجم الكارثة هائلاً؛ فإذا أخذنا بالاعتبار أنه في مناطق الأزنك-المايا-الكاريبّي ومناطق التوانتينسوي (الإنكا) أُبِيد حوالي ٣٥ مليون نسمة خلال أقل من خمسين عاماً، فإن ذلك لم يُنتج فقط كارثة ديموغرافية هائلة، بل دمر أيضاً المجتمع والثقافة. أما في آسيا والشرق الأوسط، فلم يكن ممكناً تدمير الحضارات الرفيعة بالحداثة والعمق نفسيهما كما حدث في أمريكا. لكن هذه الحضارات وُضعت في موقع التبعية. ليس فقط في نظر الأوروبيين، بل حتى في نظر حاملها أنفسهم. فقد فرضت الثقافة الغربية - بفضل القوة السياسية والعسكرية والتكنولوجية للمجتمعات التي حملتها - صورتها النموذجية وعناصرها المعرفية الأساسية كعيار



المقاتلون من حركة حماس
يرافقون أربعة رهائن إسرائيلية
لتسليمهم إلى فريق من
الصليب الأحمر في مدينة غزة،
في مشهد يُظهر التزامهم
بحسن التعامل خلال عملية
التسليم.

الفاعلة (human agency) على قدر عالٍ من الأهمية والخطورة: إذ أنها تجمل وتعكس الوجود الإنساني الكلي في صورته المركبة والتفاعلية والشاملة. وفقاً للتدافعية فإن لكل ذات فاعلة قدرة أصيلة لا تحدّد موقعها في الصراع تحديداً حاسماً فحسب، بل قد تحسم أيضاً مآل الصراع ذاته، بل ويمكنها أن تغيّر طبيعة الصراع نفسه. وتتفاوت التدافعية لدى كل ذات فاعلة وتتبدّل عبر الزمان والمكان زيادةً ونقصاناً. وفي أي لحظة معطاة، تمتلك كل ذات فاعلة قدراً معيّناً من التدافعية، عالياً كان أو منخفضاً أو متوسطاً أو بين ذلك، وتعني التدافعية وتتحدد بدرجة الانسجام والتناغم بين الخيال السياسي (political imagination) للذات الفاعلة وحقائق لعبة القوة (power game). (Karahani, 2022).

التدافعية في أبسط تعريفاتها هي تناغم بين الكسب الإنساني - الفعل والترك - وبين "نظام العالم". فالله تعالى خلق العالم وفق مبدأ الانتظام، سواء أدركناه بتعييناته المختلفة أم لم ندركه. يضم

في الطبقات الحاكمة المحلية الخادمة للطبقات الحاكمة الموجودة في المركز)، و٣) التبعية الثقافية (التي تتجلى في الانتلجيسيا "المستحمة" - إذا استعنا تعبير علي شريعتي -). أما قلب هذه البنية الاستعمارية المحلية فهو الجيش الذي هو بمثابة الجماعة الوظيفية القتالية التي تقوم على حماية المصغوفة إذا ما فشلت الجماعات الوظيفية الأساسية الثلاثة السابقة أو خرج الشعب عن سيطرتها دامت. (Hossam, 2014).

إطار تحليلي: التدافعية

يمكن فهم التدافعية (Conflictability) من ثلاثة أوجه: أولاً، بوصفها حالة (مدى انفتاح النظام السياسي الدولي أو المحلي على التغيير)، وثانياً، بوصفها عملية (والتي يتم من خلالها تحليل أوضاع جديدة والتنازع عليها)، وثالثاً، بوصفها إطاراً تحليلياً (لدراسة هذه الديناميات عبر الزمان والمكان). وسأركز فيما يلي على المفهوم التحليلي للتدافعية. التدافعية قدرة أو مكنة لدى الذات

البأس الشديد في تعريفي يضم ثلاثة عناصر: (١) قوة الفاعل الإنساني، و(٢) التوازن بين القوة والقيم، و(٣) القدرة على خلق حقائق اجتماعية جديدة. وعلى العكس من ذلك فإن فساد البأس هو: (١) ضعف الفاعل الإنساني، و(٢) الخلل في التوازن بين القوة والقيم، و(٣) عدم القدرة على خلق حقائق اجتماعية جديدة. ومن ثم، ففي كل زمان ومكان معينين، تتحدد طبيعة العلاقة التي يطورها أي فاعل إنساني بين قطبي فساد البأس والبأس الشديد وفقا لتدافعيته. وهكذا فإن التدافعية هي الميزان الذي نستطيع أن نقيم به الفعل الإنساني. فكلما زادت نسبيا تدافعية فاعل إنساني معين كانت قدرته أكبر على الانتصار في تدافعه مع الفاعلين الآخرين. إذ كلما زادت نسبيا تدافعية فاعل إنساني معين كان أقرب إلى البأس الشديد وأبعد عن فساد البأس. وعلى العكس، كلما قلت نسبيا تدافعية فاعل إنساني معين كان أبعد عن البأس الشديد وأقرب إلى فساد البأس.

تعيّننا مفاهيم التدافعية والبأس وفساد البأس على دراسة التغيّر الاجتماعي والسياسي، ولا سيّما ظواهر التغيير والثورات والمقاومة إذ تراعي التفاعل المتطور بين الذات الفاعلة والبنية. ومع ذلك، يجدر التأكيد أن هذا التصوّر للتدافعية يطمح إلى استيعاب وجوه التغيّر والتحوّل في المجتمعات الإنسانية: صعود القوى وأفولها، ابتكار الوقائع الاجتماعية وهدمها، ونجاح المساعي الإنسانية أو إخفاقها.

كيف يحدث التغيّر إذا؟ كلمة السر هنا هي "الحقائق الاجتماعية"، الحقيقة الاجتماعية هي كل حقيقة مادية أو غير مادية تظهر إلى الوجود نتيجة التفاعل الاجتماعي بين البشر وواقعهم أو بيناتهم الاجتماعية بالمعنى الشامل. ولذلك يمكن تصور أن "الواقع" هو في حقيقة الأمر مجرد مجموعة من الحقائق الاجتماعية التي لا يوجد لها سبب جوهري في ذاتها، وإنما هي نتيجة لمحض التفاعل بين البشر. أمثلة؟ هاكها: المدينة، الشريعة، الدولة، الجيش، المدرسة، الشركة، المصنع، الجامعة، المشفى... إلخ، كلها لمحض حقائق اجتماعية، خاضعة لمنطق التاريخ وشروطه، ليست حتمية ولا ضرورية بل هي شرطية سياقية يمكن هدمها وبناء ما هو أرقى أو أسفل منها.

إن التحول في جوهره هو صراع وتدافع الحقائق الاجتماعية، جيش في مواجهة جيش. جامعة

نظام العالم عوالم لا نهاية لها، وكلما ازداد الإنسان نضجا ووعيا ونهضة زاد عدد العوالم التي يدركها. منها مثلا عالم الأخلاق (لا تقتل، لا تسرق... إلخ)، وعالم السنن (القوانين التي يتغير التاريخ وفقها؛ الظلم مؤذن بخراب العمران مثلا)، والنظام العالمي (موازين وقوانين القوة المادية في رقعة جغرافية وحقبة تاريخية ما). وكلما زاد إدراك الإنسان لعوالم أكثر وانسجم معها ومع مقتضياتها زادت تدافعيته. أي زادت قدرته على الانتصار في الصراع. تتفاوت التدافعية وتتغير باختلاف الزمان والمكان، فهي تزيد أو تنقص باستمرار. تتزايد التدافعية أو تقل على حسب درجة التناغم بين كسب الفاعل الإنساني - فعله أو تركه - وبين نظام العالم.

ويتكوّن الجهاز المفاهيمي للتدافعية من ثلاثة مفاهيم: ١. الكسب: فعل الذات الفاعلة وتركها؛ ٢. نظام العالم: نظام العالم وقوانينه، أي الناموس (Nomos) ٣. العمران: المجتمع الإنساني الذي تتمثل ماهيته الثابتة في الصراع والقوة الاجتماعية.

أفرزت البنية الاستعمارية للسلطة أشكالاً من التمييز الاجتماعي جرى لاحقاً ترميزها كتمييزات "عرقية" أو "إثنية" أو "أنثروبولوجية" أو "قومية"، وذلك تبعاً للسياقات، والفاعلين، والجماعات المعنية

إن ازدياد الانسجام بين الكسب ونظام العالم (ومن ثم بين الخيال السياسي ولعبة القوة) يفضي إلى "البأس"، أي القوة التدافعية (conflictabile power) لدى الذات الفاعلة. وتتألف هذه القوة من ثلاثة عناصر: ١. ازدياد قوة الذات الفاعلة بفعل خيال سياسي جديد، ٢. تحقيق التوازن بين القوة والقيم، ٣. القدرة على خلق وقائع وأنظمة اجتماعية جديدة. ويقابل البأس نقضه فساد البأس، أي تآكل القوة المتأتية من تدافعية الذات الفاعلة.

ففي أي لحظة في مسار الزمن، وفي أي مكان في الكون، يتمتع الفاعل الإنساني بموقع وموضع محدد بين "فساد البأس" و"البأس الشديد"، وكلاهما يمثلان قطبان متقابلان، أقرب لتفاعل البن-اليانج. ففي كل وضع إنساني يطور كل فاعل إنساني حتما علاقة ذات طبيعة ما بين فساد البأس والبأس الشديد.

المتشكّل بتؤدّة وانقسام، لكن كل خطوة تمثل طفرة ما (mutation)، أي شيئا جديدا. يحدث التغيير والتحول إذاً نتيجة تفوق منظومة اجتماعية على أخرى بسبب طفرة تم إنجازها، إما كيميا (أي تفوق منظومة على منظومة مماثلة، انتصار الحلفاء على قوات المحور في الحرب العالمية الثانية مثلا) أو نوعيا (تفوق منظومة استطاعت إحداث طفرة ما واخترقت الحدود المتصورة السائدة عن الأمر الممكن والواقع). يحدث التغيير الحقيقي عبر طفرات غير مسبوقّة. الأمثلة كثيرة على الطفرات: التفوق العسكري لجيش على آخر كما في حالة المدافع الجديدة التي طورها أوربان لمحمد الفاتح مثلا، أو البراعة الاقتصادية لمستثمر على آخر مثل ما طوره رجال المال في الجزر الإيطالية من أساليب جديدة في الحساب والعمل البنكي منحتهم التفوق دون منازع، أو تطور تقني كما في حالة السفن الأوروبية الجديدة التي باتت قادرة على أن تمخر عباب المحيطات فوصلوا إلى العالم

في مواجهة جامعة. مصنع في مواجهة مصنع. مجتمع كامل في مواجهة مجتمع آخر. بنية شاملة من التعليم والتهديب والتنظيم في مواجهة أخرى. فمن سينتصر يا ترى؟ إن الأمر محسوم مسبقا (لا بالمعنى الحتمي المطلق وإنما بالمعنى التداعي المفتوح). مع ثبات العوامل الأخرى، فإن من يمتلك "قوة اجتماعية" أعلى ينتصر دوما. فما القوة الاجتماعية؟ القوة الاجتماعية ببساطة هي القوة والقدرة على تنظيم الحياة الإنسانية وتوجيهها لتحقيق أي هدف كان، ومن ثم يمكننا القول أن القوة الاجتماعية هي القدرة على التحكم في الحياة. إن سؤال التحول يعني تحديدا كيف تظهر حقائق اجتماعية جديدة وكيف تختفي حقائق اجتماعية قديمة؟ لا تقوم أو تنفك أية منظومة أو حقيقة اجتماعية أو ترسانات الحركة والفعل (repertoires) بين ليلة وضحاها، بل يحدث ذلك غالبا خطوة خطوة، قد تسارع وقد تكون وثيدة، قد تتلاحق وقد تكون أشبه بأرخبيل الجزر

✓
القوات الإسرائيلية والأسرى
الغلسطينيين في الضفة
الغربية. • المصور: بيدرو
أوجاتي



إلى "السلطة الانضباطية الحديثة". وظهر سجن "البانوبتيكون" كنموذج أساسي للوجود الإنساني برمته.

إن التدافعية هي في نهاية الأمر حركة من الماضي للمستقبل. إذ هي عملية انتقال من "الممكن المستحيل" إلى "المستحيل الممكن". فكل ما كان ممكناً في الماضي ولم يتم تحقيقه أو الاشتباك معه بات اليوم مستحيلاً. ولكن كل ما كان مستحيلاً في الماضي يمكن -بتوفر شروطه- أن يصبح ممكناً وواقعاً جديداً.

من النجاح التكتيكي إلى الخطأ الاستراتيجي

يشترك الفعل المقاوم اليوم مع منظومة عالمية تعيد إنتاج علاقات الهيمنة عبر الاقتصاد السياسي، القانون الدولي، والتمثيلات المعرفية/الإعلامية. وعند فشل هذه الأدوات في القمع والاذلال تنطلق الآلة العسكرية لتحرق الأخضر واليابس. تُذكرنا مقارنة كُكس النبوية-التاريخية بأن ترتيبات الإنتاج والقوة تشكل "هيكل الفرص" المتاح أمام الفاعلين الاجتماعيين: أي أن حدود الفعل ترسم مسبقاً بواسطة بنية مادية ومؤسسية عابرة للحدود (Cox 1987). ينبغي هنا ملاحظة أن "إسرائيل"

نموذج لتوسعة حدود الفعل السياسي بمعالجة عوامل التحكم الدولية. تعمل الفجوات الهائلة في القوة المادية والتكنولوجية على تضيق خيارات المقاومين. لاسيّما حين تمارس "سياسات الموت" كأداة سيادة تُقرّر مَنْ يعيش ومَنْ يُعرض للهلاك. يقدّم أمبمي إطار "النيكرو-بوليتكس" لتسمية هذه البنية المفجرة لعدم التكافؤ، حيث يصبح التعريض المُؤمّس للموت تقنية حكم (Mbembe 2019) تُضيق الأمانة (Securitization) حيز السياسة بتحويل مطالب مقاومة إلى "تهديدات أمنية" تستدعي إجراءات استثنائية. ما يحذ من شرعية الفعل وأدواته. كما أن "أطر الحداد" تصوغ من تعدّد حياته قابلة للحداد ومن تُقصي حياته خارج الإطار الإنساني، بما يعيد إنتاج تفاوتٍ معياري يؤثر مباشرة على إمكان الفعل وتأويله (Buzan, Wæver, 1998). وأخيراً، يُستخدم القانون الدولي نفسه كساحة تنازع (Lawfare): نادراً ما يفتح نوافذ تكتيكية للمقاومين أو غالباً ما يُقفلها عبر قواعد وتفسيرات منحازة. تشتغل الاستعمارية

الجديد، أو سمو نظام عقدي على آخر مثل محيي الإسلام وما أعقبه. إن هذا يحدث تقريباً كل يوم، لكن قدراً محدوداً فقط من الطفرات يتحول إلى أنظمة ترسخ وتتحقق لها السيادة والاستدامة، فالمجتمعات بشكل عام محافظة جداً (وفي كثير من الأحيان رجعية) بطبيعتها، وغالباً ما تكون الطفرات محل عداء من قبل من يبدهم مقاليد السلطة والثروة. وعندما يتراكم قدر كافٍ من الطفرات قد تصل المنظومة أو الحقيقة الاجتماعية أو ترسانة الحركة والفعل إلى النقطة الحرجة التي يحدث عندها التحول الكلي الشامل فيظهر إلى الوجود "عمران جديد"، وهذا التحول هو الذي أطلق عليه: "التحوّل المُتراكم"

على الرغم من أن الاستعمار السياسي قد أُزيل، فإن العلاقة بين الثقافة الغربية، وبين الثقافات الأخرى، ما زالت علاقة هيمنة استعمارية. المسألة ليست مجرد خضوع الثقافات الأخرى للأوروبية في علاقة خارجية، بل هي استعمار لخيال المقهورين أنفسهم

(transmutation)، وهذه الكلمة في أصلها الإنجليزي مركب من كلمتين (transformation) وتعني التحول، و (mutation) وتعني الطفرة. إن هذا ما ظل يحدث طوال التاريخ. بدءاً من اكتشاف النار مثلاً، أو اختراع الكتابة، الثورة الزراعية. لكن أبرز الأمثلة على ذلك "التحول المتراكم" ما أحدثته بعثة النبي محمد^(ص) وظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي من تحطيم القوى العظمى الأكبر حينها - الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية - وإقامة أعظم وأكبر إمبراطورية تحريرية في التاريخ البشري. إذ كانت الأكبر في رقعتها الجغرافية، والأطول في امتدادها الزمني، والأسرع في إنجازها الحضاري مقارنة بأي إمبراطورية أخرى في التاريخ قاطبة. المثال الأبرز الثاني في التاريخ البشري هو ما تمخض عن الإصلاح الديني في أوروبا (عصر الأنوار، عصر النهضة، الحداثة... إلخ) من ظهور أكبر إمبراطورية إمبريالية في التاريخ البشري. إذ غيرت بشكل جذري وإلى الأبد من طبيعة السلطة وحوالتها من "السلطة الاعتبارية ما قبل الحديثة"



يمكن تناول حدود قوة المقاومة وفعلها من أربعة زوايا: أولاً، لدينا اختلال ميزان القوة البنيوي، من تفوق إسرائيلي ساحق في الجو والاستخبارات والنيران، مقابل غياب عمق استراتيجي في غزة وقدرية محدودة على الإمساك بالأرض بعد الاختراق الأول. ومن المعروف عسكرياً أن عنصر المفاجأة لا يتحول تلقائياً إلى مكسب مستدام بدون قدرة تكتيكية/لوجستية على التثبيت. ثانياً، هناك قابلية المجتمع المدني للعقاب الجماعي. فم منذ الهجوم تعرضت غزة لدمار وخسائر بشرية هائلة وأزمة مجاعة مُعلنة رسمياً؛ أبلغت أوتشا (مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الجهود الإنسانية الأرض الفلسطينية المحتلة) أن الضحايا الفلسطينيين بلغوا ٦٢,١٢٢ قتيلًا و١٥٦,٧٥٨ جريحاً حتى ٢٠ أغسطس ٢٠٢٥، مع تقدير ٥٠ رهينة ما زالوا في غزة (OCHA-OPT 2025)؛ كما أكد نظام تصنيف الأمن الغذائي (IPC 2025) وقوع مجاعة في مدينة غزة مع خطر اتساعها جنوباً. هذه البيئة تقلص بشدة هامش المناورة لأي فعل مقاوم.

كوجهٍ مظلم للحداثة: مصفوفة قوة تُنتج ترانتيات معرفية و”تكتيكات تسمية” تجرد المُستعمرين من القدرة على تعريف ذواتهم وصراعاتهم. هذا السقف المعرفي لا يحدّ مساحات الخطاب فحسب، بل ينعكس سياسة عامة وقانوناً وممارسة أمنية (Mi-2000; Quijano 2011; gnolo). وسبّعت الشبكات الرقمية طيف التعبئة وخفّضت كلفة الاغتراف، لكنها في الوقت نفسه خلقت هشاشة تنظيمية (ضعف البنية الوسيطة والقدرات التمثيلية)، بينما طوّرت الأنظمة ترسانة قمع رقمي (مراقبة، تتبع، تشويش سردي، ذكاء اصطناعي استباقي). والنتاج: نافذة تعبئة سريعة، لكن سقف إنجاز منخفض ما لم تُستكمل بأطر تنظيمية صلبة (Feldstein 2021; Tufekci 2017).

عند النظر من زاوية التدافعية ونسائل أين تقف حدود قوة المقاومة في السابع من أكتوبر وبعده، ثم نقمّم: هل كان الهجوم خطأً استراتيجياً؟ ولماذا؟ وكيف تحول بأُس المقاومة في البداية إلى فساد هذا البأس في النهاية وتدهور تدافعية المقاومة؟

وفرض واقع قاس على المدنيين. أما إذا أقسنا بمعيار تعطيل الوضع القائم وإعادة تدويل الصراع ورفع الكلفة المعيارية/القانونية على "إسرائيل"، فقد تحققت بعض الأهداف (ICJ/ICC). ضغط رأي عام عالمي، صفقات تبادل، لكنها لم تُترجم إلى تحول مؤسسي أو ترتيبات أمان قابلة للبقاء في غزة أي إنهما إنجازات معيارية أكثر منها نبوية.

إذا كان خطأ، فما أسبابه المحتملة؟ لدينا أولاً، سوء التقدير لرد الفعل الإسرائيلي وسقفه الزمني/العمليتي، إذ افترضت قيادة المقاومة على الأرجح أن ورقة الرهائن ستدفع سريعاً إلى تهديّة طويلة وتبادل شامل؛ لكن "إسرائيل" وسّعت أهداف الحرب (تفكيك قدرات حماس/إسقاط حكمها/استعادة الرهائن) واستمرت عملياتها البرية والجوية. ثانياً، هناك المبالغة في المراهنة على تراهن "الجبهات"، أي توقع انتقال الضغط إلى جبهات أخرى بصورة تجر "إسرائيل" على تقليص حربها في غزة؛ حصلت اشتباكات وتعطيل ملاحه، لكن دون قلب للموازين. ثالثاً، كان هناك افتقاد لخطّة خروج/تموضع بعد الاختراق، وغياب قدرة الإمساك بالأرض أو حماية الحاضنة المدنية تحت حصار خانق وتفوّق جوي؛ ما جعل أي مكسب تكتيكي يتبخّر سريعاً، رابعاً، مخاطر "الشرعية المعكوسة"، بمعنى استثمار "إسرائيل" لأطر الأمانة وشرعية "تحرير الرهائن/تدمير البنية القتالية" لتمديد العمليات، فيما لم تُفضّ الإحالات القانونية الدولية إلى كبح عملي فوري للعدوان. أخيراً، كان هناك سوء قراءة لمسار التطبيع، فحتى لو كان من بين أهداف ٧ أكتوبر تعطيل صفقة التطبيع مع السعودية، فإن تعطيله لم يتحوّل إلى مكسب سياسي للفلسطينيين داخل غزة؛ بل تراقق مع كلف مهولة على المدنيين.

السياقات الأوسع: نقد النقد

ثمة خطأ منهجي في الإقدام على تقييم معركة لم تنتهي بعد، حتى وإن صارت النتائج شبه واضحة. عند النظر إلى لحظات ما قبل انتصار المقاومة كما في حالة الجزائر وفيتنام مثلاً، هل كان يجب التوقف عن المقاومة بداعي الخسائر المليونية في الأرواح؟ كما أن هناك مشكلة في تقييم المعركة من الزاوية المادية فحسب. إذ أن جزءاً أساسياً من الواقع الإنساني في غزة اليوم (الدمار، الشهداء، الجرحى،

ثالثاً، كان لدى المقاومة وعي خاطئ بخصوص حدود "تأثير الجبهات". فرغم اتساع المواجهة الإقليمية (جبهة حزب الله شمالاً، وهجمات الحوثيين التي عطّلت الملاحة في البحر الأحمر ودفعت إلى ضربات أمريكية-بريطانية، الحرب مع إيران)، لم يتحوّل ذلك إلى ميزان قوّة حاسم يخفف الضغط على غزة. رابعاً، الشرعية المعيارية والقانونية، إذ تصاعدت المراجعة الدولية لسلوك "إسرائيل" عبر وأمر "العدل الدولية" (ICJ) وتحركات "الجناية الدولية" (ICC)، لكنها لم توقف العمليات. أي أن الكلفة المعيارية لـ "إسرائيل" زادت، لكن الأثر الإكراهي على سلوكها بقي محدوداً.

إذن ماذا حقق هجوم ٧ أكتوبر وفيم ماذا أخفق؟ تكتيكياً، تحقّق اختراق مفاجئ، واستمرّ مئات الرهائن، واستخدمت ورقة التبادل فعلياً (هدنة نوفمبر ٢٠٢٣ أفضت إلى إطلاق أكثر من ١٠٠ رهينة مقابل مئات الأسرى الفلسطينيين). لكن بقي عشرات

اختلفت أشكال ونتائج تلك الاستعمارية الثقافية بحسب الأزمنة والظروف. ففي أمريكا (اللاتينية)، رافق القمع الثقافي واستعمار الخيال عملية إبادة جماعية واسعة وضخمة للسكان الأصليين

الرهائن حتى اليوم، ما حوّل الأداة من رصيد تفاوضي إلى عبء مستمر. استراتيجياً، أعيدت القضية الفلسطينية بقوة إلى الأجندة الدولية، وتباطأت مسارات التطبيع/إعادة الهيكلة الإقليمية، لكن الثمن على غزة كان استنزاف القوة المجتمعية والبنية المدنية إلى حدّ المجاعة، مع استمرار العمليات العسكرية وتآكل القدرة الحاكمة داخل القطاع.

فهل كان الهجوم خطأً استراتيجياً؟ تعتمد الإجابة على معيار الحكم. فإذا أقسنا بالنتيجة الصافية على المجتمع الفلسطيني في غزة وقدرة المقاومة على الاستدامة، نعم، كان خطأً مكلفاً للغاية؛ لأنّ المكاسب التكتيكية (المفاجأة/أسر الرهائن) لم تتحوّل إلى مكسب سياسي مستدام، بينما كانت الكلفة البشرية والمادية والمعيشية غير مسبوقّة، مع استمرار القدرة الإسرائيلية على مواصلة القتال

الإبادة، المجاعة) هو هدف ومسعى "إسرائيلي" واضح في إطار ما يسمى بـ"كي الوعي". وهو يتلخص في محاولة الضغط باتجاه تآكل منجزات السابع من أكتوبر. وإحداث كي للوعي للندم على السابع من أكتوبر حتى لا يتكرر. ومن جهة أخرى، لا يصح الحكم على أية حركة مقاومة بنتائج الإبادة التي تحدث من قبل المحتل. الموضوع أكبر من السابع من أكتوبر ونتائج المباشرة أو غير المباشرة. وليس له علاقة كذلك بما يمكن أو كان يفترض بالمقاومة أن تتوقعه وبالتالي أن تتجنبه. فضلا عن أن الوضع الإقليمي والدولي غير مسبوق إطلاقا، ومن ثم لا يمكن محاكمة المقاومة وإدانتها بسبب عدم القدرة على توقعه بالكامل. إن تعريف الانتصار والهزيمة لا يكون قائما على الدمار الشامل الذي يحدثه المستعمر. وإنما يتم تقييمه على نحو تراكمي وباعتبار النتيجة بغض النظر عن الأثمان التي قد تضطر المقاومة أو الثورة أن تدفعها في مقابل إخراج المحتل.

إن إغفال السياق التاريخي والحضاري والعقائدي للصراع يجعل هناك فجوة وحالة إشكالية في تنزيل التدافعية على السابع من أكتوبر وتطبيق النظرية على التفصيلات المتعلقة بالحدث. إن إشكالية السابع من أكتوبر أنها فقط إحدى الجولات أو أحد تجليات الصراع وليسست بدايته. بل هو ممتد منذ قرن ونيف، وثمة جولات كثيرة مرت، والسابع من أكتوبر ما هو إلا امتداد للموضوع. ثمة مسألة أخرى غاية في الأهمية، ألا وهي ما الظروف والبيئة التي دفعت المقاومة إلى هذا الخيار بغض النظر عن تقييمه. يمكن كما سبق أن نقيمه خطأ استراتيجي قاتل، لكن فهم البيئة مهم جدا: كانت الحكومة "الإسرائيلية" الجديدة والصهيونية الدينية قادمة أصلا لشطب الملف الفلسطيني، واستلم سموتريتش وبن غفير ملفات فعلية لتصفية الضفة والأقصى، وهذا نراه في التسعة أشهر الأولى من عمر الحكومة التي سبقت السابع من أكتوبر. وبالتالي كان دور غزة قادما بلا شك. فهل كانت المقاومة تملك

الشهيد أبو عبيدة كان المتحدث الرسمي باسم حركة حماس. يقدم البيانات والتصريحات الإعلامية للحركة ويعكس موقفها السياسي والعسكري.



مستدامة (تحرير سياسي) تحت وطأة آلة القمع البنيوية (النيكروبوليتكس) التي حددها إطار الاستعمارية. والخلاصة هنا أن حدود الفعل والحركة ليست ثابتة، بل هي نتاج صراع ديناميكي. إطار الاستعمارية يحدد طبيعة السجن البنيوي، بينما إطار التدافعية يحلل محاولات الهروب منه ومكامن قوتها وضعفها. الفعل يمكنه اختراق الحدود تكتيكياً، لكن تخطيطها استراتيجياً يتطلب "بأساً" يتناغم مع نظام العالم ويتغلب على مصفوفة الهيمنة، وهو ما لم يتحقق.

وختاماً، لا يمكن تجاهل أو إغفال عام ١٩٤٢. كانت هذه لحظة بداية المصفوفة وانطلاق الحالة الاستعمارية. لم تكن تلك السنة فقط بداية "الكشف الجغرافية" واستعمار "العالم الجديد". وإنما كانت كذلك بداية عملية إبادة المسلمين في الأندلس. وسوف يظل استحضر المركز للإسلام كعدو مستمر منذ ذلك الحين حتى اليوم. لكن الخلل ليس نابع من الاختلال الكاسح في موازين القوة بقدر ما هو كذلك كامن في مساحات الخيال السياسي وعدم إدراك حدود القوة والقدرة على الفعل في إطار هذه المساحات.

الهوامش:

١. راجع أعمال منطري الاستعمارية: (Anibal Quijano) حول استعمارية القوة، (Walter Mignolo, Santiago Castro-Gómez) حول استعمارية المعرفة، (Nelson Maldonado Torres) حول استعمارية الوجود واستعمارية الحرب، (Arturo Escobar, Enrique Dussel) حول الاستعمارية البيئية، (Quijano, Ramón) حول الاستعمارية والرأسمالية العالمية، (Grosfoguel) حول الاستعمارية والرأسمالية العالمية.

قائمة المصادر والمراجع

- Buzan, B., Wæver, O., Wilde, J. de (1998). Security: A New Framework for Analysis. Lynne Rienner.
- Cox, R. W. (1987). Production, power, and world order: Social forces in the making of history (Vol. 1). Columbia University Press.
- Feldstein, S. (2021). The rise of digital

تर्फ الخيار؟ أم أنها كانت في حالة دفاع عن وجودها؟ وعند النظر إلى موضوع سنن الله وحالة التدافع، نجد أن البشرية قدمت أسوأ ما لديها ("إسرائيل") كما قدمت أفضل ما لديها "غزة". وهذا إيذان بحالة تغيير عميقة قادمة لا محالة. ولا بد من تأمل والنظر في الحقائق الاجتماعية التي أنشأتها غزة في العشرين سنة الماضية، والتي مكنت المقاومة من الصمود في خمسة حروب متواصلة ولم ترزع (٢٠٠٨-٢٠٠٩، ٢٠١٢، ٢٠١٤، ٢٠٢١، ٢٠٢٣). فلنقارن مثلاً بدولة بحجم مصر التي فقدت غزة وسيناء في ١٩٥٦ وفي ١٩٦٧ في يومين. ثم إن تقييم أي مشروع مرتبط بأهدافه، لم يستطع "الإسرائيلي" أن يحقق أيًا من أهدافه الستة، وفي المقابل سقطت نظرية الأمن "الإسرائيلية"،

الإستعمارية مصطلح يشير إلى البنية الدائمة للهيمنة المستمرة بعد زوال الاستعمار الرسمي، والتي تعمل عبر مصفوفة كاملة للتحكم تتضمن بنى سلطوية وعلاقات قوة تستديم حالة الضعف والذل لدول الهامش وتعمل في كافة مجالات الحياة الإنسانية

وفقد الصهاينة الدعم العالمي الذي كانوا يتمتعون به (انقطاع حبل الناس).

الخاتمة

يفسر إطار الاستعمارية (Coloniality) سؤال "لماذا؟" فحدود الفعل والحركة ضيقة أصلاً. فمصفوفة الهيمنة (العسكرية، المعرفية، الاقتصادية، القانونية) التي أنشأها المركز الغربي/ الصهيوني تهدف بنيتها إلى تقييد وإفقاد فعل المُستعمر شرعيته وقدرته على إحداث تغيير استراتيجي. فعل المقاومة هنا يصطدم بمجدار بنيوي، وليس فقط بعدد الدبابات. بينما يفسر إطار التدافعية (Conflictability) سؤال "كيف؟" تم اختراق هذه الحدود مؤقتاً ثم انكسرت. تمثل "البأس" اللحظي في تناغم الخيال السياسي (مفاجأة أسر الرهائن) مع "نظام العالم" (ورقة الضغط التفاوضية). لكن "فساد البأس" اللاحق نتج عن اختلال هذا التناغم: عدم قدرة الفعل على تحويل مكاسبه التكتيكية إلى وقائع اجتماعية جديدة



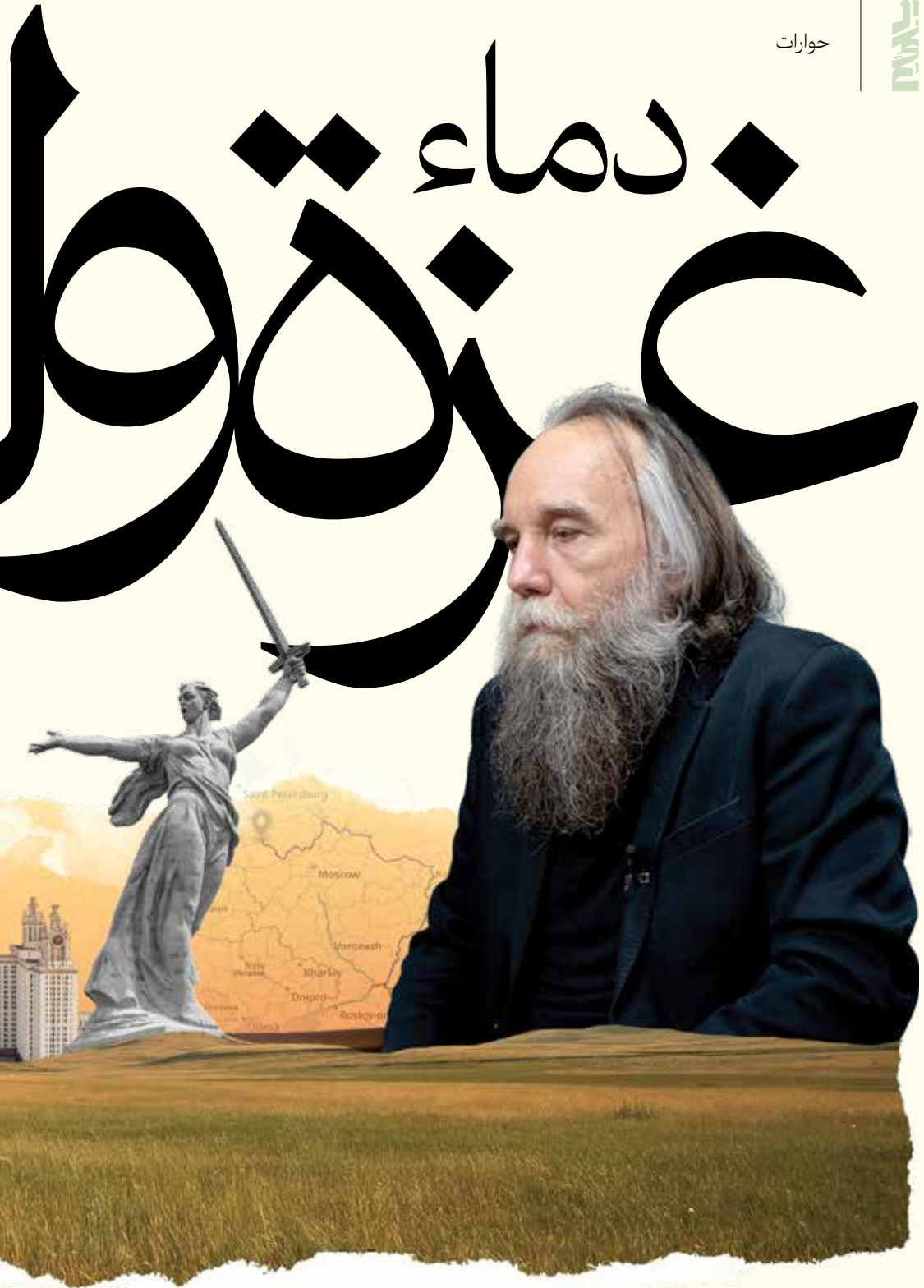
مشهد يُظهر حشداً يرفع
الأعلام الفلسطينية استقبالا
لـ"قافلة الضمود العالمية"
المتجهة إلى غزة، في حملة
إنسانية تهدف لكسر الحصار
رغم الضغوط الإسرائيلية.

(translated by Steven Corcoran), Durham, NC, Duke University Press.

- Mignolo, W. (2011). The darker side of western modernity: Global futures, decolonial options. Duke University Press.
- OCHA-OPT (United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs in the occupied Palestinian territory, Humanitarian Situation Update #315: Gaza Strip, 21 Aug 2025, accessed 24 August 2025, <https://shorturl.at/769Jr>.
- Quijano, A. (2000). Coloniality of power and Eurocentrism in Latin America. *International sociology*, 15(2), 215-232.
- Tufekci, Z. (2017). Twitter and tear gas: The power and fragility of networked protest. Yale University Press. ◀

repression: How technology is reshaping power, politics, and resistance. Oxford University Press.

- Hossam, A.. The military in Egypt (1798-2013): The Genealogy Of The Militant Functional Group In The Secular Age, Masters Thesis, Istanbul Sehir University. 2014
- IPC (Integrated Food Security Phase Classification), Famine Review Committee: Gaza Strip, 22 August 2025, accessed 24 August 2025, <https://shorturl.at/EY0GD>.
- Karahanlı, H., (2022). Conflictability: Political İmagination and The Power Game- Revisiting the Egyptian Revolution 2011. PhD Thesis. Ibn Haldun University.
- Mbembe, A. (2019). Necropolitics



سُتْثَمِر
نَصْرًا

بينك

ألكسندر دوغين

Alexander Dugin

حوارًا مع الفيلسوف الروسي

المقدمة

يُعدُّ ألكسندر غيليفيتش دوغين، الفيلسوف والمُنظر السياسي الروسي، أحد أبرز الشخصيات الفكرية المثيرة للجدل في العصر الحديث. وُلد دوغين في موسكو عام ١٩٦٢ في عائلة ذات خلفية عسكرية، ونشأ كُمعارض مناهض للشيوعية خلال الحقبة السوفيتية، حيث انضم إلى منظمات يمينية متطرفة مثل منظمة "باميات". وعلى الرغم من أن تأثيره المباشر على الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لا يزال موضوع نقاش حاد، إلا أن أفكاره تُعتبر ذات أهمية متزايدة وتلقى رواجاً كبيراً داخل النخبة السياسية والعسكرية الروسية. وقد أظهرت الأكاديمية العسكرية لهيئة الأركان العامة الروسية اهتماماً خاصاً بأعماله، حيث أصبح كتابه "أسس الجغرافيا السياسية" بمثابة مادة دراسية فيها. يستند فكر دوغين إلى رؤى ميتافيزيقية وتاريخية، وتُشكل "النظرية السياسية الرابعة" حجر الزاوية



يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الصَّوَابُ“. إيماناً مَبْنًى بِأَنَّ تَنَوُّعَ الآرَاءِ شَرْطٌ لِلْفَهْمِ الْأَعْمَقِ.

وتجدر الإشارة إلى أَنَّ ما يَرِدُ في هذا الحوار من مواقف وآراء لا يُعبَّرُ بالضرورة عن رأي المجلة، بل يأتي في إطار فسح المجال أمام التعدد الفكري والنقاش البناء حول قضايا المقاومة والتحرُّر، وسنظل في الأعداد المقبلة منفتحين على نشر الردود والمقاربات المختلفة التي تُغني هذا الحوار.

تم إجراء هذا الحوار بإدارة وتقديم هادي اللواتي وهو باحث في الدراسات الإسلامية ومدير قناة حيرة.

الرؤى: أهلاً وسهلاً بك بروفيسور، ألكسندر دوغين. أود أن أبدأ من الوضع الحالي في الشرق الأوسط. كيف تنظر إلى الحرب في الشرق الأوسط وكيف تحللها، منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى اليوم؟ حيث إن الحرب على لبنان وغزة تصل إلى نهايتها. فكيف تحلل ما حصل في سياق الصراع بين مشروع المقاومة والمشروع الأمريكي الصهيوني في منطقتنا؟ على صعيد النتائج والإنجازات، والثمن الباهظ الذي دفعه الناس في المنطقة على مستوى الشهداء وتدمير المنازل والبنية التحتية.

أ. دوغين: أعتقد أن هذه الحرب كانت حرباً مأساوية وحرباً غربية جداً. لأنه حتى الآن، ما زلت لا أفهم أسباب الهجوم الذي قامت به حماس. لأنه إذا بدأت باستفزاز "إسرائيل" لشن حرب شاملة على غزة وفلسطين، وهذا ما حصل، فلا يمكن لحماس ألا تتوقع رد فعل "إسرائيلي" عنيف. فماذا كان الطموح والمخطط الأساسي لحماس حين بدأت بمشروع طوفان الأقصى والهجوم على "إسرائيل"؟ لا بد أنه كان لديهم أسبابهم ليفعلوا ذلك. وبعدها من مجزرة غزة، ومجزرة حزب الله في لبنان، لم أستطع أن أرى بوضوح الأسباب وراء هجوم حماس. فما الذي كانوا يتوقعونه بعد قيامهم بمثل هذه الخطوة الراديكالية بالهجوم على "إسرائيل" من الداخل؟ هذا يمكن أن يكون منطقياً فيما لو كانت حماس تأمل من الدول الإسلامية والحكومات الأخرى أن تدخل الحرب. فعلى سبيل المثال، بالحد الأدنى حزب الله، إيران، العراق وغيرهم، وتركيا والمملكة العربية السعودية وقطر والإمارات ومصر. ولكن أي من هذا لم يعقب ذلك. فإذا، ربما حماس قامت بحسابات خاطئة حول هذا الهجوم. لأنه لا يمكنني أن أرى أي معنى لما قامت به

في مشروعه الفكري. تُقدِّم هذه النظرية نفسها كنقد شامل للأيديولوجيات السياسية الرئيسية الثلاث في الحداثة: الليبرالية والشيوعية والفاشية. وتهدف إلى تجاوز هذه النماذج التي يعتبرها دوغين فاشلة أو غير قادرة على مواجهة تحديات "ما بعد الحداثة". من خلال إيجاد بديل يقوم على مفاهيم "المحافظة الثورية" وتدعو هذه النظرية إلى العودة إلى القيم الإنسانية والعائلية، وبناء عالم جديد متعدد الأقطاب، يرفض الهيمنة الغربية ويحتفي بالتعددية الثقافية والحضارية.

في صلب هذا المشروع، تكمن "الحركة الأوراسية" التي يترجمها دوغين. وتدعو الأوراسية الجديدة إلى إنشاء إمبراطورية أوراسية منافسة لـ "الحضارة الأطلسية" التي تقودها الولايات المتحدة. ويؤمن دوغين بأن هذه المواجهة ليست مجرد صراع جيوسياسي، بل هي معركة وجودية بين قطبين: "الخلود" الذي يمثله الدين والتقاليد، و"الزمان" الذي يمثله الحداثة الغربية الليبرالية. من هذا

تُعَدُّ الحداثة الغربية في نظر دوغين "حضارة شيطانية" ترفض الخلود وتُعَلِّي من شأن التقدم المادي الزمني على حساب القيم المقدسة، بينما تُشكِّل الأوراسية نموذجاً حضارياً يعود إلى الجذور الروحانية والتقاليد

المنظور، تُعَدُّ الحداثة الغربية في نظره "حضارة شيطانية" ترفض الخلود وتُعَلِّي من شأن التقدم المادي الزمني على حساب القيم المقدسة، بينما تُشكِّل الأوراسية نموذجاً حضارياً يعود إلى الجذور الروحانية والتقاليد. وترجم هذه الرؤية الميتافيزيقية إلى سياسات عملية، حيث يؤيد دوغين تحالفات استراتيجية مع الحضارات المناهضة للغرب، مثل الصين وإيران، ويعتبر هذه التحالفات جزءاً من معركة كونية كبرى تستهدف تفكيك الهيمنة الليبرالية العالمية.

في هذا العدد، نقدّم حواراً مع الفيلسوف الروسي ألكسندر دوغين. يُعبَّرُ فيه عن رؤيته الخاصة لقضايا المقاومة من منظور نقدي مغاير لما هو سائد. إننا في مجلة الرؤى نرى في نشر هذا الصوت المختلف إسهاماً في إثراء النقاش و"إضربوا بعض الرّأي ببعض"

أحد في ظل هذا الوضع. بعد ذلك، حين أصبحت "إسرائيل" أكثر ثقة، كما بدا حينها، بدت واثقة من سيطرتها على غزة ولم يبق أحد بالتدخل، بدأت بتدمير حزب الله وبعدها، بدأت "إسرائيل" بالقضاء على قيادات حزب الله وأحدًا تلو الآخر، ولم يعترض أحداً على ذلك. فهذا كان القسم الثاني، واللحظة الثانية المؤاتية للجميع ليأتوا ويدافعوا عن لبنان، عن حزب الله، ولم يأت أي أحد من العالم الإسلامي حقيقةً لمساعدة حزب الله. قتل السيد حسن نصر الله، إلى جانب العديد من القادة الآخرين. لقد تم القضاء عليهم وإنهائهم. وقد أعادت "إسرائيل" على نطاق أضيق الإبادة الجماعية في لبنان، كان ذلك القسم الثاني من الإبادة. فلماذا وقف العالم الشيعي والعالم السني فقط يشاهد، ويتأمل ما يحدث؟ أولاً ما حدث لغزة، وثانياً ما حدث للبنان وحزب الله. لم يبق أحد بأي رد فعل... وهذا أمر يدعو للكثير من العجب: أين هو التماسك والتضامن الإسلامي؟ أين هو العالم الإسلامي؟ إنها

حماس حين بدأت به، فهذا هو الاعتبار الأول. الاعتبار الثاني، بعد أن بدأ ذلك فعلياً، في الحقيقة فإنني لم أرسباً لعدم دخول العالم الشيعي فوراً في المعركة. أرى أيضاً أنه ربما هذا الشيء قد حصل، ولكن أمام الهجوم الإرهابي المتطرف على حماس، على أي حال، كان على العالم الشيعي والعالم الإسلامي أن يشاركوا فوراً في الحرب ضد "إسرائيل". ولكن أي من هذا لم يحصل، إذا، حزب الله كان ينتظر شيئاً ما، وإيران كانت تنتظر شيئاً ما. هذه كانت النقطة الثانية.

لماذا لم يكن هناك من دخل المعركة على الأرض فور بدء "إسرائيل" عملياتها في غزة؟ لم يأت أحد لمحاربة "إسرائيل" فوراً.. هذه كانت اللحظة المؤاتية وحين سيطرت "إسرائيل" بنحو أو بآخر على القسم الشمالي من غزة، وبدأت حملة الإبادة بحق الفلسطينيين الذين يعيشون هناك، إبادة جماعية كاملة، حيث قامت بقتل الجميع، النساء، الأطفال، القضاء على السكان المدنيين لم يتدخل

✓
ألكسندر دوغين
وُلد في ٧ يناير ١٩٦٢ ودرس
الفلسفة والعلوم الاجتماعية
في جامعة موسكو.



مقابل الثمن تجاه "إسرائيل"، تجاه العالم الغربي. فأنا أشعر بخيبة أمل كبيرة لموقفهم. لكن "إسرائيل" رجحت، الولايات المتحدة الأمريكية رجحت، الغرب، العولمة، الهيمنة، القوى المعادية للإسلام قد رجحت على مستوى العالم، بدا أنها رجحت، ولكن لم يعترض أحد مجدية على هذا الواقع. إذا يمكننا أن نستنتج من ذلك أنه كان هناك انتصار ضخم للمسيحانية والأهداف "الإسرائيلية". ولكن حين نرى في النهاية أنهم تم القبول بالاتفاق من جهة "إسرائيل"، وقاموا باستبدال أسير "إسرائيلي" واحد مقابل ٣٠ أسيرًا فلسطينيًا وبسحب دباباتهم من غزة، ومجاهدو حماس الذين كان يفترض أن يتم القضاء عليهم نهائيًا يظهرون ويجتمعون بالأسرى المحررين، بالأسرى الفلسطينيين، هذه كانت الصورة التي دمرت نصر "إسرائيل" بالكامل. وأعضاء اليمين المتطرف في الحكومة الإسرائيلية قد خرجوا من الحكومة، لأنهم وجدوا بأنه تمت خيانتهم هذه المرة من قبل نتنياهو والحكومة "الإسرائيلية"، إذا، الجميع خسر الحرب، لقد أظهر العالم الإسلامي عجزًا تامًا عن الوقوف في وجه "إسرائيل" الصغيرة. وفي الوقت نفسه، "إسرائيل" لم تحقق نصرًا. هذه حرب غريبة جدًا، لهذا السبب أسميها حرب غريبة جدًا. وفي هذا المقطع الزمني الذي نحن فيه الآن، فإن هذه الأحداث تبدو غريبة.. أكثر فأكثر غريبة، لأننا لم نستطع فهم الأسباب التي دفعت حماس إلى هذا الفعل، لم نشهد أي استراتيجية معتمدة من قبل العالم الإسلامي، لم نستطع أن نشاهد ونصح الثمار الحقيقية لتكتيكات اليمين "الإسرائيلي" المسيحي المتطرف واستراتيجيته، نرى أشخاصًا غريبين جدًا في الحكومة السورية، فالجميع خسر، الجميع. ربما بدا في وقت ما من قبل أن "إسرائيل" قد رجحت، ولكن بعد هذا التبادل (للأسرى) والقبول بالاتفاقات وإخراج الدبابات من غزة...

الرؤى: وقف إطلاق النار في لبنان أيضًا. أ. دوغين: نعم. لأن اللبنانيين وحزب الله حاربوا قوات الاحتلال "الإسرائيلية" بنجاح. ولكن كان ذلك بعد خسارتهم للقيادة. فهذا غريب جدًا.

الرؤى: في المقابل، الجانب الإيجابي، الإنجازات، وربما الدروس أيضًا، مشروع المقاومة في المنطقة قد ربح، ماذا يمكننا أن نقول هنا؟

مجرد أنظمة انتهازية مختلفة، لا تشبه الأمة بأي نحو، لا تشبه التضامن الإسلامي بأي نحو، بأي نحو على الإطلاق، باستثناء حوثي اليمن الذين أظهروا العزم الحقيقي والقدرة الحقيقية للوقوف بصلابة من أجل قضية الإسلام العالمية. فقط شريحة سكانية صغيرة من الحوثيين الشجعان الذين أظهروا حقيقة ماهية روحية المحارب الإسلامي، وكيف ينبغي أن تكون، ولا أحد آخر. هذا كان اكتشافًا محزنًا بالنسبة لي. أنا الذي لدي تقدير كبير للعالم الإسلامي، ودائمًا ما أدعو إلى إنشاء دولة إسلامية حضارية. ولكنني أصبت بإحباط شديد وبخيبة أمل كبيرة جدًا بينما كنت أتأمل وأشاهد ردة الفعل المؤسفة والحجولة جدًا لتركيا وباقي الدول الإسلامية.

لم أستطع فهم منطق "إسرائيل" لأنهم حين بدأوا الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين، فإن الهدف الوحيد بالنسبة لهم ربما كان إحراق المسجد الأقصى وإنشاء دولة "إسرائيل" الكبرى، وانتظار المسيح، مسيح "إسرائيل". ولقد قاموا بشيء مثل ذلك، فاليمين المتطرف للحكومة الإسرائيلية صرح علنًا عن هذه اللحظة المسيحية (messianic)

حين أصبحت "إسرائيل" أكثر ثقةً، كما بدا حينها، بدت واثقة من سيطرتها على غزة ولم يقيم أحد بالتدخل، بدأت بتدمير حزب الله

وبدأوا علنًا بإبادة السكان المسلمين انطلاقًا مما يعتبرونه نطاق مسؤوليتهم، نطاق المسؤولية المسيحية. والأحداث المفجعة التي وقعت في سوريا دخلت ضمن السيناريو الذي لديهم. لقد احتلوا مرتفعات الجولان، ودمرت "إسرائيل" البنية التحتية للجيش السوري بشكل كامل، ومن ثم التركي، السني، السلفي، لقد قدموا هدية لـ "إسرائيل". لقد قدموا هدية لـ "إسرائيل" بإسقاط الأسد، وإخراج الميليشيات الشيعية من سوريا. كل هذا كان خيانة ضخمة جدًا. خيانة كبرى للقضية الإسلامية، بحيث لم أعد قادرًا على فهم أي شيء في العالم الإسلامي. فهم متفرون جدًا، ضعفاء جدًا، وأنظمتهم الفاسدة التي تمثل العالم الإسلامي ليست قادرة على أي نوع من التضامن. فالجميع خانوا القضية الإسلامية

من إيران إلى حزب الله إلى حماس إلى الجهاد في غزة وحتى في اليمن والعراق. ما الذي حققه مشروع المقاومة في المنطقة على المستوى السياسي والعالمي، وفي الإعلام؟ ما هي الدروس التي تعلموها؟ فلنتحدث عن الجانب الإيجابي في سياق الكفاح عبر السنين ضد "إسرائيل" والمشروع الغربي.

أ. دوغين: أنا لا أرى ذلك. لأقول لك الحقيقة، أنا لا أرى ذلك على الإطلاق. أنا أرى الخزي العظيم الذي تعرض له المسلمون، أرى إخفاقاً كبيراً جداً للمقاومة، لكن هذا سيء جداً.

الرؤى: ولكن ما هي الدروس التي ينبغي لنا تعلمها؟

أ. دوغين: أنا مع المقاومة... لقد خططنا مع الجنرال سليمان لتنظيم اجتماع متعدد الأقطاب قبل استشهاده في دمشق، وكان هناك الجنرال سليمان، دمشق، الأسد والمقاومة في محض القوة. الآن، فإننا نرى الميليشيات الشيعية الأخيرة تخرج من سوريا. فإذا قمنا بمقارنة أين كنا من المقاومة وأين أصبحنا

منها، فإن هذا يُعد إخفاقاً. إنه إخفاق عميق جداً ومحزن جداً لنا.. فأننا لا أتهم أحداً، أعتز بالإخفاق، فالهزيمة هزيمة، والإخفاق إخفاق، فلا ينبغي لنا أن نسمي الهزيمة انتصاراً، فهي ليست انتصاراً، إنها هزيمة. وأعتقد بأنها هي أكثر ما تكون هزيمة للأمة الإسلامية. كأنه يمكنك استغلالها والتلاعب بها. إذا يمكنك أن تأتي بالسلفيين إلى هناك، فيمكنك إيقاف تركيا والحد من رد إيران والتلاعب بالعراق بنحو ما والقضاء على قيادة حزب الله وإبادة شعب غزة بأسره فإذاً يمكنك بسهولة هزيمة الإسلام. إنها هزيمة معتبرة لكل العالم الإسلامي في قبال الغرب الجماعي العالمي العولمي بأسره، الغرب الليبرالي و"إسرائيل". ولكن في الوقت نفسه، حين أدلى كل شيء بشهادته بأنه يوجد هزيمة معتبرة للإسلام، هناك الخبر السار، الخبر السار هو أن حماس ما زالت موجودة، ففزة لم تعد محتملة عسكرياً بشكل مباشر. إذاً، يوجد مقاومة، ما زال هناك مقاومة في لبنان وحزب الله، ولدينا مجتمع حوثي قوي وشجاع، هذا المجتمع الحوثي الذي لا يخشى أحداً. وهذا يُعد مثلاً عظيماً ومحفزاً. وهذه الأمثلة هي أمثلة على

▼
جامعة موسكو
أقدم جامعة في روسيا،
تأسست عام ١٧٥٥ وتعتبر
من أبرز المؤسسات
التعليمية والبحثية في البلاد.



كتاب "أساسيات الجغرافيا السياسية الروسية" /
الكونستانتين دوغين



الماهية التي ينبغي أن يكون عليها الإسلام، لكن كيف هو الإسلام الآن؟ إنه أمر مؤلم، محبط، مخيب للأمل، إنه ضعيف جداً وفي موقع الجبن. فالسلفيون يمكن أن يقتلوا أناساً أبرياء، يمكن أن يعذبوهم، يمكن أن يستخدموا العنف ضد النساء والأطفال والمدنيين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة، ولكن حين تلوح في الأفق إمكانية محاربة "إسرائيل" أو الغرب يصبحون كالحوانات الداجنة، يصبحون كالقطط، فهذا مقرف للغاية على ما أعتقد. لم أستطع تخطي هذا الشعور العالمي والعميق بالاشمئزاز من سلوكيات القوى الإسلامية السائدة.

للحرب القادمة. لأن الحرب هي مع "إسرائيل"... الحرب بين الإسلام والغرب العالمي لا يمكن تفاديها، يتم تأجيلها، لكنها لم تنته، فهي لم تبدأ بشكل طبيعي، هذا كان مجرد نوع من التحضير، هذه كانت مرحلة اختبارية، فما لدينا حتمًا لا يكفي لمقاتلة "إسرائيل". الإسلام سوف يكون قوة حقيقية على المستوى العالمي حين يتمكن من مواجهة الغرب والقضاء على "إسرائيل". قبل ذلك لا يوجد إسلام، بل سيكون هناك مجموعات متناثرة من التجار والسياسيين الذين يعقدون صفقات مع الغرب باستمرار، فهذه ليست هي القوة الحقيقية.

الرؤى: برأيك ما هو السبب الرئيسي لهذا الإخفاق والهزيمة. لأن قوى المقاومة في لبنان أو فلسطين أو حتى في إيران كانوا يبذلون قصارى جهدهم وكانوا يتهيؤون لمثل هذه الحرب، ولكنهم وُجِّهوا بتكنولوجيا قوية جداً وبالذكاء الاصطناعي وكل ما لدى الغرب

الرؤى: أود أن أسألك قليلاً عن لبنان، ولقد ذكرت السيد نصر الله، فماذا كانت ردة فعلك على مستواك الشخصي تجاه شهادة السيد حسن نصر الله قائد حزب الله في لبنان؟ وما الذي عناه لك ذلك؟ وما هو الدور الذي لعبه في الحرب في منطقتنا؟

أ. دوغين: هذا كان محزنًا جدًا. لكونه من أفضل الأصدقاء، بل ربما يمثل بالنسبة لي الأستاذ، الرمز، القدوة على مستوى المقاومة الراديكالية للحدثة. وأعتقد أنه تم قتل الإخلاص للتراث وللجذور المقدسة للثقافة والهوية. تم القضاء عليه. شهادة السيد حسن نصر الله كانت فاجعة بالنسبة لي على المستوى الشخصي. وأنا أؤمن بأنه يعيش بين أولئك الأحياء المخلدين. وأنه كان رمزًا حقيقيًا عظيمًا. ولا ينبغي لنا أن نعطي للعدو الحق والقدرة لأن ينهي رموزنا. إنهم الشيء المقدس لدينا. نصر الله كان رمز القداسة بالنسبة للشيعية، للمقاومة، للإسلام، للحضارة الإسلامية. ولقد تم قتله. أعتقد أن ذلك شكل بالنسبة له شخصيًا تحولاً وارتقاءً معنويًا، ولكن بالنسبة لنا جميعًا كان ذلك خسارة عظيمة جدًا. ولا ينبغي لنا محاولة تخفيف الألم، الروحانية تجربنا على ترك ألمانا لمن نخيمهم الذين قتلوا أو استشهدوا إلى النهاية. هذا الألم في قلوبنا ينبغي أن يتحول إلى طاقة هائلة للقتال، للحرب. لنقدم أعمالاً بطولية جديدة من أجل أن نحقق النصر. ولكن لا ينبغي لنا أن نقول: آه الآخر سوف يستأنف. إذا، لا يمكننا تخيل بأنه يمكن استبدال السيد نصر الله. لقد كان رجلاً عظيمًا، لقد استشهد كمحارب/ مجاهد مقدس، كبطل ومحارب روحاني، ميتافيزيقي، ديني، وسياسي. ولكن أعتقد أنه وقعت

أين هو التماسك والتضامن الإسلامي؟ أين هو العالم الإسلامي؟ إنها مجرد أنظمة انتهازية مختلفة، لا تشبه الأمة بأي نحو

و"إسرائيل"، ولم يُفْلحوا، لكنهم قاموا بكل ما بوسعهم. فما هو السبب الذي لو علمناه لكان أداؤنا أفضل؟

أ. دوغين: بداية، أعتقد أن الكثير الكثير من الجماعات الرائدة في المجتمع الإسلامي قد باعت نفسها بشكل كامل لـ "إسرائيل" وللولايات المتحدة الأمريكية. إذا لم تكن أنت جاهرًا للحرب فهذا خطأك أنت وليس خطأ العدو. فإذا كان العدو أقوى منك فهذا لا يعذر. إنه خطأك. ينبغي عليك أن تعلم دائمًا بأن العدو قوي، عليك أن تطور تقنياتك، عليك أن تتحرك مسبقًا، عليك أن توجد حلفاء جدد، عليك أن تكون سريعًا جدًا وعلينا أن نتحرك بسرعة من أجل أن ندرك بأن هذا التهديد سوف يصبح واقعًا، عاجلاً كان أو آجلاً. والقوى الإسلامية لم تقم بأي شيء لاستشراف هذا الوضع. ويمكن أن الومهم على ذلك. وأنا أقترح بأن يتم الاعتراف الآن بهذا على أنه كان إخفاقًا، والتحضر

للقوة الروحانية الباطنية، والسياسية والتاريخية والثقافية لدى الشيعة. ونحن نحتاج لأن نستمد من ألم غزة، من ألم بيروت، من الشهادة والموت المجيد للسيد نصر الله، نحتاج لأن نستمد الطاقة العظيمة، والإرادة، والقوة للاستمرار في القتال. وهذا عمل في غاية الأهمية، يمكن للشيعة أن يفهموه جيداً جداً. لكننا نرى اليوم بأنهم يحاولون تهدئتنا، يحاولون إظهار ما يحصل اليوم في غزة على أنه نهاية للحرب، على أنه نوع من الصفقة، على أنه محادثات سلام. وبعد كل ما قامت به "إسرائيل" ضد الشعب المسلم، الشعب الفلسطيني، المسيحيين أيضاً، شعب غزة، شعب لبنان، شعب سوريا، لا يمكننا الصفع عن ذلك، علينا أن نعيد النظر بعمق العدو، وعلينا أن نبدأ التحضير للحرب المقبلة من الآن، لعلنا بمدى قدرة العدو، بمدى قوة العدو، بمدى وحشية العدو، وكيف أنه لا يتردد في إبادة أعداد ضخمة من الناس على مرأى من العالم أجمع، ولا أحد، لا أحد يواجهه.

جريمة كبرى لا من جانب أعدائه فحسب، بل من جانب أصدقائه أيضاً. نحن لم نعرف كيف نحافظ عليه، كيف ننقذه، فهذا هو خطؤنا. نحتاج لأن نستمد القوة ليس فقط من الفرح، بل من المأساة والألم أيضاً. الألم أعمق من الخسارة فقط على مستوى هذه الشخصية العظيمة، هذه الشخصية التي تمثل رمز المقاومة، إن إبادة هذا العدد الكبير من الفلسطينيين في غزة، هو أمر مؤلم، وينبغي شحن هذا الألم، لا ينبغي لنا إخماده، ينبغي جعله يتفاقم ويستفحل، ينبغي جعله مؤلماً أكثر فأكثر، نحتاج لأن نجعله يتفاقم، وأعتقد أنه في العالم الشيعي، الثقافة الشيعية تعلم جيداً كيف يمكنها أن تستمد القوة والطاقة من الألم، لأن كل الأئمة قد قتلوا بطريقة متعمدة، بطريقة مصطنعة وليس بطريقة طبيعية. لا يمكن لأحد من الأئمة أن يموت، والإمام الوحيد، الإمام الثاني عشر هو الوحيد الذي لم يُقتل، فهو يعيش، وما زال حيّاً، وهو يحيا حياة خالدة وهذا هو المصدر العظيم

يُظهر الواقع خضوع بعض الحكام العرب لإسرائيل وأمريكا، ودعمهم لصفقة القرن على حساب حقوق شعوبهم وقضيتهم



تجمع الأبعاد الميتافيزيقية والدينية والسياسية والاجتماعية. وكان رمز النجاح.. كيف يمكنك أن تكون ناجحاً إلى أن تموت وتقدم روحك، هذا كان يُعتبر شبه مستحيل. كان المثال والآية على أنه إذا كانت نصره الله موجودة يمكنك أن تحقق كل شيء إذا أراد ذلك. فبخدمة الله يمكنك أن تصل إلى المكان الذي لم تتخيل قط أنه يمكنك أن تصل إليه يوماً. إذا، أعتقد أن السيد نصر الله هو الشخصية العظيمة التي يظهر ذلك فيها. على المستوى الشخصي، بتواضعه وشخصيته التي هي غاية في الإنسانية، كان نجل لإرادة الله. وهذا مثال نادر للأشخاص الذين يستطيعون تجسيد العناصر الهائلة للتاريخ المقدس. لقد كان شخصية مهمة جداً على مسرح الأحداث المتعلقة بالمصير النهائي للبشرية.

الرؤى: في هذا القسم، سوف أسألك قليلاً حول إيران من قبل أن نصل إلى روسيا والذي هو الجزء الأخير في الحوار. لماذا أنت تقدر نظام ولاية الفقيه في الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟ لأن البعض يقول بأن هكذا نظام يرجع إلى عصور قديمة جداً، إلى قرون مضت، وهو لا ينتمي إلى القرن الواحد والعشرين، حكم وسلطة الفقهاء على سبيل المثال. وبعض المفكرين لديهم أيضاً كتب تحت عنوان "الدولة المستحيلة". ما هو الشيء الهام بشأن هذا النظام الذي يقف في مواجهة مع الغرب؟ والحال أنهم لم يستطيعوا أن يتطوروا في اقتصادهم، في مجتمعهم بسبب العقوبات المفروضة والحصر الذي فرض الغرب عليهم؟ فهل المسألة أن النضال ضد الغرب سوف يؤدي إلى الإخفاق والفشل في نهاية المطاف، لأن كل السياسة والاقتصاد والبنوك والأموال هي في أيديهم، وربما يجب أن نفكر بسلوك طريق آخر؟ أو لا، إن إيران وولاية الفقيه التي تقدرها هي شيء عميق؟ فماذا تعتقد بهذا الشأن؟

أ. دوغين: بداية، هذه قصة طويلة. بداية أنا أعتقد بأن الغرب الحديث هو حضارة شيطانية. لأنها تركز على إنكار ورفض خلود الزمان وإطلاقته، إذا، الحداثة هي الزمان، والدين هو الخلود. كل الأديان، كل الأديان الكاملة تقوم على الوجود الخالد أو الله. فلو كان هناك خلود، والخلود هو موجد حي، فإذا كان هناك الوجود الخالد، يصبح الزمان، الماضي

الرؤى: لماذا تعتقد برأيك أن السيد نصر الله كان رمزاً للقداسة؟ ماذا كان دوره تجاه الناس الذين أحبه أو حتى في المنطقة؟ إذا كان بالإمكان أن تتوسع بالشرح أكثر في وصفه كرمز للقداسة.

أ. دوغين: السيد نصر الله جمع في شخصيته العالم الشيعي. يوجد عمق عرفاني للدين الشيعي من ناحية. لقد فهم جيداً الطبيعة الأخروية المصيرية لنهاية الحرب مع العدو. الدجال في نظره هو الغرب الجماعي التجسيد والتجسيم للدجال. وهذا بالتحديد جعل معركته ضد الغرب أكثر من كونها مجرد معركة سياسية، مجرد معركة اجتماعية، مجرد معركة ثقافية. لقد كانت حرب دينية ضد الدجال. والسيد نصر الله ربما كان من بين القادة النادرين في العالم الذين فهموا الطبيعة الحقيقية، الطبيعة الميتافيزيقية للعدو. ليس العدو السياسي، العدو الوطني، العدو الاجتماعي، كان شيئاً أكثر من ذلك بكثير. لقد حارب طيلة عمره ضد الشيطان، ضد

أعضاء اليمين المتطرف في الحكومة "الإسرائيلية" قد خرجوا من الحكومة، لأنهم وجدوا بأنه تمت خيانتهم هذه المرة من قبل تنبأهم والحكومة "الإسرائيلية"، إذا، الجميع خسر الحرب

القوى الخارقة التي كانت خلف الغرب الجماعي. إذا هو كان بطل المعركة ضد الدجال. ولكن في الوقت نفسه، كان قادراً على نقل هذه الأفكار الميتافيزيقية والمقدسة إلى السياسة، إلى الواقع الاجتماعي. هو نفسه قد وُحد الحياة الاجتماعية الجماعية للمجتمع الشيعي في لبنان. لقد كان ناجحاً جداً في خلق نوع من بلد.. كان قائد مجتمع الشيعة في لبنان. وكان في الوقت نفسه سياسياً محترماً جداً، ليس فقط على مستوى اللبنانيين، بل على مستوى الشيعة وعلى مستوى المجتمع العالمي. لقد كان مقدراً ومحبوياً كما كان مكروهاً من قبل ملايين ملايين الناس في العالم. لقد تمت السخرية منه ذات مرة بسبب حربه ضد الدجال، والأشخاص الذين كانوا تحت سيطرة الدجال كانوا يكرهونه. لقد كانت شخصيته شخصية رمزية

ولقد أظهر وأثّر بمعونة الله، يمكن للزمان والحداثة أن يسلماً لحكم الخلود أو الآخرة حين يحكم الخلود، الحداثة تطيعه، فهي مجبرة على أن تطيع. إنه فقط حين تبدأ بتحرير الزمان من هذا التسليم للخلود، حينها ستجد الحضارة الغربية الحديثة. أنا أكره الحضارة الغربية لأنني أكره حكم الزمان الشيطاني هذا في مقابل الخلود. بنظري، إن نظام ولاية الفقيه ونموذج إيران وصمودها بقوة لسنوات عديدة في وجه كل العقوبات والضغوط وكل الحضارة الغربية، هو نموذج لكيفية اتباع الإرادة الإلهية في وجه أي قوة شيطانية أو خارجية، بما في ذلك حين تكون هذه القوة عظيمة، وأعظم من قوتك، ولكن بمساعدة الله، يمكنك الصمود ويمكنك التقدم، ويمكنك أن تبقى عبداً لله عوضاً عن أن تكون عبداً للشيطان. يوجد خيار، خيار واحد، فيما أن تكون عبداً للخالد الواحد، أو أن تكون عبداً للزمان، للشيطان، للتمرد على الخلود. الغرب اختار أن يكون عبداً للشيطان. أتباع التراث من جميع الأديان، بما في ذلك الشيعة،

والحاضر والمستقبل مسائل نسبية. فهي تمثل مقاطع زمنية من الخلود، لحظات من الخلود، مقطع زمني من ماضي الخلود، مقطع زمني من حاضر الخلود، ومقطع زمني من مستقبل الخلود. وهذا هو المنطق الأساسي للكتاب المقدس، للإنجيل، للقرآن. فكل الأديان المقدسة تقوم على الإيمان بهذا الخلود. الحداثة الغربية فقط هي التي بدأت بالثورة والتمرد على قضية الخلود، وبالفوضى في تقدير قوة الزمان وبدأ القول: آه، هذا حديث، هذا جديد، هذا جيد، وما ينتمي إلى الماضي فهو شيء سخي، إنه شيء تم تجاوزه. وهذه هي الديانة الخاطئة للشيطان، لإبليس، للدجال. لقد بدأوا تمرداً وثورة ضد الخالد الأوحى وضد الخلود وضد الدين وضد القداسة لصالح الإنجازات الإنسانية البحتة، المادية، التقدم، وكل هذه الأفكار الخاطئة هي جزء من معاداة الدين. ولكن الخلود ليس الماضي، فولاية الفقيه التي تعني الحكم على أساس الكتاب المقدس، القرآن، السنة، الدين، لا تنتمي إلى الماضي، بل تنتمي إلى الخلود.

تصاعد الدخان والنيان بعد
أن ضربت القوات الإسرائيلية
برجاً شاهقاً في مدينة غزة،
17 أكتوبر، رويترز/أشرف
عمرا.



يفضلون أن يكونوا أتباع التراث، يفضلون أن يكونوا عبيداً للخالد الواحد وأن يخدموه، وأن يحصلوا بهذه الخدمة شيئاً من الانتماء إلى تلك المملكة المقدسة الخالدة.

الرؤى: في هذا السياق، كيف تنظر إلى السيد الخامنئي قائد الثورة الإسلامية في إيران وإلى موقفه ضد الغرب لأكثر من ٣٠ سنة؟ كيف تنظر إلى قيادته وشخصيته بوقفه ضد نظام الحداثة الرأسمالي الغربي؟

أ. دوغين: أعتقد بأنه تم اختياره من قبل آية الله الخميني كوريث له على رأس نظام ولاية الفقيه، لا وفق الإرادة الشخصية البشرية واعتبار وتفكير آية الله الخميني. هذه كانت علامة من الله الذي أراد أن يكون آية الله الخامنئي الرئيس أو القائد للجمهورية الإسلامية في إيران، هذه كانت إشارة من الله. والله

يوجد مقاومة، ما زال هناك مقاومة في لبنان وحزب الله، ولدينا مجتمع حوثي قوي وشجاع. هذا المجتمع الحوثي الذي لا يخشى أحداً، وهذا يُعد مثلاً عظيماً ومحفراً

ألهم آية الله الخميني.. اختر هذا، فهو سوف يكمل إنجاز مهمتك. كل هذه الحجج، يسخر منها الغرب، ولكن بالنسبة لأصحاب العقيدة والإيمان، هذه تعد أمورا مهمة جداً. إذا، أن تقف ضد الغرب الحديث هو واجب روحي وديني لكل المؤمنين المسلمين، والمسيحيين وبما في ذلك اليهود. لأن اليهود الحقيقيين هم ضد الليبرالية، وضد الحداثة، والأديان الأخرى هي كذلك أيضاً. بالمبدأ، عليك أن تختار إما الدين والخلود أو الحداثة والغرب والذاتورية ورقابة الزمان. فهذه هي المعركة. والقائد العظيم آية الله الخامنئي، هو إلى جانب الخلود. لأن آية الله الخامنئي، زعيمه الروحي قد اختاره بإرادة الله ليكمل هذه المهمة. وأعتقد أنه سوف يقود الشعب الإيراني وغيرهم من الشيعة وسوف يؤثر على الشعوب المسلمة الأخرى إلى أن يتم تحقيق هدف هذه المعركة المصرية.

الرؤى: في هذا السياق، وبالعودة إلى آية الله الخميني، مؤسس الجمهورية الإسلامية، وانطلاقاً من فهم منظورك الروحي التقليدي للدين، ماذا كان يمثل الإمام الخميني في فهمك؟ فهل أظهر فهمًا روحياً عميقاً معيناً في عصرنا هذا، مثلما أنك تؤمن بالمدرسة التقليدية (الحكمة الخالدة) وريثه غيتون أو غيره، ماذا يمثل بالنسبة لك الخميني انطلاقاً من هذا الفهم الديني؟

أ. دوغين: أعتقد أن آية الله الخميني كان نوعاً من الأشخاص الذي أرسل من قبل الإمام المهدي، من أجل أن يمهّد لآخر الزمان، الظهور. فهو كان نوعاً من المبلغين. لقد تم تكليفه، لقد أرسل إلى الواقع ليعيد تنظيم الإنسانية لمواجهة الحرب الأخيرة إذا، فهو كان أكثر من مجرد زعيم سياسي أو ديني. لأنه نجح في المواقف التي كان من المستحيل تملأ النجاح فيها، كان يقاد بإرادة معينة، كان مدعوماً بقوة معينة، قوة غير مرئية. وكل أفعاله وأقواله حياة جداً وعميقة جداً وصحيحة جداً بكل معنى من المعاني، ليس فقط في سياق المذهب الشيعي والإسلام، بل رأى الحقيقة التي هي كونية بالنسبة لجميع المتدينين الآخرين في العالم. فهو كان شخصاً عظيماً جداً.. كان شيئاً يشبه النبي أو القديس، لكن في الإسلام لا يمكنك أن تقبل نبياً غير محمد، وبحسب نظرتنا نحن أيضاً، النبوة قد توقفت بعد المسيح برأينا. لذلك لم يكن باستطاعتنا أن نسميه نبياً ولكنه كان شيئاً كهذا.

الرؤى: الآن سوف أنتقل إلى روسيا. لدي عدة أسئلة حول النموذج الروسي، السياسة الروسية، والمجتمع الروسي. ولكن قبل ذلك سوف أبدأ بالعلاقة بين روسيا وإيران، كجسر. قبل أن تنتقل للحديث عن روسيا. إذا، كان هناك توقيع على اتفاقية استراتيجية بين روسيا وإيران منذ عدة أيام. كيف تنظر إلى الأمر؟ وبعض النقاد يقولون إن روسيا تعمل لأجل مصالحها السياسية، رجالات السياسة الروس يجتمعون بأناس من الشرق والغرب والخليج ومن مختلف البلدان، ويعقدون اتفاقات مع مختلف الدول وعلاقتهم مع "إسرائيل" جيدة جداً. إذا، هل الاتفاقية مع إيران استراتيجية وفريدة؟ هل يوجد شيء خاص بشأنها؟ وهل ستقوي مشروع مواجهة

الغرب؟ أو لا، إنها تأتي في سياق العديد من الاتفاقات الأخرى؟

أ. دوغين: على مستوى الاتفاقات، على مستوى السياسة الواقعية، أنت على حق. فإن لدى روسيا علاقات جيدة جدًا مع مختلف اللاعبين في العالم الإسلامي، في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والمغرب وفي آسيا. ولكن ما تم التوقيع عليه منذ أسبوع لم يكن مجرد اتفاقية، بل كانت اتفاقية استراتيجية شاملة. الاتفاقية تكون شيئًا واحدًا واقعيًا، يركز على المصالح المشتركة، والاتفاقية الاستراتيجية الشاملة هي شيء أكثر من ذلك. هذا كان، ما اعتبره إجابة متأخرة على الرسالة التي وجهها آية الله الخميني إلى غورباتشوف، حيث أبدى آية الله الخميني ملاحظة أو تعليقًا بأنه لا ينبغي للاتحاد السوفياتي أن يسلك طريق الليبرالية والعولمة، بل على الاتحاد السوفياتي أن يحافظ على قيمه الدينية الخاصة به وأن يجد الحلفاء ليس في الغرب بل في إيران، بل في المجتمعات الدينية. لم يقرأ أي

أحد هذه الرسالة بشكل جيد وصحيح حين تم إرسالها إلى غورباتشوف، ولكن الحكومة الروسية اليوم، والرئيس بوتين، الذي يُعد أيضًا شخصية تاريخية، فهو ليس مجرد قائد سياسي إداري، فهو أيضًا نوع من الأشخاص الذين أرسلوا لنا، هو أكثر بكثير من مجرد قائد سياسي، إنه شخصية تاريخية ذات بعد مصيري، في اللغة العرفانية السياسية، وهو ما نسميه: الحافظ والحارس، هو يحفظ البشرية من الشر والدجال. هو العقبة الأخيرة في طريق الدجال التي تمنعه من المجيء، فهذا هو الفهم العرفاني لشخصية الكائن في المذهب المسيحي الأرثوذكسي، وبوتن ملائم تمامًا لهذه المهمة. في النهاية، هذه الرسالة قد أُرسِلت من قبل شخصية روحانية، شخصية سياسية روحانية، سياسية عرفانية، آية الله الخميني، كان قد تم إرسالها إلى غورباتشوف، الذي أضحى واضحًا الآن أنه كان مجرد دمية بيد الدجال، وكان خائنًا للمهمة الروسية، للهوية الروسية. وأخيرًا، لقد وصلت هذه الرسالة إلى

يختئ الناس داخل نفق
التلفريك بعد هجوم
صاروخي من إيران على
مدينة حيفا، إسرائيل، ١٧
يونيو، رويترز/إيتاي كوهين



الرؤى: ما حصل في سوريا، كيف تحلله من وجهة النظر الروسية؟ فهل خسرت روسيا سوريا وخسرت وجودها الاستراتيجي في الشرق الأوسط الذي كان لها عبر سوريا؟ والسؤال الآخر في السياق نفسه: خلال هذه السنة، لماذا لم نر روسيا تتدخل في غزة، تتدخل في لبنان، بالحد الأدنى على المستوى السياسي، عدم وقوفها بشكل قوي ضد النظام الصهيوني، ضد أمريكا، والقتال لأجل حقوق المقاومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية حتى؟ وفي سوريا، هل لعبت سياسياً وتخلت عنها؟ أو أنها كانت خسارة أيضاً حتى للسياسة الروسية بحيث خسرت سوريا بسرعة كبيرة بعد أن قاتلت لمدة عشر سنوات أو أكثر محاولة الحفاظ على النظام السوري؟

أ. دوغين: حسناً، اعتبر ذلك فشل وهزيمة لروسيا في الشرق الأوسط، إذا أردنا الحديث بصراحة. لست من نوع المروّج الذي يحاول في كل المواقف أن يقول إننا نربح، الأعداء يخسرون، كل شيء يجري على ما يُرام.. كل شيء تم التخطيط له، تلك كانت خطة مخادعة... فأنا لست مروّجاً، أنا خبير جغرافي، وفيلسوف، ومفكر، ومتخصص في الجغرافية السياسية. اعتبر الأحداث التي جرت في سوريا هزيمة لروسيا في الشرق الأوسط، وخيانة من أردوغان الذي طعن روسيا بالظهر. لقد توصلنا إلى اتفاقات مع أردوغان فيما يتعلق بسوريا، أردوغان خرق كل هذه الاتفاقيات. فهذا كان نوع من الخيانة والغدر لروسيا من قبل تركيا. هذه كانت خدعة ذكية جداً جداً من قبل "إسرائيل"، لأن "إسرائيل" أتت باتفاقية مع القاعدة ومجموعات داعش السورية، التكفيريين، الجهاديين، السلفيين، وقاموا بالتخلص من التواجد الروسي والشيعي والإيراني والعراقي في سوريا. هذه كانت خسارة عظيمة، ونحن تقريباً خسرنا وجودنا في الشرق الأوسط في سوريا، فأنا أعتبر هذه هزيمة. سبب ذلك هو السبب نفسه الذي كان وراء عدم تدخلنا بالشكل الصحيح في أزمة الشرق الأوسط، لماذا لم نقم بما يكفي للدفاع عن شعب غزة ولبنان، السبب واحد، فنحن مشلولون تماماً ومتورطون بالكامل في الحرب الأوكرانية، بهذه الحرب تجاه الغرب العالمي، إذاً، كل جهودنا متوجهة فقط إلى ساحة المعركة هذه، لأننا بخلاف العالم الإسلامي، لقد قبلنا التحدي، والتهديد، والخطر

الشخص المناسب، التي كانت مقدرة له، التي كانت قد كتبت له، وهو السيد بوتين. ولقد قرأ السيد بوتين أخيراً هذه الرسالة، وأدرك المعنى الحقيقي لرسالة آية الله الحميني نتيجة نوع من النورانية، وهي أنه لا يجب على روسيا أن تكون مع الغرب، عليها أن تعارض العولمة الليبرالية، وأن تكون حليفة روحانية ميتافيزيقية سياسية استراتيجية جيوسياسية لإيران، لإيران الشيعية، لإيران الحميني، لإيران التي استعادت بعدها الروحاني في السياسة والثقافة والفن، إذاً، هذه كانت اتفاقية استراتيجية شاملة، وهذا هو الفرق بين هذه الاتفاقية والاتفاقيات التي عُقدت مع مختلف اللاعبين على المستوى العالمي. ولكن أحد الأشياء هو مجتمع الأمر المصيري، الموقع نفسه في الحرب الروحانية النهائية، كما هو الحال اليوم بين روسيا وإيران، والشيء الآخر هي الاتفاقات التكتيكية مع مختلف اللاعبين، والتي هي

أعتقد أن الكثير الكثير من الجماعات الرائدة في المجتمع الإسلامي قد باعت نفسها بشكل كامل لـ "إسرائيل" وللولايات المتحدة الأمريكية

ضرورية من وقت لآخر لأجل حل بعض المشاكل الثانوية على المستوى الجيوسياسي. روسيا تعد قوة عظيمة، قوة عالمية، لا يمكننا أن نسلم كلياً لللاعب أو لآخر، فنحن على مستوى واحد مع الغرب والصين وكل الحضارات الإسلامية. ولكن حين نعقد هذا التحالف الاستراتيجي مع إيران، فهذا شيء مختلف، فنحن نضاعف قدراتنا، فنحن نعطي الإمكانية لإيران لتصل إلى السوق الأوراسي العالمي، إلى المحيط المتجمد الشمالي، ونقدم المظلة النووية لإيران، نعد بحماية إيران في حال حصول أي مواجهة مباشرة مع أي كان. ولكن في المقابل، فإن إيران تعدنا بأن تعطينا حق الوصول الكامل إلى البحار الدافئة، وهذا كان الحلم، هذا كان الهدف للعديد من الأجيال الجيوسياسية الروسية، بدءاً من فترة الحكم القيصري، إذاً يمكننا أن نضاعف مصادرها، قدراتنا، التصرف معاً، إعداد كل شيء معاً على المستوى الإقليمي أو العالمي، إذاً، أعتقد أن الأمر أكثر من مجرد اتفاقية.

المباشر. ولكن يبدو أنها كلها معركة سياسية حيث يرون مصالحهم وكيف يمكن لهم أن يكونوا أقوى. الأمور لا تتجه باتجاه القيم والروحانية، كما تحب. أشعر بأن القضية هي قضية اقتدار سياسي وصراع أكثر منها قضية قيم.

أ.دوغين: نعم، ولكن أعتقد أنه يتم التقليل من شأن تأثيرنا بشكل حاد، لعدم قدرتنا على إيصال الحرب الأوكرانية إلى مرحلة الانتصار. فلا ينبغي أن يكون لديك ثقل دبلوماسي فقط، ولكن نحن ليس لدينا ثقل دبلوماسي. والغرب يتجاهل اعتراضات روسيا، مصالح روسيا، الإنذارات الروسية، أي شيء. الغرب لا يعتبرنا أقوىاء بما يكفي في أوكرانيا. لم نتتمكن من لعب دور. كما لم نتتمكن في الوقت نفسه من أن نمنح هذا الدور ونثبتته من خلال التدخل العسكري الجاد. فعلى سبيل المثال، حين قلنا أوقفوا الانقلاب على الأسد، فقد برهنا عن قدرتنا وإرادتنا واستعدادنا للقيام بذلك. لم نكتفي بالقول

الغربي الذي يتهددنا في أوكرانيا، الذي تحوّل على يد الليبراليين العولميين إلى نوع من المعاداة لروسيا، إلى نازية جديدة، إلى نظام عنصري معاد لروسيا. ولقد بدأنا هذه الحرب المقدسة ضد الغرب العالمي، الغرب الجماعي في أوكرانيا، فكل جهودنا منصبة ومركزة هناك.

الرؤى: ولكن ماذا عن الفرصة العظيمة لروسيا لتتدخل أيضًا في الشرق الأوسط، ربما في لبنان وغزة لتكسب نقطة تأثير أخرى حتى في هذه القضايا؟ لأنها دولة عظيمة تتمتع بقوة عظيمة. أو هل يفكرون بأن يكون لديهم دور أكبر في المستقبل ربما في هذه المسائل؟ لأنك إذا تحدثت على مستوى السياسة، أو تحدثت على مستوى القيم، حين تحدثت على مستوى القيم فهذا يعني أنه ينبغي القيام بشيء ما، حتى على مستوى السياسة ربما، مواصلة الضغط وليس بالضرورة التدخل

الشهيد السيد حسن نصرالله: "لن نتخلّى عن فلسطين أبداً، ولن نتراجع أمام أي تهديد، ففلسطين قضيتنا المركزية."



مشابهة للمدن الرأسمالية العالمية الحديثة في العالم. وكذلك نمط العيش والمسائل الأخرى. إذا، هذه الحركة الروحية والقيمية والتراثية كيف تنمو وتصبح أقوى في روسيا بربك؟

أ. دوغين: لقد وضعت روسيا تحت تأثير حادثة الغرب على مدى ١٠٠ سنة. على مدى ١٠٠ سنة، النماذج الغربية تجذرت في المجتمع الروسي. عقليتنا شوهت وحُزفت بالكامل من خلال الشيوعية، بالحد الأدنى بالمادية. وبعد ذلك بالدعاية الليبرالية. أين هو مجتمعنا الآن من هذا التحول لصالح استعادة القيم الدينية والاتجاه باتجاهها؟ هذا عمل جداً صعب. هناك تخفيف من القوانين المفروضة من قبل بوتن، يوجد المزاج العام المحافظ والرافض للمثلية الجنسية (LGBT)، يوجد هجرة واسعة، يوجد الفردانية وغيرها من أشكال الرأسمالية. يوجد هذا المزاج الذي يتطور وينمو في المجتمع، يوجد تقليص للحكومة. ولكن تأثير عدم تحريك ساكن على مدى ١٠٠ سنة إزاء ما كان يحدث من تدمير لروحية الشعب الروسي ما زال قوياً جداً. يوجد هذا الصراع الداخلي. لأنه في الوقت الذي نقود هذه الحرب في أوكرانيا ضد الغرب الجماعي، نحن نقود الصراع الداخلي في مجتمعنا ضد الحداثة، والتقدمية، والمادية، والإلحاد التي أضحت متجذرة في المجتمع الروسي. فنحن نحاول استئصال هذه الجذور للحداثة الغربية، لكنها مدمرة ومسممة جداً. فنحن نمر الآن في ثورة محافظة. هذه الثورة المحافظة على سبيل المثال قد تم تحقيقها في إيران، وكان ذلك سريعاً، كانت تلك ثورة الإمام الخميني ضد الشاه، وكانت تلك الثورة فورية وسريعة جداً. وفي المجتمع الروسي، نسختنا للثورة المحافظة هي أبطأ بكثير. تأخرت. إنها العملية التي نقوم من خلالها بذلك، ولكن هذه العملية تتقدم. فنحن نصبح أكثر فأكثر من أتباع المدرسة التقليدية، محافظين، أصحاب هوية، نشعر أكثر فأكثر في أنفسنا بأننا حضارة خاصة. لكنها عملية صعبة جداً. ليس من السهل العودة لأن معنى الخلود قد تم القضاء عليه. الكل لديه نوع من المقياس للوقت، للنجاح. فنحن محكومون للروحية الغربية إلى مستوى ما، وجود الشيطان داخل العقلية الروسية، وإنه عمل صعب جداً أن نحرر أنفسنا من ذلك.

لا تلمسوا الأسد. وقد أرسلنا مباشرة إلى سوريا ما يكفي من القوة لنبرهن عن (صدق) هذه الإرادة. إذا الآن، ومع تورطنا الكامل في الصراع الأوكراني، لا يمكننا إعادة القيام بذلك. فنحن الآن تحت رحمة كل القوى السياسية التي تحكم المنطقة هناك، لأننا لم نتمكن من تحويل انتباهنا عن معركتنا الأساسية إلى معركة أخرى. نحن في موقف صعب جداً. نحن أقوى من الأوكرانيين، ولكن لا بما يكفي لنريح الحرب مباشرة. لأن الغرب العالمي بأسره يقف ويحتشد خلف أوكرانيا. من الصعب جداً أن تقود حرباً ضد ٥٠ دولة غربية أو أكثر، مع كل ما يمتلكونه من قوة اقتصادية وتكنولوجية. فعلى سبيل المثال، يمكنك أن تأخذ بعين الاعتبار كيف كان الأمر حين حاربت "إسرائيل" لبنان مع كل هذا الدعم الغربي، قد قاموا بالقضاء على قيادة حزب الله بكل سهولة، وفوراً. والمقاومة كانت على المستوى الميداني. إذا، من الصعب جداً خوض حرب ضد الغرب. ولكن لن نسمح لأنفسنا بتشتيت قوانا. لذا، في الأحداث

الإسلام سوف يكون قوة حقيقية على المستوى العالمي حين يتمكن من مواجهة الغرب والقضاء على "إسرائيل"

المقبلة، أعتقد أن رد فعل روسيا يمكن أن يكون أكثر قوة لصالح المقاومة. ولكن الآن، علينا أن ننقذ أنفسنا أولاً.

الرؤى: بالانتقال إلى المجتمع الروسي، لقد ذكرت في عدة محاضرات أن روسيا تعود أو تستعيد قيمها الدينية والتراثية على مستوى الثقافة. كيف ذلك؟ وهل الشعب والمجتمع الروسي مقتنع بهذه الرؤية؟ هل يحاربون حداثة الغرب ويعملون على إنشاء نموذجهم الخاص المستقل؟ وكيف تعتقد أن الله والروحانية ينبغي أن يكونا وسط المجتمع. في نمط العيش، فكيف تحلل المجتمع؟ ليس فقط كيف تحبه أنت أن يكون. التحول أو استعادة القيم، القيم العائلية، القيم الروحية؟ لأن الزائر لروسيا ولمدنها الأساسية يجدها

أو بعض التفرد، حيث يمكن أن نجد أرضية مشتركة للكاثوليك المحافظين أو البروتستانت المحافظين، الذين ما زالوا يؤمنون بالله والثالث ومريم المقدسة، أم الإله، الذين يشاركوننا الاعتقاد الحقيقي بالخلود. ولكن الأعم الأغلب من المسيحيين الغربيين متورطون بشكل كامل بالحداثة. لم يعودوا يؤمنون بالخلود، بالنسبة لهم، الزمان، وحضور الإله بذاته في العالم (المحيطة)، والأبعاد الاجتماعية والمادية للحياة، تغلب، تغلب بشكل كامل. وهذا لا يتناسب مع الإيمان الحقيقي بالإله، مع الدين المسيحي الحقيقي. أعتقد.. ألاحظ عناصر متقاربة أكثر بيننا وبين المؤمنين في العالم الإسلامي، والعالم الهندوسي، بما في ذلك بعض أبعاد التراث الصيني.

الرؤى: على صعيدك الشخصي بأي نوع من أنواع الروحانية الأرثوذكسية المسيحية تعتقد؟ ما هي رؤيتك في هذا المجال؟ الأرثوذكسية المسيحية التي هي ذات جذور

الرؤى: بروفيسور، هل تعتقد بأن الحوار بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية هي فرصة عظيمة لتحقيق السلام العالمي؟ فكلتا الكنيستين في الشرق والغرب، وهذا بسبب المجتمعات المتدينة أو المؤسسات، حين يتحاورون أو يقتربون من بعضهم بعضاً يمكن للكثير من المشاكل أن تحل، وهذه فرصة لإيجاد سلام عالمي.

أ.دوغين: كلا، لا أعتقد بأن المسيحية الغربية يمكن أن تجد قاعدة مشتركة مع المسيحية الشرقية. لأن الخراف المسيحية الغربية عن الجذور اليونانية. البينظية وتقاليدها، كانت البداية والسبب لاختار شيطنة الغرب. فالإصلاح الكاثوليكي وأكثر من ذلك البروتستانتي، قد أخرج الغرب من القداسة الحقيقية للدين المسيحي. وعلى العكس، فأنا أرى نقاطاً مشتركة أكثر مع التراث الإسلامي أو التراث الهندوسي، أكثر بكثير من تلك التي مع المسيحية الغربية. يمكن أن يكون هناك دائماً حالات معزولة

الشهيد السيد حسن نصرالله: "أطفال شهدائنا هم أبطال المستقبل، وسيرثون رسالة آبائهم في المقاومة والصمود."



تفعيل هذه الهوية المسيحية الأرثوذكسية، ومنذ نهاية الثمانينات، أصبحت عضوًا واعيًا بالكامل في الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية الروسية. ومنذ تلك اللحظة بدأت أعتقد بأن ديني يتناغم مع الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية الروسية.

الرؤى: ما هي الروحانية الأرثوذكسية؟ فهناك خصائص أساسية ومفتاحية لهذه الأرثوذكسية المسيحية التي تؤمن بها، بالمقارنة مع الإسلام أو التشيع كما كنت تبين أو مع أفكار غينون. ما الذي يجعل الروحانية الأرثوذكسية فريدة بالطريقة التي تفهمها؟

أ. دوغين: لقد كتبت منذ ثلاثين سنة كتابًا، لقد تُرجم إلى الفرنسية الآن، وربما سوف تتم ترجمته إلى الإنكليزية، بعنوان ميتافيزيقية البشارات، the metaphysics of the الإنجيل the good news, the metaphysics of the evangel. لقد حاولت في هذا الكتاب، هذا الكتاب الكبير بما يكفي، لأن أشرح ما هي نقاط الالتقاء بين تعاليم غينون والترات المسيحي الأرثوذكسي، وما هي نقاط الاختلاف. فهذا هو البحث الكبير جدًا. أعتقد بأنني شرحت هناك بشكل موسع ما هي النقاط المشتركة مع غينون. وما هي نقاط الاختلاف. أو على سبيل المثال، كريستولوجيا غينون هي إسلامية، وهو يدعي بأنها عالمية. ولكن برأيي هذا الأمر غير مقبول، لأنه حتى نكون مسيحيين نحتاج لأن نقبل الكريستولوجيا المسيحية، والفهم المسيحي للمسيح كإله. ولكن في الوقت نفسه، غينون، في كتابات أخرى، يقبل بالمسيح كأفاتار (تجسد) والتي هي مقارنة هندوسية، وهذه أيضًا ليست مقبولة بالنسبة للمسيحيين. ولكن في الوقت نفسه، هذه النقاط مهمة من الناحية الدينية، ولكن على المستوى الميتافيزيقي أهميتها تأتي بالدرجة الثانية. لأنه يمكنك تفسير بعض المبادئ الميتافيزيقية. فهي أرفع من أن يستوعبها العقل البشري بمقاربات مختلفة. فأنا أنقل المعرفة (impart) حول الطريق المسيحي، الذي أتبعه بقوة ومجدية. ما هي كنيستنا؟ وما والذي يؤكد عليه مذهبنا العرفاني والميتافيزيقي واللاهوتي؟ وما هو الثالث

روحانية عميقة، إلى جانب فلسفة المدرسة التقليدية. أود أن أسمع عن فلسفتك وديانتك الخاصة. أقصد نموذجك الخاص.

أ. دوغين: بداية أنا من أتباع المدرسة التقليدية. لقد تربيت منذ حداثة على يد أصدقائي الذين هم أكبر مني سنًا، والذين كانوا من أتباع غينون، والمدرسة التقليدية، والمدرسة الخالدة. وبالنسبة لي، تشكلي، تشكل فكري بدأ مع المدرسة التقليدية لرينيه غينون، ويوليوس إيفولا، وتيتوس بوركهارت وغيرهم. هذه كانت مقارنة فلسفية فكرية ومناقضة بشكل جذري للنظام الفكري والسياسي الروسي، حيث وُلدت. فهذا كان يخالف عائلتي، يخالف أصدقائي في الصف، في الجامعة. فهذا كان نوعًا من الثورة الروحانية الفردية. كنت أرفض الحداثة والغرب والليبرالية والشيوعية والمادية والإلحاد، واخترت طريق التراث، هذه كانت نقطة انطلاقي. ولم تكن منذ البداية مرتبطة بالمسيحية. لقد تم تعميدي حين

شهادة السيد حسن نصر الله كانت فاجعة بالنسبة لي على المستوى الشخصي. وأنا أوّمن بأنه يعيش بين أولئك الأحياء المخلدين، وأنه كان رمزًا حقيقيًا عظيمًا

كنت ما زلت طفلًا صغيرًا في الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية، لكنني لم أترّب في ظل هذه الديانة. ولكن حين بدأت بتطبيق مبادئ المدرسة التقليدية على نفسي، وعلى بلدي، وصلت في وقت ما إلى القناعة بأن الدين الحي والأرثوذكسي والذي هو حقًا ميتافيزيقي والصالح والدين الحق، هو الدين المسيحي الأرثوذكسي. فأعدت تفعيل المعمودية في نفسي، انضمت إلى الحياة المسيحية الأرثوذكسية، أصبحت أحد أعضاء الرعية. وكان ذلك في أواخر الثمانينات. إلا أنني اكتشفت المدرسة التقليدية في بداية الثمانينات، كان ما يقارب السبع أو ثمان سنوات عبارة عن أبحاث فكرية في البيانات المختلفة، في الإسلام، في الهندوسية، في الطاوية، في البوذية وفي أماكن أخرى. وفي النهاية، أعدت اكتشاف ما كان الأقرب إلى نفسي والذي كان هناك منذ البداية. وهنا أعدت

المقدس؟ ما هي البتول؟ أم الإله، من هي العذراء؟ من هي مريم العذراء؟ من هو المسيح كإنسان؟ إنسان كامل ومطلق، إله كامل ومطلق، والشخص الثاني من الثالوث بأكمله. فأنا أقبل بكل هذه المبادئ الميتافيزيقية لكنيسة، ولديني، ولكنني أفسرها، ليس فقط لاهوتيًا، بل ميتافيزيقيًا أيضًا. إذاً، هو حوار طويل جدًا...

الرؤى: لكنك شخص معجب جدًا بالإسلام وبالتشيع، فهل لهذه الاعتقادات والأفكار دور في منظومتك الاعتقادية، مثل الأفكار الشيعة التي ذكرتها، أو الأئمة أو ما شاكل، فهل لهم دور في قلبك أو في فهمك للدين حتى؟

أ. دوغين: لقد درست الإسلام لمدة طويلة، وحاولت فهم المنطق، التعاليم الميتافيزيقية للإسلام. وتوصلت إلى هذه النتيجة وهي أن... على سبيل المثال، إذا قارنا الفروع الثلاثة للدين

المسيحي، الكنيسة الأرثوذكسية، والكنيسة الكاثوليكية، والمذاهب البروتستانتية، يمكننا القول أنه في العالم الإسلامي، المذهب الشيعي يشبه المسيحية الأرثوذكسية، الكنيسة الشرقية في المسيحية. المذهب السني يشبه الكاثوليكية، والمذهب السلفي والوهابي والتكفيري يشبه البروتستانتية في المسيحية. فيمكنك أن تقيس كم هو صعب أن تطلب من المسيحيين أن يجدوا أرضية مشتركة، مثلما أنه من الصعب جدًا أن تجد أرضية مشتركة بين الشيعة والسنة وفوق كل ذلك مع السلفية والوهابية.

الرؤى: إذاً، فأنت تؤمن بأن الأرثوذكسية المسيحية والمسلمين الشيعة قريبون من بعضهم بعضًا أكثر من الآخرين؟

أ. دوغين: حتمًا، هذا هو رأيي. أعتقد أنه يوجد الكثير من النقاط المشتركة. هما تراثان مختلفان، هما ديانتان مختلفتان. لا ينبغي أن نخلط بينهما،

آيت الله السيد الخميني في
حرم السيدة المعصومة (ع)
عام ١٩٧٩ ميلادي



الفلسفة تحتاج لأن تقول للزمان قف هنا، نحتاج لأن نتوقف، لا تستمر في التقدم، لأننا أولاً نحتاج لأن نستوعب معنى اللحظة. وهذا هو الموضوع الذي يتصل بشكل طبيعي بآخر الزمان، الذي هو رمز لآخر الزمان. لهذا، هيفل لديه فكرة مفصلة حول نهاية التاريخ، نهاية التاريخ لكونها تشكل اللحظة الأكثر أهمية في كل التاريخ. إذا، إن معنى التاريخ، وسبب التاريخ أن تكون هنا هو أن تذهب إلى نهاية التاريخ هذه. إذا نهاية التاريخ هي أهم بكثير من التاريخ نفسه، أكثر من بداية العالم. إذا نهاية العالم أهم بكثير من بداية العالم، لأنه في نهاية العالم سوف نكتشف في النهاية لماذا بدأ، لماذا العالم وزمن التاريخ قد بدأ. أتمنى من الناس الذين هم متحمسون للعرفان، للدين، للفلسفة، المنخرطون بذلك، أن يركزوا جهودهم على حل هذا اللغز لنهاية العالم.

الرؤى: إذا، تقصد أنه حتى نصل إلى حيث انتصار العدالة والخير وهذه القيم، فانت تقصد أننا بينما نتقدم في التاريخ ينبغي أن نصل إلى نقطة حيث العدالة والقيم والخير، وكل الأشياء الجديدة سوف تغلب على الأشياء السيئة، لهذا لديك هذه الفلسفة للتاريخ؟
أ. دوغين: لا، أنا أعتقد بأن التاريخ هو بالدقة على العكس من ذلك. التاريخ هو العملية التي من خلالها نصبح أبعد وأبعد، نحن نصبح أبعد أكثر فأكثر من العدالة، من الجنة، من العصر الذهبي. إذا، نحن نبتعد عن هذا العالم العادل والكمال، العالم الحقيقي، وننخرط أكثر فأكثر في العالم المضاد. ولكن في نهاية عملية التسافل هذه، الانحدار، السقوط، الانزلاق إلى الأسفل والأسفل، في نهاية هذه العملية، نقرب من لحظة الاستعادة الأكبر. استعادة الحقيقة، استعادة الواقعية بعد أن سقطنا في أسوأ وأظلم نقطة من منتصف الليل العالمي. فنحن نأتي من منتصف النهار ومن منتصف الرحلة من منتصف النهار إلى منتصف الليل، وهذا هو التاريخ بالدقة. ولكن نهاية التاريخ ينبغي أن تكون لحظة الاستعادة الكبرى. ولهذا ينبغي أن يظهر المخلص في هذه اللحظة، لا في اللحظة الأولى. في اللحظة الأولى يوجد آدم، ومع الغنى الكامل للإنسان، للروحانية، والتاريخ هو عملية خسران ذلك أكثر فأكثر. ونحن نصل إلى أسفل نقطة من

لا ينبغي أن نمزج بينهما، لا ينبغي أن نحاول الجمع بينهما، فهما مختلفان تمامًا. ولكن يوجد الكثير من النقاط المشتركة بينهما، موقفهم من الموجودات، من الإنسان، من الروح، من المعركة الأخيرة، فهمهما لمنطق التاريخ المقدس متقارب جدًا. وأعتقد بأننا نحتاج بهذا المعنى، لأن نقيم تحالفًا أرثوذكسيًا مسيحيًا روسيًا شيعيًا أقوى، ليس على المستوى السياسي فحسب، بل على المستوى الجيوسياسي والاقتصادي والروحاني أيضًا.

الرؤى: كيف يمكنك أن تختصر رسالتك، مشروعك في الدين، في الفلسفة، في الروحانية، في السياسة، الأشياء التي تهدف إلى تحقيقها أو تراها فيما بقي من حياتك؟ فإذا تركت مع رسالتك الأخيرة التي ترغب أن تضيفها، فيما يتعلق بالمشروع الفلسفي الذي تعمل عليه، والأشياء التي تطمح لأن تراها في روسيا أو في العالم الإسلامي.

نحن نحتاج لأن نستمد من ألم غزة، من ألم بيروت، من الشهادة والموت المجيد للسيد نصر الله، نحتاج لأن نستمد الطاقة العظيمة، والإرادة، والقوة للاستمرار في القتال

أ. دوغين: بدايةً، أعتقد أن الخط الرئيسي للفلسفة هو أخذ آخر الزمان بعين الاعتبار والتفكير فيه. آخر الزمان ليس مجرد أحد المواضيع الفلسفية أو الدينية، إنه النواة الأساسية للفلسفة. لأنه حيث نفكر بآخر الزمان نكون مجبرين على التفكير بطبيعة الزمان، طبيعة التاريخ، منطق التاريخ، وكيف أن الزمان والتاريخ يتوافقان مع الخلود، وما هو الهدف؟ ماذا كانت البداية؟ ما هو المعنى الذي وُجد أو الذي تجلّى في التاريخ؟ أفلاطون أطلق على الزمان الصورة، الصورة المتحركة للخلود. هذا هو الخط الأساسي للفلسفة، هو أن تفك الشيفرة، أن تجد، أن تصلح، أن تظهر معنى التاريخ، من أجل أن تقر هذه الصورة للخلود. لأن حركة تاريخ الأحداث تحاول أن تخفي المعنى. ونحن نحتاج...

تقصد، إلى أن نصل إلى زمن المخلص. فهل هذا ما تؤمن به؟

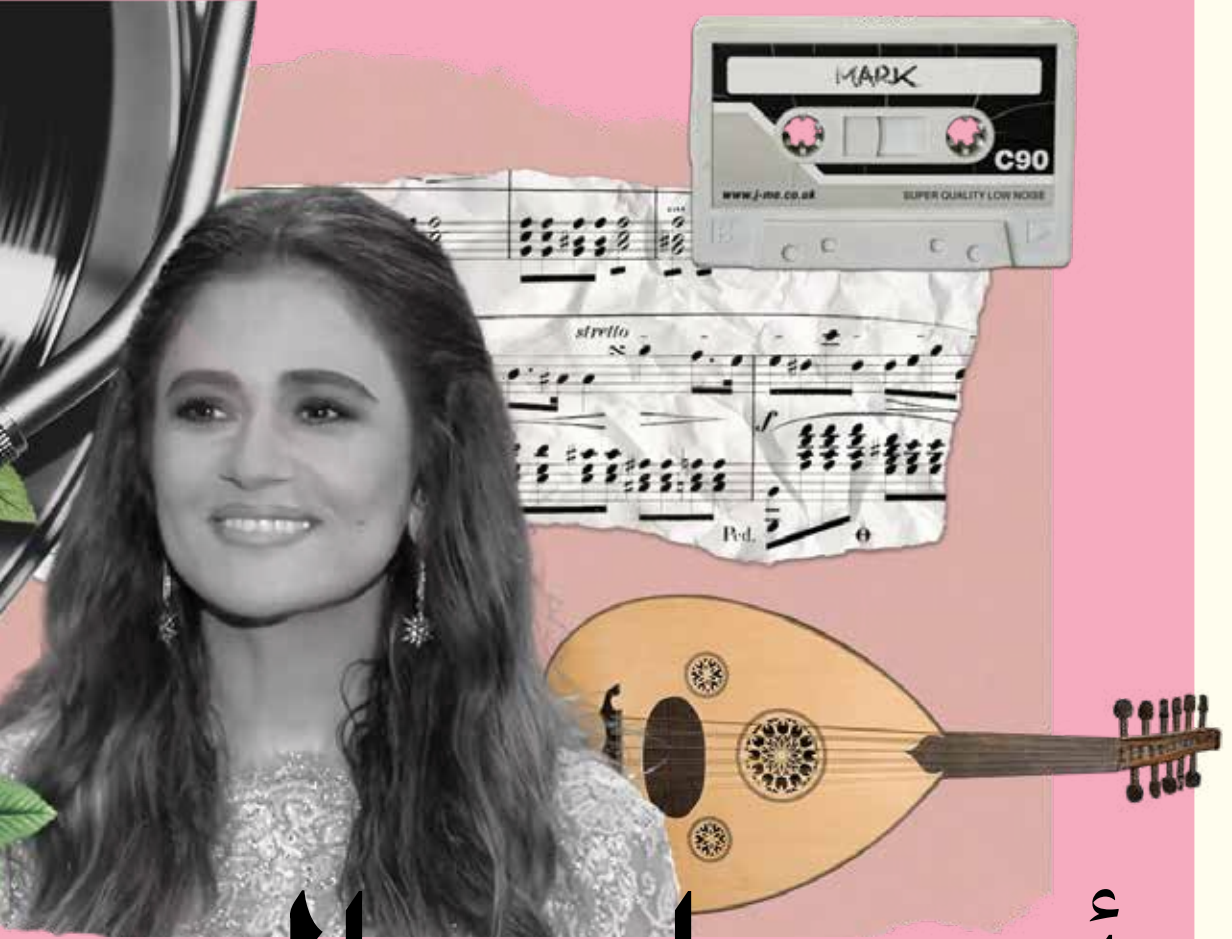
أ. دوغين: بالضبط، فلأن المخلص لن يأتي ليخلص الجميع، فهو سوف يخلص شعبه، المؤمنون به. وينبغي أن نكون بجانب النور. أطلق على ذلك الموضوع الجذري، الموضوع الجذري في الجزء الأكثر عمقا للروح، للقلب الإنساني. ينبغي أن يبقى مع النور حيث تكون الظلمة كاملة، حيث لا يكون هناك شيء في الخارج، لا شيء سوى الظلمة. ولكن أولئك الذين هم مخلصون للنور، حين لا يعود هناك نور، هؤلاء سوف يكونون جنود المسيح وجنود المهدي في اللحظة الأخيرة من التاريخ. لأن المهدي والمسيح سوف يعرفان أتباعهما، ينبغي أن نكون أتباعهما. لا ينبغي لنا أن ننتمي لهذا الزمان، لهذا المجتمع. لهذه الدورة. للمئة سنة هذه، بل نحتاج لأن ننتمي لجنود النور الخالدين الذين يحاربون الظلام حين يسيطر الظلام بشكل كامل. ينبغي أن نبقى أقوياء حتى النهاية والنهاية سوف تأتي. ▶

التاريخ. هناك يظهر المخلص، بحسب رؤيتنا إنه المسيح. بالنسبة للشيعية هو الإمام الثاني عشر المهدي، وعليهم أن يستعيدوا الواقع، ولكن الواقع هو السقوط في الغفلة. فهم لا يصلحون الواقع فحسب، فإنهم يأخذون الزمان ويحضره إلى الخلود. فهذا أكثر أهمية من البداية ومن كل المقاطع الزمنية. إذا، فنحن نقرب من مثل هذا الحدث المهم الذي هو مهم على مستوى الخلود، لا على مستوى الزمان فقط. فانا أدعو الناس، الفلاسفة والمفكرين أن يركزوا على ميتافيزيقية نهاية العالم، لأنه لا يوجد ما هو أهم وما هو مركزي بالنسبة للبشر أكثر منه.

الرؤى: إذا، أنت تقصد بأن الله والغيب والمهدي أو المخلص، سوف يتدخل ولكن هذا أيضًا يفرض علينا مسؤولية، وهي أن نتهيأ لمثل هذا اليوم لجعل العالم مكانًا أفضل، مكانًا أكثر عدالة، هذه هي مسؤوليتنا

استفاد فلاديمير بوتين من دعم بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، كيريل، للحرب في أوكرانيا/ الصورة من خلال Kremlin Pool Photo





أصوات المم

الموسيقى الفلسطينية

أماني عبدالرازق الصيفي

باحثة دكتوراة في جامعة برلين
الحرّة • ألمانيا



يقدم كتاب "الموسيقى الفلسطينية في المنفى: أصوات المقاومة" (Palestinian Music in Exile: Voices of Resistance) سرداً مُلهماً ومُقنِعاً يربط ببراعة النضال الفلسطيني المتجذر من أجل حقوقه والمقاومة المستمرة ضد الاستعمار والاحتلال، بالتطور الديناميكي للتقاليد الموسيقية. يستكشف المؤلف التفاعل المعقد بين السياسة والثقافة والموسيقى في التجربة الفلسطينية، كاشفاً عن روايات عدد لا يُحصى من الموسيقيين في كل من فلسطين المحتلة ومخيمات اللجوء المنتشرة في أنحاء الشرق الأوسط. ومن خلال عدسة تجارب هؤلاء الموسيقيين، يسلط الكتاب الضوء على قضايا متشعبة، تشمل ديناميكيات السلطة، والتفاوتات الطبقية، والعلاقات الجندرية في المنطقة. ولا يقتصر السرد على هذه القضايا، بل يغوص في استكشافات سياقية أوسع، منها مفاهيم القومية، والحداثة، والنزعة العالمية (الكوزموبوليتانية)، وأزمة الهوية، والأثر النفسي العميق للغة والموسيقى.

ملخص الفصول الرئيسية

• الفصل الأول: الزعر والزيت وفيروز: النشأة الفلسطينية في الكويت

يستكشف الفصل الأول الهوية الثقافية للاجئين الفلسطينيين في مرحلة ما بعد النكبة (١٩٤٨)، مع التركيز على مذكرات المغنية ريم كيلاني. يكشف الفصل عن السرد التاريخي للفلسطينيين في الكويت، مشدداً على إسهاماتهم الاقتصادية البارزة في السبعينيات. كما يتعمق في القمع الذي تعرضوا له خلال الغزو العراقي (١٩٩٠-١٩٩١)، متسائلاً عن أهمية مفهوم "الزرعة الكوزموبوليتانية" في الموسيقى ومؤكداً على تضال أهمية في سياق الحقوق القانونية. يؤكد هذا التمهيد على المحنة المستمرة للاجئين الفلسطينيين. مصوراً إياهم في وضع المواطنين المهمشين داخل ملاحظاتهم.

• الفصل الثاني: لا شيء يوقف التقاليد: لهجات



مقاومة في المنفى

إعادة الابتكار الثقافي في المنفى

ينتقل هذا الفصل في تعقيدات ابتكار "لهجات" موسيقية ضمن القيود الاقتصادية والسياسية الخائفة لظروف اللجوء في بلاد الشام، متناولاً التمييز في لبنان، وقمع الأنشطة الفلسطينية في الأردن، والظروف الأكثر ملاءمة في سوريا. يدرس بريهوني الديناميكيات المعقدة للتفضيلات الثقافية ضمن هياكل السلطة القائمة. بالتركيز على تأثير وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون والإذاعة، في تشكيل الأذواق الموسيقية الفلسطينية، يستكشف بريهوني لهجات موسيقية متنوعة نشأت في مخيمات اللجوء في بلاد الشام. يتعمق المؤلف في التأثير التحويلي لمدارس الموسيقى العراقية على تطور الموسيقى الفلسطينية، مسلطاً الضوء على موسيقيين مثل أحمد الخطيب. وتوضح روايات الموسيقيين من مخيم البرج الشمالي في لبنان التعبير الإبداعي في ظل ظروف اللجوء القاسية، مما يعكس منظوراً قانونياً متجذراً لمقاومة الاستعمار.

الفصل الثالث: أحلام القرية في غزة الحضرية: انتفاضة موسيقية الشباب-الموسيقى والأرض في بيت اشتراكي فلسطيني

يستكشف هذا الفصل ببراعة القوة التحويلية للموسيقى بالنسبة للاجئين الفلسطينيين العاديين، وخاصة الشباب خلال الانتفاضة الأولى (١٩٨٧). إنه يصور الموسيقى كأداة قوية لتعزيز الصمود والحفاظ على سرديات الجغرافيا والتاريخ الفلسطينيين. بالتركيز على أم علي، وهي لاجئة من غزة، يكشف الفصل عن تأملاتها في انتفاضة عام ١٩٨٧، مسلطاً الضوء على ارتباطها بالمغنين العرب مثل أم كلثوم وجوليا بطرس وأحمد قعبور. يصبح تعلم هذه الأغاني وسيلة للمشاركة وجسراً للتعبير عن الحساسية تجاه الأحداث الجارية. ويلخص موضوع الفصل. تقول أم علي: "بالنسبة لي، كان تعلم هذه الأغاني طريقة للمشاركة. كان الأمر مثل الجسر. كنت شديدة الحساسية تجاه ما يحدث".

الفصل الرابع: تخطيط الأهرامات: أصداء الراديكالية الفلسطينية في مصر

يؤرخ هذا الفصل رحلة تامر أبو غزالة، وهو ملحن ومغن وعازف متعدد الآلات فلسطيني-مصري، في القاهرة قبل وبعد الانتفاضات العربية عام ٢٠١١.

يتعمق الفصل بتوسع في التجريب الموسيقي، مع إيلاء أهمية خاصة لأهمية التكرار. ويحلل نقدياً مفاهيم الاستمرارية والذاكرة والابتكار ضمن المجالات الثقافية والسياسية، مما يؤثر تساؤلات حول الحداثة، والتعليم الموسيقي، والمشهد الموسيقي السائد في مصر والدول العربية. ويؤيّل اعتبار خاص لتأثير ديكتاتورية النخبة الإمبريالية على الأشكال الموسيقية المتنوعة داخل المجتمعات العربية.

الفصل الخامس: فلسطينيو الداخل

والحكايات: صمود وإبداع

يسلط الفصل الخامس الضوء على تجربة الفلسطينيين في "الداخل"، أو فلسطيني المناطق المحتلة عام ١٩٤٨، مركزاً على سعيد سلباق، الملحن وعازف العود. نزح جد سلباق عام ١٩٤٨ وأصبح لاجئاً في منطقة شفاعمر بعد تدمير قريته وتهجير القسري على يد العصابات الصهيونية. لا يكتفي سلباق بسرد هذا التاريخ من خلال موسيقاه فحسب، بل يبتكر أيضاً في العزف على العود والأداءات الموسيقية الصامتة، مساهماً بنشاط في النضال الفلسطيني وتجديد الثقافة الثورية للاجئين الداخلين. علاوة على ذلك، يوثق مقاومة الاستيلاء الثقافي الصهيوني على الموسيقى العربية. ويسلط الضوء على مخنة الفلسطينيين في الداخل، ويعترف بالجدل الداخلي، حيث يختار البعض التطبيع المُخزي لأسباب براغماتية أو لاعتقادهم بعدم جدوى مقاومة المستعمر والقوة الإمبريالية العظمى.

الفصل السادس: أحلى الأيام: الطرب، والوطن، والجيل الجديد من موسيقي غزة

في هذا الفصل، تتعمق الدراسة في مجموعة من القضايا، تشمل اللامساواة الجندرية، والبنية الطبقية، والعنصرية، والاستعمار، وتفحصها من خلال منظور تعلم وممارسة الموسيقى في غزة، التي تخضع لحصار حائق وممنهج من قبل الكيان الصهيوني منذ عام ٢٠٠٦. يروي الفصل تجارب موسيقيات ومغنيات مثل ريم عنبر، وهدي عصفور، وروان عكاشة، مؤكداً على الدور المحوري للمرأة الفلسطينية ليس فقط في مقاومة الاحتلال بل أيضاً في تحدي الأعراف المجتمعية. وينتقد الفصل وسائل الإعلام الغربية والعربية لإدامة الصور النمطية، وإهمال

قناعته في مبادئ الإنسانية والعدالة الاجتماعية.

الخلاصة والمنظور العام:

بشكل عام، يتبنى كتاب "الموسيقى الفلسطينية في المنفى: أصوات المقاومة" منظوراً اشتراكياً ديمقراطياً، داعياً إلى العدالة الاجتماعية ومشدداً على التأثير العميق للسياق الثقافي على الوعي الإنساني. إنه يرسخ دور الأدب والموسيقى كأدوات فعالة لتنوير الجماهير حول التاريخ، وتغذية معارضة الاحتلال في سبيل تحقيق التحول المجتمعي وتقريب المصير. ويثري إدراج مذكرات متنوعة تمتد عبر خلفيات مختلفة المنظور الذاتي الذي يضيف طابعاً إنسانياً على التاريخ، مما يعمق فهم المحنة الفلسطينية المتفاقمة منذ عام ١٩٤٨. علاوة على ذلك، فإن تحليل الباحث، الذي يدمج اللغة الفريدة (العربية والإنجليزية) والنظريات، يعزز جودة البحث، ويستكشف عمق المحنة والمقاومة الفلسطينية عبر سياقات اجتماعية-اقتصادية وسياسية عالمية. وهذا يجعل الكتاب جذاباً لمجموعة متنوعة من التخصصات الأكاديمية، بما في ذلك المؤرخون وعلماء الاجتماع واللغويون وباحثو الموسيقى المنخرطون في دراسات ما بعد الاستعمار، أو الدراسات النسوية، أو نظريات التحديث. ▶

مارس ١٩٩٣، مخيم
قلنديا للاجئين، الضفة
الغربية، فلسطين

النضالات السياسية والاقتصادية والطبقية التي تواجهها النساء الفلسطينيات وسط الاحتلال والتهجير والحصار.

• الفصل الختامي: صمود والمدينة: رفاق قدامى وجدد في إسطنبول

يسلط الفصل الختامي الضوء على رحلات موسيقيين مثل فارس عنبر وأحمد حداد، إلى جانب مجموعة من اللاجئين الشباب في إسطنبول، كشفاً عن التأثير بعيد المدى للرأسمالية العالمية المُتغلّفة، ويقدم مفهوم "الرفاق" (Comrades)، مؤكداً أن هؤلاء الأفراد لا يربطهم مجرد الصداقة، بل إيديولوجية سياسية مشتركة. ينحدرون من المغرب وإيران وفلسطين وتركيا، ويتلاقون في إسطنبول، متناغمين على أغنية الفنانة اللبنانية فيروز "راجعين يا هوى". يتجاوز التزامهم التطلعات الشخصية، فهم لا يسعون فقط إلى مكان لممارسة الموسيقى في تركيا، بل يدافعون أيضاً عن قيم العدالة الاجتماعية. ويشدد المؤلف على أن الرفقة الحقيقية تتطلب عملاً جماعياً لمعالجة التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية، مسلطاً الضوء على أهمية التضامن والتعاون من أجل إحداث تغيير مجتمعي هادف. وفي هذا السياق، يعزز بريهوني حجته، مؤكداً أنها لا تعتمد على القومية الإثنية-الدينية، بل يكمن



الطوفان: الحرب على فلسطين في غزة

ويفرد حيزاً خاصاً لمناقشة دور الإعلام الغربي و"المكارتية الجديدة" التي تستهدف المتضامنين مع فلسطين.

وعلى الرغم من إقراره بتغير المشهد، إلا أن بشارة يشدد على أهمية التمسك بمنظوره الفكري الذي يرى في القضية الفلسطينية مزيجاً فريداً من الاستعمار الاستيطاني والفصل العنصري، وهو ما يستدعي استراتيجية عمل جديدة. يقدم الكتاب رؤية نقدية لمختلف الأطروحات، من خيارات المقاومة المسلحة إلى حل الدولتين، مؤكداً على ضرورة إصلاح البيت الفلسطيني وتوحيد جهوده لاستثمار هذه اللحظة التاريخية بما يخدم الحل العادل. إن "الطوفان" ليس مجرد تحليل للأحداث، بل هو دعوة للتفكير النقدي والمراجعة الفكرية في ظل تحولات مفصلية، وبعد إضافة قيمة للمكتبة العربية في دراسة الصراعات المعاصرة. ▶

في كتابه الأخير "الطوفان: الحرب على فلسطين في غزة"، يقدم الدكتور عزمي بشارة تحليلاً عميقاً وشاملاً لعملية "طوفان الأقصى" وتداعياتها الكبرى على القضية الفلسطينية، محلياً، إقليمياً، ودولياً. يسعى بشارة في هذا الكتاب، الذي صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إلى فهم الأبعاد المتعددة لهذه الحرب، من دوافعها وأهدافها المعلنة وغير المعلنة، وصولاً إلى تأثيراتها على الواقع الفلسطيني والوضع الإقليمي، وحتى الرأي العام العالمي.

يستعرض الكتاب السياق التاريخي والسياسي الذي أدى إلى هذه العملية، مشيراً إلى أن ما جرى لم يكن وليد اللحظة، بل هو نتيجة تراكمات طويلة من الحصار والتهميش للقضية الفلسطينية. كما يتناول بشارة مسألة التحديات الأخلاقية والقانونية التي تواجهها الإنسانية في ظل ما ترتبه "إسرائيل" من أعمال وحشية في غزة،



- سنة النشر: ٢٠٢٤
- الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
- عدد الصفحات: ١٨٤



قضية فلسطين: أسئلة الحقيقة والعدالة

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
الترجمة العربية لكتاب:

“Palestine: Matters of Truth and Justice”
للدكتور عزمي بشارة. يعد هذا الكتاب، الذي يقع
في ٣٩٣ صفحة، إضافة نوعية للمكتبة العربية، فهو
ليس مجرد عرض تاريخي للقضية الفلسطينية، بل
هو محاولة تحليلية ونقدية تستمد قوتها من تجربة
المؤلف الشخصية والسياسية الطويلة.

يقارب بشارة القضية من منظور الحقيقة والعدالة.
فالحقيقة لديه ليست مجرد سرديّة مقابل أخرى، بل
هي جوهر ثابت يتمثل في المشروع الاستعماري
الاستيطاني الذي قادتته الحركة الصهيونية. أما
العدالة، فهي شرط أخلاقي وسياسي أساسي لا
يمكن تجاوزها في أي حديث عن حلول. يؤكد بشارة
على أن القضية لم تبدأ عام ١٩٦٧، بل هي أقدم من
ذلك بكثير، وتعود إلى النكبة عام ١٩٤٨، وهي قضية
ظلم تاريخي لا يمكن حلها إلا بالعدالة، وليس

بالمساومات السياسية.

يعالج الكتاب العديد من القضايا المعقدة، مثل
تداخل القضية الفلسطينية مع “المسألة اليهودية”
و “المسألة العربية”، ويفند الأساطير الصهيونية
المؤسسة. كما يحلل بشارة طبيعة النظام القائم
في فلسطين، مستخدماً مصطلحي “الاستعمار
الاستيطاني” و “الفصل العنصري” كأدوات تحليلية
لفهم الواقع. يرى أن أي حل يجب أن يراعي هذه
الطبيعة، وأن المقاومة هي السبيل لمواجهتها.

إن “قضية فلسطين: أسئلة الحقيقة والعدالة”
هو كتاب يجمع بين العمق الأكاديمي والالتزام
السياسي، وهو شهادة حية على أن القضية
الفلسطينية لا تزال حية في الوعي الجمعي
الفلسطيني والعربي، وتتوارثها الأجيال كقضية
كفاح ضد الظلم. إنه دعوة للجيل الجديد للعودة
إلى جذور الصراع وفهم جوهره بعيداً عن الحلول
المؤقتة والمفاوضات العقيمة. ▶



- سنة النشر: ٢٠٢٤
- الناشر: المركز العربي
للأبحاث ودراسة السياسات
- عدد الصفحات: ٣٩٣



Palestine's Christians and the Nationalist Cause

يحتوي الكتاب على فصول متعددة الجوانب، تبدأ بـ استعراض وضع الجماعات المسيحية في مطلع القرن العشرين. تحليل لموقف الصحفيين المسيحيين الفلسطينيين من الخطر الصهيوني في أواخر الحكم العثماني. مناقشة دقيقة لكيفية تشكيل الهوية الطائفية في ظل الانتداب البريطاني وتأثيرها على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين. دراسة للمشاركة المسيحية في الأحداث الكبرى، مثل الانتفاضة الكبرى (١٩٣٩-١٩٣٦). ومقاربة لمواقف القادة المسيحيين أمام لجان التحقيق الدولية. وينتهي بمؤخرة تتناول مكانة المسيحيين الحالية في القضية الوطنية وعلاقتهم مع الأغلبية المسلمة. إن هذا العمل ليس مجرد دراسة تاريخية، بل هو خارطة طريق للمؤرخين والباحثين، لكونه يقدم إطاراً منهجياً لفهم تعقيدات العلاقات بين المجتمعات الإسلامية والمسيحية، وجدلية المكون الديني في صلب القوميات الحديثة، ما يجعله قراءة أساسية لكل مهتم بتاريخ الشرق الأوسط المعاصر والقضية الفلسطينية. ▶

يُقدم هذا الكتاب (المسيحيون والقضية الفلسطينية: مقارنة لدور الدين والهوية الوطنية) رؤية تاريخية شاملة تُسلط الضوء على الجماعات المسيحية في فلسطين، ليس ككيانات منفصلة، بل كجزء أصيل وفاعل في الحركة الوطنية الفلسطينية خلال حقبتين مفصليتين: أواخر العهد العثماني وفترة الانتداب البريطاني.

يتجاوز العمل السرد التاريخي الضيق، مركزاً على الموضوع الأوسع والأكثر تعقيداً: العلاقة بين القومية والدين، وتحديد التفاعل بين الهوية العربية والمُكوّن الإسلامي في تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية. وعلى خلاف المناهج التاريخية القديمة التي كانت تفترض تمايزاً صارماً بين الهويات الوطنية والدينية، يؤكد هذا البحث، من خلال دراسات مُعمقة، على وجود تداخل كبير وملحوظ بينهما. ويُشير إلى أن هذا التداخل لم يكن له طابع إقصائي أو حصري بأي حال من الأحوال تجاه المسيحيين، بل كان علاقة ديناميكية ومتغيرة تساهم في بلورة مفهوم الوطنية الشاملة.



● سنة النشر: ٢٠٢٥
● الناشر: Routledge
● عدد الصفحات: ٣٣٨



دليل "إسرائيل" العام ٢٠٢٠

يُقدّم هذا الكتاب في طبعته المحدثّة، دليلاً مرجعياً شاملاً عن دولة "إسرائيل"، يستعرض مختلف جوانبها الجوهرية بأسلوب وصفي تحليلي دقيق. وهو يتوجه للقارئ العام والباحث المتخصص، مقدّماً صورة متكاملة للظاهرة المدروسة من خلال مواكبة أحدث التطورات والمستجدات على مدى العقد الأخير.

لا يكتفي الدليل بعرض الجانب "الإسرائيلي" فحسب، بل يمتد تحليله ليشمل القضايا المتشابكة مع القضية الفلسطينية، ويغطي الكتاب محاور أساسية تشمل:

الأيديولوجيا والسياسة والاقتصاد والقانون؛ حيث يُحلّل البنى التحتية للدولة ومؤسساتها، وكيف تتشابه هذه الأبعاد مع الرؤية الصهيونية.

الأمن والمجتمع؛ ويُفضّل في العقيدة الأمنية "الإسرائيلية" وتأثيرها على النسيج الاجتماعي الداخلي.

نظام الاحتلال والاستيطان؛ ويتناول بالتحليل أوضاع الفلسطينيين داخل "إسرائيل"، وتمدد نظام الاحتلال والاستيطان في الأراضي الفلسطينية السورية المحتلة منذ عام ١٩٦٧.

تتميز هذه النسخة بتحديث شامل للبيانات وإضافة فصول جديدة وحيوية حول:

سياسات الأرض والتخطيط العمراني؛ وهي قضايا مركزية في الصراع.

بنية السياسات الثقافية؛ وكيف تُستخدم في تشكيل الهوية.

علاقات "إسرائيل" بيهود العالم (الدياسبورا)؛ وتحليل لطبيعة هذه الروابط ودورها السياسي والمالي.

يعتمد الكتاب على المنهج الوصفي التحليلي، مستنداً إلى المعلومات الأولية بلغتها الأصلية، ومستفيداً من أحدث الأدبيات والدراسات العلمية، ليوفّر للقارئ فهماً عميقاً لأحد أكثر الصراعات تعقيداً في المنطقة. ▶



- سنة النشر: ٢٠٢١
- الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
- عدد الصفحات: ١٠١٤



The Shi'is in Palestine

From the Medieval Golden Age Until the Present

الفترات المحورية: مثل وصول أوائل الشيعة، وعصر الازدهار تحت الحكم الفاطمي، وانتهاءً بفترات الاضطهاد والاختصار تحت حكم الأيوبيين والمماليك.

الشيعة في الجليل: ودراسة مفصلة حول وجود المتأخرة، مثل الشيعة المتأخرة، مثل النبي يوشع. التقاليد والفولكلور: وتحليل التقاليد الشيعة المتعلقة بالمدن المقدسة الفلسطينية، مثل القدس والرملة وطبريا، والمواقع المتصلة بواقعة كربلاء. يُعد هذا العمل محاولة بحثية جادة تهدف إلى توثيق جوانب غير متداولة من التنوع التاريخي لفلسطين، من خلال الاعتماد على المصادر الأولية والميدانية. ▶

يتناول الكتاب (الشيعة في فلسطين...) لمؤلفه يارون فريدمان، دراسة مسحية تحليلية معمقة لوجود التشيع في منطقة فلسطين، مُتبعاً أثره منذ العصور الإسلامية المبكرة حتى المرحلة المعاصرة. يهدف العمل إلى استعراض معلومات وتطورات تاريخية ليست واسعة الانتشار، وإبراز الدور الذي لعبه المكون الشيعي في تاريخ فلسطين، خلافاً للروايات التي غالباً ما تهمل هذا الوجود.

يعالج الكتاب التحدي المتمثل في انحسار الحضور الشيعي اليوم في المنطقة، حيث يعيد بناء هذا التاريخ عبر تحليل المزارات والمواقع الإسلامية المقدسة في فلسطين، مُبيناً أهميتها في المذهب الشيعي. ويشمل الكتاب فصولاً تستعرض:



- سنة النشر: ٢٠١٩
- الناشر: Brill
- عدد الصفحات: ٢٣٦



Lived Resistance

against the War on Palestinian Children



• سنة النشر: ٢٠٢٤
• الناشر: University of Georgia Press
• عدد الصفحات: ٣٢٠

خلالها هذه المقاومة، وهي الجسد والعقل. تتناول فصول الكتاب المتنوعة أبعاداً مختلفة من القوة السياسية الفردية والجماعية للأطفال الفلسطينيين، بما في ذلك: الفن والإعلام، تجربة السجن، تجارب الأبوة والأمومة، الحزن، النيوليبرالية، أوضاع مخيمات اللاجئين، والحركات الاحتجاجية.

يُظهر الكتاب أن علاقة هؤلاء الأطفال بالسلطة السياسية تنطلق من نموذج مواطنة شامل، وتميل نحو العدالة الاجتماعية، وتتسم بكونها رمزية ومرتبطة بالظروف. ويُعد هذا العمل مساهمة نقدية مهمة في أدبيات الطفولة والمقاومة، مُقدماً منظوراً منهجياً جديداً. ▶

يُقدم هذا الكتاب (المقاومة المعيشية ضد الحرب على الأطفال الفلسطينيين: تأطير جديد لفعل الصمود)، من تحرير هايدي موريسون، إطاراً نظرياً جديداً لفهم علاقة الأطفال بالسلطة السياسية والمقاومة. فبالرغم من تزايد الأبحاث التي تعتبر الأطفال فاعلين سياسيين، إلا أن هذا العمل يُؤسس لمنهج مختلف يتجاوز ربط مقاومة الأطفال بالنظريات التقليدية، ويسعى إلى دراستهم وفقاً لشروطهم ومعاييرهم الخاصة.

من خلال دراسات حالة مُتعمقة عن الأطفال الفلسطينيين، يُنظر الكتاب إلى مقاومتهم كتجربة مُتجسدة تحت مُصطلح "المقاومة المعيشية". ويركز العمل على فحص القناة التي تتولد وتعمل من



فرسان السينما: سيرة وحدة أفلام فلسطين

التصوير الثابت وتوثيق صور الشهداء بعد معركة الكرامة، إلى إنتاج أول فيلم تسجيلي ثوري بعنوان "لا للحل السلمي" عام ١٩٦٩. ويستعرض الكتاب الهجرة الدرامية للوحدة مع الثورة الفلسطينية إلى لبنان بعد أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠، وتحولها لاحقاً إلى ما عُرف بـ "مؤسسة السينما الفلسطينية".

كما يوثق الكتاب العلاقات النضالية بين الوحدة وسينما العالم الثالث، ويثبت مشاركة سينمائيين قدميين عالميين في هذه الظاهرة النضالية. ويختتم الكتاب بتسليط الضوء على الأفلام المفقودة وسرقة الجيش "الإسرائيلي" للأرشيف السينمائي الفلسطيني خلال اجتياح بيروت عام ١٩٨٢، مؤكداً على أهمية الحفاظ على الذاكرة السينمائية المقاومة. ▶

يُعتبر هذا الكتاب وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، يقدم سرداً شيقاً لقصة "وحدة أفلام فلسطين"، التي تأسست عام ١٩٦٨ بعد نكسة ١٩٦٧، لتكون أول مجموعة سينمائية متخصصة ترافق حركة تحرر وطني في العالم. تأسست الوحدة على يد ثلاثة "فرسان" رُؤاد، هم: مصطفى أبو علي (مدير الوحدة)، وسلافة جاد الله (أول مصورة سينمائية عربية)، والشهيد هاني جوهريّة. كان هدفهم الأسمى هو توثيق نضال الثورة الفلسطينية، ونشر مفاهيمها إلى الجماهير، ومواجهة التغيب الإعلامي الذي فرضته الحركة الصهيونية على صورة الشعب الفلسطيني وثورته. تروي المؤلفة (خديجة حباشنة)، التي عايشَت الأحداث كفدائية وزوجة لأحد المؤسسين، تطور عمل الوحدة من مرحلة



- سنة النشر: ٢٠٢٠
- الناشر: دار الأهلية للنشر والتوزيع
- عدد الصفحات: ٢٤٠



Gaza, une guerre coloniale



- سنة النشر: ٢٠٢٥
- الناشر: Sindbad L'Actuel
- عدد الصفحات: ٣٢٠

ضمن منطق السيطرة الاستعمارية. تفكيك السرديات: يقدم الكتاب تحليلاً لكيفية صياغة الخطاب "الإسرائيلي" للحروب على غزة، وكيف يعمل هذا الخطاب على إخفاء الجذور الاستعمارية للصراع. الآثار الاجتماعية والسياسية: بحث في كيفية تأثير هذه الحروب على النسيج الاجتماعي الفلسطيني وعلى خيارات المقاومة والصمود (الصمود) في القطاع.

إن "غزة، حرب استعمارية" هو دعوة واضحة لإعادة النظر في مصطلحات التحليل، والإقرار بأن فهم الحروب على غزة يتطلب بالضرورة إعادتها إلى جذورها كجزء لا يتجزأ من مشروع استعماري استيطاني طويل الأمد. هذا التناول النقدي يجعله مرجعاً أساسياً لكل من يدرس تاريخ الصراع الفلسطيني "الإسرائيلي" وأبعاده الجيوسياسية. ▶

يقدم هذا الكتاب الجماعي (غزة، حرب استعمارية) الذي صدر باللغة الفرنسية، رؤية تحليلية نقدية تضع الصراع الدائر حول قطاع غزة في سياق الاستعمار الاستيطاني. يشرف على تحرير الكتاب الباحثان فيرونيك بونتمب وستيفاني لات عبد الله، ويُعد مساهمة مهمة في فهم طبيعة الحروب المتكررة على القطاع. يرفض الكتاب الاكتفاء بتفسير ما يجري على أنه مجرد نزاع حدودي أو صراع على الأمن، بل يصر على تأطيره كفصل من فصول المشروع الاستعماري الصهيوني المستمر في فلسطين. يتناول العمل، الذي يشارك فيه مجموعة من الباحثين المتخصصين، جوانب متعددة للصراع، مُركزاً على:

الأبعاد الاستيطانية: كيف تُدار غزة كـ "معسكر اعتقال" مغلق، وكيف يتم تبرير الحصار والعدوان



Yedi Ekim'e Giden Yol

Filistin'de İslami Hareketin Tarihi

وتحولت في ظل ظروف قاسية، مُسلطاً الضوء على التاريخ المعقد الذي صاغته عوامل مستمرة مثل الإبادة الجماعية، والاحتلال، والفقر، واللجوء، والصراعات الداخلية.

يؤكد الكتاب أن هذا التاريخ المُركب قد دخل مرحلة مفصلية جديدة مع هجمات السابع من أكتوبر، التي مثلت نقطة تحول حاسمة. يوفر هذا العمل قراءة شاملة وعميقة لكل من يسعى لفهم تطور الحركات الإسلامية في فلسطين وكيفية ارتباطها الوثيق بملاحمة الشعب الفلسطيني الطويلة ضد الاحتلال. ►

يقدم هذا الكتاب، الذي صدر باللغة التركية تحت عنوان (الطريق إلى السابع من أكتوبر: قصة الحركات الإسلامية في فلسطين)، سرداً تاريخياً شاملاً لقصة الحركات الإسلامية في فلسطين، بدءاً من تأسيس دولة "إسرائيل" وحتى يومنا هذا. يتتبع العمل الجذور الأولى لهذه الحركات التي امتدت من جماعة الإخوان المسلمين، وصولاً إلى طيف واسع من المجموعات الإسلامية الفلسطينية، بما في ذلك الجهاد الإسلامي وحركة حماس. يستعرض الكتاب كيف نشأت هذه الحركات ونمت



- سنة النشر: ٢٠٢٥
- الناشر: Kutadgu Yayınları
- عدد الصفحات: ٣١٢



Palestinian Music in Exile

Voices of Resistance



● سنة النشر: ٢٠٢٣
● الناشر: The American University in Cairo Press
● عدد الصفحات: ٣٤٠

المساحات العامة من قبل هؤلاء الموسيقيين، في ظل علاقات استعمارية وحالات نزوح متكررة، قد ترافقت مع ثورة جمالية أدت إلى توسيع وتأصيل الأصوات الفلسطينية في آن واحد. وقد حملت هذه الموسيقى رسائل الصمود والمقاومة. بناءً على عقد من البحث الإثنوغرافي في أوروبا والشرق الأوسط، يُقدم هذا العمل في الوقت المناسب مجموعة مُلهمة من الإثنوغرافيات الموسيقية التي تُشكل تاريخاً شفويًا غنياً للموسيقى الفلسطينية المعاصرة، وتُجسّد مجموعة واسعة من تجارب "الغربة" وواقع المنفى. ▶

يقدم الكتاب (الموسيقى الفلسطينية في المنفى) للمؤلف لوريس بريهوني، دراسة تاريخية ومعاصرة للمشهد الموسيقي الفلسطيني في الشتات بالشرق الأوسط، مُغطياً فترة زمنية تمتد لنصف قرن في مواقع جغرافية متباينة، تشمل غزة، وتركيا، والكويت، ومصر. يضع الكتاب الموسيقيين الشعبين في صدارة المشهد كفاعلين أقوياء، حيث تروي قصصهم الحياتية نقداً للظروف القائمة، وتقدم منظورات جديدة حول تجربة التهجير، وطرق نقل السرديات الفلسطينية، ورسم رؤى بديلة للمستقبل. يُجادل بريهوني بأن استعادة



Dreams of a Nation

On Palestinian Cinema

الفيلم الفلسطيني: "مشكلة تمثيل ما لا يمكن تمثيله"، أي تحدي إثبات وجود شعب يُنكر محتله حتى وجوده (كما في مقولات ديفيد بن غوريون وغولدا مائير). السينما الفلسطينية، إذن، هي مقاومة إبداعية تولد من الدمار المستمر، وهدفها تذكر ثقافة وتاريخ جرى تفكيكهما بشكل ممنهج. يستعرض الكتاب تاريخ السينما الفلسطينية، من الأفلام الوثائقية الداعية لمنظمة التحرير في السبعينات، مروراً بأعمال ميشيل خليفي التي تحدثت بنية المجتمع التقليدية، وصولاً إلى أفلام إيليا سليمان وهاني أبو أسعد التي وصلت إلى العالمية، مُسلطاً الضوء على التحدي المتمثل في إنشاء "سينما وطنية لشعب بلا دولة".

صدرت الترجمة العربية للكتاب عن منشورات المتوسط في ميلانو، إيطاليا، عام ٢٠١٨. ▶

يمثل هذا الكتاب (أحلام وطن، عن السينما الفلسطينية)، وهو عبارة عن مجموعة مقالات ومقابلات حررها المفكر حميد دباشي، المرجع الأكثر شمولاً وتفصيلاً للسينما الفلسطينية بأي لغة. يأتي هذا العمل نتيجة مشروع أوسع أطلقه دباشي في جامعة كولومبيا لحفظ وتوثيق الأفلام الفلسطينية، وهو جهد كان يحظى بدعم محوري من الراحل إدوارد سعيد.

يكتسب هذا العمل أهميته من كونه يضع السينما الفلسطينية، التي برزت كقوة فنية رئيسية على الساحة العالمية، في سياقها التاريخي العميق، إذ تُعد هذه السينما أهم تعبير فني عن شعب كافح من أجل تقرير مصيره بعد النكبة عام ١٩٤٨ وما تلاها من تشريد ومحو للهوية.

يُعالج الكتاب المشكلة المركزية التي يواجهها صانع



- سنة النشر: ٢٠٠٦
- الناشر: Verso Books
- عدد الصفحات: ٢٢٤







نطلّ عليكم بـ"عددنا الأول" من مجلة رؤى، في لحظة تأسيسية طالما حلمنا بها: أن نؤسس منبرًا فكريًا يعنى بالدراسات ما بعد الكولونيالية وبنقد الاستعمارية المستمرة، ليكون هذا العدد شهادة على التزام منهجي وأخلاقي معًا.

يأتي هذا العدد في سياق عالمي بالغ الحساسية، إذ يتزامن إطلاقه مع حدث تاريخي فارق، تمثل في عملية السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وما أعقبها من عدوان "إسرائيلي" على غزة. ولم يكن هذا التزام وليد المصادفة، بل استجابة لضرورة معرفية فرضت نفسها على الوعي الإنساني الجمعي.